مايكل إيفانز

النبوءات الأمريكية



ترجمة
صلاح الشيخ
مصطفى الرزاز
تقديم
أحمد الشيخ



النبـوءات الأمـريكيـة

الكتاب: النبوءات الأمريكية
الكاتب: مايكل د. إيفانز
ترجمة: صلاح الشيخ
مصطفى الرزاز

الطبعة الأولى: ٢٠١١

الناشر: المركز العربي الإسلامي
للدراسات الغربية
المدير المسؤول: أحمد الشيخ

---

١٢٧ شارع منشية التحرير - مساكن حلمية
الزيتون - القاهرة - جمهورية مصر العربية
القاهرة: ت. ف: ٢٢٤١٦٧٦٩ - ٢٤٩٣٣٤٧٦
باريس: ٠٠٣٣٦٢٣٦٢٧٦٦٨ - ٠٠٣٣١٤٩٨٦٢٢٩٣

هذه ترجمة لكتاب:
The American Prophecies
تأليف:
Michael D. Evans
الناشر:
Warner Faith
رقم الإيداع: ٢٠١١/٤٠٩٣
I.N.S.B: 978-977-6234-01-7

النبوءات الأمريكية

مايكل د. إيفانز

ترجمة

صلاح الشيخ

مصطفى الرزاز

تقديم

أحمد الشيخ

المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية

فهرس المحتويات

الموضوع **صفحة**

تقديم الناشر:

زمن «المسألة الأمريكية»

الشائع في ثقافتنا العربية والإسلامية أن أمريكا دولة علمانية تفصل بين الدين والدولة، وأن دستورها لا يزال دستورًا علمانيًا يحفظ الحريات المدنية والحقوق لكل الطوائف المكونة للمجتمع الأمريكي. وننسى أو نتجاهل الثقافة السياسية والدينية المهيمنة في أمريكا والتي تؤثر على صناعة القرار السياسي الداخلي والخارجي، وهو يدفعنا إلى التساؤل، مع غيرنا، عن الجذور الإنجيلية للنزعة الأحادية ـ الانفرادية الأمريكية في العلاقات الدولية، وكيف يتحمل المسيحيون المتطرفون، في أمريكا، مسئولية كبيرة عن هذا الوضع العالمي المتفجر الآن، وعن طرق وآليات تداخل السياسي والديني في أمريكا وكيف تستند السياسة الأمريكية عبر حقب مختلفة إلى قناعات راسخة لها صفة القداسة، ومستمدة من إحساس واضعيها الطاغي بأنهم ينفذون إرادة الله، وهم العارفون بخطته الكونية كما يقرءونها في الكتاب المقدس.

وإذا كانت أمريكا دولة علمانية ولا تخلط بين الدين والسياسة، فأين يمكن لنا أن ندرج هذا النفوذ الكبير، وهذه السلطات الواسعة التي يتمتع بها اليمين المسيحي، والتي تسمح له أحيانًا كثيرة بالحسم في الانتخابات الرئاسية أو ما دونها؟ وأين نضع الانتماءات الدينية لرؤساء أمريكا أنفسهم؟ وماذا نقول عن نتائج الأبحاث والدراسات واستطلاعات الرأي التي تشير دومًا إلى تنامي الهوية المسيحية للمجتمع الأمريكي؟ وهل هناك دليل أبلغ على اختلاط الدين بالسياسة في أمريكا من موقف الإدارات الأمريكية المتعاقبة إزاء الصراع العربي الإسرائيلي؟ وحتى قبل أن ينشأ ويتطور هذا الصراع! وكذلك نموذج الحرب على العراق والخلفية الدينية التي مهدت وواكبت هذه الحرب الملعونة والتي ما زالت آثارها مشتعلة حتى الآن.

في تقديم كتاب سابق تحدثنا عن «المسألة الأمريكية»[1]، بوصفها المسألة التي تمسك بخناق العالم، وأنها تحتاج إلى حل سريع وحاسم قبل أن تفضي إلى كوارث جديدة!! وأن أمريكا تحتاج، قبل غيرها، إلى إصلاح وتهذيب أول[2]، وأن تأخر هذا الإصلاح لأمريكا يكلفها ويكلف العالم بأسره مخاطر فادحة. وأن بدايات هذا الحل تكمن في مواجهة فعلية مع هذه الثقافة السياسية والدينية المهيمنة في أمريكا ودورها البارز في التمهيد والتعبئة لشن الحروب وإغراق العالم في حالة من الهذيان والجنون والنبوءات!!

ومن يتابع، عن قرب، ملامح وأبعاد هذه الثقافة السياسية المهيمنة في أمريكا قد لا يصدق أننا نعيش في عالم واحد وأن الأفكار السياسية المسيطرة هناك تجعلنا نتشكك في هذا الشعار الشهير الذي عبر عنه ذات يوم أحد الفلاسفة الكبار والذي كان يقول إن «العقل هو أعدل الأشياء قسمة بين الناس». فمع هذه الثقافة السياسية المهيمنة في أمريكا قد لا يجد المرء شيئًا مشتركًا بيننا وبينهم حتى في أبسط قواعد المنطق الإنساني أو البداهة المشتركة.

والكتاب الذي نقدمه للقراء العرب اليوم يجسد بصورة بليغة هذه الثقافة المنتشرة والمهيمنة في أمريكا منذ عقود وعقود من الزمن. والقارئ العربي لهذا الكتاب ـ النبوءات الأمريكية ـ سيصاب حت بحالة من الدهشة والذهول. فالمؤلف ـ مايكل ديفيد إيفانز ـ يتحدث عن تاريخ وأحداث مرت بالمنطقة العربية قبل قيام دولة إسرائيل وبعدها لكن من منظور غريب يستعصى على طرق الفهم والتحليل المعتادة، فهو لا يقرأ الأحداث السياسية المعاصرة من منظور آيات الكتاب المقدس فقط، بل يقوم أيضًا بعملية توظيف فاضحة لنبوءات العهد القديم، ومن خلالها يبرر كل الممارسات الاستعمارية والعدوانية التي تشنها أمريكا وإسرائيل. وينسى أن نبوءات الكتاب المقدس تتعلق فقط بفترة الأنبياء ولا تكشف أو تعلن عن المستقبل إطلاقًا[3] وأن الكتاب المقدس لا يعرف أمريكا!! وكان يمكن لنا أن نتجاهل هذا الكتاب لو كان مداه يقتصر على آراء صاحبه أو على مجموعة هامشية من المتدينين الذين يرون الوقائع ويفسرونها على هواهم، وبهذه الطريقة التي تخلط

---

(١) مختار بن بركة: «اليمين المسيحي الأمريكي» ـ تقديم وترجمة: أحمد الشيخ ـ المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية ـ القاهرة ـ ٢٠٠٨.

(٢) إيريك هبسباوم : «أين تذهب الإمبراطورية الأمريكية؟» ـ لوموند ديبلوماتيك ـ عدد يونيو ٢٠٠٣.

(٣) القس مايكل بريور ـ «الكتاب المقدس والاستعمار» .. ترجمة وفاء بجاوي ـ مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٦.

الماضي بالحاضر والدين والسياسة وترى في نبوءات العهد القديم مستقبل أمريكا، لكن واقع الحال يكشف أن هذه الآراء يشاركه فيها عشرات الملايين من الأمريكيين، وأنها تمثل ثقافة سياسية دينية لها الغلبة على الساحة الأمريكية، وأن نبوءات العهد القديم تدخل في صلب الثقافة الأمريكية وليست شأن رجل دين معزول عن الحياة.

وعندما نقدم للقارئ العربي كتاب مايكل إيفانز: «النبوءات الأمريكية ـ الكتاب المقدس يكشف مستقبل أمتنا»، فإننا نسعى إلى توضيح دور الدين في المجتمع الأمريكي أو ومدى تأثيره على القرار السياسي في قضايا لا تتعلق فقط بالشأن الداخلي في أمريكا، وإنما أيضًا في قرارات تتعلق بشن حروب على دول وشعوب أخرى، وهو ما لم يدركه من دخلوا المغارة الأمريكية من أبنائنا ولم يخرجوا منها بعد. كما نريد، ثانيًا، من نقل هذا الكتاب إلى العربية الدخول في «حالة اشتباك» مع هذه الثقافة السياسية الدينية المهيمنة في أمريكا، وأن نساعد بدورنا في اكتشاف حل للمسألة الأمريكية التي تشكل خطرًا محققًا على أمن وسلامة العالم، ونموذج الحرب الأمريكية على العراق، والأسباب المعلنة وغير المعلنة لهذه الحرب، وإدراك العالم بأسره لعدم مشروعية هذه الحرب الظالمة، ما يقدم الدليل الأوضح على خطورة «المسألة الأمريكية»، ولا سيما عندما يدخل الرئيس الأمريكي الحرب وهو على قناعة بأنه ذاهب ليحارب يأجوج ومأجوج في بابل (العراق)، ويحث الرئيس الفرنسي جاك شيراك[1] للمشاركة معه في هذه الحرب لتدمير بابل وإنقاذ أورشليم، ولم يكن هذا الحوار بين الرئيسين مجرد مزحة من الرئيس الأمريكي وإنما كان يعبر عن قناعة دينية وسياسية يشاركه فيها ملايين الأمريكيين من أنصار الحزب الجمهوري.

نريد، من نقل هذا الكتاب إلى العربية، أن يتوقف البعض عن الترويج لصورة أمريكا المبهرة أو «الحلم الأمريكي» ليشاهدوا أيضًا «الكابوس الأمريكي»، وليبحثوا عما يجمع بين الحلم والكابوس أو التقدم والتخلف أو المصالح والمبادئ في أمريكا وكأن الجمع بين النقيضين، دون حرج، أمرا عاديًا. ولو كان من حقي تغيير عنوان الكتاب لما أسميته «نبوءات أمريكية» بل «كوابيس أمريكية» لكننا نؤمن أن الترجمة عمل حضاري وقيمة أخلاقية كبرى، لذلك حرصنا على تقديم الكتاب كما هو وبلغة صاحبه قدر الإمكان، وحاولنا تصحيح

---

(١) جان ـ كلود موريس: «إذا افشيت ما أقوله لك سوف أكذبك» ـ ص ٤٧ : ٥١ ـ دار نشر بلون ٢٠٠٩.

بعض الآراء في بعض المواقف بإضافة هوامش لكننا اكتشفنا بعد فترة قصيرة أننا في حاجة إلى عمل كتاب آخر للرد على ما طرحه المؤلف من آراء غريبة على الساحة العربية لكنها، مع الأسف، تحظى بأكبر اهتمام في أمريكا. ويكفي أن نشير إلى أن هذا الكتاب كان في قائمة أفضل المبيعات في أمريكا، وكذلك كتب المؤلف الأخرى والتي لا تختلف كثيرًا في مضمونها وفي منهجها في توظيف آيات الكتاب المقدس لتخدم الأغراض والمصالح التي يدافع عنها المؤلف وهي مصالح إسرائيلية وأمريكية في المقام الأول والأخير. ومن هذه الكتب كتابه «مواجهة حاسمة مع إيران نووية» وكتابه «ما بعد العراق ـ الخطوة الأخيرة» وكتابه «العودة»، وهي كلها كتب كانت في أعلى قائمة مبيعات الكتب في أمريكا فضلًا عن المكانة التي يحظى بها المؤلف في عديد الشبكات التليفزيونية والإذاعية بما فيها البرامج الشهيرة مثل صباح الخير أمريكا، كما يظهر باستمرار على شبكات فوكس نيوز، وسي إن إن، و إن بي سي، وايه بي سي، سي بي إس، كما حصل على أوسمة وشهادات تقدير، وخاصة من قادة إسرائيل حيث وصفه نتنياهو بأنه مقاتل من أجل الحرية، وأرسل له شارون وايهود أولمرت رسائل تقدير رسمية ... وهي معلومات أردنا أن يعرفها القارئ الكريم ليدرك منذ البداية أي كتاب سيقرأه.

أما عن الترجمة فقد بذل الأستاذان صلاح الشيخ ومصطفى الرزاز جهدًا كبيرًا في نقل النص إلى العربية بأكبر قدر من الدقة والأمانة، وواجها العديد من المشاكل أولها أن الكتاب مطبوع بلغة خطابية وهي تلك اللغة التي اعتاد عليها المؤلف في أحاديثه الشفهية والتي تكون واضحة للمستمع لكن عندما تتحول إلى الكتابة يكتنفها أحيانًا بعض الغموض، وكانت الصعوبة الثانية أنهما لم يألفا من قبل قراءة آيات الكتاب المقدس، لكنهما كانا، في النهاية، على قدر المسؤولية المناطة بهما، ونحن نشعر بفخر أن نقدم إلى كتيبة المترجمين في الساحة العربية مترجمين جديدين نتمنى لهما أن يساهما في النهضة المرتقبة، والتي تقع في جزء كبير منها على أكتاف المترجمين. ونطلب من القارئ المدقق أن يغفر لنا بعض الأخطاء أو الهنات غير المقصودة، ونعد بوضعها في الحسبان في حالة صدور طبعة جديدة من هذا الكتاب...

أحمد الشيخ

القاهرة

٢٠١١/١/٢٣

الفصل الأول

إعصار النبوءة

«قد تصبح رئيسًا فى يوم ما، وسوف ترتكب أخطاء، وسيسامحك الله عليها، ولكنه لن يغفر لك أبدًا إذا تخليت عن دولة إسرائيل».

من المبجل. دبليو ـ أو ـ ڤوت
راعى كنيسة ايمانويل
المعمدانية فى ليتل روك، أركانسو،
إلى عضو الأبرشية، ثم حاكم الولاية
بل كلنتون[1].

«لا تنخدعوا: إن الله لا يُستهزأ به فكل ما يزرعه الإنسان، فإياه يحصد أيضًا. فإن من يزرع لجسده، فمن الجسد يحصد فسادًا، ومن يزرع للروح، فمن الروح يحصد حياه أبدية. فلا تفشل فى عمل الخير».

(٦: ٧-٨) من رسالة بولس الرسول إلى
أهل غلاطية
(هذه الآيات استخدمها الرئيس المنتخب
كلينتون وهو يقسم اليمين الدستورية فى
يناير ١٩٩٣)

فى الثلاثين من أبريل عام ١٧٨٩، وضع الرئيس الأمريكى «چورچ واشنطون» يده على الكتاب المقدس ـ بعد أن فتحه عفويًا على «سفر التكوين ـ الإصحاح التاسع والأربعين» والذى يشير إلى نبوءة مباركة من رجل يحتضر ـ وهو «يعقوب» الذى تغير اسمه إلى إسرائيل ـ إلى أبنائه الإثنى عشر، وهى نبوءة تتعلق بمستقبلهم وبمجىء «المسيح» كما فى الآية العاشرة والتى تقول «**لا يزول صولجان الملك من يهوذا حتى يأتى** «شيلون».

وعندما أدى چورچ واشنطون اليمين الدستورية وهو يضع يده على جزء من الكتاب المقدس أصبح أول رئيس للجمهورية الأمريكية[٢] يمارس هذا التقليد. ومنذ ذلك الحين سار كل رئيس أمريكى على هذا النهج، وأصبح ذلك تقليدًا متبعًا لدى الرؤساء الأمريكيين الذين أتوا بعده أثناء حلفهم لليمين وتعهدهم بالمحافظة على دستور الولايات المتحدة الأمريكية وحمايته والدفاع عنه، وفى أحيان كثيرة كان اختيار السفر بمثابة النبوءة التى تعكس بغرابة شديدة دور الولايات المتحدة فى ضوء خطة الكتاب المقدس التى تكشف عنها النبوءة.

إن ما أدهشنى عند حلف الرئيس بيل كلينتون اليمين الدستورية فى يناير من عام ١٩٩٣ هو أن الكتاب المقدس كان مفتوحًا على رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية «الآيتان ٧-٨» (السابق ذكرهما).

ومما لاشك فيه أن الرئيس الأمريكى المنتخب كان يريد أن تتميز إدارته بما ورد من نبوءة فى النصف الأخير من هذا النص. لكن هل يستطيع أى مراقب أمين إنكار الإستنتاج القائل بأن رئاسة «كلينتون» بدلًا من أن تسير على نهج النبوءة المذكورة فى النصف الأخير سارت على نهج النصف الأول منه؟

وفى الواقع لم توجه إلى «بيل كلينتون» خلال فترة رئاسته الثانية تهمًا تتعلق بفضائحه

القذرة التى شغلت الرأى العام، ولم تكن علاقاته الجنسية مع كل من «مونيكا لوينسكى» أو «جينفر فلاورز»، أو تحرشه الجنسى بـ«پولا جونز»، و«كاثلين ديلى» و«چوانيتا برودريك» هى سبب استدعائه للمثول أمام لجنة من الكونجرس ليواجه خطر الطرد من منصبه بسبب فضائحه، **ولكنه وقف أمام هذه اللجنة لإنه وضع يده على الكتاب المقدس وتعهد بقول الصدق، كل الصدق، ولا شىء غير الصدق، ولكنه كذب لإخفاء نزواته، فقد حلف الرئيس الأمريكى اليمين الدستورية ثم حنث بها، «فزرع لجسده، وحصد فسادًا» بشهادة العالم كله.** وواقع الأمر أن مجلس الشيوخ الأمريكى لم يتحل بالشجاعة الأدبية لإدانة رئيس من رؤساء الولايات المتحدة بتهمة الحنث الصريح باليمين، وهذا الأمر يوضح إلى أى مدى تتبنى قيادتنا الوطنية اختيار مذهبًا خطيرًا هو «النسبية الأخلاقية».

عندما أفكر فى مغزى المصادفة التى جعلت الرئيس «كلينتون» مع افتتاحه لفترة رئاسته يختار الآيتين السابعة والثامنة من رسالة «بولس الرسول» إلى أهل «غلاطية» فى الإصحاح السادس، فإنه لا يمكننى مقارنته بافتتاح الرئيس «ريجان» لفترة رئاسته الأولى، ففى يوم لامثيل له، وهو يوم ٢٠ يناير ١٩٨١، خطى الرئيس «ريجان» نحو المنصة لحلف اليمين الدستورية، وأثناء تلقين وزير العدل «وارن برجر» الرئيس ريجان اليمين الدستورية ارتكزت اليد اليسرى «لرونالد ريجان» على نبوءة الكتاب المقدس ـ وهى نبوءة قد تقرر مصير الأمة الأمريكية التى سوف يتولى قيادتها، وقد تقرر مصير العالم كله أيضًا ـ (وقد مهدت سياسات «ريجان» وأعدت المسرح السياسى الدولى لإنهيار اخطر مذهب فى القرن العشرين، وهو الشيوعية). فى ذلك اليوم فتح «ريجان» «الكتاب المقدس» على سفر أخبار الأيام الثانى، الإصحاح السابع، الآية الرابعة عشرة، وهى نبوءة أعطيت إلى الملك (سليمان) فى مدينة القدس التاريخية وفيها يقول الله للملك سليمان تلك الكلمات:

> **«ثم أتضع شعبى الذى دُعى أسمى عليهم، وتضرعوا طالبين وجهى، وتابوا عن غيهم، فإننى أستجيب من السماء وأصفح عن خطيئتهم وأخصب أرضهم».**

وخلال السنوات الأولى لإدارة «ريجان» تقابلت مع أحد سكرتارية الرئيس، الذى أخذنى فى جولة داخل المكتب البيضاوى، حيث رأيت الكتاب المقدس الخاص بعائلة الرئيس ، الذى استخدمه «ريجان» فى حفل تنصيبه رئيسًا، وكان لا يزال مفتوحًا على «سفر أخبار الأيام الثانى (٧: ١٤)، ورأيت على هامش تلك الآية النبوءية ملاحظة كتبتها والدته «يا بنى إن هذه «الآية» من أجل شفاء الأمم والشعوب»، وقد تأثر الرئيس بتلك النبوءة القديمة... وخاصة عندما تذكرت الأحداث المشهودة ليوم تنصيبه فى عام ١٩٨١م الذى كان يومًا لا انساه أبدًا.

كنت فى منزلى أشاهد تغطية التليفزيون لمراسم أداء اليمين الدستورية، وما تبعها من تعليقات، وإذا بالصورة تنتقل فجأة من واشنطن العاصمة لتعرض مشاهد إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين الذين احتجزتهم الحكومة الثورية الإرهابية فى إيران لمدة ٤٤٤ يومًا، وأثناء مشاهدتى لتلك اللقطات الحية التى وقعت فى نفس وقت حفل تنصيب الرئيس ريجان، دق جرس الهاتف وكانت المكالمة من إسرائيل من السيد «روبن هيشت» كبير مستشارى رئيس الوزراء الإسرائيلى «مناحم بيجن» قائلا:

«مايك، هل تشاهد التلفاز الآن»؟ ... إن نبوءة «هارل» تتحقق أمام أعيننا الآن.

تناولت أنا و«روبن هشت» طعام العشاء مع السيد «هارل» (مؤسس جهاز الموساد الإسرائيلى ورئيس جهاز الاستخبارات الإسرائيلية من عام ١٩٤٧ وحتى عام ١٩٦٣) فى منزله منذ عدة أشهر، وأثناء تناولنا الطعام فى تلك الليلة سألت السيد «هارل»: «من سيكون برأيك الرئيس القادم لأمريكا؟»».

وأجاب السيد «هارل» قائلًا: «ما يتردد فى الشوارع بين عامة الناس، أن الإرهابيين قد يكون لهم دور فى تحديد الرئيس القادم لأمريكا، وسوف يحاولون التأثير على انتخاباتكم عن طريق إطلاقهم سراح الرهائن فى نفس وقت أداء «ريجان» اليمين الدستورية. وأجبته مندهشًا: «ماذا تقول؟ ما الذى يدفعك إلى مثل هذا القول العجيب؟» فقال لى السيد «هارل»: «إنهم يريدون خروج «جيمى كارتر» من الحكم بسبب حماسه لإحداث تغييرات ديموقراطية فى العالم الإسلامى. وكان رئيس المخابرات الإسـرائيلية السابق

يشير إلى محاولة الرئيس الأمريكى «جيمى كارتر» لتحويل نظام حكم الشاه فى إيران إلى نظام ديموقراطى. وأدت تلك المحاولات إلى زعزعة الاستقرار فى إيران، وفتحت الباب على مصراعيه لعودة «آية الله خومينى» ولابرام اتفاقيات كامب ديفيد(*) ولنصيحة «كارتر» للسادات بأن يلقى خطابًا فى مصر يعلن فيه ضرورة فصل السياسة عن الدين، ولقد استمع لذلك الخطاب رجل الدين المصرى الكفيف «عمر عبد الرحمن» الذى أصدر فتوى تجيز اغتيال السادات، وهو رجل الدين نفسه الذى أُدين فيما بعد لدوره فى تفجيرات مركز التجارة العالمى عام ١٩٩٣.

وياله من حديث ذلك الذى تبادلناه أنا والسيد هارل والسيد روبن هشت أثناء عشاء تلك الليلة، فتحدثنا عن السياسة الخارجية الأمريكية، والتوترات فى الشرق الأوسط وما يقوم به «صدام حسين» من استعراض للقوة فى العراق، وكيف خطط كارتر ببراعة للإطاحة بشاه إيران من خلال السفارة الأمريكية، على العكس من نصيحة المخابرات الإسرائيلية التى أكدت أن تحسن أوضاع إيران سوف يكون دافعًا قويًا لظهور الأصوليين الإسلاميين، وسوف يدفع السوفيت إلى غزو أفغانستان(**).

وقال السيد «هارل» إنهم يريدون قتل السادات، والآن يريدون قتل فرص إعادة انتخاب «كارتر»، ويشعرون بأن إطلاق سراح الرهائن مبكرًا سوف يزيد من فرص إعادة

(*) لم تكن إيران مستقرة، وكان الشاه واحد من أكثر حكام الشرق الأوسط فسادًا واستبدادًا، وقد خرجت مظاهرات من ملايين الإيرانيين لإسقاطه، وسبق له أن فر من إيران أيام رئيس الوزراء الإيرانى مصدق، والذى أطاحت به المخابرات الأمريكية، وأجلت الشاه ـ بعد إعادته من هربه ـ على كرسى الحكم ثانيًا، وقد اعترفت أولبرايت، وزيرة الخارجية أيام كلنتون بذلك الدور المشبوه لـ C.I.A فى إيران. وبالطبع ليس هناك أى علاقة بين محاولة كارتر إرساء الديموقراطية فى الشرق الأوسط واتفاقية كامب ديفيد ـ المترجم.

(**) لم يحاول كارتر الإطاحة بالشاه، بل أرسل له مستشارين عسكريين لدعمه، أما غزو السوڤييت لأفغانستان، فهو كما صرح بريزنسكى مستشار الأمن القومى مرارًا وتكرارًا وعلنا، أنه نصب فخًا أفغانستانيًا للاتحاد السفييتى لتكون بمثابة ڤيتنام له، وأنه عرقل كل محاولات الإتيان بحكومات معتدلة فى أفغانستان، حتى تجيء حكومة موالية للسوڤييت، تطلب مساعدتهم العسكرية، فيأتو بقواتهم، وحينئذ تجند الولايات المتحدة وتُعبئ العالم الإسلامى: شعوبا، ومؤسسات دينية، وحكومات (مؤسسات عسكرية، وأجهزة مخابرات وأمن وأجهزة الإعلام) للجهاد المقدس ضد غزاة أرض الإسلام: أفغانستان. ومن ضمن أولئك المجاهدين، ظهر أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، وسلحته ودربته الولايات المتحدة، بأموال الحكومات الإسلامية، خاصة البترولية ـ المترجم.

انتخاب «كارتر». وفى نفس الليلة سألت السيد «هارل» هل سيأتى الإرهاب إلى أمريكا؟ فكرر السيد «هارل»: نفس سؤالى هل سيأتى الإرهاب إلى أمريكا؟ ثم استطرد: «إن أمريكا لديها القوة لمكافحة الإرهاب، ولكنها لا تملك القوة لكسر إرادة الإرهابيين، أما الإرهابيون فإن لديهم الإرادة، ولكنهم لا يملكون القوة. ولكن هذا الموقف يمكن أن يتغير مع مرور الوقت، فالبترول يشترى ما هو أكثر من مجرد خيام، وأنتم فى الغرب تقتلون إرهابيًّا وتشعرون بالسعادة، وفى الشرق الأوسط يُقتل إرهابىٌّ ليظهر بعده مائة إرهابى. واختتم «هارل» حديثه قائلًا «نعم إننى أخشى أن يأتى الإرهاب إلى أمريكا مع مرور الوقت». فسألته: «إلى أين سيأتى الإرهاب»؟ ففكر لدقيقة وأجابنى «إن نيويورك هى رمز الحرية والرأسمالية الأمريكية، ومن المحتمل أن الإرهابيين سوف يهاجمونها أولًا، وبالتحديد فى مبانيها العالية التى تمثل رمز قوتكم».

جرت تلك المحادثة فى أكتوبر ١٩٨٠ ولم يكن لدى أدنى فكرة عن أن تنبوءات «هارل» عن موت السادات، وإطلاق سراح الرهائن فى ذات اللحظة التى أدى فيها الرئيس «ريجان» اليمين الدستورية لرئاسته، والهجمات الإرهابية على أعلى مبانى نيويورك الشاهقة سوف تتحقق خلال أثنى عشر عامًا ـ وأن يغمرها فى أقل من عشر سنوات بعد ذلك الإعصار النبوءة، والذى ضربها يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

أين أمريكا فى نبوءة الكتاب المقدس؟

هل أمريكا مذكورة فى النبوءة؟ نعم، فبوصفى قسًا ومحللًا لشئون منطقة الشرق الأوسط، وعملت عن قرب مع زعماءها لعشرات السنين، فإننى أميل إلى أن أكون متشككًا فى محاولات ابتكار مخططات لإقحام أمريكا فى تفسيرات تنبوءية، وغالبًا ما أشرت إلى مثل هؤلاء الأساتذة المفسرين للنبوءة بوصفهم بائعين جوالين للنبوءات، ولكن بعد آلاف الساعات قضيتها فى البحث والتقصى، أجدنى مقتنعًا تمامًا بأننى على العكس أجد أن تلك النبوءة تشمل أمريكا بكل تأكيد. واعتقد بأنكم سوف تؤمنون بذلك مثلى أيضًا بعد قراءتكم لهذا الكتاب.

وبإيجاز فإننى أعرض كيف تجد أمريكا نفسها فى قلب نبوءة الكتاب المقدس:

إن أمريكا تزوجت أخوين اثنين كلاهما منحدر من نسل إبراهيم الذى أمره الله بالخروج من أور الكلدانية (العراق اليوم).

قال الرب لإبراهيم: **«اترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك وأذهب إلى الأرض التى أريك، فأجعل فيك أمة كبيرة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة (لكثيرين) وأبارك مباركيك وألعن لاعنيك، وتتبارك فيك جميع أمم الأرض».**

سفر التكوين، الإصحاح الثانى عشر
الآية ١-٣ (العهد القديم)

إن إحدى هذه الزيجات قد بُنيت على أساس شعور أمريكا بالذنب تجاه سياساتها للتهدئة التى أدت إلى موت ملايين اليهود خلال محرقة «هتلر»، ولقد حاولت أمريكا استخدام دولة إسرائيل الديموقراطية الصغيرة وسط منطقة الشرق الأوسط المضطربة لمساعدتها فى ردع الشيوعية والفاشية والإرهاب(*).

أما الزواج الثانى من إسماعيل العدو المميت(**) لأخيه الأصغر إسحاق، فكان زواجًا

(*) فى الحقيقة لم تتقارب مصر وسوريا مع الاتحاد السوفييتى إلا نتيجة الانحياز الكامل للولايات المتحدة لإسرائيل، ومثل هذا الحل الأخير اتخذته عدة دول فى أمريكا الجنوبية نتيجة المواقف العدائية والعدوانية للولايات المتحدة ضدها وكأن ذلك التخطيط مقصود من الولايات المتحدة، حتى تفتعل أسبابًا لتعادى دولًا بعينها. وقد انهار الاتحاد السوفييتى منذ ما يقرب من عقدين، فلماذا تنحاز السياسة الخارجية للولايات المتحدة الانحياز الكامل لإسرائيل حتى اليوم؟

أما الفاشية فالعلاقة الوحيدةلها مع الشرق الأوسط هى احتلال إيطاليا لليبيا والصومال. أما الإرهاب، فندعو القارىء للاطلاع على كتاب «إرهاب القراصنة وإرهاب الأباطرة» ـ ناعوم تشومسكى، وكتاب «الغرب الإرهابى» ـ روجيه جارودى، والكتابان من منشورات مكتبة الشروق الدولية ـ المترجم.

(**) عقيدة الإسلام هى الإيمان بكل الأنبياء، ومنهم اسحاق ويعقوب (إسرائيل) والأسباط، وموسى وعيسى، والإيمان بالتوراة والإنجيل، كتابين مقدسين منزلين، ولكن لم يتم الحفاظ عليها كما أنزلت، وبهذا يقول علماء اللاهوت اليهود والمسيحيون، نالها الكثير من التغيير بالحذف والإضافة. ومن الناحية الأخرى، العقيدة اليهودية التقليدية لا تعترف بالميلاد الإعجازى للمسيح (وتراه ناتجا عن زنا) وبالتالى لا تعترف بالمسيح عيسى بن مريم، ولا بالإنجيل، ولا بالمسيحية بل تنكر كل ذلك إنكارا شاملا ونفس الشىء فى نظرتها للإسلام والقرآن ومحمد ﷺ. والمسيحية التقليدية، تؤمن بالعهد القديم وبأنبياء بنى إسرائيل، ولكن لا تؤمن بالإسلام ولا القرآن ولا محمد ﷺ كنبى. فليس هناك عداء بين إسماعيل وإسحاق، من وجهة نظر الإسلام وكتابه المقدس،=

للمصلحة حيث دفع إسماعيل مهرًا من الذهب الأسود «البترول» لإتمام هذه الزيجة وبعد ذلك استغل هذا المهر فى ابتزاز أمريكا(*). ومن المعروف أن الشرق الأوسط يعد مستودعًا لثلثى احتياطيات العالم من البترول وأن دول الأوبك تنتج ٤٠٪ من صادرات البترول فى العالم. ووفقًا للوكالة الدولية للطاقة فمن المتوقع أن ترتفع تلك النسبة لتصل قبل حلول عام ٢٠٣٠م إلى ٦٠٪، وحينئذ سوف يزود الشرق الأوسط الولايات المتحدة الأمريكية بـ ٥٠٪ من وارداتها البترولية و٥٠٪ من واردات أوروبا و٨٠٪ من واردات الصين و٩٠٪ من واردات اليابان.

وبينما يتدفق بترول الشرق الأوسط على الغرب، تقوم أمريكا بشحن الأسلحة إلى دول الشرق الأوسط. فمنطقة الشرق الأوسط هى حاليًا المستهلك الأول لأسلحة الحرب الأمريكية الصنع، ومنذ الثمانينيات من القرن العشرين باعت الولايات المتحدة للمملكة العربية السعودية وحدها أسلحة تزيد قيمتها عن ٢٠٠ مليار دولار.

وحتى بعد أحداث ١١ سبتمبر فإن عائدات البترول من الدولارات التى تجنيها دول مثل السعودية وإيران وليبيا تستخدم لدعم الإرهاب وانتاج أسلحة الدمار الشامل(**) وتمويل تيار الكراهية الذى يملأ عقول الشباب المسلم(***)، ولكن مع ذلك كله ترفض أمريكا الاعتراف بأنها قد تعرضت للابتزاز ناهيك عن تقاعسها عن مواجهة هذا الابتزاز. إن العديد من الأنظمة الحاكمة فى العالم الإسلامى تعرف أنها تملك البترول بينما «تملك إسرائيل عود الثقاب»[٣] كما قال آريل شارون ذات مرة. وهكذا فقد حان الوقت لكى تواجه أمريكا هؤلاء المارقين وتتخلى عن إذعانها لهذا الابتزاز **فمستقبلنا يعتمد على تلك المواجهة.**

=وليس هناك عداء بين المسلمين واليهودية والمسيحية، وأنبياء اليهود، وعيسى، ومن لا يعترف بهم فهو ليس مسلمًا واليهود والمسيحيون هم أهل كتاب عند المسلمين. وإنما الإنكار وعدم الإعتراف، وما قد يترتب على ذلك من عداء عقائدى، هو من اليهود والمسيحيين، للمسلمين ونبيهم وكتابهم ـ المترجم.

(*) وهل يبتز العرب أمريكا؟ ـ المترجم.

(**) لا توجد أسلحة دمار شامل فى الشرق الأوسط إلا فى إسرائيل.

(***) اقرأ كتاب وكتاب القتال فى العهد القديم والقرآن.

وفى الوقت الحالى، فإن الشريك الآخر لزواج أمريكا هو إسحاق (إسرائيل) ـ الذى أنشأ رابع أكبر ترسانة نووية فى العالم ـ لأنها تعرف أن الأصولية الإسلامية عاقدة العزم على إبادة شعب إسـرائيل، لذلك قرر الإسرائيليون أن ما حدث لهم ذات مرة فى محرقة النازى على أيدى «هتلر» والعالم يلتزم الصمت، لايمكن أن يتكرر مرة أخرى. ولقد **فتحت إسرائيل ترسانتها النووية خلال ثلاثة حروب فى الشرق الأوسط، واستهدفت مدن مثل: بغداد ودمشق والقاهرة، وحتى مدن فى الاتحاد السوفيتى السابق.**

وبينما نعرف أن إسرائيل تستطيع توجيه ضربات نووية منذ أواخر الستينيات من القرن العشرين على أقل تقدير، فإن الدول الإسلامية اليوم قريبة جدًّا من امتلاك مثل هذه الأسلحة النووية، ووضع أصابعها على الزر الأحمر، لتصويبها وإطلاقها، ويبدو أيضًا بأن واحدة على الأقل من تلك الدول ربما تمتلك قنابل نووية صغيرة بحجم حقيبة اليد، تدفع ثمنها من مبيعات البترول لأمريكا. وبالإضافة لذلك فقد كشفت تقارير «واشنطون بوست» بعددها الصادر فى ٢١/ ١٢/ ٢٠٠٣ عما يلى:

> «كشفت الوثائق التى سلمتها إيران إلى مفتشى الطاقة النووية للأمم المتحدة منذ أوائل نوفمبر (٢٠٠٣) عن أسرار شبكة سرية واسعة حصلت بنجاح من عدة دول على الآلاف من المعدات والأجزاء الحساسة على امتداد ١٧ عامًا... بينما عبر الرؤساء الأمريكيون منذ عهد «ريجان» عن قلقهم من أن إيران ربما تسعى للحصول على أسلحة نووية، إلا أن وكالة المخابرات الأمريكية وحلفاءها لم يستطيعوا إيقاف أكثر الأنشطة النووية الإيرانية خطرًا، أو حتى اكتشاف أو تحديد مكان مفاعلها النووى الرئيسى، الذى كان تحت الإنشاء إلا بعد أن اكتمل إنشاؤه.... إن مفاعل إيران الأكبر لتخصيب اليورانيوم، والذى كان تحت الإنشاء والمجاور لمفاعلها التجريبى المصغر قد تم تصميمه لإنتاج مواد انشطارية كافية على الأقل لصنع ٢٤ قنبلة نووية كل عام».

لقد أقحمت أمريكا نفسها من خلال هاتين الزيجتين الروحانيتين والسياسيتين فى قلب إعصار النبوءة، وأصبحت أمريكا الآن تجد نفسها تحاول إرضاء الأخ الأكبر إسماعيل الذى يكره اليهود منذ الأزل(*)، ورفض عقد سلام مع أخيه الأصغر «إسحاق»، ولكى تستطيع أمريكا التعايش مع كليهما، فقد حاولت استمالتهما بالقنابل والرشاوى (أكثر من ٤٠٠ مليار دولارًا من المعدات العسكرية، و١٠٠ مليار دولار من المساعدات الاقتصادية).

الجذور المرة للتعصب

فى ذات يوم أثناء حرب الخليج الفارسى عام ١٩٩١، تناولت طعام الغداء مع حاكم «الظهران» بالمملكة العربية السعودية الفريق الركن / الأمير محمد بن خالد قائد القوات الجوية السعودية، وقائد القوات العربية متعددة الجنسيات، وكان فى هذا الوقت أيضًا قائدًا للقيادة العليا للقوات السورية والجيش المصرى الثالث الميدانى، وكانت أمريكا قد قدمت لسوريا حينئذ مليار دولارًا لتأييد حرب الخليج الفارسى ـ وهى تعلم أن سوريا دولة إرهابية(**)، ولكن سوريا استخدمت هذه الأموال فى شراء الصواريخ من كوريا الشمالية.

وبعد تناولنا طعام الغذاء، تحدثت أنا والأمير محمد بن خالد عن الأصوليين الإسلاميين والتهديد الذى يمكن أن يشكلوه بمذهبهم المتعصب ضد الغرب، وأثارت كلماتى غضب الأمير محمد بن خالد الذى قال:

«اسمع! إن دولتكم أخطر من دولنا بكثير ـ يمكنك التجول فى شوارعنا فى الساعة الثانية صباحًا ولن تجد من يضايقك ـ لكنك لن تتمكن من فعل ذلك فى شوارع لوس أنجلوس

(*) إسماعيل لم يكره اليهود، وإنما التيار الرئيسى لليهود الذى يرى أنه شعب الله المختار، ويرى بقية العالم (الأغيار) أقل بكثير من اليهود، وأقوال حاخامات اليهود خير شاهد على ذلك، وتاريخ اليهود تحت الحكم الاسلامى شاهد على ذلك، وهو أفضل بكثير من تاريخ اليهود فى أوروبا، بل وحتى فى الولايات المتحدة، حتى منتصف القرن العشرين ـ المترجم.

(**) شنت إسرائيل عام ١٩٦٧ حربا على سوريا، ومازالت تحتل الجولان السورية ـ المترجم.

ونيويورك وشيكاجو أو غيرها من المدن الأمريكية الكبرى»، فرددت عليه قائلًا: «أنت على حق، ولكن هذا يرجع إلى أنكم تقطعون أيدى ورءوس الناس فى الميادين العامة»(*)، فقال لى: «حسنًا، إن لهذا مفعوله. فماذا تفعلون أنتم؟ إنكم تزودون سجونكم بأجهزة التلفاز الملونة، وتقدمون للمساجين عشاء عيد الكريسماس. ومع ذلك فعليكم أن لا تهينوا ديننا بالمبالغات المفرطة. فالإسلام دين سلام».

فسألت ـ هل تريد بذلك أن تخبرنى أن الأصوليين الإسلاميين مسالمين؟ فقال لى: «لا إنهم ليسوا مسالمين ولكنهم لا يمثلون أكثر من ١٠٪ من المسلمين»، فرددت عليه بسرعة قائلًا: «عفوًا: يكفينى فعلًا بأن أعرف أنه يوجد هناك فقط مائة مليون إنسان أو ما يقرب من ذلك العدد يريدون قتلى باسم دينهم»(**).

وكنت قد سمعت مرارًا وتكرارًا نفس الحجة حول تأثير الأصولية الإسلامية، فلقد استمر السياسيون الليبراليون وجماعات المصالح الخاصة فى الترويج لأسطورة إن الإسلام دين سلام، ولكن افتكر فى تلك الحجة لحظة واحدة أن حوالى مليار نسمة يدينون بالأسلام فى جميع أنحاء العالم. وربما كان العدد الفعلى أكبر من ذلك، ولكن لنكتفى هنا بعدد مليار مسلم فهو رقم تقريبى ومعقول فى دراستنا هذه. وحتى لو قبلنا

(*) هذا الاستنتاج ليس له أساس من الصحة. فعلى سبيل المثال، مصر لا تقطع الأيدى، ويمكنك السير فى شوارعها آمنا حتى الفجر وليس منتصف الليل. أما الولايات المتحدة ففيها ـ مع إسرائيل والاتحاد السوفيتى سابقا ـ أعلى نسبة مساجين بالنسبة لعدد السكان فى العالم. فقد اقترب عدد المساجين، ومن هم تحت المراقبة أو مَنْ سجنوا فى فترة من حياتهم من ٢٠ مليون أمريكى، أى حوالى ٠,٧٪، أو اثنين من كل ثلاثمائة أمريكى، بما فى ذلك الأطفال والنساء والشيوخ ـ المترجم.

(**) أ- لست أدرى على أى أساس أتت هذه النسبة (١٠٪) للأصوليين الإسلاميين، سواء كانت على لسان الأمير السعودى، أم من عند المؤلف. وبإفتراض صحتها ـ وهو إفتراض بعيد ـ فنسبة الأصوليين المسيحيين تتراوح بين ٢٥٪ إلى ٤٠٪ من أصوات الناخبين الأمريكيين. وهى الأغلبية لدى الناخبين الإسرائليين، بدليل نجاح الأصوليين الليكود يبين فى الانتخابات. (انظر كتاب: الأصولية اليهودية فى إسرائيل ـ إسرائيل شاحاك) وهو يهوديان أحدهما إسرائيلى والثانى أمريكى الجنسية.

ب- أقصى ما يطالب به بن لادن هو خروج القوات الأمريكية من الجزيرة العربية، وعودة الأراضى الفليسطينية لأصحابها. أما الأصولية المسيحية فهى تخطط لحرب هرمجدون التى تسال فيه دماء عشرات الملايين، إن لم تكن مئات الملايين ليجئ المسيح ثانيًا، والضحايا بالطبع هم العرب والمسلمين. أما الأصوليه اليهودية فلا قيمة لأرواح غير اليهود عندها ـ المترجم.

أن ٩٠٪ من المسلمين فى العالم الإسلامى مسالمين ويحبون السلام كما أكد لى الأمير محمد بن خالد فإن نسبة الـ ١٠٪ المتبقية لازالت تكفى لوضع كوكب الأرض على حافة أكبر كارثة فى التاريخ. وحتى إذا كانت نسبة المسلمين المسالمين فى العالم الإسلامى هى ٩٩,٩٪، فلا زلنا فى خطر كبير، وحتى إذا ما كان فقط عشر الـ ١٪ من إجمالى عدد المسلمين راديكاليين فإن هذا العدد لا يزال يشكل رقمًا مخيفًا، فهو يعنى أن مليون نسمة يريدون قتلنا. فقد قام تسعة عشر فقط من خاطفى الطائرات بشن **هجمات مدمرة هائلة على الولايات المتحدة الأمريكية فى ١١ سبتمبر، وكل متطرف من هؤلاء المتطرفين التسعة عشر يعتقد بأنه فى مهمة مقدسة اختاره الله لها.**

إن جذور الحرب الإرهابية على أمريكا وإسرائيل متعمقة فى تلك العقيدة الدينية الراديكالية التى نسميها «الأصولية الإسلامية». ومن الصعب جدًّا على الأمريكيين فهم هذا المعتقد الإسلامى المشوه (الأصولية الإسلامية)، وذلك لأن عالمنا العلمانى الحديث لا زال يمر بصراع ما بين العلم والدين ـ حيث اعتقد معظم الناس أن العلم والعلمانية قد حسما هذا الصراع لصالحهما منذ زمن بعيد. وفجأة، تجد خصمًا دينيًّا يهاجم أمريكا العلمانية القوية، ولم تعد شوارع مدينة القدس هى المهددة فقط بل أيضا شوارع نيويورك وواشنطون.

وفى أبريل من عام ٢٠٠٣م بينما كانت الولايات المتحدة تخوض حربها فى الخليج الفارسى، نشرت كتابًا بعنوان «ما بعد العراق: الخطوة القادمة»(*) وأصبح هذا الكتاب أكثر الكتب مبيعًا بشهادة جريدة نيويورك تايمز. وأوردت فى هذا الكتاب اعتقادى بوجود أسلحة الدمار الشامل فى سوريا، وأوضحت أيضًا أن عملاء الحكومة السوريا والسفارة العراقية فى دمشق، كانتا تهربان الأموال والزعماء العراقيين البارزين من خلال سوريا، وهذا من وجهة نظرى يفسر لماذا اضطر الرئيس «بوش» للتحرك بسرعة، لأن الرئيس «صدام حسين» كان يحرك أسلحة الدمار الشامل والأموال لنشرها خارج العراق.

(*) ربما فى كتابة مايكل إيفانز لمثل هذا الكتاب، ما يعطينا فكرة عن مدى علمانية الولايات المتحدة، وانفصال، أو التحام، الدين بالسياسة فيها ـ المترجم.

لم تساورني أى شكوك بشأن ضرورة إغلاق الولايات المتحدة الأمريكية للحدود السورية العراقية وبسرعة لاحتواء «صدام حسين» وأمواله وأسلحة الدمار الشامل التى يمتلكها. وأعتقد بأن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تضطر فى نهاية المطاف إلى شن حرب ضد سوريا(*)، حيث أنها دولة ترعى الإرهاب بصورة أكثر خطورة من العراق، ونأمل فى أن نتمكن من شن تلك الحرب من خلال الوسائل الاقتصادية والدبلوماسية بدون إراقة دماء الأمريكيين(**). وإذا لم يحدث ذلك، فإنه لا يزال على أمريكا أن توقف آلة الإرهاب فى سوريا.

إن أعدادًا كبيرة من الأمريكيين قد قتلوا، لأن سوريا سمحت للإسلاميين الاستشهاديين من بلاد عربية أخرى، بأن يستخدموا أراضيها كمعبر لمهاجمة الجنود الأمريكيين «الكفار»(***). وما من شك بأن إسرائيل ستضطر لمهاجمة إيران للتخلص من مفاعلها النووى(****)، وأن يكون ذلك بأسرع ما يمكن كما فعلت فى السابق فى العراق، ومن المرجح أن تشجع أمريكا إسرائيل على فعل ذلك، ثم تنكر تورطها فى هذا الشأن كما فعلت فى الثمانينيات من القرن العشرين(*****).

يجب على أمريكا أن تسمح لإسرائيل بشن حربها ضد الإرهاب، وهى الحرب التى لم تخوضها إسرائيل أبدًا. فعلى إسرائيل أن تقتلع جذور الإرهاب والمنظمات الإرهابية فى تلك المناطق، ويجب أن يفعل الإسرائيليون ذلك بأنفسهم، فالحرب على الإرهاب

(*) ها هو القس مؤلفًا، يرض الولايات المتحدة على شن حرب ضد سوريا ـ المترجم.

(**) كأن المسيحية ـ كما يفهم القس المؤلف ـ تتيح إسالة دماء السوريين، فهى لا يعتد بها، أما دماء الأمريكيين فلا يجوز المساس بها ـ المترجم.

(***) المسيحيون واليهود هم أهل الكتاب وليسو كفارًا. والمسلمون يعترفون بالمسيح كنبى، وبأنبياء بنى إسرائيل، وبأن التوراة والإنجيل كتب إلهية مقدسة، ولكنها تعرضت للتحريف، بالتغيير والإضافة والحذف، وهذا ما يقوله علماء اللاهوت المسيحيون واليهود. أما اليهود فيعتبرو المسيح ابن الزنا، وبالطبع كتابه هو محض إفتراء. وكذلك يقولون أن محمدًا ﷺ رجل اخترع القرآن. ومثل هذا يقوله المسيحيون عن محمد ﷺ والقرآن ـ المترجم.

(****) لماذا يسمح لإسرائيل بل وغيرها بحيازة الأسلحة النووية، ويحظر ذلك على إيران أو سوريا أو مصر؟ ـ المترجم.

(*****) ها هو ذا مؤلفنا القس المسيحى يحرض ثانيا على مهاجمة إيران تحت زعم أنها بصدد إنتاج سلاح نووى، ويغض الطرف عن السلاح النووى لإسرائيل والولايات المتحدة وغيرهما ـ المترجم.

لا يمكن أن نكسبها أبدًا طالما بقيت الأراضى الفلسطينية مستودعًا لتصدير الانتحاريين، ويجب أيضًا وقف السموم التى تنفثها وسائل الإعلام وتثير الجماهير فى الأراضى الفلسطينية ضد إسرائيل.

الأمل الحقيقى فى السلام يكمن فى إدراك الحقيقة ثم التصرف وفقًا لها، ولا يكمن فى تصديق الأساطير التى يروجها سماسرة القوى الليبرالية كما أنها لا تكمن كذلك فى تجاهل التعصب. ومع ذلك فإن كثيرًا من الناس فى أمريكا يرون أن الخطر الحقيقى يكمن فى «المسيحيين ضيقى الأفق المنتمين إلى اليمين، والمتعصبين للكتاب المقدس»، الذين يؤمنون فقط بالصواب والخطأ، أو الأسود و الأبيض. إن الذين يرون المسيحيين المحافظين كأعداء لهم، هم أنفسهم الذين يضعون الشرعية فى أغلب الأحيان على أعمال القتل بدم بارد؛ كوسيلة لتحقيق الحرية والسلام. إن أولئك الذين ينادون بالتهدئة قد أنعشوا آمال المتطرفين الإسلاميين لدرجة أن الأمن القومى الأمريكى أصبح الآن فى خطر وكذلك حرياتنا. و يمكننا فى هذا الموضع ترديد صلاة «ديترتش بونهوفر»: «أيها الموت خلصنا من هذه الأغلال المحزنة وحطم جدران أجسادنا الفانية وأرواحنا التائهة، حتى نرى فى النهاية عجزنا عن رؤيته فى هذه الدنيا.. أيتها الحرية! طالما سعينا إليك بالطاعة والعمل والمعاناة، والآن ونحن نحتضر نراكِ هنا فى وجه الرب»[٤] لماذا يكرهوننا[*]؟ الكل يريد أن يعرف الإجابة على هذا السؤال، وها هى الإجابة: لأنهم ـ ببساطة ـ يكرهوننا!.

أما السؤال الأكثر أهمية من ذلك فهو: ما الذى يغذى تلك الكراهية؟ وكيف يمكننا ايقاف محركات هذه الكراهية؟ إنك إن لم تعتقد بأن التعصب هو الجـذر الحقيقى لتلك الكراهية فقد جانبك الصواب تمامًا. وليس من قبيل المصادفة أن يتحول المؤتمر الدولى لمناهضة العنصرية الذى عقد فى ديربان بجنوب إفريقيا إلى «مؤتمـر دولى لكراهيـة اليهود»

(*) فى الحقيقة معظم العرب والمسلمين لا يكرهون أمريكا، ولكن يكرهون السياسة الخارجية الأمريكية فى الشرق الأوسط، فيما يخص فلسطين وفى تأييدها للحكومات الاستبدادية والفاسدة فى الشرق الأوسط، وزاد من أسباب الكراهية الآن ما فعلوه ويفعلوه فى العراق وأفغانستان؟ بالإضافة إلى امتناعها على التصديق على بعض المواثيق والمعاهدات الدولية مثل اتفاقية الحد من انبعاثات غازات الدفيئة والنظام الأساسى للمحكمة الجنائية الدولية ـ المترجم.

وانتهى قبل ١١ سبتمبر ٢٠٠١م بثلاثة أيام. أفلا توجد صلة بين انسحاب الولايات المتحدة وإسرائيل من المؤتمر وبين ما حدث يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١م؟

يعتقد الكثيرون أن الأزمة الفلسطينية الراهنة ذات صلات وثيقة بقضية «كراهية اليهود»، وهم على صواب تمامًا فيما ذهبوا إليه. إن الأزمة الفلسطينية برمتها تتلخص فى قضيتين هما اللاجئين والإرهاب.

هل يوجد على وجه الأرض قضية للاجئين جرت العالم إلى مثل هذه الفوضى؟ إن الإجابة بالطبع «لا»(*) فالدول المتحضرة تحل أى أزمة للاجئين بوسائلها الخاصة، والحقيقة هى أن العالم العربى هو الذى أشعل النيران فى أزمة اللاجئين الفلسطينيين واستخدمها لإحياء كراهية اليهود، إن اتجاه العالم العربى هو «إنه يجب علينا لوم اليهود عن كل المشكلات تمامًا مثلما فعل «هتلر»، ولن يعاقبنا أحد على وحشية أنظمتنا». ولأن سياساتهم وانظمتهم الفاسدة تدار بالرصاص لا بصناديق الاقتراع، فلابد من إيجاد من يتحمل اللوم.. فلماذا لا يقع اللوم على اليهود والمسيحيين الصليبيين ؟(**). إن وسائل الإعلام المملوكة للدولة هى التى تغسل عقول الجماهير، وهى أصل المشكلة .

إن أمريكا لم تفعل شيئًا لمواجهة هذا الخطر الذى يجب إيقافه. ويجب على الولايات المتحدة أن تستخدم كل الوسائل الممكنة للقضاء على «مجرمى بغداد» الذين يجندون الأطفال ليقوموا بأعمال القتل باسم «الله».

(*) تحتل إسرائيل أراضٍ من ثلاث دول عربية: فلسطين من عام ١٩٤٨ وحتى الآن ـ سوريا من بعد عدوان ١٩٦٧ ـ مصر من عدوان ١٩٥٦، وقد رفضت مئات القرارت الصادرة من الأمم المتحدة. وقضية اللاجئين الفليسطنيين هى أوضح مثل على الإرهاب الإسرائيلى، ورفضها للإجماع الدولى، وللمبدأ الحاكم للأمم المتحدة والقانون الدولى أنه لا يجوز الإستيلاء على الأراضى بالقوة، وعلى انتهاكها لحقوق الإنسان. والذى يقضى ميثاقه بأن لكل فرد حق الخروج من بلده والعودة إليها. ونحن نتكلم هنا عن ملايين المهاجرين الذين ترفض إسرائيل عودتهم إلى بلدهم ومنازلهم وممتلكاتهم، وأرضهم التى ولدوا وعاشو فيها، هم واباؤهم وأجدادهم، وأجداد أجدادهم منذ آلاف السنين، بينما تسمح ليهودى روسى أو أمريكى أن يدخل فلسطين ويعيش فيها ويمتلك الأرض والمنزل ـ المترجم.

(**) لوم على ماذا؟ وإذا كان جزء من كلام المؤلف صحيحا عن الأنظمة الديكتاتورية، فإنه يتناسى، أن تلك الأنظمة الديكتاتورية هى أفضل ما تريده إسرائيل ـ المترجم.

كيف حلت إسرائيل مشكلة لاجئيها فى أوروبا بعد انتهاء المحرقة؟(*)، وكيف حلت مشكلاتها مع الدول العربية عندما كان يتم قتل المواطنين اليهود فقط لمجرد أنهم يهود؟ إن كل ما فعله اليهود أنهم اهتموا بأنفسهم(**) لماذا طلبت جامعة الدول العربية من العرب مغادرة فلسطين ومقاتلة الإسرائيليين ثم أدارت ظهرها للاجئين الذين خلقتهم؟. ولماذا روجت جامعة الدول العربية لأسطورة إن عرب إسرائيل يجب أن تكون لهم دولة مستقلة داخل إسرائيل رغم أنه لم تكن لهم دولة أبدًا خلال الثلاثة آلاف سنة الماضية من عمر التاريخ؟ ولماذا يعتبر من يُسمى «ياسر عرفات» الملياردير الإرهابى ـ المصرى المولد(***) ـ بمثابة «چورچ واشنطون» للفلسطينيين؟

أعتقد أن هناك ارتباطًا متبادلًا بين الأحداث الحالية والنبوءة، وأنا على قناعة تامة بأن الرئيس «جيمى كارتر» قد فتح بوابة جهنم فى الشرق الأوسط. وأن الرئيس «بيل كلينتون» تابع المسيرة فى هذا الطريق الوعر. وأنا مقتنع أيضًا بأن أمريكا اتخذت قرارًا خاطئًا بتسامحها مع التعصب وجرائمه التى ترتكب باسم الإسلام، هذا التعصب الذى يلوث ويسمم السلام العالمى الآن. ولا يمكننا أن نكسب الحرب ضد الإرهاب دون شن الحرب على العنصرية والتعصب.

وإذا حافظت أمريكا على صفائها الأخلاقي، لكانت إيران مستمرة حتى الآن فى كونها دولة حليفة للغرب. وربما لم تشن العراق حربًا أبدًا ضد إيران، تلك الحرب التى حصدت ما يقرب من ٢ , ١ مليون نسمة من أرواح العرب، والمؤكد أن أمريكا لم تكن لتساعدهم فى ذلك. وما كان الاتحاد السوفيتى السابق ليغزو أفغانستان. وما كانت أمريكا لتسلح وتدرب الآلاف من الإرهابيين فى جميع أنحاء الشرق الأوسط لمحاربة السوڤييت. إن

(*) وقت المحرقة، التى ليس للعرب ولا المسلمين دخل فيها، لم تكن هناك دولة إسرائيل ـ المترجم.

(**) لم يحدث أن قتلت الدول العربية اليهود لأنهم يهود. وإن كانت مصر اتخذت بعض الإجراءات ضد اليهود بعد عدوان ١٩٥٦، فهذا ليس من قبيل ما اتخذته الولايات المتحدة مع الأمريكيين ذوى الأصول اليابانية فى الحرب العالمية الثانية، أو ما تفعله الولايات المتحدة وإنجلترا مع الأمريكيين المسلمين بعد ١١/ ٩/ ٢٠٠١ ـ المترجم

(***) معظم حكام إسرائيل ولدوا فى أوروبا كما أن الهجرة فيما بين الدول العربية كانت ـ وما زالت ـ شائعة منذ الأزل، وهناك الآن ـ على سبيل المثال ـ نحو ٢ مليون سودانى معظمهم من جنوب السودان ونحو مليون عراقى مقيمين فى مصر ـ المترجم.

نفس هؤلاء الإرهابيون الذين سلحتهم ودربتهم أمريكا انقلبوا عليها. وخير مثال على ذلك هو أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، ويا له من مثال شائن. والحقيقة هى أن أمريكا لم تكن لينتهى بها المطاف أبدا إلى تلك الحالة من الفوضى والارتباك، لو كنا قد التزمنا نحن الأمريكيين بسياستنا المحافظة بعدم التفاوض مع الإرهابيين.

هل تخلت أمريكا عن إسرائيل؟

لقد ذكرت فى بداية هذا الفصل عبارة مأخوذة عن نيافة القس «دبليو أو ڤوت» راعى الكنيسة التى كان يتبعها «بيل كلينتون» عندما كان حاكم ولاية «أركنساس»، وهو القس الذى قام بما يزيد على ٤٠ رحلة إلى إسرائيل على مدار عمره، والذى أخبر «كلينتون» بأن الله قد يسامحه على أخطاءه التى سيرتكبها خلال فترة رئاسته، ولكنه لن يغفر له أبدًا إذا تخلى عن دولة إسرائيل.

ولقد تحولت تلك العبارة «المقتبسة» إلى نبوءة، تمامًا مثل نبوءة رسالة الرسول «بولس» إلى أهل غلاطية «الإصحاح السادس» حيث لم يمض سوى شهر واحد على توليه فترة رئاسته الأولى، حتى تلقى «كلينتون» اتصالًا تحذيريًا من منظمة «بن لادن» أيقظه من غفوته عندما نُسف مركز التجارة العالمى باستخدام شاحنة يوم ٢٦ فبراير ١٩٩٣، فعلى الرغم من أن هذا الهجوم الأول قد مر دون اهتمام كبير إلا أن بذور الهجوم الثانى الأوسع يوم ١١ سبتمبر كانت تكمن فيه، وخطورة مثل هذا الهجوم لا تكمن فقط فى أنه استهدف موقع أمريكيًا بالغ الحساسية مثل مدينة نيويورك، ولكن الهدف الفعلى لهذا الهجوم كان نسف أبراج مركز التجارة العالمى، وقتل ٢٥٠٠٠٠ شخص[٥]. وحتى إذا نجح الإرهابيون فى تحقيق نسبة ١٪ فقط من هدفهم فى ٢٦ فبراير ١٩٩٣ بدلًا من قتل ٧ أشخاص فقط، فإننا حينئذ كنا سنذكر هذا اليوم وننسى ١١ سبتمبر ٢٠٠١، ولأن الرئيس الأمريكى فى تلك الفترة كان مشغولًا بتطبيق برنامجه الاقتصادى أكثر من محافظته على أمن أمريكا، فلم يهتم أحد بمحاولة نسف مركز التجارة العالمى الأول، وفى خطابه الإذاعى المعتاد بالراديو بعد هذا الهجوم بيوم واحد فقط، ذكر

الرئيس «كلينتون» كلمة «المأسـاة» (ولـم يذكر أبدًا كلمة «تفجير» أو «العمل الإرهابى» فى خطابه)، ولـم يشر أبدًا فى أى من خطبه الجماهيرية اللاحقة إلى هذا الحدث، ولـم يزر أبدًا حتى موقع الانفجار.

وفى كتابه «فقدان بن لادن» أشار «ريتشادر منيتير» إلى عدم قدرة كلينتون على التعامل مع «بن لادن» طوال فترة رئاسته، قائلًا:

«كان «بن لادن» فى عام ١٩٩٣ ممولًا صغيرًا للإرهابيين المسلمين المسلحين فـى كل من السودان واليمن وأفغانستان. وقبل نهاية عام ٢٠٠٠، وهى آخر سنة فى رئاسة «كلينتون» للولايات المتحدة الأمريكية، أصبح لـ«بن لادن» شبكة تعمل فى أكثر من ٥٥ دولة، وكانت هذه الشبكة مسئولة بالفعل عن موت آلاف الأشخاص بينهم (خمسة وخمسون أمريكيًا)[٦].

وضعت المرحلة الأولى لحرب أمريكا على الإرهاب «كلينتون» فى حالة اختبار حاسم أمام الصراع التاريخى والعالمى، ـ فقد كان «كلينتون» رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية عندما أعلن «بن لادن» الحرب عليها. وأتيحت لـ «كلينتون» فرصًا عديدة لهزيمة «بن لادن»، ولكنه لم ينتهزها، ولو قام «كلينتون» بحشد الجماهير والكونجرس من حوله لمحاربة «بن لادن» وتدمير الإرهابيين وسحقهم فى أعقاب تفجيرات السفارة الأمريكية عام ١٩٩٨، ربما كان «ونستون تشرشل» جيله، ولكن بدلًا من ذلك اختار «كلينتون» دور «تشمبرلين»، الذى اختار التهدئة مع «هتلر» فى ميونخ عام ١٩٣٨، فمهد الطريق للنازى لغزو پولندا، ما أشعل شرارة الحرب العالمية الثانية فى العام التالى.

فى أكتوبر من عام ١٩٩٣ وهو نفس عام الهجوم الأول على مركز التجارة العالمى، تم إرسال قوات أمريكية مسلحة إلى مقديشيو عاصمة الصومال فى مهمة إنسانية. وكنت هناك بنفسى فى أعقاب حادث إسقاط مروحيتين من طراز «بلاك هوك»، وتلا ذلك تبادل لإطلاق النار استمر لمدة ٢٠ ساعة تقريبًا، قتل فيه ١٩ جندى أمريكى وأكثر من ١٠٠٠ صومالى، وبعد ذلك الحدث بوقت قصير أصدر الرئيس «كلينتون» قراره

بسحب القوات الأمريكية من الصومال. ولقد أثبتت الأدلة التى تم العثور عليها لاحقًا، أن الصوماليين الذين أسقطوا المروحتين الأمريكيتين قد تلقوا تدريبًا على أيدى قوات «بن لادن» التى أصبحت متمرسة فى إسقاط طائرات الهليكوبتر السوفيتية المتطورة فى أفغانستان باستخدام قنابل تطلق من صواريخ مضادة للطائرات. وفى مقابلة لـ«بن لادن» مع شبكة «سى. إن. إن» اعترف باشتراكه فى أحداث الصومال، واعتبرها الإرهابيـون انتصارًا مجيدًا لهم.

وفى سبتمبر من العام نفسه، جلست وسط جمهور المستمعين أثناء احتفال كلينتون فى حديقة البيت الأبيض بما أسماه «مغامرة شجاعة من أجل السلام». وشاهدت «كلينتون» يجبر رئيس الوزراء الإسرائيلى «إسحاق رابين»، بوضع إبهامه فى ظهره ليدفعه للأمام ليصافح رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ـ «ياسر عرفات» حيث تصافح الرجـلان وتحت أيديهم ورقة تمثل إعلان المبادئ ـ أو اتفاقية أوسلو ـ التى أدت إلى تنازلات إسرائيلية للسلطة الفلسطينية (منظمة التحرير الفلسطينية الإرهابية)(*)، التى ردت الجميل بمزيد من التفجيرات الإرهابية فى القدس وتل أبيب، وكانت هذه الورقة موضوعة على نفس المنضدة التى حضر فيها الرئيس «جيمى كارتر» توقيع الرئيس «أنور السادات» و«مناحم بيجن» على معاهدة السلام بين إسرائيل ومصر فى عام ١٩٧٩م. لقد وصف الرئيس «كلينتون» لاحقًا تلك المناسبة بأنها أكثر اللحظات مجدًا فى تاريخ رئاسته عندما صافح «رابين» و«ياسر عرفات» بعضهما لأول مرة أمام مليار شخص يشاهدون الحدث على الهواء على شاشات التليفزيون. «وكان هذا اليوم يومًا لا يمكن لأحد أن يتخيله»[٧].

حقًا «كان يومًا لا يمكن تصديقه» ولحظة حاسمة بالنسبة للرئيس الثانى والأربعين للولايات المتحدة الأمريكية، ولكن ليس كما وصفه الرئيس. فالسياسة الخارجية لفترة رئاسة «بيل كلينتون» ركزت على هذه القضية التى كان المفروض أن تضمن له إرثًا

(*) كما ذكرنا سابقًا، ولن نمل من تكرار: إسرائيل دولة محتلة، خارجة عن القانون، رفضت مئات القرارات الصادرة من الأمم المتحدة، وانتهكت أحد المبادئ الحاكمة للأمم المتحدة والقانون الدولى والاجماع الدولى، والتى تمنع جواز الاستيلاء على الأراضى بالقوة، وانتهكت ميثاق حقوق الإنسان بمنعها عودة اللاجئين ـ المترجم.

تاريخيًّا، ولكنها حققت أى شىء إلا السلام فى الشرق الأوسط، لأن أمريكا فى اعتقادى قد تخلت بذلك عن إسرائيل فى لحظة هامة فى حياتها. وكما قال القس «دبليو أو ڤوت» إن الله لن يغفر ذلك(*).

إن «أمريكا» هى أقوى دولة على وجه الأرض، وكانت تحظى على الدوام ببركات الرب، ولقد حان الوقت لنسأل أنفسنا سؤالًا «لماذا؟». إن سكان أمريكا يمثلون ٧٪ من تعداد سكان العالم، وتمتلك أمريكا أكثر من نصف ثروة العالم. فلدى أمريكا ٦٣٪ من البضائع المصنعة فى العالم، و٧٤٪ من صناعة السيارات، و٥٢٪ من صناعة الشاحنات، و٥٦٪ من أجهزة الهاتف، و٤٧٪ من أجهزة الراديو، و٤٦٪ من إنتاج العالم من الأجهزة الكهربائية، و٥٢٪ من صناعة الصلب، و٣٥٪ من بترول العالم، وتستهلك ٣٥٪ من طاقة العالم.

ولكن خلال العقود القليلة الماضية وجدت أمريكا أن «ثقافتها قد تلوثت، وأنها ابتعدت عن الرب، وتشوهت صورة أبطالها»(٨). وينظر الناس إلى الأمريكيين المؤمنين بالكتاب المقدس كشياطين متطرفين ومتعصبين، وتم إخراج اسم الرب من المدارس والمحاكم والميادين، وحتى قسم الولاء «أمة واحدة تحت الرب» أصبح موضع تساؤل. كما أن نفس المهادنة الأخلاقية التى أصابت سياستنا الداخلية بالعدوى، قد أصابت أيضًا سياستنا الخارجية، وفى التسعينيات من القرن الماضى استطاع الإرهابيون أن يتسللوا عبر المنافذ الجمركية وأن يفتحوا محال تجارية لهم داخل حدودنا.

وليس هناك من شك إطلاقًا فى أن درع الرب الواقى قد رُفع عن أمريكا. وكان ١١ سپتمبر لعنة حلت بأمتنا الحبيبة، ولكن الأسوأ من ذلك هو أن معظم الأمريكيين لا يفهمون لماذا حدث ذلك؟ وإننى أعتقد أن هذا سوف يحدث مرارًا وتكرارًا، وبصورة أكثر سوءًا إذا لم يفق الأمريكيون إلى واقع الأمر.

(*) وهنا يؤكد القس رؤيته لالتحام السياسة الخارجية للولايات المتحدة بالأصولية المسيحية واليهودية، ورفض الأصوليين للقانون الدولى والأمم المتحدة وميثاق حقوق الإنسان، وهنا يكمن الخطر الفعلى والفعال للأصوليتين المسيحية واليهودية ـ المترجم.

وأنا أسعى الآن نحو الحقيقة، وإننى واثق بأنكم سوف تنضمون إلىّ فى محاولة الغوص فى أعماق كلمة الرب الأبدية، وأبحث عن هدف الرب وخطته فى وسط كل الفوضى التى تحدث فوق كوكبنا الأرض.

أمريكا تحتاج إلى مستشار لحل الخلافات الزوجية

إن جوهر النظام السياسى العلمانى لأمريكا اليوم يتصادم مع مسار النبوءة، ويعتقد الكثيرون بأنه ليس لدينا ما نفعله تجاه هذا. فإذا كان هذا التعارض مذكورًا فى النبؤة، فلا مفر من حدوثه ولكن إذا كان هذا هو موقفنا، فإننا لم نفهم المعنى الحقيقى للنبؤة. والكتاب المقدس يعرض علينا ما يخبئه المستقبل لنا، ليس من أجل أن نجلس ونشاهد الكارثة وهى تحل بنا، وإنما من أجل أن نستعد ونتخذ الإجراءات الضرورية لضمان أن نكون فى الجانب المبارك وليس الجانب الملعون فى النبؤه، فالأمر كله يتوقف على الأمريكيين المتقين الذين يخافون الرب، وينطلقوا ويقودوا بلادهم فى الإتجاه الصحيح، سواء كان هذا يتمثل فى سياساتنا الخارجية أم سياساتنا الداخلية. وذلك هو السبب الذى يدفعنى لفعل كل ما فى وسعى لرؤية حكومتنا تتصرف بنقاء وصفاء أخلاقى مهما كانت القضية التى نتعامل معها.

وهذا أيضًا كان هو السبب الذى دفعنى عام ١٩٨١ أن أكون على استعداد لاستخدام كل معرفتى عن الشرق الأوسط لمساعدة الرئيس «ريجان» وإدارته على العمل والتصرف وفقًا للصفاء والنقاء الأخلاقى فيما يتعلق بقضايا تلك المنطقة. وفى إطار هذا الدور طُلب منى حضور اجتماع مصغر رفيع المستوى مع أميرالات وجنرالات الولايات المتحدة لمناقشة بيع طائرات الإنذار المبكر «أواكس» إلى المملكة العربية السعودية. ولقد عارضت قرار العاملين والمسئولين بالبيت الأبيض وأكدت بأنه يمكن أن ينتهى المطاف بتلك الطائرات إلى الوقوع فى أيدى الأصوليين الإسلاميين ليشكل ذلك تهديدًا خطيرًا لأمن أمريكا وإسرائيل. وكانت حججى عملية فى أغلبها، فضلًا عن معرفتى الكبيرة بكثير من المعلومات المخابراتية، لدرجة أنهم سمحوا لى بالحديث. وعندما أدخلت فى

كلمتى القصيرة نصًا من الكتاب المقدس، انهالوا علىّ بهذا السؤال: « ماذا يعرف الرب عن السياسة الخارجية؟».

فقلت لهم مجيبًا: «إن الرب هو سياسة خارجية» فهل تعتقدون حقـًا أن بإمكاننا دفع حكومتنا نحو التقدم للأمام بدون هداية وإرشاد من الرب؟ إن أجدادنا الأوائل لم يؤمنوا بذلك. ولا أعتقد أنه ينبغى علينا نحن أيضًا أن نفعل ذلك.

وبعد شهور قليلة دعيت مع وفد أمريكى صغير إلى عشاء مع الرئيس ووزرائه. وجلس إلى جوارى مباشرة «تشك كولسون» وكانت أول عودة له للبيت الأبيض منذ أيام الرئيس «نيكسون». قلت له: أعتقد أنك تفكر الآن فى كيفية رسم استراتيجية البيت الأبيض التى تدور فى هذه الغرفة، فابتسم قائلًا: «إطلاقًا يا مايك أننى أفكر الآن فى شىء واحد... الأبدية».

أدهشتنى عبارته حقًا، فإن آجلًا أم عاجلًا سيفكر كل فرد منا فى كل أنحاء الكرة الأرضية ـ غنيًا أم فقيرًا، ملحدًا أم متدينًا، رئيسًا أم شحاذًا ـ فى شىء واحد فقط هو الأبدية. فهل يمكننا حقًا التفكير فى إمكانية التخطيط لمستقبل أمتنا ـ ولعالمنا ـ بدون التفكير مليًا فى الأبدية. وعلى الرغم من أن «الديموقراطية» قد نشأت فى اليونان أولًا فإنها لم تكن لترتفع وتسمو إلى المثل الأمريكى الأعلى الذى نعرفه اليوم، إلا بعد أن تجمع الناس الحافظون للكتاب المقدس والذين يخشون الرب لينشئوا الولايات المتحدة الأمريكية، وقد لا يكون نظامنا مثاليًا، لكنه أفضل نظام عرفه عالمنا حتى الآن؛ لأنه نظام يتميز بالنقاء الأخلاقى ويقوم على مبادئ الكتاب المقدس.

قال «مارتن لوثركنج» الابن: «ليس هناك شيئًا أكثر خطورة فى العالم من الجهل الخالص والغباء المتعمد»[٩] وقد خطت الولايات المتحدة نحو القرن الواحد والعشرين بخليط من الاثنين معًا.

إن أمريكا وجدت نفسها فى هذا الموقف الخطير لأننا اليوم الأمة الوحيدة التى تحالفت مع كل من الشقيقين التاريخيين للنبوءة: إسماعيل وإسحاق. ولقد بدأ وانتهى الكتاب المقدس بالصراع بين هذين الأخوين ابنى إبراهيم، واليوم لا يزال أحفادهما فى

الصراع الذى دار بين قابيل وهابيل من أجل الهيمنة. ثم قفزت الولايات المتحدة إلى قلب هذا الصراع.

يحتوى الكتاب المقدس على قدر كبير من القصص حول روحين خلف الأخوين اللذين يتقاتلان ويحاولان استقطاب شعوب الأرض. لم يكن إسماعيل «ابن الوعد» ولكنه كان ابن رجل يحاول تنفيذ إرادة الرب بطريقته الخاصة. فقد وعد الرب «إبراهيم» بابن ينجبه من صلبه، ولكن زوجته «سارة» كانت عاقرًا وبناء على طلبها تزوج «إبراهيم» الجارية «هاجر» خادمتها التى حملت، وأسفر هذا الزواج عن ميلاد ابنه إسماعيل، وعلى الرغم من كون «إبراهيم» رجلًا مؤمنًا وحكيمًا، إلا أنه لم يتصرف وفقًا لإرشاد الرب وإنما وفقًا لحكمته الخاصة وشهوته الذاتية الخاصة ـ حيث برر عملًا أحمقًا من خلال العرف والتقاليد والنزعة الأخلاقية النسبية، محاولًا تطويع بركة ومباركة الرب لتخدم أهدافه الخاصة. ولم تمض إلا بعض السنوات حتى ولد ابن الوعد «إسحاق» وأدرك «إبراهيم» مدى فداحة الخطأ الذى ارتكبه، رافضًا ابنه إسماعيل الذى أنجبه وفقًا للتفكير البشرى، ثم أصبح «إسماعيل» هو أبو الجنس العربى وإسحاق هو أبو العبرانيين، واستمرت المعركة لأن «القرآن» يقول فى تعاليمه أن «إسماعيل» وليس إسحاق هو ابن الوعد الذى وعد به الله إبراهيم وبأنه ورث أرض وصك ملكية القدس(*).

(*) منذ عدة قرون يهاجم المستشرقون الإسلام تحت زعم أنه يبيح الرق، ومن ناحية أخرى، لم يتوقف العنصريون الأصوليون اليهود والمسيحيون عن الزعم بأن إسماعيل هو ابن الأمه هاجر، بينما اسحاق هو ابن الحرة سارة، ولا يجوز لابن الأمة أن يرث فالميراث للابن الأكبر الحر (وهم يهاجمون أيضا نظام الميراث الإسلامى) وفى الوقت الذى يطالب فيه صناع السياسة الخارجية الأمريكية، والإنجليزية، المسلمين بفصل الدين عن السياسة، تجدهم يستجيبون لأصوات الأصولية المسيحية واليهودية، فى أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن فلسطين هى أرضهم الموعودة. وسأكتفى بأقوال ثلاثة مسؤلين يهود فى وقتنا المعاصر:

أ- شالوم بن عامى، وزير خارجية حزب العمل (المفترض أنه حزب علمانى) قال على شاشات التليفزيون لعمرو موسى: القدس عاصمة إسرائيل منذ ثلاثة آلاف سنة، فقال عمرو موسى: إسرائيل عمرها خمسين سنة فقط فأجابه وزير الخارجية العلمانى: العالم كله يعرف ذلك..... فهكذا قال الكتاب المقدس.

ب- وزير العدل الإسرائيلى صَرَّح للإعلام العالمى بعد وفاة عرفات: لا يمكن دفن عرفات الإرهابى فى أرض ملوك بنى إسرائيل.

ج- سفير إسرائيل فى الأمم المتحدة، فى مكتبها بجنيف، صرح فى برنامج على قناة الجزيرة: القدس عاصمة=

واليوم فان أمريكا قد تورطت فى نفس المعركة. ويحاول بعض الناس فعل «الأفضل» بدون إرشاد من الله كى يجعلوا قاعات حكومتنا تتسم بالعلمانية واللاأخلاقية واللادينية، وبدلًا من ذلك يجعلونها فاسدة وضالة. فبدلًا من أن ينظروا إلى الله من أجل البركات والرخاء، فإنهم ينظرون إلى منطقنا واستدلالنا الذاتى. ولهذا السبب فإننا مستعدون لمقايضة أى شىء تقريبًا لنحصل على الذهب الأسود - البترول - الذى يشحم اقتصادنا ويدير مصانعنا. ومن الغريب أن يطلق الناس على الأمريكيين ذوى النزعة الأخلاقية إنهم متعصبون، ونترك التعصب الحقيقى فى مناطق أخرى من العالم ونتجاهله حفاظًا على الاقتصاد الأمريكى «مشفوعًا بالبركة»

إن أمريكا تعرف أن إسماعيل الابن الأكبر فى هذا الصراع يعتقد ويؤمن بنفس الأكاذيب التى استخدمها «هتلر» فى خداع عقول الألمان، والقائلة بأن اليهود هم سبب كل شرور العالم وسبب مآسى العرب على وجه الخصوص، وبأنه إذا تم التخلص من اليهود فإن العالم سوف ينام فى سلام وأمان، ولكن أمريكا لم تفعل شيئًا لمواجهة هذه العقيدة الفاسدة، وبدلًا من ذلك فإننا نكافئ هؤلاء الذين يبشرون بنفس هذه الأشياء بتسميتهم «الديبلوماسيين»، وهم فى الحقيقة المنظمات الإرهابية - مثل منظمة التحرير الفلسطينية والدول الإرهابية مثل: سوريا وإيران والمملكة العربية السعودية - وترغم أمريكا الأخ الأصغر إسحاق من خلال التفاوض على تقديم المزيد من التنازلات الأخرى إلى إسماعيل الغاضب العنيد، ولكن إسماعيل لن يقنع ويرضى أبدًا بدولة فلسطينية. فتلك هى الخطوة الأولى فقط من حلمهم. فعندما تلوح «القاعدة» بالعلم الفلسطينى أثناء صراخ مقاتليها «الموت للأمريكيين» لا يمكننا تصديق أن أعضاء القاعدة سوف يتوقفوا عن كراهيتنا ويتحولوا إلى حبنا فجأة إذا قامت دولة فلسطين، تمامًا مثلما لا نعتقد بأن «هتلر» كان سيتحد مع باقى أوروبا عندما سمح له «تشامبرلين» وآخرون بضم الأراضى الجنوبية.

=إسرائيل منذ ٣٠٠٠ سنة، منذ أيام الملك سليمان. وكان ذلك فى ٢٣/ ٩/ ٢٠٠٥. والأصولية المسيحية، تزعم ذلك أيضًا عبر صفحات هذا الكتاب.

أما بالنسبة للإسلام، فالقضية أن هناك شعبًا مسلمًا يعيش فى أرض فلسطين قبل وصول اليهود إليها، وظل بها بعد مغادرة اليهود عام ٧٠ ميلاديا، ويتعرض هذا الشعب لأبشع أنواع الظلم والقمع والاضطهاد والتعذيب والقتل، مع تحطيم اقتصاده، وبعد طرد ملايين الفلسطينيين، ولهذا تتعاطف معهم الشعوب الإسلامية - المترجم.

لقد قضيت أنا والدكتور «جوزيف بودانسكى» وقتًا طويلًا فى القدس لنناقش هذا الموضوع. وفى كتابه «التكلفة العالية للسلام» أكد «بودانسكى» أن سياسة «الخطوة خطوة» التى ينتهجها الفلسطينيون تهدف إلى الاستيلاء على فلسطين الحالية كلها، وهى سياسة استلهموها من تجربة الڤيتناميين فى التعامل مع الولايات المتحدة الأمريكية:

ولقد أوضح لنا «أبو إياد» وبالتفصيل كيف أنه أثار السؤال الذى يقول: لماذا اعتبر الغرب الكفاح الفلسطينى المسلح إرهابًا، بينما مدح وأيد وساند الكفاح الڤيتنامى؟ لقد أرجع مضيف «أبو إياد» هذه الظاهرة إلى الطرق المختلفة التى صاغت بهما حركتا التحرر الفلسطينية والڤيتنامية أهدافهما، ولقد وافق الفريق الڤيتنامى على الجلوس مع وفد منظمة التحرير الفلسطينية ومساعدته فى تطوير برنامج يمكن أن يبدو مرنًا ومعتدلًا، وبصفة خاصة فى التعامل مع الولايات المتحدة الأمريكية. ولقد أوضح الڤيتناميون «بأن على الإنسان أن يضحى بما هو غير هام إذا كان ذلك من أجل المحافظة على ما هو ضرورى»(١٠).

ولقد أكد الفلسطينيون بأنه يجب أن تظل منظمة التحرير الفلسطينية ملتزمة بهدفها النهائى ألا وهو إقامة دولة ديموقراطية موحدة على كل أراضى فلسطين، ورأى الفلسطينيون بأن قبولهم لمراحل انتقالية أو حتى حلول مؤقتة سوف يكون أمرًا خطيرًا جدًا من الناحية السياسية. واقترح عليهم الڤيتناميون قبول مبدأ «تقسيم الأرض بين دولتين مستقلتين، دولة للفلسطينيين وأخرى للإسرائيليين» دون أن يوضحوا أن هذه مجرد مرحلة مؤقتة لينطلقوا منها نحو المزيد.

ولقد أطلع الفريق الڤيتنامى أيضا الفلسطينيين على قضايا أخرى، مثل كيفيه التعامل مع وسائل الإعلام الأمريكية والمؤسسات السياسية الليبرالية، وزود الفلسطينيين برؤية عميقة لقوة الجالية اليهودية فى أمريكا. كما ساعد خبراء تشويه المعلومات والحرب النفسية الفلسطينية فى صياغة «برنامج سياسى معتدل يقبل إقامة دولة فلسطينية صغيرة فى الأراضى المحتلة» فكانت نتيجة ذلك «خطة المرحلة» التى اعتمدت بوصفها قرار المجلس الوطنى الفلسطينى الثانى عشر الذى عُقد فى القاهرة فى ١٩ يونيه ١٩٧٤م.

لا يمكننا أبدًا الانتصار فى الحرب على الإرهاب بأسلوب التهدئة مع الإرهابيين، ولكن يجب علينا أن نحاول اقتلاعهم وإبادتهم، فهذا بالتأكيد يحمينا من حدوث تفجيرات انتحارية أخرى على غرار ١١ سبتمبر وربما أسوأ منها، فلن يمكننا أبدًا مقاومة هذا التيار الإرهابى دون البحث فى أسباب وجذور كراهية الإرهابيين لإسرائيل وأمريكا، وكيف نجتث تلك الكراهية من منبعها.

لماذا يجب علينا تحريم نشر تعاليم «الجهاد» فى أمريكا؟ إن الأصوليين الإسلاميين يستخدمون الدين لتجنيد الشهداء المستعدين للانتحار وقتل أنفسهم من أجل «القضية»، وعندما دعا الرئيس «ياسر عرفات» فى إحدى خطبه إلى حشد مليون شهيد لتحرير القدس، فإنه لم يكن يمزح ببساطة مع الجماهير الحاشدة، فلقد شهدت القدس من الهجمات الإرهابية أكثر مما شهدته أى مدينة أخرى فى العالم. وعندما يدعوا رجال الدين الأصوليون الإسلاميون بالمساجد إلى ضرورة حشد شهداء، فإن هذا ليس مجرد لغة بلاغة دينية، فالأصولية الإسلامية ديانة قاتلة.

إن الأمر الحاسم و الضرورى هنا لا يكمن فقط فى فهمنا لأسباب كراهية الأصولية الإسلامية لنا، وإنما فهمنا أيضًا لأسباب تصرفاتهم تجاهنا بمثل هذه الكراهية. إن الشهداء يعتقدون بأنهم يؤدون إحدى الطقوس المقدسة لله. ومنذ الطفولة يتعلم المسلم أنه حتى ينال شرف الشهادة فهذا يعنى أن الله قد اختاره من دون سائر الناس، فهذا أعظم شرف فى الحياة. ويتعلم أيضًا أن الشهيد لا تقام له جنازة وإنما «عرس» وهذا هو السبب فى أن عائلات الشهداء لا تقيم لهم الجنازات.

وعندما يستشهد طفل، تقام له الأفراح ويقولون للشهيد الذى يليه أنه عندما يقوم بأداء واجب الشهادة الدينى المقدس فإنه:

- لن يشعر بأى ألم أو خوَف، وفى أعماقه لن يحس بألم الموت.
- لن يموت. فجميع الأرواح توارى التراب منتظرة البعث باستثناء أرواح الشهداء فهى تذهب مباشرةً إلى جنة الله دون انتظار للبعث.

- سوف يكرم فى السماء عند وصوله للجنة، بوضع تاج المجد على رأسه. ويتوسط التاج جوهرة تعادل ثروة العالم (فى الديانة المسيحية يوضع التاج على رأس المسيح ويضع القديسون تيجانهم عند أقدام المسيح).

- سوف يحضر زفافه على اثنين وسبعين من العذارى ذوات الأعين السوداء ـ إن كلمة الأعين السوداء لا تشير إلى لون العين وإنما تدل على الأبدية وعدم الفناء ـ (وهى نفس الكلمة التى وردت فى الكتاب المقدس، ومثل هذا الاعتقاد شديد القوة لدرجة أن الشهيد قبل إقدامه على الشهادة، يحلق ذقنه وشعر رأسه وشعر العانة وهو رمز لما سوف يحدث بعد ذلك.

- سوف يمهد الطريق لشفاعة سبعين من أقاربه لدخول الجنة، ويتم إعفاؤهم من عذاب النار وأهوالها. فدماء الشهيد ستكفر عنهم خطاياهم. والمؤكد أن ذلك سيخلق طفولة تعيسة ترى أقاربك يتسارعون ليضمنوا لهم مكانًا بقائمة الجنة.

تلك المعركة الشيطانية للسيطرة على عقول الأطفال تبدأ من سن الحضانة، حيث تستخدم شخصيات فى أفلام كرتونية أشبه بأفلامنا عن «ميكى ماوس» و«دونالد دك» مع رسالة خفية لإغواء هؤلاء الأطفال الصغار وتجنيدهم ليتحولوا إلى إستشهاديين. وتستخدم معسكرات دور الحضانة لتعليم الأطفال مبادئ الجهاد. ويتم إطلاق أسماء الشهداء على الكبارى والطرق والحدائق والمبانى، وتعلق صورهم المزينة فى كل مكان (تم استخدام الآلاف من الأطفال لتطهير حقول الألغام خلال الحرب الإيرانية العراقية، حيث تعلق فى رقابهم «مفاتيح الجنة» ويعلق شارة «شهيد» على ملابسهم).

إن الحرب على الإرهاب التى نخوضها اليوم وقودها كراهية تعود للعصر الحجرى ـ فهى نفس الكراهية التى حملها قابيل لهابيل وإسماعيل لإسحاق والشيطان للمسيح؛ فالإرهابيين يشنون حربًا معنوية أسلحتها الخوف والتعصب وتتجاوز نطاق فهمنا ـ ومثل هذه الحروب لا يمكن كسبها بالأسلحة التكتيكية وحدها.

إن السعى المقدس نحو الفهم يقودنا إلى حقيقة هامة، مفادها أن الأصوليين الإسلاميين

هم سبب أحداث ١١ سپتمبر، ودافع الحرب الأمريكية على الإرهاب. وإن أيديولوچيتهم قاتلة ومميتة تمامًا مثل أيديولوچيات الفاشية أو النازية. وما دام الليبراليون الملحدون يحاولون إخراس الأمريكيين الذين يخافون الله بسياستهم التى لا تسأل ولا تخبر أحد عن التعصب، فإن الحرب على الإرهاب لن تستمر فقط وإنما سيزداد لهيبها. ولكن لكى نكسب تلك الحرب فإنه يجب على أمريكا أن تتكلم وتفضح التعصب بنفس الطريقة التى استخدمها «إبراهام لينكولن» و«مارتن لوثر كينج» فى فضح التعصب ضد السود.

لقد طرحت بالفعل فرضيتى بأن أمريكا قد تزوجت هذين الأخوين. تزوجت إسماعيل (ويمثل الدول العربية) بسبب المصلحة وتزوجت إسحاق (ويمثل إسرائيل) بدافع شعورها بالذنب. وتعلم أمريكا أن الأخ الأكبر إسماعيل يؤمن بنفس الأكاذيب التى استخدمها فيما بعد «هتلر» للتأثير على عقول الألمان لكراهية اليهود. ولم تفعل أمريكا شيئًا لمواجهة وفضح تلك العقيدة الملعونة الخسيسة، وبدلًا من ذلك وحتى تهادن الحليف الأول وتهدئ العرب، فإنها تجاهلت - مشاركة الحليف الآخر (إسرائيل) - الحليف الحقيقى الوحيد المؤيد للديموقراطية الغربية فى الشرق الأوسط - فى قوى التحالف خلال اثنتين من الحروب فى العراق، وبدلًا من ذلك انحازت أمريكا إلى الأنظمة الممولة للإرهاب فى الدول الإسلامية، وبدأت أمريكا تسلح الدول الإسلامية الراعية للإرهابيين والتى تربى مواطنيها على التعصب. وكان هذا سبب أكيد لأحداث ١١ سپتمبر لما هو أسوأ منه. وسيكون للتعصب وجهين لعملة واحدة وهى القتل؛ فالإرهابيين سوف يقتلون المسيحيين، تمامًا مثلما يقتلون اليهود بنفس المبررات، وسيكون هناك من يتعين عليه أن يصرخ: «إنها حرب عرقية أيها الأغبياء».

إن الحرب التى نخوضها اليوم ضد الإرهاب إنما هى جزء من الصراع بين هذين الأخوين. حيث يشن الإرهابيون حربًا مقدسة يمتزج فيها الخوف بالتعصب والكراهية - ولا يمكننا كسب مثل هذه الحرب بالأسلحة التكتيكية وحدها - ولم تكن أمريكا فى أى وقت مضى بحاجة للتصرف بوضوح أخلاقى مثلما يمليه عليها الوضع الأخلاقى فى عالم اليوم، ولكننا أيضًا لم نكن أبدًا فى وضع نبدو فيه أصحاب معايير مزدوجة مثلما

نحـن عليـه الآن ـ و بالتالـى فإن مسـتقبل أمتنا ومسـتقبل عالمنا أيضًا معلـق بين أعمالنا وبلادة إحساسنا.

المعركة النهائية

على الرغم من أن «وليام بتلر ييتس» لم يكن نبيًّا مسيحيًا، إلا أن قصيدته الشعرية تعبر عن توترات عصرنا. فلقد رفضنا أساس ثقافتنا التى تربطنا بالله والكتاب المقدس ـ ولأن ثقافتنا انحرفت عن المصادر الرئيسية، فإننا لم نعد نسمع صوت الرب، فنحن أمة سُلبت منها براءتها. ففى قاعات المحاكم وفى منابر الكنائس وفى الساحات السياسية، نجد أن الذين يتكلمون عن الله ليسوا فقط أناس يفتقرون إلى الاقناع ليكونوا مؤثرين، وإنما أيضًا تم إخراسهم وبصورة منتظمة، بسبب **التفسير المضلل بضرورة فصل السياسة عن الكنيسة**. فأولًا، تم إنكار حقوق التعديل الأول على هؤلاء الذين يتكلمون عن الله، بينما تم تمجيد هؤلاء الذين يسعون نحو مصالحهم الذاتية الخاصة بوصفهم «روح العالم» ـ منذ أن كتب «ياتس» قصيدته، شاهدنا تلك الروح وقد أصبحت قوة قائمة فى عالمنا أكثر من أى وقت مضى. وذلك من خلال مذاهب الفاشية والنازية والشيوعية والإرهاب – و هى أكثر التهديدات التى واجهتها الحرية الإنسانية على الإطلاق.

سوف تقع المعركة النهائية فى النبوءة سوف تقع فى إسرائيل. وهى معركة حدها الفاصل يقع فى قلب مدينة القدس، التى طالما أعاقت طبيعة وضعها جهود السلام فى الشرق الأوسط، ولقد عُرِض على الفلسطينيين قيام دولتهم مرة تلو الأخرى ـ أولًا عام ١٩٤٧ عن طريق الأمم المتحدة ـ ثم بعد ذلك عام ١٩٩١ فى مؤتمر مدريد بعد حرب الخليج. ثم بعد ذلك فى مباحثات «واى ريفر» ثم فى الأيام الأخيرة من رئاسة «بيل كلينتون» وكانت العقبة الرئيسية أمام السلام دائمًا هى من يسيطر على مدينة القدس الشرقية؟ ـ وهى المدينة التاريخية للملك «داود» حيث يقع فيها الهيكل ـ نفس المكان الذى تلاقت عنده الأرض والسماء، وسوف يتلاقيان مرةً أخرى، وهناك حيث كُتبت على الصخور أكثر التنبوءات خطورةً على الإطلاق والمتعلقة بآلام العالم. فالمشكلة كلها

تبدأ بقول الله: «لم أختر مدينة من بين مدن جميع الأسباط إسرائيل لبناء هيكل يكون عليه اسمي هناك، ولا اصطفيت رجلًا يملك على شعبى إسرائيل سوى أورشليم ليكون اسمى فيها، وداود ليحكم على شعبى إسرائيل»[١١] ـ أخبار الأيام الثانى ٦: ٥-٦.

ومع بزوغ فجر القرن الحادى والعشرين، لم تكن هناك أمة قد وقفت موقفًا مؤثرًا فى الصراع بين هذين الأخوين إسحاق وإسماعيل مثلما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية. فمنذ إعلان إسرائيل قيام دولتها فى ١٤ مايو ١٩٤٨، كانت الولايات المتحدة الأمريكية أول من اعترف بوجودها، بل والإسراع للدفاع عن أمنها فى حرب يوم الغفران عام ١٩٧٣، وناهيك عن المساعدات العسكرية التى قدمناها لإسرائيل منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا. فلم تقف أى دولة أخرى إلى جانب إسرائيل مثلما فعلنا نحن الأمريكيون، ومن ناحية أخرى نجد الرئيس «فراكلين ديلانو روزفلت» عندما التقى عام ١٩٤٥ مع الملك بن سعود ملك المملكة العربية السعودية المؤيد لـ«هتلر»(*)، وعده بأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تتخذ أى قرار يتعلق بالشرق الأوسط قبل التشاور أولًا مع العرب. ولم تكن هناك أمة أبدًا مرتبطة ارتباطًا وثيقًا ومتعاطفة مع الشعوب الإسلامية فى هذه المنطقة مثل أمريكا. وإنى أتساءل إذا ما كان موت «روزفلت» خلال أسابيع من ذلك القرار كان مجرد صدفة. إن تأثير الولايات المتحدة الأمريكية على كلٍ من الجانبين أعمق، حيث يمتد بجذوره للوراء أبعد من هذا التاريخ، وأهلت تلك العلاقات المتميزة أمريكا لتلعب دور الوسيط الوحيد الأمين الموثوق به والقادر على إحلال السلام بين إسماعيل وإسحاق، وهذا الوضع الفريد وضع أمريكا فى عين نبوءة الكتاب المقدس.

وهكذا وجدت أمريكا نفسها متورطة فى لعبة شد الحبل بين هذين الأخوين-بين البترول والمغامرات السياسية وبين الضمير ـ وأن ما يقرر إذا ما كانت الولايات المتحدة، ستبقى أم ستفنى مثل الإمبراطورية الرومانية، إنما هو أمر يتوقف على القرارات والسياسات

(*) من أقوال ترومان، نائب روزفلت، والرئيس الأمريكى من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٢: سوف نساعد الحلفاء إذا ضعفت كفتهم، وسنساعد هتلر إذا ضعفت كفته ـ روجيه جارودى. انظر أيضًا كتاب: «وثائق تعاون النازية والصهيونية».

الأمريكية المتعلقة بهذين الأخوين. أما أهل الكتاب المقدس فقط - وأقصد بذلك الكتاب المقدس وليس القرآن - فيمكنهم ترجيح كفة الميزان نحو الاتجاه الصحيح.

ومع ذلك ظلت أمريكا راضية عن نفسها حول تلك القضايا حتى ولو كانت لديها بالفعل كثيرًا من التحفظات والتحذيرات. ففى القرن الماضى عشنا ثلاث معارك كبرى فاصلة تكررت بين الخير والشر، وهى الحرب العالمية الأولى والثانية والحرب الباردة. فلقد حاربنا لعشرات السنين الفاشية والنازية والشيوعية. ونحن الآن فى حالة حرب مع الإرهاب؛ فالقضايا المحيطة بالارهاب تحدد لنا بدقة أطراف تلك المعركة، مثلما تحددت لنا أطراف الحروب الثلاثة الكبرى السابقة. ولكننا مع ذلك ننسى حقيقة «أن الروح التى دفعت هتلر وستالين هى الروح التى تحرك الإرهابيين اليوم - على الرغم من أنكم لن تسمعوا هذا الكلام من شخص آخر غيرى - إنها روح الكراهية التى دائمًا ما تدفع الإرهابيين نحو الشر. ولقد بدأت بكراهية اليهود (معاداة السامية) ثم انتقلت إلى كراهية المسيحيين(*).

إننا اليوم نرى نفس الكراهية عند الأصوليين الإسلاميين المتطرفين الذين يشنون هجمات إرهابية مرعبة. وفى الحقيقة إذا قرأنا الصحف الإسلامية اليوم، فإنها ستذكرنا بصحف السنوات الأولى لألمانيا النازية، وأن نازية هتلر قد عادت من جديد. بدأت تلك الكراهية بقتل اليهود ثم انتقلت لتقتل المسيحيين (قتل ما يقرب من ستة ملايين مسيحى

(*) كما ذكرنا سابقا، من أركان الإسلام الإيمان بالكتب السماوية (التوراه والإنجيل)، وأنبياء بنى إسرائيل، وعيسى، واليهود والمسيحيون هم أهل كتاب. جاء القرآن الكريم:
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].
أما الموقف التقليدى لليهودية، فهو إنكار لعيسى وكتابه، وإنكار لمحمد ﷺ وكتابه، وأنهم شعب الله المختار، وموقف المسيحين التقليدى إنكار لمحمد ﷺ ولكتابه وأنهم أصبحوا شعب الله المختار.

خلال الحرب العالمية الثانية بين النازيين والسوفييت، حيث سقطوا شهداء. والفارق أن هؤلاء المسيحيين لم يقتلوا داخل معسكرات الحرق والتعذيب مثلما حل باليهود)(*).

إن أمريكا يمكنها الاستمرار فى تجاهلها السلبى للتحذير الاول عن اندلاع حرب عالمية أخرى وشيكة بسبب ازدياد المعاداة للسامية فى العالم العربى والتى تعود الآن إلى أوروبا. فهل تعتقد أن الإرهاب لا يمكنه تدمير أمريكا بأى حال من الأحوال لأنها أمة قوية؟ دعنى أطرح عليك سؤالًا بسيطًا: إذا تعرضت أمريكا لعدد من الهجمات الإرهابية فى مراكز التسوق والمسارح ودور السينما والمطاعم وحتى الكنائس والمعابد الأمريكية، مساوٍ لنفس العدد الذى تعرضت له إسرائيل، وهذا يعنى أنه بالمقارنة بين عدد السكان فى كل من البلدين فنجد أن أمريكا سوف تتعرض لمئات من الهجمات الانتحارية كل أسبوع ـ أليس من الأفضل أن تعلن أمريكا الحرب على التعصب الآن قبل أن يعلن المتعصبون الحرب على مدننا؟.

إن القادة العرب يعتلون قمة هرم ترتكز قاعدته الشعبية على ملايين من المتطرفين والمتعصبين والإرهابيين المتعطشين لسفك الدماء الذين يمجدون (أسامة بن لادن) ويعتبرونه أسد الإسلام، وكما كتب البروفسور «ديفيد جلرنتر» من جامعة «يال» فى جريدة «وول استريت» قائلًا:

> «إن الإرهابيين يسيطرون بصورة واضحة على قطاعات كبيرة من الرأى العام العربى، بنفس الطريقة التى سيطر بها النازى على عقول الألمان ـ عن طريق نشر الأكاذيب والأوهام، وعن طريق أيديولوچية شريرة خطيرة روجها النازى للجماهير، وكذلك عن طريق قتل الخصوم»[١٣].

فلماذا تغض الولايات المتحدة بصرها عن الأنظمة التى تأوى الإرهابيين والمعادية للسامية، ناهيك عن تمويلها لتلك الأنظمة؟ ألم نتعلم شيئًا من ١١ سپتمبر؟ هل نسينا الغوغاء وهم يصرخون «الموت لإسرائيل» و«الموت لأمريكا»؟.

(*) لو أنصف المؤلف، لذكر ان الحربين العالمتين الأولى والثانية ماهى إلا حروب مسيحية، تقاتل فيها العالم المسيحى على مصالح، ولم يرق المسلمون فى تاريخهم كله ١٠٪ من الدماء مما أراق العالم المسيحى ـ المترجم.

إن هدف العرب من غزو إسرائيل هو إقامة محرقة أخرى، أما بالنسبة لأمريكا فإن المتطرفين الإسلاميين يكرهون كل شيء في أمريكا وعنها، ولكن معظم كراهيتهم تتركز على الأغلبية المسيحية ومبادئ الكتاب المقدس الذى ينظم كل أنماط حياتنا ـ مبادئ تحرير المرأة وحريتنا وثروتنا وقوتنا وثقافتنا. إنهم يريدون قتل الأمريكيين؛ وذلك لأننا نمثل كل ما هو مكبوت ومشوش فى عقولهم(*).

أسئلة موجهة لأمريكا

أثناء بحثى و إعدادى لكتابى هذا فى كل من أمريكا والشرق الأوسط، تكشفت أمام عينى حقائق مذهلة عن دور أمريكا فى النبوءة ـ فى الماضى والحاضر والمستقبل ـ وأعرض فيما يلى لبعض الأسئلة التى أجبت عليها أثناء بحثى وإعدادى لكتابى هذا ـ:

- لماذا تستمر أمريكا فى تدعيم وتمويل النظم الإسلامية والتى هى أكثر عنصرية وفاشية من النازية والتى يتربى سكانها ويتعلمون على الأيديولوچيات الإرهابية؟
- لماذا تخشى أمريكا من اعتقال الإرهابى القاتل الذى قتل العشرات من الأمريكيين، من بينهم دبلوماسيين أمريكيين، والذى يحتفظ على مكتبه بأفضل الكتب المحببة لهتلر وأكثرها انتشارًا على الإطلاق كتاب «پروتوكولات حكماء صهيون» ودائمًا ما يقتبس منه بفخر؟.

(*) للرد على بعض ما يقوله المؤلف، المرأه فى التراث اليهومسيحى كما يحلو لكثير من مفكرى وكتاب الولايات المتحدة أن يقولو ـ هى رمز الشر والإثم والغواية، فهى السبب فى الطرد من الجنة عندما غوت وأكلت من الشجرة المحرمة ـ وهى شجرة المعرفة والكتاب المقدس ـ ثم أغوت آدم فأكل منها هو الآخر. وهى طبقا لرواية الكتاب المقدس: خُلقت لإشباع رغبات آدم. وهذا يضعها فى موضعها الذى لا نعرفه فى التراث اليهومسيحى. أما النص القرآنى عن الخلق والهبوط لخلافة الله على الأرض، فهو ليس عقابًا ولا طردًا من الجنة، وإنما كانت كذلك المشيئة الإلهية. وليست حواء مسؤلة عن الأكل من الشجرة المحرمة ـ وهى فى النص القرآنى شجرة الخلد وملك لا يبلى، وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم تكريما للعلم الى أودعه الله آدم ـ إنما وسوس الشيطان مرة= =لآدم وحواه، ومرة لآدم، فإما هما مشتركان فى الإثم، أو آدم وحده، وقد تاب الله عليهما من ذلك الإثم. يمكن للقارئ الذى يريد الاستزادة قراءة: «قصة الخلق والخروج من الجنة فى التوراة - القرآن» ـ عادل المعلم، «أصول التطرف واليمين المسيحى وأمريكا» والكتابان من اصدارات مكتبة الشروق الدولية ـ المترجم.

- لماذا لم تسمح أمريكا لإسرائيل بشن حرب على الإرهاب تمامًا مثلما فعلنا فى كل من أفغانستان والعراق؟

- لماذا منعت وزارة الخارجية الأمريكية عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالية من اعتقال الإرهابيين الثلاثة، الذين كانوا ضمن المجموعة التى كانت فى طريقها لمقابلة الرئيس بوش فى كروفورد بتكساس، وذلك بعد هجمات ١١ سپتمبر بسبعة أشهر ونصف؟

- لماذا أهمل الرئيسان كلينتون وبوش تقرير لجنة الأمن القومى الأمريكى والذى أكد على «أنه من المحتمل أن يموت عدد كبير من الأمريكيين على الأراضى الأمريكية، ذلك التقرير الذى تلقاه كل منهما قبل هجمات سپتمبر بوقت كافٍ؟

- لماذا لا يتحدث أحد عن القنابل النووية المصغرة بحجم حقيبة اليد، تلك التى فقدت من الاتحاد السوفيتى السابق، أو عن أسلحة الدمار الشامل التى نقلها «صدام حسين» خارج العراق من خلال سوريا قبل عملية تحرير العراق؟ من الذى حصل على تلك الأسلحة الفتاكة المفقودة، وما الذى يخطط له هؤلاء الذين وقعت تلك الأسلحة فى أيديهم ؟

- لماذا دعت شعوب العالم لعقد مؤتمر فى ٢٠٠١ حول العنصرية ليصبوا غضبهم على إسرائيل؟ لماذا تم مهاجمة أمريكا بعد سبعة أيام فقط من انسحابها وإسرائيل من المؤتمر تعبيرًا عن احتجاجها؟

- لماذا يتصدر كتاب هتلر «كفاحى» قائمة الكتب الأكثر مبيعًا فى العالم الإسلامى وذلك بعد موت هتلر بخمسين عامًا؟ ولماذا يستخدم هذا الكتاب كمنهج يدرس للتلاميذ بالمدارس الإسلامية بالشرق الأوسط؟

- لماذا أراد «هتلر» طرد اليهود من ألمانيا؟ ولماذا بذلت الولايات المتحدة الأمريكية قصارى جهدها للإبقاء على اليهود هناك، حتى تمت إبادة ستة ملايين منهم؟

- لماذا أغلقت باقى دول العالم حدودها أمام اليهود عندما احتاجوا إلى مساعدات عاجلة عشية المحرقة؟

- لماذا رفض «فرانكلين روزفلت» الاعتراف بما يحدث فى معسكرات الإبادة الجماعية إلى أن فات الأوان؟ وبعد إدانته العلنية لتلك الإبادة، لماذا رفض «روزفلت» قذف «غرف الغاز» فى «أوشفيتز» بألمانيا بالقنابل عندما كانت طائرات الحلفاء تقوم بطلعات جوية روتينية تقريبًا كل يوم، خاصة فى الشهر الأخير من الحرب؟
- لماذا أصبح أحد الأخوين اللذين ساعدا النازى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية وزيرًا للخارجية والآخر مديرًا لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية أثناء رئاسة «إيزنهاور»؟
- لماذا قتل أحد الإرهابيين مرشحًا رئاسيًّا بعد أسبوعين من اغتيال «مارتن لوثر كنج» وذلك فى الذكرى السنوية لحرب حزيران ٦٧ (حرب الأيام الستة)؟ ولماذا احتجز إرهابى اثنين من الديبلوماسيين الأمريكيين وقتلهم عندما رفض الرئيس الأمريكى إطلاق سراح الإرهابى الأول؟
- ولماذا لم يتم القبض على الإرهابى الثانى؟ الذى تقلد فيما بعد مرتبة ديبلوماسية وتمت دعوته مرارا وتكرارا للبيت الأبيض ونال جائزة نوبل للسلام.
- لماذا تمول أمريكا الإرهابيين الذين اسقطوا الهليكوبتر فى مقدشيو وتسلحهم وتدربهم؟
- لماذا وعدت أمريكا نظامًا إرهابيًّا بنصف مدينة القدس، بينما تتوعد النبوءة هؤلاء الذين يقتسمون المدينة باللعنة؟
- لماذا تنفق أمريكا مليارات الدولارات لإعادة إعمار بابل القديمة؟ بينما ٦٢٪ من سكانها «شيعة» والذين قد يحولون العراق مع الوقت إلى إيران جديدة؟ ولقد لعن الكتاب المقدس شعب بابل أكثر مما لعن أى شعب آخر فى العالم بأسره، فهل تبارك أمريكا ما لعنه الله؟

إن مصير أمتنا سوف يتحدد فى الاختبار الأخير. هل ستستمر أول حرب لأمريكا فى القرن الحادى والعشرين ـ أى الصراع فى العراق ـ حتى تنتهى فى أكثر أحداث التاريخ

نبوءة على الإطلاق؟ وهذا سيذكرنا بسؤال حاسم: هل ستختار أمريكا جانب الله فى المعركة النبوءية أو إنها سوف تحارب الله؟ فإذا اختارت أمريكـا الطريق الأخير فسينتهى بها الحال لتكون فى مزبلة التاريخ.

اعتقد بأنه لا يمكننا أبدًا كسب الحرب ضد تلك الكراهية المدمرة دون الدخول فى أربعة قضايا هامة ومحاولة تغييرها إلى الأفضل، ونعرضها فيما يلى:

١ - تتجاهل أمريكا وعن طيب خاطر ذلك الڤيروس الذى يمثل الطاعون المستـمر فى الشـرق الأوسـط ـ كراهية اليهود (معاداة السـامية، مثل تلك التى شـاهدها العالم فى الثلاثينـات من القرن العشـرين) ـ المصحوبة بتعاليـم «هتلر» القائلة بأن اليهود يحكمون العالم (تمامًا كما حدث فى المؤتمر الإسـلامى الدولى فى ماليزيا خلال أكتوبـر ٢٠٠٣). ولهـذا تشـحن أمريكا أسـلحة بمليـارات الـدولارات للأنظمة الكارهة لليهود. تلك الأنظمة التى تستخدم تلك الأساطير الهتلرية عن اليهود من أجل تجنيد جيل جديد من الإرهابيين الانتحاريين لضرب أكبر أعدائهم ـ إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.

٢- لم تكن أحداث ١١ سپتمبر لتحدث أبدًا لو كانت أمريكا قد حاربت نفس التعصب فى التسعينيات من القرن العشرين. بدلًا من محاولتها تهدئة وإرضاء المتعصبين، ولكان ملايين اليهود يعيشون الآن إذا لم يتجاهل العالم معاداة السامية فى العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين. إن الكساد الكبير وغيره من المآسى التى شاهدتها أمريكا قد حدث بسبب غرور أمريكا وتحديها لخطة الله العلى القدير.

٣- يشتعل لهيب الحرب على الإرهاب بسبب تأييد أمريكا للإرهابيين الإسلاميين فى إسرائيل، ولقد شجعها العالم العربى أيضًا لإنقاذ أنظمة حكمهم الاستبدادى، ولم يريدوا أبدًا أن يفعلوا مثلما فعل باقى العالم فيما يتعلق بقضية اللاجئين. وقد نقل العالم العربى هذه العدوى لـ«أسامة بن لادن»، بل أصاب العالم بأسره بعدوى الإرهاب (كما هو واضح من مؤتمر مناهضة العنصرية الذى عقد فى دوربان عام

٢٠٠١، والذى حمّل إسرائيل كل مشاكل العالم، دون غيرها) وإذا استمر هذا التأييد الأمريكى للإرهاب داخل إسرائيل فإننا لا يمكننا أن نكسب الحرب على الإرهاب.

٤- وقعت أمريكا تحت وطأة لعنة الكتاب المقدس، تلك اللعنة التى يمكن غفرانها، وإن القدس هى المصالحة النهائية؛ فإذا قسم الأمريكيون القدس فلن يكون هناك غفران؛ وسينتهى المطاف بأمريكا إلى مزبلة التاريخ.

وُضِعت أمريكا فى كفة الميزان ولم ترجح كفتها لأنها ناقصة. وتشهد مقبرة التاريخ بأن الله ينبذ الأمم التى نبذت كلمته وإرادته الإلهية. فهل يستعد الله لينبذنا إلى الأبد؟ أم هل يقف الأمريكيون الخائفون من الله بحزم ويحولون أمريكا وينقذونها من الهاوية عن طريق قولهم الصدق؟ **لقد حُفرت الكلمات التالية على جدران الصالة الرئيسية لمبنى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية؛ لتصف مهمة المخابرات فى مجتمع حر «وتعرفون الحق، والحق يحرركم» (يوحنا ٨: ٣٢).**

أعتقد بأننا الآن قريبون جدًا من ظهور المسيح، وأن أمريكا ليست فقط فى النبوءة، وإنما أيضًا أحداث ١١ سبتمبر فى تلك النبوءة. وأعتقد أن الولايات المتحدة تعرضت لتلك الهجمات بسبب تعاهدها الآثم مع أحفاد ابن إبراهيم الأكبر إسماعيل، وأقصد الدول العربية، وخاصة تلك الدول التى تقودها جموع أصولية إسلامية أو تؤثر فيها بشكل كبير. والسواد الأعظم من هذه الأنظمة يتسم بتشدده وهمجيته وتعصبه وما زال يعيش فى العصور المظلمة، وهم متفرغون تمامًا لتدمير إسرائيل الحليف الآخر للولايات المتحدة.

إن مصير أمريكا سوف يتقرر فى الأختبار النهائى، فقد حان وقت التوبة!

يعطينا أى شخص يتحدث عما نواجهه اليوم إحساسًا بأن الأحداث تتلاحق بسرعة متجهة نحو نتيجة مجهولة. **حيث قال بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت أمام لجنة الإصلاح الحكومى داخل مجلس النواب الأمريكى فى العشرين من سبتمبر عام ٢٠٠١ «إن أحداث ١١ سبتمبر كانت دعوة لليقظة قادمة من جهنم فتحت عيوننا على الفظائع التى تنتظرنا غدًا إذا لم نتحرك اليوم» ...**[١٤].

الفصل الثانى

أمريكا وشجرة التين

«لا شىء يضاهى بؤس ومعاناة اليهود الذين كانوا على الدوام أهدافًا لظلم المسلمين وتشددهم»

كارل ماركس.
نيويورك دايلى تريبيون
١٨ ابريل / ١٨٥٤م

«فإن الرب القدير يقول إنه أرسلنى إلى الأمم التى سلبتكم إعلاء لمجده؛ لأن من يمسكم يمس حدقة عينه».

(سفر زكريا ٢ – ٨)

إن نهر النبوءة ملئ بالشلالات والجنادل والدوامات والتيارات التحتية الخفية، وغالبًا ما يرتبط نهر النبوءة بالعلامات التى سوف نراها طوال طريقنا أكثر من ارتباطه بتفاصيل كيفية وقوع الحدث الذى تنبأ به، فتمامًا مثلما تتجه تيارات الأحداث وكأنها تتصادم وتتصارع فى خضم هذا النهر، تارة تبدو مندفعة بقوة للأمام ثم لا تلبث أن تسكن وتهدأ، وتارة أخرى تتراجع وتختفى لتعود مستجمعة قواها بعد فترة قصيرة ثائرة متلاطمة، أو حتى تختفى عن مرمى بصرنا على السطح لتعود كتيارات تحتية عميقة يصعب اكتشافها، فكذلك أيضًا الحال مع اتجاه النبوءة نحو التحقق على أرض الواقع، وهذا يجعل تحديد موقعنا والنقطة التى وصلت إليها سفينتنا وسط هذا النهر العاصف أمرًا محيرًا، فمن السهل أن نضل الطريق إذا ما نظرنا فقط إلى تيارات المياه الظاهرة على السطح، ولا يمكننا تقدير مدى التقدم الذى أحرزناه فى النهر ما لم نقدر ذلك التقدم قياسًا بالبر. وهذا هو السبب الذى من أجله أعطانا الله «علامات» نستدل بها على طول امتداد النهر ليسمح لنا بمعرفة الأخطار التى يخبئها لنا القدر أثناء رحلتنا، وبالتالى إذا أمعنا النظر فى الظروف المبدئية التى أوصلتنا إلى حيث انتهينا، آخذين فى الاعتبار كيف وصلنا إلى هذه العلامات التى تجاوزناها بالفعل، فسوف يكون من الأسهل لنا حينئذ التعلم من دروس الماضى وفهم كيفية التعامل مع الشلالات والتيارات التحتية الخفية التى تنتظرنا مستقبلًا، وإذا فهمنا تحقق النبوءة وسط تيارات الأحداث خلال القرون القليلة الماضية، ورؤية كيف ترتبط أحداث الأمس بنمط أحداث اليوم، استطعنا البدء فى رؤية ما تخفيه نبوءة الكتاب المقدس لأمريكا من مفاجآت...

لقد أصبحت أمريكا اليوم فى ذروة قوتها، وينظر الجميع لها على أنها زعيمة العالم ـ بمعنى أنها حاضرة فى خضم الأحداث التى سوف تشكل مصير العالم خلال العصور النهائية. تحقيق مستقبل أمريكا لن يكون فى المناقشات البيروقراطية العقيمة، وإنما فى فهم

كلمة الله، وما يفعله الله، ويقوله، وهو يترقب المعركة النهائية التى ستطرد الشر وتقضى عليه لألف عام قادمة.

ينظر الكثير من الناس إلى النبوءة ويفكرون أنه طالما كان مُقدرًا لهذه الوقائع أن تحدث فلا مانع أن يجلسوا باسترخاء وينتظرون ما سيحدث، وأنا لا أوافقهم هذا الاعتقاد. وكما كان الحال فى أيام نوح، فلقد استمر الكثير من الناس فى الأكل والشرب، والـزواج، دون أن يدركوا أكانت النكبة أم النجاة على الأبواب، من منا سوف يُسمح له بركوب السفينة، نحن وحدنا أصحاب القرار.

وإذا كان الكثير من الناس يعتقد أن تحقق نبوءة الكتاب المقدس عمل سيادى من أعمال الله، فإن الكتب المقدسة نفسها تشير إلى أنه يمكننا الاختيار بين أن نكون فى الجانب المبارك أو الجانب الملعون من النبوءة. وعندما كان الله على وشك تدمير سادوم وعاموره قال لنفسه: «هل أخفى على إبراهيم ذلك الشىء الذى سأفعله بقومه المشركين؟»[1]

شعر الرب بأنه لا ينبغى أن يتخذ أى حكم يتعلق بقوم إبراهيم دون أن يعطى خليله إبراهيم الحق فى الشفاعة لهم.

وبينما كان «دانيال» يقرأ فى كتاب النبى «إرميا» ذات يوم فى شيخوخته، صادف أحد الأسفار التى تقول «ولكن بعد انقضاء سبعين سنة عليكم فى بابل، التفت إليكم وأفى لكم وعودى الصالحة بردكم إلى هذا الموضع»[2] (سفر إرميا ١٠: ٢٩) وقام دانيال بعملية حسابية سريعة ووجـد أن أكثر من سبعين عامًا قد مرت ولازالت إسرائيل واقعة فى ذل العبودية تحت حكم بابل، لذلك فقد داوم على الصـلاة واسترجع بذاكرته وعد الله له. وهكذا رق قلب الملك البابلى «قورش» مؤسس الإمبراطورية الفارسية (٥٥٠-٥٢٩ ق.م) وأعطى الإذن لـ«نحميا» لإعادة بناء القدس والهيكل.

وكما قال المسيح نفسه:

«أنتم أحبائى إن عملتم بما أوصيكم به. لا أسميكم عبيدا بعد، لأن العبد لايطلعه سيده على ما يفعله لكنى قد سميتكم أحباء لأنى أطلعتكم على كل ما سمعته من أبى».

(إنجيل يوحنا ١٥: ١٤ - ١٥)

وبما أننا أصدقاء المسيح، فينبغى لنا أن نعرف ما الذى يخططه الله لأمتنا فيما يتعلق بأحداث النبوءة لذلك يجب علينا المداومة على الصلاة مثلما كان الحال مع دانيال، فإن الله يحتاج إلى شخص يتفق معه ويحول وعوده إلى حقيقة، وينفذ خطته على الأرض.

لقد أخبر المسيح حوارييه فى قصة شجرة التين (متى ٢٤: ٣٢-٤٤) بأننا عندما نبدأ فى رؤية الأحداث التى أخبرنا بها الله من قبل (فى إصحاح ٢٤ من انجيل متىّ) فستكون تلك الأحداث مؤشرات على أوان نهاية هذا العصر. مثلما يدل ظهور الأوراق الجديدة لشجرة التين على قرب قدوم فصل الصيف، وأن الجيل الذى رأى تلك الأشياء سوف يرى أيضًا وقت تحقيق تلك النبوءة، ولنتأمل معًا اللحظة التى قال فيها المسيح، إنها سوف تحدد نهاية العصر وعودته مرة أخرى:

«فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين إنى أنا هو المسيح فيضللون كثيرين، وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب. فإياكم أن ترتعبوا! فلا بد أن يحدث هذا كله، ولكن ليست النهايه بعد. فسوف تنقلب أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتحدث مجاعات وزلازل فى عدة أماكن. ولكن هذه كلها ليست إلا أول المخاض. عندئذ يسلمكم الناس إلى العذاب، ويقتلونكم، وتكونون مكروهين لدى جميع الأمم من أجل أسمى؛ فيرتد الكثيرين ويسلمون بعضهم بعضًا ويبغضون بعضهم بعضًا، ويظهر كثيرون من الأنبياء الدجالين و يضللون كثيرين.» (إنجيل متى ٢٤: ٥ - ١١)

شهد القرن العشرين تدهورًا وإنخفاضًا كبيرًا فى عضوية الطوائف الدينية البروتستانتية الرئيسية، ولم يكن هذا التدهور فى نوعية أعضاء وجماهير الكنيسة فقط، وانما شهدت العقود القليلة الماضية انحرافًا عن العقيدة التاريخية، وكشفت الدراسات الأمريكية أن مابين اثنين إلى خمسة ملايين من الشباب الراشدين الذين تتراوح أعمارهم ما بين الثامنة عشر إلى العشرين عامًا إنقسموا اليوم إلى ما يقرب من ألفين إلى خمسة آلاف جماعة دينية فرعية.[٣]

وقد تخلت الكثير من الكنائس وطوائف دينية بأكملها عن تعاليم الصدق بالكتاب المقدس، وخير مثال على ذلك تنصيب أسقف شاذ جنسيًا فى الكنيسة الأسقفية

البروتستانتية، وهى حركة مثيرة للجدل تهدد «وحدة الطائفة» وليس عندى أدنى شك فى أن المبجل «روبنسون» «قس كنيسة نيوهامپشاير» قد التزم بعقيدته بإخلاص ويريد مساعدة أهالى «إبراشيته»، والمشكلة هى أن أسلوب حياته يتناقض تماما مع الكتاب المقدس، والله لا يكره الشواذ، فهو أبعد ما يكون عن ذلك ـ ولكن الله لا يريد أن يقود هؤلاء الشواذ جنسيًا أتباع كنيسته.

ولم تكن هذه مشكلة جديدة، فلقد كان لدى الكنيسة فى «كورنثوس» الشواذ جنسيًا والزنا والسكارى، إلا أنهم قد أقلعوا عن أسلوب حياتهم السابقة، ونبذوه عندما قبلوا المسيح واعتبروه منقذهم.

«أما تعلمون أن الظالمين لن يرثوا ملكوت الله؟ لاتضلوا: فان ملكوت الله لن يرثه الزنا ولاعابدو الأصنام ولا الفاسقون ولا المتخنثون ولا مضاجعو الذكور ولا السارقون ولا الطماعون ولا الشتامون ولا المغتصبون. وهكذا كان بعضكم، إلا أن أنكم قد اغتسلتم، بل تقدستم، بل تبررتم، باسم الرب يسوع المسيح وبروح إلهنا».

(الرساله الأولى إلى مؤمنى كورنثوس٦: ٩-١١)

«وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب، فاياكم أن ترتعبوا فلابد أن يحدث هذا كله، ولكن ليست النهاية بعد، فسوف تنقلب أمة على أمة، ومملكة على مملكة. وتحدث مجاعات وزلازل فى عدة أماكن».

(متى ٢٤: ٦ - ٧)

وإن كل ما بوسعنا فعله هو مجرد تشغيل اى قناة أخبار تعمل ٢٤ ساعة لسماع أخبار عن مثل هذه الحروب وتلك الإشاعات عنها. فمنذ متى وقنوات الأخبار تبث إرسالها طوال ساعات اليوم؟ إن أولى هذه القنوات هى «سى إن إن» التى بدأت بثها منذ عام ١٩٨١ وهى تنقل يوميًا أخبارًا عن الهجمات الإرهابية والمعارك المستمرة ضد الإرهاب.

«فسوف تنقلب أمة على أمة، و مملكة على مملكة وتحدث مجاعات وزلازل فى عدة أماكن». (متى ٢٤: ٧)

هناك قارة كاملة هى أفريقيا تعانى من الجفاف والحرب والفقر والأوبئة.

وعلى الرغم من طول العمر المتوقع للناس، إلا أن الأمراض الجديدة مثل الإيدز وغيرها من الأمراض المنقولة جنسيًا، تدمر الشعوب وكذلك الفيروسات مثل «غرب النيل» ومرض «سارس» نشرت الهلع والذعر بين كثير من الناس. إن معرفتنا بهذه الأمراض أفضل من ذى قبل، كما أن لدينا تكنولوچيا وأساليب علاجية أفضل، ولكننا فى الوقت نفسه نواجه أيضًا الأوبئة، وتزيد معدلات الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية والسكر والزهايمر بصورة وبائية.

ومنذ عام ١٩٠٠م تعرض العالم لمئات الزلازل المختلفة التى قُتل فى كل منها ألف شخص أو أكثر، وفى تاريخ العالم وقع حوالى ٢١ زلزالًا قُتل فى كل منها خمسين ألف شخص أو أكثر، وقد وقع أكثر من نصف هذه الزلازل فى القرن الماضى فقط[٤]. حيث وقع زلزال فى إيران فى ديسمبر عام ٢٠٠٣ وتسبب فى قتل ما يقرب من ٣٠ ألف وإصابة ٣٠ ألف آخرين، كما تسبب فى تشريد حوالى ١٠٠ ألف شخص، وفى نفس ذلك اليوم وقعت عدة زلازل أخرى فى «منطقة حزام النار» تزيد عن ٥ درجات بمقياس ريختر، وإن كانت غير مرتبطة ببعضها.

* «سوف يزيد الاضطهاد» (متى ٢٤: ٨-١٠)

إن ما يزيد عن ٦٥٪ تقريبًا من اجمالى ٦٩,٥ مليون مسيحى الذين ماتوا من أجل عقيدتهم قد ماتوا فى القرن العشرين وحده، ويموت الآن يوميًا ما يقرب من ٤٣٥ مسيحيًا من أجل عقيدتهم[٥].

* «وإذ يعم الإثم، تبرد المحبة لدى الكثيرين» (متى ٢٤: ١٢)

وشاهدت هذا التدهور والانحطاط المتنبأ به فى حياتى، وها هو اليوم يزداد بسرعة هائلة، وقد ظهر مؤخرًا انفصال بين الروحانية الشخصية وبين روحانية الكنيسة أو المعبد اليهودى. وأظهرت نتائج استطلاع الرأى أن أكثر من ٩٠٪ من الأمريكيين يقرون بإيمانهم بالله ويقول أكثر من ٦٠٪ منهم بأن الدين هام جدًا بالنسبة لحياتهم الشخصية ؛ ولكن ٤٣٪ فقط من الأمريكيين هم الذين ينتظمون فى الذهاب إلى الكنيسة أو المعبد اليهودى[٦].

واستخدم الليبراليون « حرية الرأى » لتبرير كل عمل منحرف وغير أخلاقى. ونقلوا ما كان يتم فى الخفاء ليفعلوه فى الشوارع علانية بلا حياء، وفى الوقت نفسه أصبح المسيحيون فى الولايات المتحدة أقل ثقة بأنفسهم، وانقلبت الثقافة ضد الرب، وتزايد تراجع التعليم المسيحى فى مدارسنا ومجتمعاتنا.

وفى هذه الأثناء امتلأت مقاعد الكنائس بمن يجهلون تعاليم الكتاب المقدس، لماذا؟ لأن الكنائس قد تخلت عن تعاليم الدين المسيحى مقابل الشعور بالسعادة والاستمتاع! ونحن نهتم بالموسيقى التى نغنيها أكثر مما نهتم ونسمع تعاليم الكتاب المقدس، ونحن نحاول بالحسنى إدخال الآثمين لبيئة الكنيسة. أرجو ألا تسيئوا فهمى، فأنا أحاول الوصول إلى هؤلاء الذين نسوا الله لأن تلك هى مهمتنا النبيلة ـ ولكن هناك خطًا رفيعًا يفصل بين بناء جسر ليعبر عليه الضائعون، وبين التهاون مع صدق عقيدتنا. إن مسيرتنا تأمرنا بأن نتجه نحو العالم لنصنع الحواريين ونعمدهم.... ونعلمهم الإلتزام بكل شىء[٧] أمرنا به الله [«فأذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس» متى (١٩ : ٢٨)]. وأن الهدف ليس المتحولين إلى ديننا فقط، وإنما الهدف هو الحواريون. إن عمل الحواريين تتطلب ما هو أكثر من مجرد رسالة انجيلية مغزاها «لا تقلق وكن سعيدا»، فهى مهمة تتطلب وعظ إيمانى بجميع آيات الكتاب المقدس بما فى ذلك الأجزاء التى يصعب علينا سماعها والتى تثير الشعور بالذنب فى قلوبنا.

«ولكن الذى يثبت حتى النهاية، فهو يخلص. فسوف ينادى ببشارة الملكوت هذه فى العالم كله، شهادة لى لدى الأمم جميعًا. وبعد ذلك تأتى النهاية.»

«إنجيل متى ٢٤: ١٣ - ١٤»

وإذا كانت هناك علامات نبوءية أخرى عن نهاية العالم التى تنبأ بها الكتاب المقدس، فأننى أعتقد بأن تلك العلامات المذكورة كافية لكى تجعلنا نرى بأن الوقت الذى تحدث عنه المسيح قد حان، لكننا لانعرف بالضبط اليوم ولا الساعة، الا أن اوراق شجرة التين بلا شك تنمو وتزدهر. فقد حان الوقت لنفهم مغزى أحداث اليوم وموقف أمتنا [الأمريكية] المحفوف بالمخاطر بين ولدى ابراهيم «إسماعيل وإسحاق [العرب واليهود]، وذلك لكى نعرف ماذا ستفعل بنا الأيام المقبلة».

ولكى نفعل ذلك يجب علينا أولا معرفة المراحل التى مر بها تاريخ الإنسانية، وفقا لنبوءة الكتاب المقدس كما فسرها هؤلاء الذين كرسوا كثيرًا من حياتهم لفهم ودراسة هذه المراحل التاريخية، وإليكم معظم وأهم نبوءات الكتاب المقدس، قديما وحديثا، والتى تتعلق بنجاة شعب الله.

* الظهور الأول للمسيح: فى (إشعياء ٥٣ - المزامير ٤١: ٩؛ ٥٥: ٢-١٤، زكريا ٩: ٩؛ ١٣: ٧).

موت يسوع على الصليب وبعثه مرة أخرى: (فى إرميا ٣١: ١٥ - المزامير ٢٢)

* صعود المسيح الى السماء بجانب اليد اليمنى من الرب ومنح هذه الروح المقدسة للكنيسة (يوحنا ٢٠: ١٧).

* تدمير الهيكل و القدس (إنجيل متى ٢٤: ١-٢).

* بعثرة اليهود على أمم الأرض (التكوين ٤٩: ٧ - اللاويين ٢٦: ٣٣، سفر نحميا ١: ٨).

* إعادة تأسيس دولة إسرائيل (إشعيا ١١: ١، ٣٥: ١٠، إرميا ٣١: ١٠).

* النشوة (رسالة أهل كورنثيون الاولي١٥: ٥١ - ٥٢ تسالونيكى الأول ٤: ١٦، لوقا ١٧: ٣٤).

* معاهدة السلام المستمرة لسبع سنوات بين عدو المسيح وإسرائيل وعصر بداية الضيقة. (دانيال ٩: ٢٧).

* مهاجمة قبيلتى يأجوج ومأجوج لإسرائيل (غالبًا روسيا، أو قوى الإئتلاف التى تقودها روسيا أو ربما بعض جمهورياتها السابقة) ولكن قوة ونفوذ الله قد هزمتهم.
(سفر الرؤيا ٢٠: ٨)

* إعادة بناء الهيكل (سفر حزقيال ٤٣: ٢ - ٥، ٤٤: ٤؛ أعمال الرسل ١٥: ١٣ - ١٧).

* انتهاك «عدو المسيح» لحرمة المعبد «تشير الى بداية الضيقة العظيمة لثلاث سنوات ونصف». (دنيال ٩: ٢٧).

* المعركة الكبرى الفاصلة بين قوى الخير والشر (هرمجدون) (سفر الرؤيا ١٨)(*)

* ظهور المسيح للمرة الثانية (تسالونيكى الأول ٤: ١٦ -١٧؛ أعمال الرسل ١: ١١؛ متى ٢٤: ٣٠ ؛بطرس الأولى ١: ٧؛ ٤: ١٣).

* الألفيـة (الرؤيا ٢٠: ١ - ٥).

* تحرر الشيطان مرة أخرى لموسم (الرؤيا ٢٠: ٦ - ١٠).

* حكم العرش العظيم الأبيض (الرؤيا ٢٠: ١١ - ١٥).

* الأبدية والخـلود.

وبالنظر إلى تلك العلامات الإرشادية التى تنير لنا طريق النبوءة، نجد أن هناك علامتين يجب علينا ملاحظتهما من أجل تحديد موقعنا وسط هذه السلسلة من الأحداث، ولمعرفة متى وكيف حدثت تلك الأحداث. أولهما، إعادة بناء دولة إسرائيل فى ١٤ مايو ١٩٤٨، وهو أكثر أحداث النبوءة دلالة وأهمية على الإطلاق منذ تدمير الرومان للهيكل والقدس عام ٧٠ م. وثانيهما، أن مستقبل أمريكا يتوقف على عتبة حدث من اثنين:

(١) الأمل المبارك، والنشوة التى تعقبه (٢) الجحيم الملعون للضيقة. وإذا ما قرأنا العلامات الإرشادية عبر الزمان بطريقة صحيحة»، فانه من المحتمل أن تحدث تلك الأحداث فى القريب العاجل، بل ويمكن أن تحدث فى جيلنـا. وعلى الرغم من أن نبوءة الكتاب المقدس قد أخبرتنا بهذه المرحلة لدرجة أن الكثير منا فقد بصيرته بقرب حدوثها، ولكنها مع ذلك نبوءة صحيحة اذا ما قرأنا الكتاب المقدس بصورة صحيحة.

ونظرًا لما قاله المسيح: «عندما ترى كل هذه الأشياء فاعلم أن النهاية قريبة» عند الأبواب!. إن هذا الجيل لن يموت بأى حال من الأحوال حتى يشاهد تلك الأشياء

(*) هكذا جاءت فى نص الكتاب، ولكن نص سفر الرؤيا، جاء ذكر هرمجدون فى الإصحاح ١٦ الآية ١٦ - المترجم.

تتحقق»[8]. ويبدو أن الأحـداث التى نراها حاليـا فى الشرق الأوسط تعد المسرح وتهئ الأجواء لما سيحدث فى العالم أثناء الضيقة.

وهناك شيء آخر علينا أن نلاحظه هو أنه يوجد تياران للخلاص يتدفقان فى نهر النبوءة: أحدهما، وفقًا للعهد القديم، والتيار الآخر وفقًا للعهد الجديد. وذلك لأنه يوجد تياران اثنان يمثلان شعب الله - اليهود والمسيحيون؛ إسرائيل والكنيسة. ولأن هذين التيارين غالبًا ما يتدفقان ويمتزجان معًا، فإن الكثير من الناس أخطأوا الاعتقاد وتخيلوا بأنه يوجد تيار واحد فقط، ولكن بالنظر إلى نبؤات أحداث نهاية العالم، فإن الإختلافات بين هذين التيارين أصبحت هائلة. بالتأكيد فإن هذين التيارين ماهما إلا تيار واحد فى نهاية المطاف فى الجنة، ولكن حتى يتحقق هذا الإمتزاج، سيظل على الله التزامًا بأن يتعامل بصـورة فريدة وبشكل مختلف مع قوم إسحاق، وذلك بسبب عهده مع إبراهيم. وبالرغم من أن العهد الجديد قد حل محل العهد القديم وأكمله إلا أنه لم يلغه.

وهذا يفسر لنا وجود العديد من الأشياء على هذه القائمة من العلامات الإرشادية التى تنطبق وبشكل لا مثيل له على إسرائيل. وهذا منطقى، فمع دخول هؤلاء المؤمنون بالله إلى مرحلة الانتشاء أو النشوة؛ فإن خلاص بقية سكان العالم يقع على عاتق اليهود. ويتضح هذا فى حقيقة أن الروح المعادية للمسيح والتى كانت نشيطة فى القرن الماضى، هى أيضا نفس الروح المعادية للسامية. وبينما كان القرن العشرين هو أقسى فترات الاضطهاد المسيحى فى تاريخ العالم، فقد كان أيضًا الوقت الذى شهد محرقة النازى لليهود ومذابح الروس للتخلص من اليهود.

أما اليوم، فإن أعظم أمثلة الإضطهاد الدينى ضد المسيحيين تحدث فى الدول الإسلامية الأصولية فى ظل تطبيق الشريعة الإسلامية؛ كما حفلت وسائل إعلام هذه الدول بكراهية اليهود، وهذه هى الجمرة الملتهبة التى تخفى نيران المعاداة للسامية ولهيب الارهاب تحت سطحها المسالم. وهذه الروح المعادية للمسيح، التى ستحوى يومًا ما أطلق عليها يوحنا: «عدو المسيح» كانت خلف أخطر التهديدات للحرية التى شاهدناها فى القرن الماضى، وهى الفاشية والنازية والشيوعية، والآن هى «الوهابية» التى

تمثل أسلوب الإسلام المتطرف الذى يدعم هياج الإرهاب. وإذا تأملنا هذه الاتجاهات بصورة صحيحة، فسنجدها تمثل أيضًا الروح التى تقف خلف مذهب النسبية الليبرالية العلمانية التى تحاول اليوم إسكات صوت الله فى أمريكا. وكما كانت هذه الروح تصيب من حين لآخر قطاعات عديدة من الكنيسة، وتحولها إلى الإرتداد عن العقيدة (مثلما يحدث اليوم)، فإنها هى أيضا الروح المحرضة لمعاداة السامية مثلما حدث فى الماضى، وعلينا أن لا ننخدع بما يبدو عابرًا. ستكون الكنيسة الحقيقية دائمًا الكنيسة التى تتبع روح المسيح وتظهر نعمته وهباته الحقيقية، وليس هؤلاء الذين انهمكوا وكرسوا حياتهم فى نشاط الإصلاح السياسى، بدلًا من التقرب إلى الله لكى يهديهم إلى الطريق السليم.

وتظهر أمريكا بوضوح فى نهر هذه النبوءة، وكذلك الأردن (الممثلة للشعوب القديمة وأراضى عمون مؤاب، وأدوم (عيسو، الأخ الأكبر ليعقوب) ومصر وايران (فارس المذكورة بالكتاب المقدس) والعراق (بابل المذكورة بالكتاب المقدس)، والاتحاد الأوروبى (العشرة أصابع التى أُعيد توحيدها من الإمبراطورية الرومانية)، وروسيا (روش)، والمملكة العربية السعودية (شيبا وديدان) من بين دول أخرى مذكورة فى الكتاب المقدس. افترض البعض بأن تكون أمريكا مذكورة فى النبوءة، بوصفها «الشعب طويل القامة، ناعم البشرة» الذين يخافهم الآخرون فى شتى أنحاء الأرض وهى دولة قاهرة ذات لغة غريبة وتقسم الأنهار أراضيها»[٩] أو بوصفها «أسد ترشيش»[١٠] أو بوصفها «جناحى نسر عظيم»[١١] او حتى بوصفها بابل الروحانية فى آخر الزمان. وفى الحقيقة يعتقد قادة الإنجليكيين أمثال المبجل دايفيد ويلكرسن، قس كنيسة ميدان التايمز فى مدينة نيويورك، أن أمريكا هى بابل فى (سفر الرؤيا ١٨) وإن مدينة نيويورك هى العاصمة الروحانية لبابل. وتعالوا نتأمل سويًا للحظة واحدة، ونبحث كيف وصفت الأمة الأمريكية بأنها ستكون بابل الروحانية الجديدة:

(١) إنها أمة من المهاجرين «الرؤيا ١٨: ١٥».

(٢) إنها مدينة ثقافية «الرؤيا ١٨: ٢٢».

(٣) لها ميناء بحرى عميق «الرؤيا ١٨: ١٧ - ١٩».

(٤) إنها تمتلك ثروة العالم «الرؤيا ١٨: ١٥ - ١٩»، «إرميا ٥١: ١٣».

(٥) إنها آخر قوة عظمى على وجه الأرض (بابل العظيمة) «الرؤيا ١٧: ٥».

(٦) سوف يجتمع فيها زعماء العالم «النبى إرميا ٥١: ٤٤».

(٧) سوف تكون شرطى العالم «النبى إرميا ٥٠: ٢٣».

(٨) قوة عسكرية برية، وقوة جوية، ومهبط للسفر الجوى «إشعيا ١٨: ١».

(٩) ستبدو وكأنها مرتبطة بالفضاء الخارجى «إرميا ٥١: ٥٣».

(١٠) سوف تمتلك بعض أنواع التكنولوچيا الخفية (طائرات الشبح) «إشعيا ٤٧: ١٠ - ١٣»[١٢].

وعلى الرغم من أن هذا الوصف قد يكون ممكنًا إلا أننى أعتقد بأن لأمريكا حاليًا مسار آخر. وكما يقول الكتاب المقدس «بوركت الأمة التى يكون إلهها هو الرب»[١٣]، وأن «الفضيلة هى التى ترتقى بالامة والخطيئة تلحق بها الخزى والعار»[١٤]. إن سياستنا ومسيرة أمتنا هى نتيجة لما يكمن فى قلوبنا - إنهما لايقرران مافى قلوبنا - فإذا ما أردنا من الله أن يطهر ويبارك أرضنا، فإن الأمر لا يتعلق فقط بتصحيح سياستنا الخارجية والداخلية، وانما الأمر يتعلق أيضا بقضية الكنيسة فى الولايات المتحدة ونبذ مذهب النسبية الأخلاقية والسعى بلهفة لطلب مرضاة الله وحده. إن معركتنا ليست صراع بين الثقافة المسيحية والثقافة العلمانية، ولكنه صراع بين الخير والشر، بين روح المسيح والروح المعادية للمسيح، بين ظهور السيد المسيح فى عالمنا وبين أن نشعر بالقناعة والرضا الذاتى بالروحانية والعقيدة الفاترة. **إن جذور أمريكا ثبتت بإحكام فى النقاء الأخلاقى للكتاب المقدس وللصلاة. وإذا دعونا الله أن يطهر أرضنا ويرفع عنها اللعنة، فعلى أمريكا أن تتحالف مع إسرائيل، وتساعدها فى النهوض فى آخر الزمان، لا أن تبتلع وتذوب فى روح العالم التى سوف تضع الأمريكيين على الجانب الخاطئ فى معركة «هرمجدون».**

وربما لن يحدث إزدهار للكنيسة غدًا. إلا أن الكتاب المقدس يحثنا ويقول:

«فاستدعى عبيده العشرة، وأودعهم عشر وزنات، وقال لهم تاجروا إلى أن اعود». ٣
(انجيل لوقا ١٣ : ١٩)

هناك أشياء نستطيع فعلها لتحقيق السلام فى عالمنا، ولكسب الحرب على الإرهاب، ولكى نستمر فى المحافظة على استمرار الوضوح الأخلاقى فى تعاملاتنا مع «إسماعيل» ورفض التهاون فى مبادئنا من أجل البترول. ويمكننا بمساعدة الرب إنجاز ما لم تنجزه أى أمة أخرى أو حتى تحلم بانجازه، ولكن لا يمكننا تحقيق ذلك بدون تصحيح مسيرتنا، فقد حان الوقت لإعادة توجيه بوصلتنا الأخلاقية نحو اتجاهها الصحيح. فالكنيسة تحتاج إلى تكوين هيئة يقودها جماعة من المؤمنين عاقدى العزم على أن يمثلوا النور والأمل فى مواجهة عالم ينتشر فيه الظلام واليأس.

وإن موقعنا الآن مثل موقف النينويين فى رسالة يونس، فعلينا أن نختار بين الإستمرار فيما نحن فيه ونتخلى عن الله، أو أن نتوب ونستعيد الحياة لأرواحنا. فنحن الآن فى مفترق الطرق، ولكن الأكثر أهمية من ذلك أننا مستهدفين بالشر من هؤلاء الذين يكرهون المسيحيين واليهود، وكل ما ترمز إليه شعوب الولايات المتحدة وإسرائيل، ويجب علينا الرد على هؤلاء بصورة روحانية وطبيعية على السواء، بالحب المسيحى والرحمة، وكذلك بالحكمة السياسية المبنية على أساس الصفاء والأمانة الأخلاقية، وهذه دعوة تستحق الإهتمام وتعتبر أقوى من دعوة الإستشهاد فى العمليات الانتحارية. وحتى نعيش بعقيدة أقوى من التى يموت بها هؤلاء الإنتحاريون، فإن جيلنا لن يرى أى شىء مما يريد الله أن ينجزه.

ولو أن الكنيسة قد امتثلت للمهمة العظيمة لكى تكون شاهدا على الله فى أورشليم ويهوذا والسامرا (الضفة الغربية) لما كان، المتطرفون المسلمون من أمثال حركة حماس أبدًا ليقدروا على إفساد عقول الأطفال بكراهيتهم لليهود والمسيحيين(*) وبدلاً من ذلك، فإنهم سيكونوا مسيحيين يملئهم الحب. والحقيقة أن المسيحيين الفلسطينيين لايفجرون

(*) لا تكره حماس أطفال الفلسطينيين المسيحيين، وإنما كلهم يكرهون، ويقاتلون الاحتلال اليهودى لأراضيهم، وفى الواقع فإن يهود إسرائيل هم الذين يكرهون ويظلمون ويضطهدون المسلمين والمسيحيين على السواء من الفلسطينيين ومن أبرز قادة المقاومة الفلسطينية مسيحيون حنان عشراوى والراحل إدوارد سعيد، وعزمى بشارة، وجورج حبش، والاسماء كثيرة وفوق الحصر ـ المترجم.

أنفسهم ولا يقتلون اليهود، ولكان الإحياء قد انتشر عبر الشرق الأوسط ولما كانت حدثت تفجيرات ١١ سبتمبر.

فهل تخلت الكنيسة عن أمتنا وعن الله؟ وهل تعتبر الكنيسة أكثر إثمًا من «بيل كلينتون» فى عيون الله؟ هل فات الأوان؟ لا، لم يفت الأوان بعد. ولكن إذا كانت كنيسة المسيح تنوى التوبة والخضوع للمهمة العظيمة بدلًا من الإستمرار فى الإنغماس فى «اللامبالاة العظيمة» فإن الوقت مازال أمامها.

وأنا أدعو بأن يبدأ القساوسة بالتبشير بالظهور الثانى «للمسيح»، وهو أمر لا يحتمل أى تأخير. إن الإنجيل يخبرنا «**وهى تعلمنا بأن نقطع علاقتنا بالإباحية والشهوات العالمية، وأن نحيا فى العصر الحاضر حياة التعقل والبر والتقوى، فيما ننتظر تحقيق رجائنا السعيد، ثم الظهور العلنى لمجد إلهنا و مُخلصنا العظيم يَسوع المسيح**».

(الرسالة إلى تيطس ٢: ١٢-١٣)

لم يحدث أبدًا فى التاريخ أن سكن الله الكنيسة ليطالبها بالإصلاح مثلما يحدث الآن. لقد حان الوقت للتصريح بهذه الرسالة، لماذا؟ لقد سيطر العالم المادى على الكنيسة، فالإجهاض والطلاق والإباحية الجنسية والمخدرات والخمور، وحتى الشذوذ الجنسى هى أمور جارية وقوية فى الكنيسة. إن العديد من القساوسة يخافون الإنتقام، وهو ما يمنعهم من محاربة تلك الأمور.

بصفتى قسًّا يؤمن بالكتاب المقدس، فإن الله قد وضع رسالة واحدة فى قلبى لكى أبشر فى هذه الساعة بقدوم المسيح. يقول الكتاب المقدس:

أنى عالم بأعمالك. واعلم إنك لست باردًا ولا حارًّا .و ليتك كنت باردًا أو حارًا. فيما أنك فاتر ولا حار ولا بارد، سألفظك من فمى».

«سفر الرؤيا ٣: ١٥: ١٦»

إن يسوع ينادى المناضلين الروحانيين، فهل سنستجيب لندااءه؟. إذا كنا فاعلين فعلينا أن نفهم التيارات النبوءية الأمريكية من بدايتها، حتى نعرف كيف نمضى بسفينتنا فى المياه التى أمامنا.

الفصل الثالث

الأمة المسيحية

«ليس لدينا حكومة قادرة على ضبط الانفعالات البشرية إذا تحررت من القيم والدين، فسوف يقطع الجشع الطموح والانتقام أقوى أوتار دستورنا، مثلما يقطع الحوت الذى يقع فى الشبكة أوتارها، فلقد وُضع دستورنا فقط من أجل شعب من المتدينين المتحلين بالأخلاق، فهذا الدستور غير ملائم مطلقًا لحكم شعب مختلف».

جون آدمز

ثانى رئيس فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية[١]

«فإن الرب هو الروح، وحيث تكون روح الرب، فهناك الحرية».

«الرسالة الثانية إلى مؤمنى كورنثوس الثانية٣: ١٧»

انطلاقًا من المواثيق التى أعد مسودتها المهاجرون الذين استعمروا الأرض التى ستصبح فى يوم ما الولايات المتحدة الأمريكية، عقد أجدادنا العزم على أن يكونوا قوة الخير على وجـه الأرض وفقًا للكتاب المقدس ونبوءاته. وكما هو منصوص عليه فى إعلان الاستقلال الأمريكى، آمن أجدادنا بتلك الحقائق بوصفها بديهيات تحتوى فى ذاتها على براهينها، ومنها أن جميع الناس خلقوا متساويين، ولقد منحهم الخالق حقوقًا أساسية معينة، من بينها حق الحياة وحق الحرية وحق السعى نحو السعادة. وأضاف لنا توماس جيفرسون أحد واضعى إعلان الاستقلال، هل يمكننـا ضمان وحماية حريات أى أمة، عندما نتخلى عن الاقتناع الراسخ بأن تلك الحريـات هى هبة من الله؟ وأن انتهاك هذه الحقوق يثير غضب الله[٢]. وانطلاقًا من هذا الإعلان الأول للاستقلال، وعن طريق التضرع لنيل بركات الله فى مبادئ إعلان هذا الاستقلال، وضعت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها بين يدى الله من أجل وجودها ومستقبلها.

إن نبوءة الكتاب المقدس تبدأ وتنتهى بأمة إسرائيل .وعندما تضع الولايات المتحدة الأمريكية نفسها و مبادئها وقيمها وفقًا لتعاليم الكتاب المقدس، فإنها تكون بذلك قد وضعت نفسها فى تحالف مع شعب الله المختار. إن هذا القرار سوف يجعل من أمريكا العامل الحاسم فى تحقيق الحدث النبوئى الأكثر أهمية خلال ألفى سنة وهو إعادة ميلاد دولة إسرائيل.

وعلى الرغم من أن بعض الباحثين يبدو أنهم يتشككون فيما إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية أُنشئت وتأسست بوصفها أمة مسيحية أم لا، فمن الصعب النظر إلى كتابات آبائنا المؤسسين الأوائل، ولا نستمع إلى صوت إيمانهم. وهناك الكثير من الكتب التى تثبت تلك الحقيقة التى لا تتسع لفصول كتابى هذا لذكرها بالتفصيل، ولكن يكفينا القـول بأن هذا الجدل لم يكن ليظهر حتى النصف الأخير من القرن العشرين. ففى عام

١٨٩٢، وفى قضية كنيسة الثالوث المقدس ضد حكومة الولايات المتحدة، حكمت المحكمة العليا بأن للكنيسة أسبقية على الدولة والقانون الفيدرالى، وذلك لأن «أمريكا أمة مسيحية «وفى رأى المحكمة، الذى كتبه السير القاضى بروير رأت المحكمة أنه:

لا يمكننا أن نرجع أى إجراء يتخذ ضد الدين إلى أى تشريع لولاية أو للحكومة الفيدرالية، وذلك لأن الشعب الأمريكى «شعب متدين». وتلك حقيقة تاريخية، ومنذ اكتشاف القارة الأمريكية وحتى ساعتنا هذه هناك صوت متوحد يؤكد هذا[٣].

واستمر القاضى بروير بعد ذلك ليعطى لنا أمثلة متنوعة عن ارتباط أمريكا بالمسيحية من خلال وثائق تتباين ما بين مبادئ تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية، وما يتعلق بالمستعمرات ودستور عدد من الولايات الأمريكية، وكذلك عدد لايحصى من قضايا المحاكم التى تؤيد تعاليم الكتاب المقدس وتؤيد الديانة المسيحية كمصدر لقوانيننا ولحكومتنا. إحدى صور الجدل المتعلق بهذا الموضوع كانت من ولاية پنسلڤانيا، حيث تعدت تأييد الديانة المسيحية إلى ماهو أبعد من ذلك، حتى يقال أن الدفاع عن المسيحية ضرورة، بينما الدفاع عن ديانات المدعمين «محمد» و«جراند لاما» غير ضرورى. وانطلاقًا من تلك السوابق الخطيرة، قال القاضى بروير فى ملاحظاته الختامية:

«تضيف تلك الأمثلة والبراهين، وغيرها، بعدًا جديدًا إلى المواثيق غير الرسمية التى تشكل الحجم الهائل للأقوال المتجانسة التى تدل على أن أمريكا أمة مسيحية»[٤].

وإذا رأت المحكمة العليا لأمتنا وأقرت حتى بعد مرور ١١٦ عاما من «إعلان الاستقلال» بأن أمريكا هى «أمة مسيحية»، فمن الغريب أن نجد أنفسنا اليوم فى وضع مخالف تمامًا لذلك، ففى مرحلة ما من حياتنا انفصلنا عن جذورنا، وحلت النسبية الإخلاقية محل بوصلتنا الأخلاقية وبدأت سفينة أمتنا العظيمة فى الانحراف بعيدًا عن مسارها الصحيح.

وبدراسة جذور أمريكا تلك، ليس من المدهش أن يشعر المسيحيون الذين وضعوا الأساس الأول لأمتنا بروابط قديمة تربطهم بالشعب المشرد والمحروم من أرضه، أى

الشعب الإسرائيلى شعب الكتاب المقدس، ويبدو أن الأمريكيين شعروا بالرابطة الوثيقة مع قوم إسحاق منذ البداية، لأسباب وجيهة.

فعلى سبيل المثال، مع بداية الثورة الأمريكية كان الجنود الأمريكيون مسلحين تسليحًا هزيلًا ويموتون جوعًا وعلى وشك الهزيمة، فذهب صاحب بنك يهودى من فيلادلفيا يسمى «هايمان سالومون» إلى اليهود فى أمريكا وأوروبا وجمع تبرعات بلغت مليون دولار أمريكى لدعم القوات الأمريكية، وقدم هذا المبلغ للجنرال «چورج واشنطون» الذى استخدمه لشراء الملابس والأسلحة لتجهيز وإعداد الجنود الأمريكيين. ولكى يُظهر «چورج واشنطون» امتنانه لليهود، طبع ورقة الدولار الأمريكى تتضمن رمزًا تذكاريًّا يشير إلى الشعب اليهودى موضوعًا فوق رأس النسر الأمريكى. ولازال هذا النقش موجودًا إلى يومنا هذا. وإذا ما نظرتم عن قرب إلى ورقة الدولار الأمريكى فسوف تشاهدون رسم لثلاث عشرة نجمة فوق رأس النسر الأمريكى تشكل نجمة داود السداسية، وحولها سحابة تمثل مجد الهيكل فى أورشليم. وأوضح «چورج واشنطون» هذا بقوله: «سوف يكون هذا تذكارًا أبديًا يعبر عن الامتنان الأمريكى للشعب اليهودى على مساعدته لنا فى الحرب»[٥].

وقد اعتادت كتب التاريخ الأمريكى على سرد قصص مشهورة تُظهر كيف كان قلب «چورج واشنطون» متعلقًا بالله، وكيف كانت يد الله فى عون «چورج واشنطون». ففى يوم ٩ يوليو من عام ١٧٥٥م، فى معركة الفرنسيين والهنود بالقرب من حصن «دوكسين» فى پنسلڤانيا، كان «چورج واشنطون» هو الضابط الوحيد الراكب على ظهر جواد ونجا من المعركة بدون أى أذى، وذلك على الرغم من أن معطفه كان به أربعة ثقوب لرصاصات وقتل بالرصاص اثنان من الجياد التى كان يمتطيها. وفى هذا اليوم قتل أو جرح أكثر من نصف القوات الأمريكية والبريطانية التى كانت معه، والتى يقدر عددها بـ ١٣٠٠ مقاتل وكان من بين القتلى الجنرال البريطانى القائد «إدوارد برادوك». وبسبب هذه الحادثة أطلق المؤرخون على «چورج واشنطون» اسم «المحمى من الرصاص» لأنه لم يجرح أبـدًا فى معركة[٦]، كأن الله يريد رجلًا ربانيًا مثل «چورج واشنطون» ليكون أول رئيس لأمة الولايات المتحدة الأمريكية الربانية، وهكذا يبدو بأن يد الله كانت ترعى «چورج واشنطون» خلال كل مراحل حياته.

ولم يكن «چورچ واشنطون» هو الأمريكى الوحيد المؤمن الذى يحمل مشاعر الإخوة تجاه اليهود، ولكن أيضًا «بنيامين فرانكلين» الذى اقترح فى الكونجرس الأمريكى الموحد عام ١٧٧٦ أن يحمـل الختم الرسمى للولايات المتحـدة الأمريكية رمزًا لصورة موسى المنتصر يرفع عصاه ليفرق مياه البحر الأحمر ليعبر بنو إسرائيل، ثم تعود المياه ثانيًا لتغرق جيوش فرعون من خلفها. أما «توماس جيفرسون» فرأى أنه من الأفضل وضع صورة تُظهر بنى إسرائيل وهم يزحفون بمثابرة عبر الصحراء متتبعين عمود السحاب وعمود النار(*)، وتضمـن التصميم النهائى للختم الرسمى «هرم (مصر)، ونسر (الحماية)، وأشعة الهداية (العناية الإلهية)، وجميعها تمثل رموزًا لعبور بنى إسرائيل البحر الأحمر.

وبوصفه رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية، رحب «چورچ واشنطون» باليهود بوصفهم شركاء فى بناء أمتنا الجديدة. وكتب فى خطابه إلى يهود «نيوبورت» بجزيرة «رود أيلاند» عام ١٧٩٠ قائلًا: «إن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لن تقبل مبررات للتعصب، ولن تدعم الإضطهاد، ويسعدها أن تطلب فقط من هؤلاء الذين يعيشون تحت حمايتها، بأن يعتبروا أنفسهم مواطنين صالحين وأن يلتزموا بذلك، وإننى أدعوا الله وأتمنى بأن يستمر أبناء سلالة إبراهيم، الذين يسكنون هذه الأرض فى الاستمتاع بالنيات الطيبة للسكان الآخرين وأن يجلس كل واحد منهم تحت أشجار التين والعنب ولن يخيفهم أحـــد»(٨).

قامت الولايات المتحدة الأمريكية على تعاليم المسيحية مع الوصايا العشر وتعاليم الكتاب المقدس كأساس لقوانينها الخاصة، وترفض الأمة الأمريكية حديثة الولادة الطغيان، وتسن دستورًا جديدًا يجمع بين الضوابط والتوازنات للحد من سلطة الحكومة. ورفضت أيضًا التورط فى صراعات العالم القديم مثل صراع المسيحيين ضد اليهود، بوصفها جزءًا من ثقافتها، وتبنت الحكومة الوليدة الكتاب المقدس بكل تعاليمه والنصيحة التى تقول «أن كل قديم يموت وجميع الأشياء تُولد من جديد».(٩) واعتبرتها المصدر الحقيقى لفكرة الفصل بين الكنيسة والدولة، وأن جميع الأديان سوف يكون لها

(*) جاء فى سفر الخروج: «.......... وكأن الرب يتقدمهم نهارا فى عمود سحاب وليلًا فى عمود نار» ١٣: ٢١.

الحق فى حرية التجمع الدينى والعبادة والتعبير، ولن تفرض الدولة على الناس أى كنيسة يحضرونها، ولن تخرس أى فرد أو تمنعه من التعبير عن إيمانه وعقيدته علنًا أو فى قاعات ومكاتب الحكومة.

وربما كان من حسن الحظ بأن كتابات «جورج هيجل» لم تكن متاحة فى ذلك الوقت لأجدادنا. ولد هيجل عام ١٧٧٠، وابتكر الفلسفة الجدلية التى آمن بها «كارل ماركس»، والتى جعلته ينادى بأن الدولة هى «الله ماشيًا على الأرض.... ولها الحق المطلق فوق الفرد»[١٠].

لم ير المؤسسون الأوائل تعارضًا بين تلك الحريات وارتدائهم ما يعبر عن معتقداتهم الدينية على أكمام معاطفهم أثناء ذهابهم إلى أعمالهم اليومية بوصفهم مواطنين وقادة متدينين، ولم يُخرسوا أو يُسكتوا أى ديانة من أجل إرضاء هؤلاء الذين اختاروا فكرة عدم الإيمان بالله. ولم تكن الحكومة معادية للدين أو غير أخلاقية أو علمانية كما تعتقد المحاكم فى وقتنا الراهن، حيث كانت الحكومة مليئة بالفضائل اليهودية المسيحية المتمثلة فى الحب والخشوع فى الصلاة والدعاء من أجل الآخرين، بدلًا من محاولتها إجبارهم على التغيير.

أما «جون آدمز» «ثانى رئيس للولايات المتحدة» فقد كان لديه إعجاب مماثل بشعب إسرائيل، حيث كتب إلى جيفرسون: «إننى سوف أصر على الاعتراف بأن العبرانيين قدموا ما لم تقدمه أى أمة أخرى «لتحضير» الإنسان»، ولقد قال «جون آدمز» ذات مرة لأحد اليهود المتقدمين بالتماس: «اتمنى أن تتمتع أمتكم بحقوق المواطنين فى كل بلاد العالم. قدمت هذه الأمة (أمريكا) الكثير. وأتمنى أن تقدم ما هو أكثر وأن تمحق كل الأفكار الضيقة فى الدين والحكومة والتجارة[١١].

وعندما أشرف على الموت قال «جون آدمز» «إننى أتمنى أن يكون لليهود دولة مستقلة فى «فلسطين». وتحولت هذه الأمنية الأخيرة فيما بعد إلى شعارٍ لكل اليهود على الرغم من أنهم لم يكملوا باقى عبارته التى قال فيها: «إن تجمع اليهود هذا فى فلسطين ربما كان أيضًا فرصة لهم لإيجاد السلام، وأن يصبحوا أكثر تفتحًا ليخطوا خطواتهم نحو المسيحية»[١٢].

ولكن هذا الشعور بالتقارب الروحانى للأمريكيين الأوائل مع اليهود سوف يتطور إلى ولاء أكثر عمقًا وإيجابية ودلالة نبوءية فى عقود قليلة فقط. ففى عام ١٨١٤ خلال إحدى المراحل الحرجة فى خضم حرب عام ١٨١٢(*)، رأت أمريكا لمحة لما قد يحدث عبر مائة عام تالية، ويتمثل ذلك فى ميلاد دولة متكاملة لإسرائيل. وحدث ذلك عندما حقق «جون ماكدونالد» أسقف الكنيسة المشيخية فى «ألبانى، نيويورك» اكتشافًا مذهلًا أثناء تعليمه حشد من الناس نبوءة العهد القديم. فكان يدرس نفس الموضوع لفترة من الزمن، ويركز بصفة خاصة على النبوءات التى وردت فى كتاب «إشعيا» والتى تتحدث عن بعث وإحياء أمة إسرائيل والإصلاح التالى للجنس البشرى. وذات يوم وأثناء إستغراقه فى قراءة سفر ١٨ لإشعياء قرأ تحديًا «للأرض التى تظللها الأنحة التى تقع وراء أنهار إثيوبيا والتى ترسل السفراء بحرا» النص من الكتاب المقدس سفر إشعيا ١٨ : ١-٢ صفحة ٨٤٠، ٨٤١[١٣]، وفى تلك العبارة رأى «ماكدونالد» أن وراء «إثيوبيا» أمة فى أقصى الغرب من إسرائيل، وإنها أمة تظللها الأجنحة ـ رمزها طائر عظيم ـ مثل: النسر الأقرع. ما هى الأرض التى تضطر الأمم الأخرى إلى إرسال سفرائها إليها عبر البحر فضلًا عن السفراء المتواجدين فى القارة الأمريكية؟. ومن وجهة نظر ماكدونالد تحققت تلك الفكرة النبوءية فى دور الولايات المتحدة الأمريكية، فما هو التحدى الذى يفرض نفسه على الأمة الأمريكية؟. (أمضوا أيها الرسل مسرعين إلى شعب طوال القامة جرد، إلى شعب بث الرعب فى القاصى والدانى، إلى قوم أقوياء وقاهرين تشطر الأنهار أرضهم. يا جميع أهل الأرض و الساكنين فيها، عندما ترتفع راية على الجبال فانظروا، وعندما يدوى نفير بوق فاسمعوا) إشعيا ١٨ : ٢-٧[١٤]. لقد سمع «ماكدونالد» فى سفر إشعياء ١٨ صوت بوق واضح ونداء من الرب يدعو أمة عظيمة هى الولايات المتحدة الأمريكية لإرسال سفرائها للمساعدة فى إعادة بناء مملكة للشعب اليهودى عند جبل صهيون فى مدينة «أورشليم»[١٥].

وبينما أطلق «چورچ واشنطون» والمؤسسون الأوائل لأمريكا على اليهود « الصديق

(*) الحرب الثانية ضد إنجلترا ـ المترجم.

والحليف لأمتنا » رأوا فى قيام دولة أمريكا مثالًا يحتذى به اليهود ليعودوا لامتلاك أرضهم الموعودة فى كنعان، فلقد رأى «ماكدونالد» فى الكتاب المقدس نداء إلهى للدفاع عن اليهود فى استعادتهم لأمتهم. ولن تكون فى أى مكان من العالم كما خطط له فى البداية الصهيونيون الأوائل، ولكن بالتحديد فى الأراضى المقدسة الأصلية على أن تكون القدس عاصمة لها، ومن وجهة نظر » ماكدونالد « فإن أمريكا هى دولة النبوءة التى سترسل أبنائها وتستخدم طاقاتها الهائلة فى مهمة تخطط لها السماء(١٦) من أجل إعادة بناء دولة إسرائيل.

وبالتالى فقد دق «ماكدونالد» الطبول التى تبشر بتحقق النبوءة «إن يهوا (اسم الرب كما جاء فى العهد القديم) أرسل سفراء أمريكا لانقاذ أطفال اليهود، فانهضوا يا سفراء أمريكا، واستعدوا لحمل بشائر الفرحة والخلاص إلى أقارب مخلصكم الذين يعانون الذل والمهانة».(١٧)

ولم يمض وقت طويل حتى ظهر أحد اليهود ويدعى «موردخاى نوح» وقد خطا نحو منبر «معبد شيريت» بنيويورك فى أبريل عام ١٨١٨ وقال مثل ما قاله » ماكدونالد « وهو ما سيتردد صداه لأكثر من قرن وربع القرن من الزمان حيث قال أن اليهود:

«سوف يزحفون منتصرين بأعداد كبيرة ليسيطروا على سوريا مرة أخرى، ويتبؤا مكانتهم بين حكومات العالم... هذا ليس وهم أو خيال، فاليهود يمتلكون المال ويمكنهم استخدام السيوف ببراعة، ويمكنهم تعبئة مائة ألف رجل إلى ميدان المعركة. دعونا، نأمل بأن لا يكون هذا اليوم بعيدًا، وانطلاقًا من مبادئنا الليبرالية(*) والمستنيرة فإننا نتطلع إلى تلك البلد التى يؤسس فيها شعبنا حكومة رحيمة وعادلة ومدعاة للفخر يعترف بها العالم ويعترف بها كل الناس الصالحين»(١٨).

وكانت تلك النغمة النبوءية التى عزفها «موردخاى» تعكس صورة مائة ألف يهودى يزحفون إلى فلسطين فى أبريل عام ١٩٤٨، وهو نفس عدد اللاجئين الأوروبيين اليهود الذين شردتهم محرقة النازى. وهذا ما ناقشه الديبلوماسيون لإعادة هؤلاء اليهود لفلسطين.

(*) كيف تتفق المبادئ الليبرالية مع الأصولية (اليهودية والمسيحية) التى تأخذ كلمات العهد القديم حرفيًا، وتنتقى من العهد القديم فكرتى «الشعب المختار»، «وأرض الموعد» ـ المترجم.

حتى الرئيس الأمريكى المعتزل «جون آدمز» قد ذكر هذا العدد بالضبط فى رسائله لتدعيم «موردخاى نوح» فى محاولته تحقيق رؤيته حين قال: «إنه لو سمح لى بفتح باب الهجرة على مصراعيه فإننى ومن أعماق قلبى أتمنى أن تكون يا «مردخاى» على رأس مائة ألف إسرائيلى يزحفون إلى فلسطين، ويفتحون تلك البلد لتستعيدوا أمتكم»[١٩].

ولكن محاولات «موردخاى نوح» لم تكلل بالنجاح إلا بعد عدة سنوات لاحقة، وبالضبط قبل موته بسبع سنوات عام ١٨٤٤، فخلال ذلك العام تمسك بنفس الرسالة التى نادى بها «ماكدونالد»، وإن كانت بتأكيد مختلف إلى حد ما عن «ماكدونالد». استمر «موردخاى نوح» فى دعوة يهود أمريكا للعمل من أجل إعادة بناء دولة إسرائيل فى فلسطين، ولكنه أضاف لدعوته هذه صرخة تعبئة من «سفر إشعياء، الإصحاح ١٨» ليحث المسيحيين الأمريكيين على الإنضمام إلى اليهود فى سعيهم المقدس. وأعلن ـ موردخاى نوح ـ فى خطاب ألقاه فى المعبد اليهودى فى «برودواى» بنيويورك أمام جمهور غفير: «إن المسيحيين يمكنهم أن يعطوا تلك الحركة الهامة حافزًا »، بوضع أساس الحكومة وإعادة بناء دولة إسرائيل. وربما كانت يا أصدقائى تلك هى النتيجة المجيدة لتقديرنا للمصير النهائى للشعب المختار»[٢٠].

وربما أن «ما حدث فى دمشق عام ١٨٤٠ قد فتح آذان الأمريكيين ـ اليهود والمسيحيين ـ على حاجة الشعب اليهودى فى جميع أنحاء العالم لأن يكون له وطن قومى داخل حدود، يمكنهم أن ينعموا فيه بالأمن وبدون اضطهاد، وكان هذا الحدث صورة مصغرة من الأحكام المتحيزة الظالمة للعالم القديم التى كانت الولايات المتحدة تحاول التهرب منها، لدرجة أنها تُعد المرة الأولى والوحيدة التى تصرفت فيها بصورة تلقائية ـ وبصفة خاصة وزارة الخارجية ـ لمصلحة اليهود دون أن يحثها الشعب الأمريكى على ذلك.

والذى لفت انتباه الرئيس «مارتن فان بورن» ووزير خارجيته «جون فورسايث»، «وأرض الموعد» إلى خطورة تلك الحادثة، رسالة عاجلة بعث بها القنصل الأمريكى فى بيروت واصفًا المذبحة التى تعرض لها الرجال والنساء والأطفال اليهود فى دمشق،

والذين اتهموا بارتكاب «طقوس قتل دينى» للحصول على دم مسيحى لممارسة طقـوس عيد الفصح عند اليهود، وإعداد فطيرة عيد الفصح ـ شىء يعرف باسم المخبوزه بدم المسيحيين، وأُستخدمت تلك الاتهامات كمبرر لتدمير الممتلكات اليهودية، وقتل اليهود فى الشوارع.

اتضح فيما بعد أن العملاء الفرنسيين نشروا تلك الشائعة لإثارة المسلمين فى المنطقة ضد اليهود، ولتعزيز وضع فرنسا فى المنطقة بوصفها حامية المسيحيين. كانت القضية بلا شك تمثل انتهاكًا خطيرًا للحقوق الإنسانية الرئيسية، الأمر الذى وضع الولايات المتحدة الأمريكية وبصورة رسمية لا لبس فيها إلى جانب اليهود، وجعل أمريكا تعلن عن تأييدها المطلق لليهود من خلال القنوات الدبلوماسية الرسمية. وفى الحقيقة كان رد الفعل الأمريكى هذا سريعًا لدرجة إن الحكومة الأمريكية (٢١) أخذت زمام المبادرة وقدمت احتجاجاتها الرسمية قبل وقت طويل من رفع الجمهور الأمريكى القضية إلى حكومته.

وأيد وزير الخارجية البريطانى فى ذلك الوقت اللورد «هنرى جون تمبل پالمرستون» اليهود أيضًا ليكون بذلك هو أول المسئولين الحكوميين الذين أسرعوا بالموافقة على توطين اليهود فى فلسطين عن طريق منح الحماية القنصلية لهم. وهناك بريطانى آخر يدعى «سير موسى مونتفيور» قام بسلسلة من الرحلات فى ذاك الوقت، وأصبح الهدف الجديد لأعماله الخيرية، هو مساعدة اليهود على العيش، والإقامة فى فلسطين.

شهدت الثلاثينيات والأربعينيات من القرن التاسع عشر تدفق يهود وسط أوروپا إلى الولايات المتحدة الأمريكية. فالاضطرابات التى دفعت تلك العائلات اليهودية للبحث عن أمل جديد لها فى أمريكا، كانت هى أيضًا التى تبشر بما سوف يحدث خلال القرن التالى. وأصبحت المسألة اليهودية ـ تتمثل فى شعب إسرائيل المشرد بين دول العالم بلا أرض يقولون أنها أرضهم ـ قضية هامة مثيرة للجـدل، وسوف تشعل شرارة الحركة الصهيونية التى أدت إلى محاولة «هتلر» لفرض الحل النهائى للمشكلة اليهودية عن طريق حرقهم فى معسكرات الموت الجماعية.

كان الشاب «هتلر» مقتنعًا بأنه ملهم من الله لتخليص العالم من الأجناس غير المرغوب فيها، ولبناء جنس أسمى يحكم العالم، فتطوع فى الجيش فى سن الخامس والعشرين. أخبر «هتلر» أحد المقربين له أن هذا الإحساس انتابه لدرجة أنه ركع على ركبتيه «ليشكر السماء من قلب يفيض حماسة على منحه الحظ السعيد الذى سمح له بالعيش فى هذا العصر».[٢٢] وعندما انتصر هتلر وفتح «النمسا» بنجاح وبسرعة، خاطب جموع الجماهير الألمانية قائلًا: «إننى أؤمن بأنهـا إرادة الله التى أرسلت شابًا من هنا إلى الرايخ ليرفعه ويكون قائدًا للأمة... إننى أشعر بنداء العنـاية الإلهية وأن ما حدث كان وفقا لإرادة الله»[٢٣]. وفى أعقاب فشله الأول المبكر فى ارتقاءه لسلم السلطة، أكد «هتلر»: «إننا نعرف بأننا ننفذ ارادة العناية الإلهية وأن القوة الإلهية هى التى ترشدنا... إن القدر يبشرنا بالخير.»[٢٤] وصرح «هتلر» إلى «بينيتو موسولينى» قائلًا: «من الواضح أنه لن يحدث لى مكروه، وبلا شك فإن قدرى هو الاستمرار فى طريقى واكمال مهمتى»[٢٥]. وفى أعقاب محاولة لاغتياله، قال: «هتلر»: «إننى أنظر إلى محاولة اغتيالى بوصفها تعزيزًا لمهمتى التى فرضتها على العناية الإلهية»[٢٦].

فى عام ١٩٣٧، وبعد خمسة أعوام فى حملته لمحو وإبادة اليهود، كان هتلر مقتنعًا بإلهامه وعدم إمكانية قهره حيث قال:

«فى اللحظة التى يتصرف فيها الإنسان بوصفه رسول العناية الإلهية، فإنه يصبح قويًا بصورة لا يمكن تصورها... إننى عندما أنظر للوراء إلى إنجازات خمس سنوات مضت، فإننى أشعر حينئذ بأن لى مبرراتى التى تدفعنى للقول بأن هذا ليس من عمل الإنسان وحده»[٢٧]. ولحسن حظ الشعب اليهودى انتصرت نبوءة الكتاب المقدس على «العناية الإلهية لهتلر» التى ادعاها.

و هكذا قبل قرن من إعادة ميلاد إسرائيل، تم إرساء أساس راسخ فى الضمير الأمريكى لتأييده لأمة إسحاق ولعلاقته المتميزة بها. و بدأت الأصوات تتعالى لتدعو أمريكا لكى تكون سفيرًا دوليًا لمساعدة اليهود فى إعادة بناء وطنهم. وعلى امتداد القرن التالى، فإن تقريبًا كل رئيس أمريكى واجه بموقف إما أن يكون جزءًا منه أو يتجاهل

النبؤات الواردة فى الكتاب المقدس التى تؤكد بأن قوم « إسحاق » سوف يكون لهم مرة أخرى حكومتهم ووطنهم الخاص بهم. ومما يثيرالدهشة، أن المعركة مازالت مستمرة حتى الآن، على الرغم من كراهية العرب لليهود وأساطير المؤامرة القائلة بأن اليهود فجروا برجى مركز التجـارة العالمى، وهى أسـاطير تروجهـا فقط الدعايات المنتشـرة فى العالم الإسلامى.

الفصل الرابـع

رؤســـاء فى النبوءة

«يبدو أن هناك الكثير من الأدلة التى تشير إلى أننا قد وصلنا خلال القرون العديدة الماضية إلى فترة زمانية عظيمة يسدد فيها رب إبراهيم وإسحاق ويعقوب الخالد يده إلى الأغيار [غير اليهود].... لكى يجلب بناته وابناءه من بعيد ويغرسهم فى أرضهم... منذ أربعة وعشرين قرنًا من الزمان أبان حكم «قورش» (ملك فارس ٥٥٠-٥٢٩ ق.م) - لم تسنح لأى مخلوق مثل هذه الفرصة الرائعة لدعم مقاصد الله المتعلقة بشعبه القديم.

«وليم أيوجين بلاكستون» فى
خطابه إلى الرئيس
بنيامين هاريسون الذى أرفق
به مذكرته لإعادة تأسيس
دولة يهودية فى فلسطين[١]

«وسمعت ملاك المذبح يقول: إن أحكامك حق وعدل أيها الرب الإله القادر على كل شيء».

من سفر الرؤيا ١٦ : ٧ الصفحة التى فتح عليها الرئيس إبراهام لينكولن الكتاب المقدس فى حفلة تنصيبه عام ١٨٦١ .

تأثر كل رئيس أمريكى بصورة ما بالنبوءة، ابتداء من الحماية الإلهية لجورج واشنطون وانتهاء بكل القرارات الأخرى التى يتخذها كل رئيس أمريكى، والمتعلقة بتوجيه مسار أمتنا وعلاقتها بإسحاق وإسماعيل. لقد أبحر زعماؤنا وسط الأمواج العاتية والمياه المضطربة فى محيط السياسة الخارجية، وذلك من أجل اتخاذ القرارات المتعلقة بدور أمريكا فى العالم. وتمامًا مثلما نصب ضميرنا الداخلى الحكماء فى مناصبهم فإنه أيضًا قد وجه أمريكا إلى الكيفية التى سوف تكون مسئولة بها عن توجيه واستخدام القوة التى أودعها الله إياها. ويبدو بأنه على الرغم من أن الله قد دعانا ـ فى النبوءات ـ لاستخدام قوتنا التى أهدانا إياها فى العالم، بأنه مازال لدينا كثير من الأسئلة بحاجة إلى إجابة، وذلك بسبب تراخينا فى الإستجابة لتلك الدعوة الإلهية، وفى اعتلائنا المكانة الفريدة المحددة لنا لقيادة العالم.

ويبدو أن القلب الأمريكى قد وهب نفسه لمساعدة أبناء الشعب اليهودى على إيجاد وطن لهم ينعمون فيه بالأمن والسلام مع بزوغ فجر النصف الثانى من القرن الـ ١٩، إلا أن السياسة الأمريكية كانت مشغولة بالتوسع غربًا وحل مشاكلها الأخلاقية الداخلية العظمى، وهى إنهاء نظام الرق (العبيد) مع المحافظة على وحدتها بدون خوض حرب أهلية دامية. وعلى الرغم من تحذير الرئيس الأمريكى جيفرسون الخاص بقضية الرق من أن عدالة الله لن تنام للأبد،[٢] إلا أن أمريكا لاتزال متورطة فى صراعها الأكثر دموية وذلك بسبب تبنيها لمذهب النسبية الأخلاقية. وسيصدم الإنسان ذو الأخلاق الطيبة

برؤيته الولايات المتحدة الأمريكية فى زماننا هذا، وهى فى حالة من الفرقة والانقسام. إن التاريخ وحده هو الذى يمكنه أن يقرر كيف يمكن للأحداث أن تجرى لولا ظهور قائد عظيم مثل إبراهام لينكولن الذى وضع يده على الكتاب المقدس عام ١٨٦١م ليؤدى قسم الولاء بوصفه الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية. ومن المحتمل أن الإنسان الأقل التزام خلقيًا ما كان يرى بلده موحدة مرة أخرى فى نهاية رئاسة إبراهام لينكولن. وتردد عن إبراهام لينكولن قوله: «إن اهتمامى الأكبر ليس بوقوف الله إلى جانبنا ولكن بوقوفنا نحن إلى جانب الله؟».

وبالرغم من إنشغال إبراهام لينكولن بالقضايا المتعلقة «بالحرب الأهلية، إلا أنه على الأقل عبر عن تعاطفه لإقامة وطن قومى لليهود .وفى الحقيقة تلقى «لينكولن» نداء نبوءيًا من «هنرى ونتوورث مونك فى مارس ١٨٦٣، عندما بدأ الرئيس أحد خطبه العامة بالرد على أسئلة المواطنين، وتقدم مونك للأمام من الصفوف الخلفية للقاعة، مقدمًا ومعرفًا نفسه للناس بوصفه زائرًا من كندا، وسأل الرئيس: لماذا لايتبع تحريركم وعتقكم الزنوج الخطوة التى لا تزال أكثر إلحاحًا وهى تحرير وعتق اليهود؟ فرد عليه لينكولن متلعثمًا «اليهود... لماذا اليهود؟ أليس هم أحرار بالفعل؟».

فرد عليه مونك قائلًا: «بالتأكيد يا سيدى الرئيس «لينكولن»، إن اليهود الأمريكيين أحرار وكذلك أيضًا اليهود الإنجليز، ولكن الأمر يختلف مع يهود أوروبا، فنحن نعيش فى أمريكا بعيدًا جدًا لدرجة أننا لا ندرى ما يحدث لليهود فى روسيا وبروسيا وتركيا. ولن يكون هناك سلام دائم فى العالم حتى تتوب وتكفر الأمم المتحضرة عما اقترفته بحق اليهود واضطهادها لهم لمدة ٢٠٠٠ عام، ولن يكون ذلك إلا باستعادتهم لوطنهم القومى فى فلسطين".

فرد عليه الرئيس لينكولن قائلًا: «هذا حلم نبيل يا سيد «مونك»، ويشارككم فيه الكثير من الأمريكيين، وأنا شخصيًا أُكن احترام كبير لليهود..ولكن الولايات المتحدة الأمريكية الآن منقسمة على نفسها داخليًا فيجب علينا أولًا أن ننهى تلك الحرب وبسرعة ونخرج منها منتصرين... وحينئذ قد نبدأ مرة أخرى يا سيد «مونك» فى أن نرى رؤى ونحلم أحلامًا، وحينئذ سوف ترى أى نمط من الزعامة سوف تظهرها أمريكا للعالم»[٣].

ولكن على الرغم من طبيعة النوايّا التى كانت فى قلب الرئيس «لينكولن» تجاه هذه المسألة، تم اغتياله قبل أن يتمكن من فعل أى شىء لإثبات حسن نواياه. ولكن الله مع ذلك لا يزال يبسط يده على الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها وسيلة لتحقيق نبوءته. وسرعان ما جاء نداء آخر من رجل أعمال مسيحى بمدينة «أوك بارك» من ولاية «إلينوى»، الذى التقط المشعل الذى أشعل ناره «ماكدونالد» وآخرون غيره ليكمل المسيرة ويدعو للتأييد الأمريكى لإعادة توطين اليهود فى أرضهم القديمة بفلسطين.

وعلى الرغم من أن المطالبة بإقامة وطن قومى لليهود جاءت من رجل مسيحى وليس من رجل يهودى، إلا أن ذلك لم يكن بالملاحظة الهامة إذا نظرنا من منظور يهودى فى ذلك الوقت. وسرعان ما شهدت الولايات المتحدة الأمريكية أعظم فترة للهجرة على الإطلاق ما بين عامى ١٨٨١ وعام ١٩٢٠ . ومن بين موجات الهجرة هذه تم توطين ثلاثة ملايين يهودى من أوروبا الشرقية .وتزامن ذلك مع سياسة الباب المفتوح والانصهار العظيم فى بوتقة واحدة. وليس من المدهش بأن شاعرة يهودية وهى «إيما لازريوس» تكتب الكلمات المنقوشة فى اللوحة البرونزية على قاعدة تمثال الحرية لتقول فيها:

«هنا حيث يغتسل البحر وحيث بوابات غروب الشمس، تقف امرأة قوية معها شعلة تضىء نارها هى الضوء الحبيس واسمها أم المنفيين»... وتصرخ بشفاه صامته: لنحتفظ بالأراضى القديمة فى قصص أسطورية عظيمة، فأعطونى فقرائكم والمتعبين والبائسين وكل من يشعر بالحنين ليتنفس نسيم الحرية، والمنبوذين على شواطئكم المزدحمة والمشردين، ومن جرفتهم العواصف ارسلوهم إلى، فإنى أرفع شعلتى إلى جانب الباب الذهبى».

كانت فلسطين فى ذاك الوقت أراضٍ صحراوية قاحلة فى أيدى الأتراك غير الودودين(*)، وكانت أمريكا أكثر إغراء عندئذ من أن يعود اليهود إلى فلسطين. وفى الحقيقة كان اليهود ينظرون إلى الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها أرضهم الموعودة، فكانوا يشعرون

(*) عندما انتصر الإسبان على المسلمين فى الأندلس فى القرن السادس عشر، خيروا اليهود والمسلمين بين أمرين، إما التنصر وإما القتل. وفر الكثير من اليهود إلى المغرب، وإلى تركيا [غير الودودة] مقر الخلافة الإسلامية فى ذلك الوقت، وبقوا فى البلدين حتى اليوم ـ المترجم.

بالراحة وهم ينعمون بخيراتها وشعروا بأنه لا حاجة لهم بأن يبحثوا عن الأمن والسلام فى أى مكان آخر. ولكن لم تكن هذه القناعة العظيمة بلا متاعب، ومع تدفق اليهود الأوروپيين الفقراء إلى أمريكا، لم تحل «المشكلة اليهودية» من جذورها بل تم ترحيلها إلى أمريكا. وشعرت الولايات المتحدة الأمريكية بأنها لا تستطيع استيعاب جميع اليهود فبحثت عن حل آخر.

ونتيجة لذلك أصدر الكونجرس الأمريكى عام ١٩٢١ قانونًا يحدد نسبة العمال الأوروپيين غير المهرة المسموح لهم بدخول الولايات المتحدة الأمريكية. وفى عام ١٩٢١ صدر قانون آخر يلزم كل دولة بالسماح بإرسال ٣٪ فقط من إجمالى عدد رعاياها الذين كانوا يعيشون فى أمريكا بالفعل عام ١٩١٠، إلى امريكا. أدى هذا القانون إلى تقليص عدد المهاجرين اليهود إلى ٣٥٧٠٠٠ مهاجر. وبعد ذلك بثلاث سنوات خفض قانون «جونسون ريد» لتقييد الهجرة تلك النسبة إلى ٢٪ فقط، كما خفض أيضًا الحد الأدنى المسموح له بالهجرة، وذلك على أساس ما تم قبوله من المهاجرين عام١٨٩٠ هناك ـ حيث سُمح فقط لعدد مائة وخمسون ألف مهاجر بدخول أمريكا. وهكذا خفضت سياسة الحكومة الأمريكية ـ لتقييد الهجرة ـ عدد المهاجرين من (ثمانمائة ألف) عام ١٩٢١ إلى (ثلاثة وعشرون ألف) عام١٩٣٣ . فتغير وبسرعة الدور الذى كانت تلعبه جزر «اليس» من مركز تجميع واستقبال المهاجرين اليهود إلى مركز اعتقال. ففى عام ١٩١٥ استقبلت جزر «اليس» (مائة وثمانية وسبعون ألفًا) مهاجر؛ لكن هذا الرقم انخفض إلى ستة وعشرون ألف تقريبًا عام ١٩١٩. وكان لا بد من فعل شىء مختلف لليهود لحل مشكلاتهم فى أوروپا غير شحنهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

ولكن قبل أن يحدث أى من هذا، أرسل الله مبعوثًا، ليقترح حلًا حاسمًا وهو «ويليام أيوجين بلاكستون». ولد بلاكستون فى بيت مسيحى متدين فى نيويورك عام ١٨٤١، ولكنه سرعان ما اتجه غربًا بعد الحرب الأهلية إلى «أوك بارك» بولاية «إلينوى» بحثًا عن الثروة. فلم يكن قسيسًا مرسومًا بل مؤسس لشركة استثمار وبناء، وكان منذ صباه تلميذًا دارسًا ومتحمسًا للكتاب المقدس. وفى عام ١٨٧٨ نشر كتابًا بعنوان «يسوع قادم»، بيع منه أكثر من مليون نسخة (وهذا يعتبر عملًا عظيمًا فى أمة يبلغ تعدادها فقط ٥٠ مليون نسمة تقريبًا،

أى ما يوازى سدس تعداد أمريكا الآن). وبالرغم من أن هذا الكتاب كان هجوميًا على الكثير من الذين كانوا ينعمون بالعيش فى دياناتهم المسيحية الأمريكية فى ظل الحلم الأمريكى، إلا أن رجالًا من أمثال «دويت إل مودى» و«سيرس أى سكوفيلد» الذين اعجبوا بتفسير «بلاكستون» الدقيق للكتب المقدسة رحبوا بكتابه «يسوع قادم» ورحبوا بالإرساليات الإنجيلية الأكثر نشاطًا. أثر هذا الكتاب على الضمير الأمريكى لدرجة أنه «شكل بدرجة كبيرة الفكر الذى ساد تلك الفترة من التاريخ»[٤].

كان كتاب بلاكستون «يسوع قادم» كتابًا وثائقيًا ممتازًا كما لو كان مقاطع من الكتاب المقدس أكثر منه تعليقًا، حيث ذكرت فيه قائمة لمئات من فقرات الكتاب المقدس لكى يراجعها القارئ كما هى فى الأصل بسبب ضيق المساحة المخصصة لها على صفحات الكتاب. وأصبح من الصعب على أى مؤمن مخلص تجاهل قراءة هذا الكتاب. مرة أخرى، وفجأة، أصبحت أمريكا منارة ترشد العالم نحو نبوءة الكتاب المقدس. وتمت ترجمة هذا الكتاب إلى ثمانٍ وأربعين لغة منها اللغة العبرية، ولا زال يعاد طبعه حتى يومنا هذا.

يحمل الفصل الخامس عشر من هذا الكتاب ببساطه عنوان «يجب استعادة إسرائيل» ويبدأ بتلك الفقرة: «ربما تقولون بأنكم» لا تعتقدون فى ضرورة استعادة الإسرائيليين أرض كنعان (أى فلسطين) وإعادة بناء القدس، فهل قرأتم الإعلان الإلاهى بكلمات الله فى الكتاب المقدس حول ذلك؟ بالتأكيد ليس هناك شىء أكثر وضوحًا من ذلك فى الكتاب المقدس»[٥].

من هنا استمر «بلاكستون» فى ذكر نصوص الكتاب المقدس التاسعة والثمانين المختلفة التى تؤيد ذلك التأكيد. وفى أواخر الفصل الخامس عشر أضاف:

«يبدو أن هذا الدليل القاطع سوف يقنع كل قارئ ذى عقل بأن هناك مستقبلًا مجيدًا يخبئه الله لليهود لاستعادة وطنهم إسرائيل. وإنه يمكننى ملء كتاب كامل بتعليقات عن كيفية استعادة إسرائيل، ولكن كل ما أردته هو إظهار حقيقة النبوءة التى لا يمكن إنكارها، وأنها متصلة بظهور مسيحنا»[٦].

إن ملاحظات «بلاكستون» تبدو مبالغ فيها حتى بعد مرور ستة عقود على ميلاد إسرائيل كدولة، ولكن بالنسبة لهؤلاء الذين كانوا يعيشون فى زمن «بلاكستون» فإن ثقة الناس فى تصريحاته لم تكن تزيد عن تنبوءات غيبية. كما أن قلة من الكنائس الأمريكية صدقت على احتمال أن يكون لليهود مرة أخرى دولة ووطن، ناهيك عن أن هذه الدولة والوطن سوف تكون فى أرضهم القديمة وتكون القدس عاصمة لهم، ومن ناحيتهم يبدو أن اليهود أنفسهم كانو غير مهتمين بالفكرة. وقبل اندلاع الحرب العالمية الأولى كان هناك حوالى عشرين ألف يهودى فقط من إجمالى ٢,٥ مليون يهودى ينتمون إلى أى نوع من التنظيمات الصهيونية [٧]، وكان اليهود يعيشون سعداء فى أمريكا.

لم ينظر «بلاكستون» إلى إسرائيل فقط بوصفها «قرص شمس الله» بل إنه ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك إلى حد القول: «إذا ما أراد أى شخص تحديد موقعنا فى التاريخ الإلهى و فى مسيرة أحداث النبوءة فلينظر إلى إسرائيل» [٨]، و من وجهة نظر «بلاكستون» كان تحقيق حلم اليهود فى إقامة دولتهم هو العلامة الإرشادية التالية فى نهر النبوءة.

وإننا لنتساءل: على أى أساس فسرت الكنائس الأمريكية نصوص الكتاب المقدس التى اقتبسها «بلاكستون»؟ كيف أمكن لتلك الكنائس الأمريكية أن تغمض عينيها عن تلك النبوءات المتعلقة بإعادة ميلاد إسرائيل؟ لقد فسرت تلك الكنائس الأمريكية نصوص الكتاب المقدس بأنها تشير إلى «إسرائيل الروحانية» ـ بوصفها كنيسة عالم اليوم. ولحكمة «بلاكستون» فكان لديه القليل ليقوله عن هذا الموضوع حيث إنه يتناول الحلقات التاريخية الأكثر إظلامًا على الإطلاق للسلالة التى ستنحدر من إسحاق فى القرن القادم. فلقد رأى بوضوح تام أن إسرائيل والكنيسة هما كيانان منفصلان ومستقبلهما أيضا منفصل، حسب اختلاف ميثاق كل منهما، فإن الله لم يتخل عن إحداهما من أجل الأخرى، ولكنه كان يحتفظ بخطة فريدة لكلٍ منهما.

ولكن بإحلال لفظ الكنيسة محل لفظ إسرائيل حرفيًا فى الكتاب المقدس، لم يعد المسيحيين فى ذلك الزمان مضطرين للشعور بأى مسئولية تجاه اليهود بوصفهم شعب الله المختار، وأن هذا «اللاهوت الاستبدالى» هو من قام بتهدئة الكنيسة فى ألمانيا خلال

الحرب العالمية الثانية مع اشتعال حمى حرق اليهود فى معسكرات الموت النازية، ولم يكن لدى المسيحيين أى التزام تجاه اليهود الذين «يعانون بسبب خطاياهم لرفضهم المسيح» ويبدو كما لو كان موت المسيح قد حررهم من هؤلاء اليهود أكثر من إلحاقهم بشجرتهم. ولكنهم رأوا ذلك الفيروس الماكر ـ وهو المعاداة للسامية ـ يسمح للكنيسة الألمانية الرئيسية بأن تشيح وجهها عن تلك الجرائم الفظيعة التى حدثت لليهود. وكما كتب لنا أحد الناجين من محرقة اليهود، ويسمى «فيكتور فرانكل»: إن غرف الغاز فى مدينة اوشفيتز كانت امتدادًا للنظرية القائلة بأن «الإنسان لا يزيد على كونه نتاج الوراثة والبيئة» أو كما يحب النازى القول: «إن الإنسان لايزيد عن كونه نتاج للدم والتربة» ـ إننى مقتنع تمامًا بأن إعداد غرف الغاز فى أوشفيتز وتربلينكا وميدانك لم يتم فى أى وزارة فى برلين بل تم على مكاتب وفى صالات محاضرات العلماء عديمى الأخلاق، والفلاسفة الذين يؤمنون بمذهب العدمية (إنكار أن يكون للمبادئ الأخلاقية أى أساس موضوعى)[٩].

ولكن لم تلق كلمات «بلاكستون» آذانًا صماء فى الولايات المتحدة الأمريكية، وكلما كانت شعبيته تزيد كانت أنشطته تتسع. ففى عام ١٨٨٨ زار بلاكستون وابنته فلورا فلسطين واختتم زيارته بلندن، وقد استغرقت الرحلة عام كامل.

عندما عاد بلاكستون إلى أمريكا كان أكثر حماسًا عن ذى قبل تجاه قضية إعادة توطين اليهود فى فلسطين، وبناء دولة إسرائيل، ولم يستشعر الراحة بعد عودته إلا بعد أن نظم مؤتمرًا بين اليهود والمسيحيين لمناقشة هذا الموضوع، حيث عقد هذا المؤتمر تحت عنوان «مؤتمر حول ماضى وحاضر ومستقبل إسرائيل» وذلك فى يومى ٢٤، ٢٥ من شهر نوفمبر ١٨٩٠ فى الكنيسة المثيودية الأسقفية الأولى فى شيكاجو. وقد حضر هذا المؤتمر بعض من أشهر الزعماء المسيحيين واليهود، وأصدر المؤتمر قرارات للتعاطف مع اليهود المظلومين الذين يعيشون فى روسيا، وسلمت نسخ من تلك القرارات إلى القيصر فى روسيا وغيره من زعماء دول العالم. ولكن «بلاكستون» كان يعرف بأنه لا يكفى طلب الرحمة واستجدائها من هؤلاء الزعماء، فاليهود يحتاجون إلى أرض يطلقون عليها وطنهم القومى الخاص، ويمكنهم أن يجدوا داخل حدودها الأمن والسلام، فكان «بلاكستون» يريد من هؤلاء الزعماء منح اليهود تفويضًا بالعودة إلى فلسطين لإعادة بناء

مثل هذه الدولة. ونتيجة لتلك الاجتماعات جاء الإلهام لإصدار الوثيقة التى سوف تعرف فيما بعد باسم «وثيقة بلاكستون التذكارية».

وفى يوم ٥ مارس عام ١٨٩١، نظم وزير الخارجية الأمريكية «جيمس جى بلاين» لقاء بين وليم بلاكستون والرئيس بنيامين هاريسون حيث سلم «بلاكستون» الرئيس هاريسون شخصيًّا الوثيقة التى أطلق عليها اسم «فلسطين لليهود» ويبدو أن الرئيس كان يُكن لليهود نفس المشاعر الأخوية مثل «بلاكستون»، وسوف تحظى إسرائيل برعايته وذلك لأنه اختار «سفر المزامير ١٢١ : ١-٦» الكتاب المقدس، ليضع يده عليه عند حلفه اليمين الدستورى بوصفه الرئيس السادس والعشرين للولايات المتحدة الأمريكية، حيث يقول:

«أرفع عينى إلى الجبال. من أين يأتى عونى؟ يأتى عونى من عند الرب، صانع السماوات والأرض. لا يدع قدمك تزل. لا ينعس حافظك. لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل. الرب هو حافظك، الرب ستر لك عن يمينك. لن تضربك الشمس بحرها نهارًا و لا القمر بنوره ليلًا».

وتبدأ أول فقرة فى وثيقة بلاكستون «بالتساؤل أولًا» ما الذى يجب أن نفعله من أجل يهود روسيا؟ والتساؤل الثانى هو: لماذا لا نعيد فلسطين إلى اليهود مرة أخرى؟(١٠).

وقع على هذه الوثيقة ٤١٣ من الشخصيات الأمريكية البارزة من بينهم جون د. روكفيلر وج. ب. مورجان وسيرس ماكورمك وقاضى قضاة المحكمة العليا ورؤساء تحرير الصحف الكبرى والمتحدث الرسمى لمجلس الشيوخ وأعضاء آخرون فى الكونجرس وعمد مدن شيكاجو وفيلادلفيا وغيرهم من العديد من رجال الأعمال والقسس ورجال الدين البارزين، وتدعو تلك الوثيقة إلى مؤتمر لمناقشة احتمالات إيجاد وطن قومى لليهود، وهى خطوة أولى على الطريق الذى يؤدى إلى دولة يهودية، وأرسلت أيضًا نسخ من تلك الوثيقة إلى كل رئيس من رؤساء الدول الأوروبية وانتهى الخطاب الذى ارفقت به وثيقة بلاكستون بالكلمات التالية:

«يبدو أن هناك أدلـة كثيرة تثبت أننا قد توصلنا عبر القرون إلى الفترة الزمنية العظيمة، التى عندها يرفع الرب الأبدى لإبراهيم وإسحاق ويعقوب العقاب يده إلى الأغيار (إشعياء

٤٩: ٢٢)(*) ليحضر أبنـاءه وبناته اليهود من بعيـد ليزرعهم بوطنهم مرة أخرى فى أرضهم القديمة (حزقيال ٣٤: ٨)، ولم تأت مثل تلك الفرصة النادرة، منذ أربعة وعشرين قرن من الزمان، منذ حكم ملك فارس «قورش» إلى أى إنسان للمشاركة فى تدعيم أهداف الله الخاصة بشعبه القديم. وربما كان ميزة سامية لفخامتكم رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، ولوزير خارجيتكم الموقر، بأن تولوا اهتمامكم الشخصى لهذا الموضوع العظيم، وتضمنوا من خلال المؤتمر وطنًا لهؤلاء الملايين المشردة من يهود إسرائيل، وبالتالى تتلقون أنفسكم وعد الله الذى قال لإبراهيم «**وأبارك مباركيك وألعن لاعنيك، وتتبارك فيك جميع أمم الأرض**» (سفر التكوين ١٢: ٣)[١١].

من المحتمل أن معظم الأمريكان لم يسمعوا عن وليم بلاكستون، ولكننا لايمكن قول نفس الشىء على الرؤساء الأمريكيين ابتداء من «هاريسون» مرورًا بـ«ترومان». وكما اعتقد «بلاكستون»، فإن الكنيسة يمكن أن تقوم فى أى لحظة بالمهمة المقدسة. وأصبح «بلاكستون» مهتمًا بصورة متزايدة بـ«قرص شمس الله» ـ الشعب اليهودى ومشكلتهم فى العودة إلى فلسطين ـ ولقد حافظ على أن تبقى القضية حاضرة أمام أعين كل رئيس أمريكى حتى وفاته عام ١٩٣٥ . لم يسلم «بلاكستون» هذه الوثيقة بيده إلى الرئيس «هاريسون» فحسب، ولكنه حرص على أن تسلم إلى الرؤساء الأمريكيين التاليين: وليم ماكينلى، وجروفر كليفلاند، وتيودور روزفلت، وودور ويلسون ـ حتى إن الرئيس وليم ماكينلى وقع عليها باسمه[١٢]. تخللت كلمات بلاكستون فى أعماق هؤلاء الرؤساء الأمريكيين لدرجة أنه فى عام ١٩٤٩ ، وبعد مرور أربعة عشر عامًا على وفاة «بلاكستون» فإن الرئيس هارى ترومان الذى جعل الولايات المتحدة أول دولة تعترف بالدولة اليهودية حديثة الولادة اقتبس نفس الكلمات التى ذكرت فى خطاب «بلاكستون».

وعندما تم تقديم الرئيس «ترومان» إلى بعض الباحثين اليهود فى نفس العام بوصفه

(*) النص من كتاب الحياة سفر إشعياء الإصحاح ٤٩ الآية ٢٢، ٢٣ صفحة ٨٧٣.
وهذا ما يقوله السيد المسيح:

وكل من يتكل علىّ لا يخزى

«الرجل الذى ساعد على إنشاء دولة إسرائيل رد ترومان معترضًا ما الذى تقصدونه بالمساعدة على إنشاء دولة إسرائيل؟! إننى قورش إننى قورش(*)!»(١٣) .

لقد كتبت وثيقة بلاكستون قبل خمس سنوات من نشر الأب الروحى المؤسس للحركة الصهيونية الحديثة «تيودور هرتزل» لكتابه «الدولة اليهودية... وتأسيس الحركة الصهيونية». وفى الحقيقة عندما اكتشف بلاكستون أن كتاب هرتزل عملى وسياسى أكثر منه نبوئيًّا، قام بكتابة ملاحظاته عن نبوءات العهد القديم المتعلقة بإعادة ميلاد دولة إسرائيل وأرسلها إلى هرتزل. وأخبر بلاكستون ـ هرتزل ـ بأن **اقتراحه بأن تكون لليهود دولة فى الأرجنتين أو أوغندا أو أى بلد أخر هو اقتراح غير مقبول ـ فيجب أن تكون تلك الدولة اليهودية على الأرض الموعودة بفلسطين وأن تكون القدس عاصمة لها ـ وهكذا أثر بلاكستون تأثيرًا عظيمًا على هرتزل لدرجة أن كلمات الكتاب المقدس الذى يحتوى على تلك النبوءات نقشت على شاهد مقبرة هرتزل فى إسرائيل.**

ولحماسة «بلاكستون»، أصبح أكثر الأمريكيين شهرة فى إسرائيل اليوم على الإطلاق. وبينما زرعت إسرائيل أشجارًا حفر عليها أسماء رجال صالحيين أتقياء من الأغيار من أمثال كورى تن بووم وأوسكار شيندلر تخليدًا لذكراهم لإنقاذهم أرواح اليهود من المحرقة، إلا أنه تم تخصيص غابة كاملة مسماة على اسم بلاكستون، كما ذكر اسمه فى معظم كتب التاريخ المدرسية التى ناقشت تاريخ إسرائيل.

وعلى الرغم من وجوده قبل هؤلاء الرؤساء الأمريكان، وعلى الرغم من شعبيته، فسوف يكون بالنسبة لهؤلاء الرؤساء بمثابة موسى لفرعون ـ فإنه صوت من عند الله يقول «دع قومى يذهبون» ـ ومثلما كان فرعون معارضًا وعنيدًا فى قراره لإطلاق سراح اليهود ليذهبوا إلى أرض كنعان (فلسطين القديمة) وذلك بعد انتشار الطاعون، سيكون هذا حال الرؤساء الأمريكيين، ولكن ليس الله هو الذى جعل قلوب الرؤساء الأمريكان قاسية كما فعل مع فرعون وإنما هم وزراء خارجيتهم.

(*) إشارة إلى ملك فارس الذى أعاد اليهود لفلسطين وسمح لهم بإعادة بناء هيكلهم فى القدس. المترجم.

وإذا كانت وزارة الخارجية هى التى أثارت احتجاجات الولايات المتحدة ضد قتل اليهود فى دمشق عام ١٨٤٠، إلا أنها سوف تكبح بعد ذلك رد فعل الولايات المتحدة الأمريكية إزاء نداء بلاكستون، وفى النهاية سترحب بتجاهل أمريكا لقتل اليهود خلال المحرقة. وجاءت الضربة القاضية التى نزلت على وثيقة بلاكستون من ملاحظة بالقلم الرصاص من «الفى أ. أدى» ـ الذى كان مساعدًا لوزير الخارجية من عام ١٨٨٦ إلى ١٩٢٤ وهى فترة طويلة بلغت ثمانى وثلاثين سنة فى هذا المنصب ـ تركت بصمات أصابعه آثارًا سلبية فى كل مكان على السياسة الخارجية الأمريكية خلال فترة عمله وما بعدها. وكان نص ملاحظته هو:

«لمدة ثلاثين عامًا، ولا أعرف إن كان أكثر، ظلت تركيا مرعوبة من إعادة بناء مملكة اليهود، فكان يُطلب منا كل عدة أشهر التفاوض لتسليم فلسطين إلى «الأمة» اليهودية. إن المشروع برمته وهم[١٤]».

وبينما لم يكن المشروع فى الحقيقة مستحيلًا ووهمًا كما اقترح «الفى أ. أدى» إلا أن ملاحظته التى كتبها والمذكورة عاليه كانت كافية لتقنع وزارة الخارجية أن أى عمل تجاه مساعدة إسرائيل فى أن تبنى أمتها مرة أخرى ليس مضيعة للوقت فحسب، وإنما أيضًا ليس فى مصلحة العلاقات السلمية التى تربط أمريكا مع القوى التى كانت تسيطر على المنطقة فى ذاك الوقت ـ وهى بصفة أساسية الإمبراطورية العثمانية المتهالكة. وهناك أيضًا نغمة سادت المنتديات الفكرية للمثقفين فى ذلك العصر وهى أن القيم لاتكون إما أبيض أو أسود، والأفكار المسيحية الكنائسية لأشخاص من أمثال بلاكستون كانت قيم وأفكار ساذجة، وأن الديبلوماسيين العارفين ببواطن الأمور يعرفون أكثر حول قيم وثقافات المناطق التى عملوا فيها، وبالتالى فإنهم فى وضع أفضل لصنع السياسة الخارجية المتعلقة بالقضايا التى تخصهم بصرف النظر عن بلاكستون وآرائه.

وببطء بدأت وزارة الخارجية فى اتخاذ قراراتها اعتمادًا على ما تعتقده الدول الأخرى أكثر من اعتمادها على القيم التى تأسست عليها دولتنا، وهذا الإتجاه الذى يبتعد عن النقاء الأخلاقى لأجدادنا الأوائل ويقترب من مذهب النسبية فى العلمانية الإنسانية، هو

الذى يجعل وزارة الخارجية اليوم صديقًا للأمم المتحدة والعولمة أكثر من كونها صديقًا لأمتها الأمريكية نفسها.

ولقد تحققت رؤية نبوءية ثاقبة أخرى عندما نشر صديق وليم بلاكستون ويدعى سيرس سكوفيلد دراسته المشهورة عن الكتاب المقدس فى عام ١٩٠٩، وكان اهتمام بلاكستون بنبوءة الكتاب المقدس وتفسيره البسيط له ملهمًا لـ سكوفيلد.

وفسر سكوفيلد فى ملاحظاته أن سفر «حزقيال» ٣٨ و٣٩ يعنى أن روسيا سوف تغزو إسرائيل خلال أزمنة النهاية (نهاية العالم)، وتحدى كثير من الناس هذا التفسير، بل حتى سخروا منه قائلين: «كيف يمكنك قول هذا؟ فروسيا دولة مسيحية أرثوذكسية وإسرائيل ليست موجودة على الخريطة، ولا توجد هناك أى إمكانية لوضع إسرائيل على الخريطة، وأجاب سكوفيلد على هؤلاء المعارضين لتفسيره ببساطة قائلًا: «إننى لا أفهم ذلك، ولايمكننى تفسيره، ولكن الكتاب المقدس يقول هذا وأنا أؤمن به».

ولا يشك أى أحد الآن بأن روسيا سوف تغزو إسرائيل وتهاجمها ـ خاصة وأنه من المعروف أنها توجه صواريخها النووية باستمرار تجاه المدن الإسرائيلية ـ وأُخذ تفسير سكوفيلد تقريبًا كحقيقة مسلم بها.

كان وليم بلاكستون صوت الله المرسل لجيل كامل، فلقد نادى بنداء الصهيونية قبل ظهور الحركة الصهيونية نفسها. ومن خلال بلاكستون كان الله يناشد ضمير أمريكا التى ناشدت الله من قبل لإنقاذها من طغيان البريطانيين ومن صراعها الداخلى وحربها الأهلية بسبب قضية الرق.

وأجاب الله بإخلاص واستجاب فى كلتا الحالتين، وحافظ على أمريكا موحدة خلال هاتين الأزمتين وغيرها من الصراعات الأخرى.

والآن يناشد الله أمريكا للعمل من أجل مصلحة شعبه المختار «اليهود»، وتجاهلت أمريكا دعوة بلاكستون وندائه أكثر من خمسين عامًا. وحقيقة الأمر هى إذا ما تصرف الرؤساء الذين تلقوا وثيقة بلاكستون بما يتماشى مع نبوءتها ـ بمعنى آخر إذا ما تصرفوا

وفقًا للنبوءه بدلًا من تجاهلها ـ لكان بالإمكان إنقاذ حياة ستة ملايين يهودى ماتوا فى المحرقة وغرف الغاز النازية، وكذلك أيضًا لكان من الممكن إنقاذ حياة هؤلاء اليهود المضطهدين فى روسيا وفى أى مكان آخر فى العالم، وتقاعس أمريكا عن أن تلعب دورًا حاسمًا خلال تلك الحقبة إنما هو المسئول عن المحرقة، تمامًا مثلما كان صمت الكنيسة الألمانية خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين يشاركها نفس المسئولية.

الفصل الخامس

كفاح تنبؤى

«لا يمكن لمبـدأ ـ وبصفة خاصة المبدأ الأخلاقى ـ أن يتغير مع حالة الطقس ويلتف مع رياح التغيير مع هذا وذاك، فالمبدأ الأخلاقى هو بوصلة ثابتة وصادقة للأبد».

«إدوارد ر. ليمان»[1]

«إن السيد الرب لا يجرى أمرًا من غير أن يعلن سره لعبيده الأنبياء».

«سفر عاموس ٣: ٧»

تحقق النبوءة المتعلقة بشعب الله المختار لم يكن أبدًا عملًا أحاديًا من جانب الله. أولًا أطلع الله أنبياءه بما هو مقدر له أن يحدث (الأمر الذى يشير إلى الإسراع بإنزال كتبه المقدسة عليهم مثلما حدث مع النبى دانيال) ثم بعد ذلك بدأ شعبه فى التوبة والصلاة، وحرك الله قلوب الزعماء لتحقيق كلمته فيما يتعلق بتلك النبوءة. وهذا بالضبط ما حدث مع «وليم بلاكستون» وزعماء عصره. رأى «بلاكستون» ما أوردته نبوءة الكتاب المقدس، وبدأ هو وآخرون معه فى الصلاة من أجل تحقيق تلك النبوءة، وفجأة بدأ الزعماء فى جميع أنحاء العالم فى حشد طاقاتهم لتأييدها. ولأن أمريكا وإنجلترا وباقى دول أوروپا كانت هى التى توجه السياسة العالمية فى ذلك العصر، كانت تلك الأمم معنية مباشرة بتحقيق النبوءات التى نادى بها «بلاكستون».

وعلى الرغم من أن ثلاثة رجال على الأقل مما كلفهم الله بالعمل من أجل تلك القضية كانوا يهودًا، إلا أن المثير للدهشة أنهم جميعًا كانوا أقل اليهود تدينًا.

أول هؤلاء اليهود الثلاثة هو: «تيودور هرتزل». فعلى الرغم من اشتراكه فى كثير من التقاليد اليهودية أثناء نشأته، إلا أن والدته قد ربته بوصفه ألمانيًا حقيقيًا أكثر من كونه يهوديًا.

ولهذا السبب فليس من المدهش أن حماسه للدولة اليهودية لم ينبع أصلًا من معتقداته الدينية، ولكن كرد فعل على المعاداة الأوروپية السافرة للسامية فى ذلك الوقت. فقرأ كتب ألفها كُتاب معادين للسامية فى عصره، ولكنه دائمًا ما استبعد فكرة أن تكوين الدولة اليهودية هى ضرورة عاجلة لعلاج مرض معاداة السامية فى أوروپا، ولكنه سرعان ما رأى بأن معاداة السامية تزيد خطورتها عن كونها مرضًا بسيطًا، وذلك عندما انتهت محاكمة ضابط فرنسى متهم بالجاسوسية وسرقة وثائق سرية من رئيس الأركان الفرنسى، إلى أنها

قضية ملفقة، لأن المتهم «الفريد درايفوس» كان يهوديًا، وكان «هرتزل» مقتنعًا من براءة النقيب «الفريد درايفوس» وكتب عن محاكمته فى ديسمبر ١٨٩٤ قائلًا:

«إن قضية النقيب «الفريد درايفوس» تجسد ما هو أكثر من مجرد خطأ قضائى. **إنها تجسد رغبة الغالبية العظمى للفرنسيين فى نحو إدانة اليهود، فهى تدين كل اليهود ممثلين فى شخص يهودى واحد، فلقد صرخت جماهير العامة «الموت لليهود». فأين حدث ذلك؟ فى فرنسا ـ الجمهورية المتحضرة المتطورة ـ وبعد مئة عام من إعلان حقوق الإنسان، كان الشعب الفرنسى أو الغالبية العظمى منه لا يريد أن تمتد حقوق الإنسان لتشمل اليهود. إن مبادئ الثورة الفرنسية العظيمة لم تشمل اليهود.** وحتى ذلك الوقت كان معظمنا يعتقد بأن حل المشكلة اليهودية يتطلب الانتظار طويلًا والصبر، حيث أن الحل يعتبر جزءًا من تطور الجنس البشرى، ولكن عندما يكون شعب كالشعب الفرنسى متقدمًا ومتحضرًا فى كل المجالات، وينزلق إلى هذه الهاوية، فما الذى يمكن أن نتوقعه حينئذٍ من الشعوب الأخرى الأقل تحضرًا التى لم تصل حتى إلى المستوى الذى آلت إليه فرنسا منذ مئة عام مضت[٢].

رأى «هرتزل» بأن العداء للسامية ما هو إلا شعورًا دفينًا فى السيكولوجية الأوروبية، ولن يتم اقتلاعه من جذوره لسنوات عديدة قادمة. وهكذا حولت قضية «الفريد درايفوس» «هرتزل» إلى صهيونى حقيقى».

وصدر كتاب «هرتزل» فى عام ١٨٩٦ باللغة الألمانية، ولكنه تُرجم فيما بعد إلى اللغة الإنجليزية تحت عنوان «الدولة اليهودية: محاولة للوصول إلى حل حديث للمشكلة اليهودية»، ولقد كان الكتاب مختصرًا، وفى صلب الموضوع، وانتهى الكلمات الآتية:

«إن اليهودى الذى يتمنى دولة سوف يحصل عليها. سوف نعيش أخيرًا كرجال، إننا أحرار على أرض وطننا، ونموت فى سلام فى بيوتنا الخاصة... وسوف يتحرر العالم عندما يمنحنا الحرية، التى تثريها أموالنا وتمجدها عظمتنا، ومهما كان ما نفعله فسوف يكون له رد فعل قوى ومفيد لخير الإنسانية جميعًا»[٣].

لاقى كتاب «هرتزل» تأييدًا كبيرًا بين المسيحيين فى ذلك الوقت، وذلك برغم أن

دعوة «هرتزل» لإنشاء دولة يهودية كانت تعتمد أساسًا على المنطق العلماني. كان «وليم هشلر» قسًّا فى السفارة البريطانية فى فيينا فى وقت كتابة «هرتزل» لكتابه. وقد مُنح تفويضًا لنشر كتابه تحت عنوان «إعادة توطين اليهود فى فلسطين وفقًا للنبوءات». فعل «وليم هشلر» كل ما فى وسعه لمساعدة «هرتزل»، وقام بتقديمه إلى دوق بادن العظيم» وابن أخيه «القيصر وليم الثانى» الذى كان «وليم هشلر» يعرفهما؛ لأنه كان ذات مرة معلمًا لابن الدوق العظيم.

ولقد نظم «هرتزل» أيضًا أول مؤتمر صهيونى فى «بازل» بسويسرا فى الفترة من ٢٩ إلى ٣١ أغسطس ١٨٩٧، وحضره مائة وسبعة وتسعون مبعوثًا (من بينهم « هشلر ») بالإضافة إلى ممثلى الصحافة الذين جاءوا من كل أنحاء أوروبا وأمريكا والجزائر. وفى نهاية هذا المؤتمر كتب «هرتزل» فى مذكراته اليومية، لقد أسست فى مؤتمر «بازل» دولة إسرائيل على أن يكون ذلك خلال خمس سنوات، وبالتأكيد خلال ٥٠ عامًا سوف يعرف كل شخص فى العالم تلك الدولة اليهودية[٤] وبعد خمسين عام وتحديدًا فى نوفمبر ١٩٤٧ اعترفت الأمم المتحدة بالدولة اليهودية فى فلسطين.

وأصبح للحركة الصهيونية زعيمًا ذو دوافع عملية وسياسية كما كان له صوت مسموع فى أوروبا، وكان لديه أيضًا مركز لجمع التبرعات والأموال من أجل قضية بدء إنشاء الدولة اليهودية. وعلى الرغم من أن «هرتزل» عاش فقط لثمانى سنوات بعد نشر كتابه، إلا أن تأثيره سوف يستمر بعد وفاته.

كان ثانى هؤلاء اليهود الثلاثة « لويس ديمبتز برانديز « الذى سوف يعينه «وودرو ويلسون» رئيسًا للمحكمة العليا للولايـات المتحدة الأمريكية، والذى سوف يتحول بسرعة و بصورة جذرية نحو العقيدة الصهيونية، وإن كان ذلك حدث بصورة سرية وغامضة، وهو من الجيل الأول لأمريكا الذى نال والده حريته التى وعده بها الحلم الأمريكي. فى الحقيقة عندما كتب والد «برانديز» إلى خطيبته ـ التى سرعان ما لحقت به فى الولايات المتحدة ـ قال لها:

«فى خلال شهور سوف تكونى بنفسك هنا فى الولايات المتحدة الأمريكية، ولدهشتك

سوف تلمسى كيف تتخلصين من كراهيتك لبنى جنسك، وكل احتقارك للحضارة، والحياة الفكرية»[٥].

دخل والد «براندیز» وزوجته الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الهجرة الجماعية لليهود (النزوح الجماعى الكبير للمهاجرين اليهود) فى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن التاسع عشر، وولد «لويس ديمبتز براندیز» هناك عام ١٨٥٦.

نشأ وترعرع «براندیز» وسط هذه الحرية الوليدة بأمريكا، وليس له أى صلة تربطه بجذوره اليهودية، ولم يكن دارسًا للتلمود، وليس له أى خبرة دينية، ولم يكن يحضر للصلاة فى المعبد اليهودى، وربما كان يتلو ويقتبس من كل من العهد القديم والعهد الجديد للكتاب المقدس. وعندما سنحت له الفرصة بأن ينتخب عضوًا فى وزارة «وودرو ويلسون» لم يكن اليهود يرونه بوصفه ذلك الذى يمثل جنسهم اليهودى، بمعنى أنه لم يتلقى تأييد «ويلسون» طمعًا فى أصوات الناخبين اليهود، ولذلك تم استبعاده من ذلك المنصب فى حكومة «ويلسون»، وذلك على الرغم من أنه كان على قمة قائمة المرشحين لمنصب المدعى العام.

ومن خلال تأثير عمه، أصبح «براندیز» محاميًا من النوع الذى يشار إليه فى تلك الأيام بوصفه محامى عامة الناس أو المدافع عنهم، ونصير الطبقة العاملة. وانتظم فى الدراسة بجامعة «هارفرد» حيث تخرج عام ١٨٧٧. وعندما بلغ من العمر أربعة وثلاثين عامًا كان «براندیز» معتمدًا على نفسه من الناحية المادية وقادرًا على تكريس قدرًا كبيرًا من وقته للقضايا التى تهمه، وفى هذا العمر تقريبًا تقابل «براندیز» لأول مرة مع «ويلسون» وبدا أنه متلهف وشغوف ليلعب دورًا أكثر تأثيرًا فى الحياة الأمريكية.

وفى أغسطس عام ١٩١٢ فى «كيب كود» حيث كان «براندیز» يقضى أجازة فى شهر أغسطس من كل عام، أجرى معه الصحفى «يعقوب دى هاسى» حوارًا حول الصهيونية، فأشعل ذلك الحوار فجأة الشرارة داخله، فى الوقت الذى كان ذهنه خاليًا من أى حماس وتعصب للصهيونية. وإذا ما نظرنا إلى اهتمامات براندیز أو حياته السابقة، فلن نجد ما يدعوه إلى تبنى الحركة الصهيونية كقضية حياته، ولكن لسبب ما تحول اهتمام «براندیز»

نحو القضية الصهيونية وتقريبًا بعد شهر ونصف من معرفته بأنه تم تخطيه من منصب وزيرًا، التحق «برانديز» رسميًا بالرابطة الصهيونية فى بوسطن وألقى بكل ثقله للدفاع عن القضية اليهودية إعتبارًا من ١٧ أبريل ١٩١٣[٦]. وبسبب دفاعه المفاجئ عن الحركة الصهيونية، شجعته الجالية اليهودية وأيدته بحرارة، وذلك عندما رشحه «ويلسون» عام ١٩١٦ ليشغل منصب قاضٍ بالمحكمة الدستورية، ليكون بذلك أول قاضى يهودى فى المحكمة الدستورية العليا.

لقد حافظ «برانديز» على علاقات طيبة مع الرئيس ويلسون، وفى مايو عام ١٩١٧، **وعلى غداء عمل بالبيت الأبيض، تقابل «برانديز» مع وزير الخارجية البريطانية «أرثور جيمس بلفور» الذى أظهر له أنه مسيحى يدافع بإخلاص عن الحركة الصهيونية. وبوصفه دارسًا للتاريخ اعتبر بلفور أن تدمير الرومان للقدس والمعبد وما تلاه من تشتيت اليهود، إنما هو أكثر الأخطاء التى ارتكبت فى التاريخ ظلمًا على الإطلاق، وجعله هذا الاعتقاد يتعاطف مع القضية الصهيونية، وذلك برغم أنه لا يعلم سوى القليل عن الحركة الصهيونية وأعضائها المعاصرين. وقد تقابلَ «برانديز» و«بلفور» لاحقًا بعد عدة أيام لتناول الإفطار.**

وما لم يعرفه «برانديز» هو أن بلفور كان فى مهمة رسمية لتحقيق وعد الحكومة البريطانية لـ «حاييم وايزمان» حيث كان أداء القوات البريطانية فى العام السابق فى الحرب أداء هزيلًا بسبب تفوق المدافع الألمانية وغيرها من الأسلحة الأخرى. وكانت إنجلترا تحاول باستماتة إيجاد طريقة أسرع لتصنيع المواد شديدة الإنفجار (T.N.T) وبارود بلا دخان لمنافسة الأسلحة الألمانية، فزود الدكتور اليهودى «وايزمان» الإنجليز بتلك المعادلة الكيميائية الحربية، وغير مسار الحرب تماما لمصلحة الإنجليز. وردًا للجميل، عرض الإنجليز على الدكتور وايزمان بأن يحدد لهم الثمن الذى يريده نظير خدماته، فما كان من «وايزمان» إلا أن رفض المال، وطالب الحكومة البريطانية بأن تعلن فلسطين وطن قومى عالمى لليهود بمجرد تحريرها من الأتراك، وظهر اسم بلفور على وعد بريطانيا الذى عرف باسم «إعلان بلفور»، ومن المثير للدهشة أن يهودى آخر هو «البرت إينشتاين» الذى ساعد الولايات المتحدة الأمريكية على تطوير القنبلة الذرية التى قلبت موازين الحرب

العالمية الثانية على الساحة الأسيوية للمعارك لمصلحة الأمريكان سار على نهج وايزمان. لقد ألهم الله العظيم اثنين من اليهود لإنقاذ أرواح ملايين الأمريكان والإنجليز.

وهكذا تحولت تلك المناسبات التى التقى فيها «برانديز» و«بلفور» إلى كونها أكثر من مجرد لقاء أصدقاء. وعند تلك المرحلة من الحرب العالمية الأولى، ولى الأتراك الأدبار أمام القوات البريطانية التى كانت قريبة من إحراز النصر على جبهة الشرق الأوسط، وكان لدى بلفور عدة أسابيع قبل استلامه برقية من أحد الزعماء البارزين للحركة الصهيونية فى بريطانيا العظمى وهو «جيمس دى روتشيلد» لإجراء مزيد من المناقشات حول إقتراح توسع الإمبراطورية البريطانية لتضم المستعمرات التركية السابقة إليها، وبصفة أساسية فلسطين لتصبح دولة يهودية، و أراد «بلفور» معرفة رأى «برانديز» فى فلسطين اليهودية تحت الانتداب والحماية البريطانية، أو حتى بوصفها محمية أمريكية، وإذا ما أيد «برانديز» والصهيونيون الأمريكيون الفكرة، فهل يستطيع «برانديز» الحصول على موافقة الرئيس «ويلسون» عليها أيضًا؟.

لقد ارتبك «برانديز» بالفعل من اقتراح بلفور. فعلى الرغم من كل المناقشات النظرية، وجمع التبرعات لتمويل الحركة الصهيونية، إلا أنه لم يكن هناك خطة عملية واضحة لبناء دولة يهودية على أرض الواقع، إلا إنه كان أكثر ارتياحًا بالحلم عن الواقع. لكن الأمر لم يستغرق الكثير، فقد قابل برانديز زملائه الصهاينة ثم تلا ذلك لقاءه مع ويلسون وبلفور.

أوضح «برانديز» لوزير الخارجية البريطانى أن أمريكا ليست مهتمة بكونها حامية لأى أراضى تركية سابقة، ولكنها متفهمة تمامًا لفكرة الحماية البريطانية للدولة اليهودية فى فلسطين، ولم تكن عملية إقناع الرئيس «ويلسون» صعبة، بوصفه ابن قس بروتستانتى مشيخى، شعر «ويلسون» بأن يد الله تحميه وتناديه دائمًا من أجل هدف عظيم وهوفعل الخير. إختار «ويلسون» من الكتاب المقدس السفر الذى سوف يضع يده عليه أثناء تأديته اليمين الدستورية عام ١٩١٧:

«ماجت الأرض وهاجت، فتزلزلت الممالك، ولكن ما إن دوى بصوته حتى ذابت الأرض». «سفر المزامير ٤٦: ٦»

«رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقـوب». «سفر المزامير ٤٦ : ١١»

لاحظ السفير البريطانى الحقيقة الكامنة فى هذا الموقف الأمريكى، مصرحًا بأنه يعتقد أن الله أرسل «ويلسون» ليفعل شيئًا ما من أجل تحقيق نبوءة الكتاب المقدس، ولقد قال «بيتر جروس» مؤلف كتاب «إسرائيل فى عقول الأمريكان» تلك الكلمات عن تأييد الرئيس «ويلسون» للفكرة:

«وأخيرًا كان للتيـار النبوى للفكر المسيحى أثرًا على فكر «ويلسون»، مع قراءاته اليومية للكتاب المقدس ورؤياه الرومانسية لأهل الكتاب، لم تثبط عزيمة الإنجيلى «بلاكستون» عدم اهتمام الرؤساء الأمريكان السابقين بالقضية الصهيونية، بل على العكس ثابر فى حملاته من أجل الدولة اليهودية وفى عام ١٩١٦ أقنع الجمعية العامة لمجمع الكنائس المشيخية، وهى الهيئة الحاكمة لكنيسة ويلسون بالموافقة على المشروع الصهيونى، وقال «ويلسون» ذات يوم:

«بوصفى ابن قس، اعتقد أنه ينبغى علىّ أن أكون قادرًا على المساعدة فى استعادة الأراضى المقدسة لأصحابها الأصليين»(٧).

إن فكرة اجتماع قاضى المحكمة العليا «برانديز» مع وزير الخارجية البريطانى، والتأثير على الرئيس «ويلسون» فى أمور السياسة الخارجية، أقل ما يقال عنها بأنها فكرة مدهشة، لكن يبدو أيضًا أنه ليس فى مقدور أى شخص آخر مقرب إلى دائرة الرئيس «ويلسون» التأثير عليه لتأييد الفكرة الصهيونية سوى «براندیز»، حتى لو كان هناك مقربون آخرون يحاولون فعل ذلك ما كانوا سيحققون ما حققه «براندیز». أدار «ويلسون» ظهره بالفعل لوزير خارجيته «روبرت لانسنج»، ولوزارة الخارجية عند اتخاذه للقرارات المتعلقة بالسياسة الأمريكية فى هذا الوقت، وبدلًا من ذلك اتجه «ويلسون» إلى ضابط احتياط برتبة عميد يدعى «إدوارد إم هاوس» لمساعدته فى تقرير ما يجب عليه فعله تجاه الاقتراح الصهيونى، وكان «هاوس» فى البداية متشككًا تجاه الأهداف البريطانية فى الموضوع وطالب بتأجيل قراره، ولكن عندما كان البريطانيون على وشك الموافقة على إقامة وطن قومى لليهود، وافق «ويلسون» بالفعل على الخطة البريطانية، وهكذا كان إعلان «بلفور»

الخطوة الرسمية الأولى التى تتخذها حكومة فى العالم نحو إعطاء اليهود وطنًا قوميًا لهم مرة أخرى فى فلسطين، وهذا نص إعلان «بلفور»:

مكتب وزارة الخارجية

٢ نوفمبر عام ١٩١٧

عزيزى لورد روتشيلد:

«إنه لمن دواعى سرورى أن أنقل لكم بالنيابة عن حكومة جلالته [ملك بريطانيا العظمى] الإعلان التالى للتعاطف مع الطموحات الصهيونية اليهودية التى تم تسليمها لنا والتصديق عليها من مجلس الوزراء البريطانى: إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين، وسوف نستخدم مساعينا الحميدة لتسهيل تحقيق هذا الهدف، ولن نتخذ أى إجراء قد يحف بالحقوق المدنية والدينية للجاليات غير اليهودية الأخرى التى تعيش فى فلسطين، أو بالحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى أى بلد آخر، وسوف أكون ممتنًا إذا ما أطلعتم الرابطة الصهيونية بفحوى هذا الإعلان».

المخلص

أرثور جيمس بلفور[٨]

وفى يوم ١١ ديسمبر عام ١٩١٧ قام اللواء البريطانى المسيحى «إدوارد اللنبى»، بتحرير القدس من السيطرة التركية. فى ذلك اليوم أشعل اليهود شموعهم للاحتفال بعيد هانوكاه، ولاحقا قام «اللنبى» الذى لقب فيما بعد بـ «لورد اللنبى» باجتياح الشرق الأوسط، وهزم الإمبراطورية العثمانية التركية، و هزم جنرال مسيحى الإسلام ليعيد الشرق الأوسط إلى الحكم المسيحى، ويعتبر الإسلام هذا اليوم يوم الكارثة العظمى[*].

(*) اشتركت قوات من الحجاز تحت قيادة الشريف على، مع القوات البريطانية فى الحرب ضد الأتراك، ووعد البريطانيون الشريف على أن يكافئوه بتولية ابنيه مملكة سوريا ومملكة العراق.

ونجحت مساعيهم فى العراق ـ لفترة زمنية ـ ولكن فشلت مساعيهم فى سوريا، فما كان منهم إلا أن صنعوا دولة الأردن ليتولاها الابن الذى لم يتول سوريا ـ المترجم.

لقد كتبت عن هذا فى كتابى «إسرائيل مفتاح أمريكا للبقاء»:

«إن الشتات الطويل لليهود لم ينته حتى عام ١٩١٧ عندما تحررت القدس على أيدى الجنرال البريطانى «اللنبى» من الحكم التركى المسلم.

إن استيلاء الجنرال «اللنبى» على القدس حقق نبوءة عمرها ٢٥٠٠ عام، بشر بها النبى إشعياء، عندما قال: **«ويرف الرب القدير على أورشليم لحمايتها كالطيور المحومة فوق أعشاشها، فيحمى وينقذ ويعفو ويخلص». «إشعياء ٣١ -٥»**

ولنضع النبوءة نصب أعيننا لنقارنها بما حدث فعلًا فى عام ١٩١٧، حين قام الجنرال «اللنبى» بحملة لطرد الأتراك من فلسطين. وقد وصل إلى بوابات مدينة القدس التى ليست بنفس حجمها الكبير اليوم، ولكنها كانت مدينة صغيرة تحيط بها الأسوار فى تلك الأيام، ورأى الجنرال «اللنبى» بأنه إذا قذف المدينة بالمدفعية لدُمِرت الأماكن المقدسة حتمًا، ويثير هذا غضب العالم المسيحى واليهودى والإسلامى، فما الذى كان ينبغى عليه فعله حينئذ؟. وفى حيرته أرسل الجنرال «اللنبى» برقية إلى مدير عمليات الحرب فى لندن، ولكن الرد الذى وصله لم يرضه، فقد قيل له «لك مطلق الحرية فيما تراه صائبًا»، ولكن هذا الرد لم يرضه، وبالتالى أرسل برقية أخرى إلى «الملك چورچ الخامس» الذى رد عليه **«إجعلها مسألة صلاة»**، وبعد ذلك تواردت إلى خاطر الجنرال «اللنبى» فكرة طبع منشورات تحث الأتراك على الاستسلام، وقرر إرسال طائرات مفتوحة الكبائن لإسقاط تلك المنشورات على المدينة، ونفذ هذا الأمر بدقة، ولكن بلا أى نتيجة ملموسة تلوح فى الأفق. وفى صباح اليوم الثانى اكتشف تأثيرها فى أشهر طريق نائى يقود إلى القدس. كان أحد طهاة الجيش البريطانى يواجه ما يعتبره مشكلة كبيرة، فليسّ لديه مخزون بيض كافى لإعداد الإفطار الإنجليزى التقليدى من لحم الخنزير المملح والبيض، وشعر بالارتياح عندما سمع صياح ديك، وبشعوره الغريزى كطباخ، واحترام تقليد تقديم الوجبات التقليدية للجنود قال لنفسه: هناك حيث يوجد ديوك توجد دجاجات، وأينما توجد دجاجات يوجد بيض. وانطلق مسرعًا ينوى الذهاب إلى أقرب قرية تسمى «ليفتا»، ولكنه ضل الطريق ووجد نفسه بدلًا من ذلك فى ضواحى مدينة القدس، ولدهشته رأى مجموعة من العرب تحمل

علم أبيض تقترب منه، وكان فى وسطهم عمدة المدينة العربى الذى انطلق فى الاستسلام وشرع فى تسليم مفاتيح المدينة إليه، ولكن الطباخ لم يكن لديه أى خبرة بمراسم استلام المدن المستسلمة، فرفض الطباخ الإنجليزى المفاتيح قائلًا فى سخط: «إننى لا أريد أى مفاتيح إننى أريد بيض للضباط ليأكلون»؟.

وعندما أورد إشعياء عبارة: «ويرف الرب القدير على أورشليم لحمايتها كالطيور» لم يكن يستطيع استخدام عبارة «مع طيران الطائرات المقاتلة»، لأنه لم تكن هناك طائرات حربية مقاتلة فى «زمن إشعياء» مع طيران الطيور سوف يدافع رب المضيفين عن القدس، فلم تفتح المدينة بطائرات حربية، ولكن على غير المعهود بنشرات مطبوعة مقنعة. وأثناء دفاع الأتراك عن المدينة سوف يتم تخليصها سلميًا.

لقد انتهى ظلم العثمانيون للمدينة الذى استمر أربعمائة عام، وبالتأكيد فإن مرور الطائرات فوق المدينة قد أنقذها وحافظ عليها، لأنه لم تطلق رصاصة واحدة، وظلت الأماكن المقدسة بمنأى عن أى أذى، وبالمصادفة كان شعار الطائرات القاذفة السرب الرابع عشر للقوات الجوية البريطانية هو «إنني أفرد جناحاتى وأحافظ على وعدى».

وهناك أيضًا نبوءة أخرى تحققت فى ذاكرة التاريخ، حيث تقول الآية ١٢ من الإصحاح ١٢ لسفر النبى دانيال: «فطوبى لمن ينتظر حتى يبلغ إلى الألف والثلاثمائة والخمسة والثلاثين يومًا» وعندما سأله طلاب النبوءة ما الذى تعنيه تلك الكلمات المبهمة؟ حيث أن الفترة المذكور١٣٣٥ يومًا لا تتناسب مع تلك الخطط والخرائط والكتابات التى يفضلها هؤلاء الباحثين الذين يدرسون النبوءات أملًا فى فهم ما يخبئه المستقبل لهم.

ويظل هذا لغزًا حتى ذلك اليوم الذى دخل فيه الجنرال البريطانى «اللنبى» القدس وحررها من عصور ظلم الأتراك، وهو حدث تنبأ به يسوع قبل وقوعه بألفى عام، والذى أخفاه النبى «دانيال» فى نبوءته قبل المسيح بمئات السنين، فإن العام الذى تحررت فيه القدس من حكم الأتراك الطويل لمدة أربعمئة عام كان هو عام ١٩١٧ ميلاديًا، وهو التاريخ المطبوع على إحدى جوانب العملة التركية التى قام بصكها الأتراك، ولكن

على الجانب الأخر من نفس العملات التركية نقش عليها عام ١٣٣٥ هجرى التى توافق التقويم الهجرى التركى[٩]»[*].

وفى نفس الشهر أرسل وزير الخارجية «لا نسنج» خطابًا إلى «ويلسون» يوصيه بأن لا تظهر الولايات المتحدة تأييدها لإعلان «بلفور» وهو لا يعرف بأن الرئيس «ويلسون» قد وافق عليه بالفعل. و ذكر وزير الخارجية ثلاث أسباب لتوصيته:

(١) ما زالت الولايات المتحدة فى حرب مع تركيا ولا تريد أن تظهر على أنها تقسم تركيا قبل الأوان.

(٢) يوجد هناك تأييد يهودى ضئيل لآمال الصهيونية فى الولايات المتحدة فى ذلك الوقت.

(٣) بلا شك سوف تمتعض كثيرًا الطوائف المسيحية من تحويل الأراضى المقدسة لتقبع تحت السيطرة المطلقة للجنس اليهودى المتهم بقتل المسيح[١٠].

أعاد الرئيس «ويلسون» الخطاب فى اليوم التالى إلى وزير خارجيته عندما التقى به فى الوزارة، وكان واضحًا عدم رغبة «ويلسون» فى إدراج مثل هذه الوثيقة فى ملفاته الخاصة، وعندما تم العثور على تلك الوثيقة فى ملفات وزير الخارجية الشخصية بعد عدة سنوات، أرفق [الوزير] بها مذكرة تقول «على مضض» إنه كان لديه انطباع بأن «ويلسون» قد وافق بالفعل على وعد بلفور[١١].

ولكن تفاصيل نهاية الثورة البولشفية فى روسيا وإنشاء عصبة الأمم المتحدة وتدهور صحة الرئيس «ويلسون» فى ديسمبر عام ١٩١٩، قد منعه من أى إسهام حقيقى أكثر من

(*) عاش دانيال قبل ميلاد المسيح بعدة قرون، وفى عصره كان السبى البابلى، ونبوءات دانيال كما يراها المؤلف، وكثيرون غيره من المسيحيين الأصوليين والإنجيليين فى الولايات المتحدة - جاءت فى العهد القديم تحت عنوان: حلم دانيال بالحيوانات الأربعة.

وأرقام ١٩١٧، ١٣٣٥، هى مثل ما يقوله عدد من المسلمين عن قارعة ١١/ ٩/ ٢٠٠١، ويذكر الأمريكيون التاريخ على أنه ٩/ ١١/ ٢٠٠١: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٩]، وهى السورة التاسعة فى القرآن، وفى الجزء الحادى عشر منه - (المراجع).

تأييده المبدئى لإعلان «بلفور». ولكنه لم يسحب تأييده أبدًا، بل إنه أمر وزير خارجيته «لانسنج» بتأييد الموقف الأمريكى المؤيد للصهيونية على موائد محادثات السلام فى فبراير ١٩٢٠. انتهت رئاسة «ويلسون» عندما وجه له الحزب الديمقراطى الشكر والمديح فى المؤتمر الديمقراطى عام ١٩٢٠ وقام بترشيح «جيمس إم كوكس» بدلًا منه بوصفه مرشحهم لمنصب الرئاسة فى الانتخابات التالية. ومع تدهور صحته، تقاعد «ويلسون» واعتكف فى منزله فى واشنطون حيث توفى عام ١٩٢٤.

وفى الحقيقة لم يحظ إعلان «بلفور» باهتمام أحد من الناس وقتها، حيث جاء وسط الحرب العالمية الأولى، وفى نفس الأسبوع الذى أطاح به الثوار البلاشفه بحكومتهم المؤقتة عشية المؤتمر الثانى للجمهوريات الروسية، وبسبب هذا التزامن للأحداث، ومع عوامل أخرى غيرها، يبدو أن وزارة الخارجية الأمريكية ربطت بين نمو الشيوعية والصهيونية وتزايدت هواجسها تجاه كلّ منهما.

ومن خلال مفاوضات السلام التى أنهت الحرب العالمية الأولى، لم يكن الرئيس «ويلسون» ووزير خارجيته «روبرت لانسنج» على وفاق تام، فنادرًا ما كانوا يتحدثان معًا، وعلى الرغم من تصديق الرئيس «ويلسون» على إعلان «بلفور» إلا أن وزارة الخارجية ألزمت نفسها ببذل أقصى ما فى وسعها لتقويض وهدم هذا الإعلان. لم تؤيد الولايات المتحدة ولن تؤيد أبدًا مثل هذا الإعلان. وعقدت وزارة الخارجية العزم على تأييد أبناء «إسماعيل» فى حكم وإدارة فلسطين. ولكن بصرف النظر عن هذا، سوف تعطى وتسلم فلسطين إلى البريطانيين على أن يتم تطبيق مبادئ وعد «بلفور»، ولكن بعد خمس وعشرين سنة تالية. لم تحظ القضية الصهيونية سوى بتأييد دولى ضئيل لاتخاذ خطوات فعالة لتطبيق مبادئ «بلفور»، ولم يحدث أى شىء سوى القليل لإقامة هذا الملاذ الآمن لليهود حتى بعد المحرقة (القتل الجماعى لليهود فى معسكرات الموت الجماعية النازية).

تميزت فترة ما بين نهاية الحرب العالمية الأولى وبداية الحرب العالمية الثانية بلا مبالاة غريبة تجاه إنشاء دولة إسرائيل. وبينما كان «إعلان بلفور» يسعى إلى كسب التأييد الدولى، تبنت عصبة الأمم المتحدة عام ١٩٢٢ قرارًا مشابهًا يدعم قيام إسرائيل

الجديدة، ولكن عندما اختفى أقوى مؤيدى الدولة اليهودية على الإطـلاق، وهما «بلفور» و«ويلسون» لم يتحرك أحد لإكمال المسيرة بعدهما. كانت المشكلة اليهودية مطروحة للمناقشة على مسرح الأحداث العالمية أكثر مما كانت عليه من ذى قبل، ولكن حلها المقبول فى إعادة بناء الدولة اليهودية فى فلسطين لم يكن بالكاد يتقدم للأمام على أرض الواقع، وفى الحقيقة لم تتخذ خطوات عملية على الإطلاق لتنفيذ إعلان «بلفور» على أرض الواقع سوى وصول عدد محدود من المهاجرين اليهود إلى فلسطين.

ومع انتهاء دور «برانديز» فى إعلان وعد «بلفور» ومع الدور البسيط الذى لعبه ـ حيث أنه انشغل بشئونه وطموحاته الخاصة لتحقيق الدور الذى رسمه لنفسه بوصفه قاضى المحكمة الأمريكية العليا ـ لم ينس القضية اليهودية تمامًا ؛ فكان يقضى جزءًا كبيرًا من وقته ليلًا ليضع تصوراته عما سوف تؤول إليه الحكومة والمجتمع فى الدولة اليهودية المنتظرة فى فلسطين بل إنه زار إسرائيل عام ١٩١٩، وقابل مرة أخرى «بلفور» هناك فى طريق عودته إلى أمريكا ليحثه على توفير المزيد من الحماية لليهود الموجودين بالفعل فى فلسطين، ولم ير «برانديز» حينئذ أى صراع حقيقى بين المهاجرين اليهود والسكان العرب الذين كانوا يعيشون بالفعل هناك، لأنه رأى بأن الدولة الجديدة فى فلسطين ستكون مكانًا تمتزج فيه التكنولوجيا والعلم الغربى مع الدين والتصوف الشرقى... ففلسطين هى دولة يعيش فيها اليهود والعرب جنبًا إلى جنب فى سلام ؛ لأنهم طوروا الثقافة المشتركة والمستمدة من التراث المميز لكل منهما[١٢]، وربما كان «برانديز» بمثابة «بوتقة انصهار» أمريكية امتزج فيها الغرب مع الشرق، ولكنه كان مغاليًا كثيرًا فى تفاؤله فى فهم التيارات التحتية، والصراعات الحقيقية التى ستنشأ بين أبناء «إسحاق» و«إسماعيل».

ولكن سيكون لـ«برانديز» بعد ذلك تأثيرًا محدودًا فقط على القضية الصهيونية، ففى الشهور التالية سوف يخسر صراعًا حاسمًا للسيطرة على الحركة الصهيونية العالمية أمام «حاييم وايزمان». وفى الحقيقة كانت وجهات نظر «برانديز» ذات طابع أمريكى للغاية بالنسبة لعامة الجماعات. فالتشبيه والمقارنة بين البيورتيانز فى نيو إنجلاند [إنجلترا الجديدة] والمستوطنين اليهود الجدد فى فلسطين يعد مقبولًا من جانب كل أتباع الحركة الصهيونية ـ وبعد ذلك لم يلعب «برانديز» أى دور إضافى مباشر فى السياسة الصهيونية

العالمية، وقال: «دايفيد بن جوريون» الذى كانت لديه اتصالات مع «برانديز» من خلال مشروع بنك ساعده «برانديز» على إنشائه تلك الكلمات فى مديحه:

«كان «برانديز» أول يهودى عظيم، بصرف النظر عما فعله لأمريكا»(١٣).

هناك ملاحظة جانبية مثيرة وهى أن العميد «بى سى جويس» وهو ضابط التحق بالثورة العربية ضد الأتراك تحت اسم «لورانس العرب» قد رافق «وايزمان» لمقابلة الأمير «فيصل»، ووفقًا لتقرير «جويس» رحب فيصل بالتعاون اليهودى واعتبره أساسيًا لمستقبل الطموحات العربية، وذلك على الرغم من أنه لم يستطع أن يعبر عن أى وجهات نظر محددة قاطعة، لأن والده لم يخوله أى سلطة فى ذلك. وكان رأى «جويس» هو أن «فيصل» أدرك تمامًا الإمكانية المستقبلية لقيام دولة يهودية فى فلسطين، ومن المحتمل أن يقبلها لو تماشت مع التوسع العربى شمالًا(١٤)(*).

وبعد الإجتماع أخذ «بى سى جويس» صورة تذكارية مع «ويزمان» مرتديا الكوفية العربية. وفى هذا الصيف طلب الملك «حسين»(**) مقابلة «ويزمان»، ولكن الرحلة لم تتم لأسباب تنظيمية.

وعلى الرغم من عدم المشاركة الصريحة فى الحركة الصهيونية لـ«برانديز» فى أمريكا إلا أن الحاشية الخاصة المحيطة بـ«برانديز»، وهى التى اعتاد أن يتناول معها الشاى والساندوتشات الخفيفة فى شقته بواشنطن ـ سيكون لها مزيدًا من التأثير على مستقبل إنشاء دولة إسرائيل، وذلك من خلال الرجال الذين سيلحقون بمسيرته، وأهمهم على الإطلاق اليهودى الشاب «هنرى مورجنثيو الصغير» الذى سيصبح وزير الخزانة الأمريكية، وكذلك سيناتور ناشئ عن ولاية «ميسيورى» يدعى «هارى إس ترومان». وكانت لـ«برانديز» أيضًا مكانة خاصة فى قلوب صفوة «الصفقة الجديدة New deal»

(*) لم يكن لفيصل، ولأبيه الشريف حسين أى صلاحية سياسية فى ذلك الوقت، فضلًا عن النفى المتكرر للمصادر السعودية لأى اتفاقات بهذا الخصوص ـ المترجم.

(**) لم يكن حسين ملكًا، ولكنه كان الشريف حسين بالحجاز، وهو الجد الأكبر لملك الأردن الراحل الملك حسين ـ المترجم.

وكانت له اتصالات مع الرئيس «روزفلت» حول القضايا الهامة، وكان الرئيس «روزفلت» دائمًا ودودًا ويستمتع إلى حديث «برانديز» عن الأهداف الصهيونية، ولكن صمته حول هذه القضايا كان واحدًا من أكبر وصمات العار فى تاريخ رئاسته.

إن اليهودى الثالث الذى كان له تأثير فى الحركة الصهيونية، ولم يكن مخلصًا فى يهوديته هو «هنرى مورجنثيو الصغير» فلم يحمل هو ولا زوجته «إلينور» أى حب لكونهما يهوديان. ذلك برغم أنهما كانا على وعى بالتجاوزات التى يظهرها الناس الآخرون تجاههما بسبب عرقهما اليهودى، ولقد وصف ابنه الأكبر هنرى الثالث والده بالرجل الذى يتمنى أن يعتقد الناس بأنه «أمريكى خالص». كان «هنرى الأكبر» رجلًا طموحًا ناجحًا أراد بشدة أن يكون من سكان واشنطون المرموقين، ولكن أقصى ما حصل عليه هو ترشيح الرئيس «وودرو ويلسون» له كسفير أمريكا فى تركيا، وذلك امتنانًا له لتبرعه السخى بالمال لمساعدته فى حملته الإنتخابية الرئاسية.

أما «هنرى الصغير» قضى معظم حياته محاولًا الهروب من سيطرة والده عليه، ولأنه الإبن الوحيد، لم يستطع الهروب، فهناك مجموعة من الظروف الغريبة التى سوف تميز «هنرى الصغير» بوصفه رجل أبيه المفضل.

شعر «هنرى مورجنثيو الصغير» بأنه يكره الحياة التجارية لوالده الذى كان رجل أعمال ناجحًا فى مجال الأعمال العقارية، ولكنه على عكس والده كان يحب الزراعة، وقد استخدم جزء من ثروة عائلته فى شراء مزرعة فى شمال ولاية نيويورك حيث سيكون قانعًا بالعيش بعيدًا عن الأضواء، ولكن زوجته «إلينور» كانت امرأة طموحة ومنبسطة واستطاعت علاج انطواءه من خلال تكوين كثيرًا من الصداقات مع جيرانهم، و كان «فرانكلين روزفلت» وزوجته «إلينور روزفلت» اثنان من هؤلاء الجيران والأصدقاء، أصبحت الزوجتان المقربتان «إليانور» و«إلينور روزفلت» صديقتان بسرعة، وسرعان ما صار الزوجان صديقين أيضًا. وبسبب الشلل الذى بدأ يصيب «فرانكلين» عام ١٩٢١ كان يقضى قدرًا كبيرًا من وقته فى مزرعته مع صديقه الجديد «هنرى مورجنثو». هكذا وجد «مورجنثو» نفسه فجأة فى وضع مميز فى أوائل الحرب العالمية الثانية ـ بوصفه

وزيرًا للخزانة فى وزارة «روزفلت» ـ وكانت سخرية القدر بأن يحقق هو بنفسه طموحات والده العظيمة، وذلك عن طريق تبنيه إتجاهًا معاكسًا لاتجاه والده، ولكن مع مكانته فى الوزارة وفى التاريخ، أظهر أنه هو أيضًا كان جـزء من نبوءة الكتاب المقدس؛ لأن ضميره الأخلاقى كتب عليه بأن يكون عاملًا رئيسيًّا مؤثرًا فى المحاولات التى سوف تقوم بها أمريكا لوقف (الهولوكوست) المحرقة.

الفصل السادس

الإفتقار المميت للإقناع

فتح الرئيس «روزفلت» الكتاب المقدس، أثناء تأديته ليمين الولاء الدستورى ليقرأ:

«لو كنت أتكلم بلغات الناس والملائكة و ليس عندى محبة، لما كنت الأ نحاسًا يطن أو صنجًا يرن. ولو كانت لى موهبة النبوءة، وكنت عالمًا بجميع الأسرار والعلم كله، وكان عندى الإيمان حتى أنقل الجبال، وليس عندى محبة، فلست شيئًا».

«الرسالة الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ١٣ : ١ - ٣»

«لقد جاءوا أولًا من أجل اليهود، ولكننى لم أعبر عن رأى لأننى لست يهوديًا، ثم جاءوا بعد ذلك من أجل الشيوعيين، ولكننى لم أتكلم وأعبر عن رأى لأننى لست شيوعيًا، ثم جاءوا بعد ذلك من أجل نقابات التجارة ولكننى لم أتكلم وأعبر عن رأى لأننى لست عضوا فى اتحاد النقابات، ثم جاءوا بعد ذلك من أجلى، ولـم يتبقى هناك أحد من الناس ليتكلم ويعبر عن رأى».

القس مارتن نيمولر مؤسس كنيسة «الاعتراف»
بالاشتراك مع ديتريتش بونهوفر[1]

ومع وصول كلٍّ من «هتلر» و«روزفلت» إلى السلطة فى عام ١٩٣٣، كان لابد لنا من رؤية الموقع الفريد الذى احتلته الولايات المتحدة فى العالم فى ذلك الوقت، حيث كان «وليم بلاكستون» لا يزال على قيد الحياة وكان لا يزال صوته مسموعًا (توفى لاحقًا عام ١٩٣٥) وهو عام شهد مرور ٤٢ عام على قراءة الرؤساء الأمريكيين لوثيقة «بلاكستون» لإعادة فلسطين لليهود. و كانت أمريكا قد خاضت اثنتين من الحروب (الحرب الإسبانية الأمريكية، والحرب العالمية الأولى) كما شهدت أمريكا أكثر عصورها رخاءًا فى فترة العشرينيات من القرن العشرين (و هى تمثل بارقة الأمل بعد سنوات رئاسة ويلسون)، إلا أنها أُبتليت بأكثر أزماتها الاقتصادية سوءًا على الإطلاق التى تمثلت فى فترة الكساد العظيم. وسوف يكون لفرانكلين دلانو روزفلت الرئيس العاشر فرصة الاستجابة لوثيقة «بلاكستون»، ولكنه لم يستغلها مثل باقى الرؤساء الآخرين الذين سبقوه.

وإننا لنتساءل: لماذا لم يتخذ «روزفلت» خطوات فعالة لإنقاذ أرواح اليهود؟ ففى كثير من الأحيان لا تكون حقيقة الأمور هى ما تبدو عليه. فلقد كان جد الرئيس «فرانكلين دى روزفلت» والذى يسمى «وارن دلانوا الصغير» هو رئيس عمليات «رسل» وشركاه فى «كانتون» بالصين. وكان «رسل» الذى قامت ثروته فى أساسها على تجارة الأفيون،

هو مؤسس جمعية «يال» السرية «للجمجمة والعظام». وكان من أعضائها البارزين اثنين من أصحاب البنوك النازيين هما «اتش جى كونهوفن ويوهان جرونجر». فهل يمكن أن يكون حفيده الرئيس «روزفلت» والمسمي على اسمه قد تأثر بالناس الذين كانت لهم خططهم الخاصة.... هؤلاء الذين كانوا متورطين فى تزويد «هتلر» بما يجعله قادرًا على إعادة بناء آلة الحرب الألمانية، و هل هذا هو السبب الذى جعل روزفلت الحفيد يصم أذنيه عن صرخات ملايين اليهود فى أوروبا؟ (ومن الجدير بالملاحظة أن نقول أن «چورج دبليو بوش» و«جون اف كيرى» أعضاء فى هذه الجمعية السرية. وأن الانتخابات الأمريكية عام ٢٠٠٤ كانت حلبة صراع بين عضوين من جمعية «الجمجمة والعظام» حيث تنافس بوش وكيرى)[٢].

سوف يكون روزفلت آخر رئيس أمريكى كان فى إمكانه منع المحرقة والإبادة النازية لليهود، وحتى عندما قتل بالفعل ثلاثة ملايين يهودى فى منتصف الحرب، فإنه ظل صامتًا بطريقة رهيبة حول تلك المأساة. ويبدو أن الرجل الذى اعتبره الأمريكيين أعظم رئيس من الحزب الديموقراطى، كان أيضًا جزءًا من أكثر الفترات سوادًا فى تاريخ أمريكا فيما يتعلق بعلاقاتها بأبناء اسحاق.

إن ما كان يحدث فى ألمانيا النازية لم يكن بالتأكيد خافيًا على الرئيس «فرانكلين دلانو روزفلت»، فلم يتخل «هتلر» أبدًا عن معاداته للسامية، وكتابه «كفاحى» يعبر بوضوح عن كراهيته لليهود ولومه لهم على كل مشكلات العالم الأخرى والتى من بينها الشيوعية. ويقال عن «هتلر» بأنه لا تمضى عشرة دقائق إلا و يلعن اليهود. وبمجرد تولى «هتلر» السلطة، أصدر القوانين التى تمنع اليهود من تقلد المناصب الحكومية، وتفرض مقاطعة أعمالهم، وتفرض القيود على التحاقهم بالجامعات. (ومن أجل تأييد أفعاله ضد اليهود، كان «هتلر» يقتبس أفكاره من كتابات «مارتن لوثر» و«فردريك نيتشه» المعادية للسامية. إن هجمات «نيتشه» الشرسة لم تكن قاصرة فقط على معاداة السامية، لكنه هاجم المسيحيين أيضًا بضراوة، ففى كتابه «ضد المسيح» أكد لنا «أن المسيحية ما هى إلا لعنة كبرى وضلال كبير ووصمة عار أخلاقية على جبين البشرية، وأكبر خدعة ظهرت على الإطلاق»[٣]. وكانت هذه الأفكار المتطرفة لـ«هتلر» تمثل أول اختبار حقيقى لأمريكا

وطبيعة ردها على تشريعاته المعادية للسامية. لكن وفقًا لما قاله المؤرخ الألمانى «كلاوس شوالدر» لم يقدم أى أسقف كنيسة، أو أى عضو بالمجمع الكنائسى الألمانى أى إعلان صريح يدين اضطهاد اليهود فى ألمانيا خلال الأيام الحاسمة التى سبقت وتلت الأول من أبريل عام ١٩٣٣[٤].

كيف تأثرت الكنيسة تأثيرًا عظيمًا بعلم «نيتشه»؟ لقد كتب «نيتشه» قائلًا: «إن الأقوياء والسادة تنتابهم رغبات متوحشة كما تنتاب الوحوش و الحيوانات المفترسة فيشعرون بسعادة بالغة عند تنفيذهم عمليات القتل وإحراق المبانى والاغتصاب والتعذيب بنفس سعادة الحيوان فى قلوبهم... ولكى نحكم على الأخلاق بصورة صحيحة فيجب أن نستبدلها باثنين من المفاهيم المقتبسة من علم الحيوان وهما، تدريب وترويض الوحوش وتربية سلالة ونوع جديد منها»[٥].

يمثل صمت الكنيسة الألمانية خلال تلك الفترة إحدى أعظم الجرائم الموجهة ضد المسيحية على مدار تاريخها، ولكنه أيضًا يظهر خبث فيروس معاداة السامية، فربما يصاب الإنسان منا به و لا يدرى. وكما تدل كتابات «مارتن لوثر» الخاصة، فلقد انتشر هذا الفيروس بصورة واسعة فى الثقافة الألمانية. وفى إحدى الكتيبات بعنوان «عن اليهود وأكاذيبهم» كتب لوثر عام ١٥٤٣ قائلًا:

«فى الحقيقة بما أن اليهود أجانب فلا يحق لهم امتلاك أى شىء، وما يملكونه بالفعل يجب أن يصبح ملكا لنا. وذلك لأنهم لا يعملون؛ وبرغم ذلك فإنهم يسيطرون على أموالنا وبضائعنا، وأصبحوا أسيادنا فى بلادنا أثناء شتاتهم. فلا يجب أن نكافئهم على ذلك. عندما يسرق لص عشر جليدرات فإنه يشنق، ولكن عندما يسرق اليهودى عشر جليدرات بالربا الفاحش فإنه يشعر بالفخر و كأنه أكبر من الرب! ويتباهى بكراهيته ودينه ويقول: «انظروا كيف لم يتخل الله عن شعبه المختار فى الشتات. فنحن لا نعمل ونقضى الوقت فى مرح وسعادة، فيجب أن يعمل الأغيار الملعونون من أجلنا ونحن نحصد أموالهم فى النهاية، وبالتالى فنحن أسيادهم وهم خدامنا!.

وإلى يومنا هذا فإننا لا نعرف أى شيطان جلب اليهود إلى بلادنا، وبالتأكيد فنحن الألمان لم نسع للبحث عنهم فى القدس»[٦].

وحتى «ديتريش بونهوفر» بطل العقيدة المسيحية يبدو أنه قد أصيب أيضًا بعدوى فيروس معاداة السامية، وذلك على الرغم من تورطه بعد ذلك فى التآمر لمحاولة اغتيال «هتلر» والذى أُعدم على إثرها شنقًا عام ١٩٤٥. كتب مُعلقا على قانون مقاطعة اليهود عام ١٩٣٣: **«إننا لم نفقد أبدًا فى كنيسة المسيح إدراكنا لفكرة أن الشعب المختار الذى دق المسامير فى معصم المسيح منقذ ومخلص البشرية عند صلبه إنما هو شعب يجب أن يتحمل لعنة فعلته وجريمته هذه على مدار تاريخ طويل من المعاناة»**(٧).

ومع ذلك استجاب بالفعل بعض المسيحيين إلى دعوة اليهود للرب لإنقاذهم، ولكنهم كانوا قليلى العدد فى ألمانيا. ومن بينهم صهيونى مسيحى «وسيط روحانى» يدعى «ريس هاولز» والذى ترأس مدرسة للكتاب المقدس فى «ويلز» وكان يجعل طلابه يصلون من أجل اليهود لفترة طويلة. وتلقى «هاولز» فى سبتمبر ١٩٣٨ نداءاً لتحمل عبء ثقيل من الرب عندما سمع هاتفًا يأمر جميع اليهود بمغادرة إيطاليا خلال ستة أشهر، وأن معاداة السامية كانت تتزايد بسرعة فى ألمانيا. وبعد ذلك وجه أفكاره نحو الدعوة لعودة اليهود إلى وطنهم القومى بفلسطين. وهكذا كان «ريس هاولز» واحدًا من المئات بل الآلاف الذين كانوا يصرخون فى العالم للسماح للشعب اليهودى بإقامة وطن قومى له، ويوجد هناك الكثيرون الآخرون من أمثالهم إلا أنهم لم يكونو كافيين. ففى هولندا كانت «كورى تن بووم» وعائلتها من بين هؤلاء الملائكة. وكان أجدادها يصلون فى منزلهم منذ عام ١٨٤٤ واستمر ذلك حتى عام ١٩٤٤، عندما تم إرسال جميع أفراد الأسرة إلى معسكرات الموت عقابًا على محاولتهم إنقاذ اليهود. (وكان مخبأها الشهير فى محل ساعاتى تن بووم بمدينة «هارلم» بهولندا جزءًا من عملنا).

و مع مر السنين استمرت القوانين الألمانية فى قسوتها المتزايدة، فتم حرمان اليهود من الجنسية الألمانية و تم استبعادهم من الوظائف الحكومية ومنعوا من امتلاك السيارات الخاصة، وطردوا من المدارس العامة وصودرت ممتلكاتهم(٨). فالفكرة فى البداية كانت طرد اليهود من ألمانيا ـ لكى تصبح ألمانيا دولة مسيحية خالية من اليهود. وكانت إحدى **الأمثلة لتلك السياسة الألمانية هى ما يعرف « بترحيل اليهود» إلى فلسطين، وهى اتفاقية ٢٧ أغسطس ١٩٣٣ التى وقعت بين وزير الاقتصاد الألمانى وممثلى الحركة الصهيونية**

فى ألمانيا وفلسطين. وسمحت تلك الاتفاقية للمهاجرين اليهود بنقلهم بصورة غير مباشرة لجزء من ممتلكاتهم وأصولهم فى ألمانيا إلى فلسطين. وسهلت تلك الاتفاقية إرسال صادرات البضائع النازية من ألمانيا إلى فلسطين. وكنتيجة لتلك الاتفاقية تم تحويل مائة مليون مارك ألمانى إلى فلسطين، وبذلك فإن الستين ألف يهودى ألمانى الذين وصلوا إلى فلسطين خلال الفترة من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩ وجدوا الإمكانيات الاقتصادية اللازمة لبقائهم وإعاشتهم فى انتظارهم لدى وصولهم فلسطين(٩).

وفى أوائل عام ١٩٣٣ زار «بارون ليوبولد اتز الدر ڤون» مايلد نشتين «المستعمرات والمستوطنات اليهودية فى فلسطين. وأثناء زيارته «أرض إسرائيل» صاحبه العضو البارز لحركة برلين الصهيونية «كيرت توشلر» وزوجته. و بعد تلك الزيارة ظهرت سلسلة مقالات إيجابية فى جريدة «الهجوم» تحت عنوان «زيارة نازى لفلسطين» وتم صك ميدالية تذكارية مرسوم عليها الصليب المعقوف - شارة الحزب النازى - على إحدى جانبيها، ونجمة داود على الجانب الآخر(١٠).

فى البداية كان معظم اليهود الألمان مترددين فى مغادرة ألمانيا، ولكن الأحداث تصاعدت لتصل إلى ذروتها فى ٩ نوفمبر ١٩٣٨ عندما انقلبت الجماهير الألمانية ضد اليهود فى أعقاب إشاعة تفيد بأن أحد اليهود الشبان قتل موظف حكومى ألمانى فى باريس. وخلال ليلة «ليلة البلور (الكريستال) أو ليلة الزجاج المكسور» قتل العشرات من اليهود فى أعمال الشغب التى اندلعت والتى ادت الى تحطم نوافذ منازل ومحلات اليهود وإشعال النار فى معابدهم. وتم إلقاء القبض على الآلاف من اليهود.

ومن الصعب علينا تحديد الرقم النهائى بدقّة لأعداد اليهود الذين استطاعوا الهرب من أوروبا قبل الحرب العالمية الثانية، وذلك لأن الإحصائيات المتاحة غير كاملة، فلم تقدم لنا كثيرًا من الدول قوائم إحصائية عن هجرة اليهود خلال تلك الفترة. غادر ٣٥٥٢٧٨ من اليهود الالمان و النمساويون بلادهم خلال الفترة من عام ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩. وبعضهم هاجر إلى بلاد اجتاحها النازى فيما بعد، وفى نفس تلك الفترة هاجر ٨٠٨٦٠ يهوديًا بولنديًا إلى فلسطين ووصل ٥١٧٤٧ يهوديًا أوروبيًا إلى الأرجنتين والبرازيل وأرجواى. وخلال

الفترة من ١٩٣٨ إلى ١٩٣٩ هاجر ٣٥٠٠٠ يهودى تقريبًا من تشيكوسلوفاكيا - بوهيما ومورافيا. وكانت «شنغهاى» هى المكان الوحيد فى العالم الذى لا يحتاج فيه اليهود لتأشيرة دخول لذلك استقبلت شنغهاى تقريبًا ٢٠٠٠٠ يهـودى أوروبى - معظمهم من أصول ألمانية - من الذين هربوا من أوطانهم وَفقًا لما ذكره المؤلف «فريدلاندر سول»:

«قبل نهاية عام ١٩٣٨ وصل ألف وخمسمائة لاجىء وبعد سبعة أشهر لاحقة وصل العدد إلى أربعة عشر ألفًا، وإذا لم تكن اليابان قد قيدت دخول اليهود إلى شنغهاى(*) بسبب ظروفها المحلية فإن إجمالى هذا العدد كان سيتضاعف بالآلاف. وعشية الحرب فإن اليهود الذين وصلوا شاطئ الأمان لبحر الصين كانت أعدادهم تتراوح بين سبعة عشر إلى ثمانية عشر ألف يهودى»[١١].

عندما غزت ألمانيا پولندا عام ١٩٣٩ خضع المليونى يهودى الذين كانوا يعيشون هناك لأشد القوانين صرامةً وقسوةً، حيث أُجبروا على العيش داخل أحياء يهودية محكمة الإغلاق ومحاطة بالأسوار والأسلاك الشائكة. وعندما غزا النازى الاتحاد السوفييتى فى يونيه ١٩٤١، أرسلت فرق خاصة تسمى «فرق العمل» لقتل أى يهودى تقع أعينهم عليه. ولم يمر وقت طويل حتى وصلت شائعات قتل اليهود بصورة عمياء إلى جميع عواصم العالم. وكانت الأوامر قد صدرت بالفعل من «هيرمان جورنج» الرجل الثانى فى القيادة الألمانية النازية بالإعداد للحل النهائى لـ«المشكلة اليهودية». وفى سپتمبر عام ١٩٤١ أُجبر اليهود الروس على ارتداء النجمة الصفراء التى تميزهم عن الأجناس الأخرى، وفى الشهور التالية تم ترحيل عشرات الآلاف من يهود روسيا إلى الأحياء المعزولة (الجيتو) فى پولندا. وقبل ذلك بشهور تم إجبار اليهود الأمريكيين فى فرنسا على ارتداء النجوم الصفراء تحديدًا فى نوفمبر ١٩٤٠، واحتجت الولايات المتحدة الأمريكية، ولكنها لم تتلق من ألمانيا أى رد على احتجاجها، ولم تتخذ أمريكا فى ذلك الوقت أى إجراء، والتزمت الصمت. حاول «هتلر» لسنوات عديدة الضغط على أمريكا والعالم لاستيعاب اليهود المطرودين، كان «هتلر» يريدهم خارج ألمانيا ولم تتحرك أمريكا والعالم لمنعه

(*) مدينة شنغهاى بالصين وكانت تحتلها اليابان من ١٩٣٧-١٩٤٥ - المترجم.

من ذلك. وفى السنوات الأولى قبل تحالف «هتلر» مع العرب(*)، حاول «هتلر» إرسال «إيخمان» إلى فلسطين، فكان يريد إرسال اليهود إلى فلسطين .وفى النهاية أدرك «هتلر» أن الشعوب الأخرى لا تبالى بمصير اليهود، وأن باقى شعوب العالم قد اعتنقت بشكل ما معتقداته المعادية للسامية.

وفى نفس الشهر بدأ الألمان فى استخدام عربات الغاز المحكمة الغلق، التى تم ملؤها باليهود لخنقهم داخلها بغاز أول أوكسيد الكربون. وبعد ذلك حلت معسكرات الموت محل عربات الموت، وكان من أشهرها معسكر شيلمنو الذى بدأ العمل فى أواخر عام ١٩٤١. وبعد بدء تشغيل معسكرات الموت، بدأ الترحيل الجماعى لليهود على نطاق واسع من أحيائهم المغلقة (الجيتو) إلى تلك المعسكرات ليلاقوا مصيرهم المحتوم. وحدثت أكبر هذه الترحيلات فى صيف وخريف عام ١٩٤٢[١٢].

ولا يوجد أدنى شك بأن الولايات المتحدة كانت تعلم عن اضطهاد «هتلر» لليهود فى تلك السنوات الأولى على الرغم من عدم وجود خطط فى ألمانيا للحل النهائى فى ذلك الوقت. وقد حذر السفير الأمريكى فى ألمانيا ـ الذى استبدله «روزفلت» بـ«وليم إى دود» ـ الألمان من أن سوء معاملة اليهود سيقابل فى الولايات المتحدة بصورة سيئة. أخذ الأمر من السفير المستبدل «وليم إى دود» أقل من سنة ليرى أنه يتعامل مع حكومة سيطر عليها رجال لا يتورعون عن فعل أى شىء و لا تحكمهم أى أخلاقيات. كتب أحد مسئولى وزارة الخارجية الأمريكية فى ذلك الوقت قائلًا: «إن الهدف المؤكد للحكومة الألمانية النازية هو إبادة وتصفية اليهود من الحياة الألمانية». ومع حلول عام ١٩٣٧ أصبح من الواضح بأن اضطهاد النازى كان منهجيًا ومنظمًا ويسير نحو نهاية مأساوية لا تحمد عقباها. فجعل الوضع لا يطاق بقدر الإمكان أمام إقامة اليهود فى ألمانيا. هذا وعلى الرغم من أن اليهود قد غادروا ألمانيا بعشرات الآلاف، إلا أن ملايين منهم كانوا لا يزالون يقيمون فيها رغم أنهم كانوا يريدون مغادرة ألمانيا، **كانت المشكلة فى عدم سماح أى**

(*) أى عرب الذين تحالف معهم هتلر؟ كانت مصر تحت الاحتلال الإنجليزى، وليبيا تحت الاحتلال الإيطالى، وبقية شمال أفريقيا تحت الاحتلال الفرنسى، وفلسطين تحت الانتداب البريطانى، وفرنسا تسيطر على سوريا ولبنان، ويبقى العراق والأردن تحت السيطرة البريطانية ـ المترجم.

من الدول الأخرى لهم بالدخول، وهكذا فكان هناك من يوصد الأبواب فى وجه اليهود الألمان، وقبل حلول عام ١٩٣٩ اصبحت جميع الأبواب موصدة أمامهم تمامًا. وبالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، إنتهت فترة «باب الهجرة المفتوحة» لاستقبال المضطهدين من جميع أنحاء العالم ليستمتعوا بالحريات الأمريكية، وكانت قوانين الهجرة التى تم إصدارها عامى ١٩٢١، ١٩٢٤ قد قيدت نسبة الهجرة التى كانت تمنح وبلا شروط ليهود أوروبا الشرقية. وحتى هؤلاء اليهود الذين دخلوا أمريكا بالفعل؛ فقد واجهوا صعوبات فى الحصول على عمل، وتم تسريحهم من الوظائف التى يمكن لغير اليهود شغلها.

سيطرت على «روزفلت» رغبة عارمة للمساعدة فى إنشاء دولة لليهود، ولكن هذا الاهتمام كان أيضًا نظريًا ونابعًا من حبه للجغرافيا أكثر منه اهتمامًا عمليًا. وعندما كان الرئيس «روزفلت» صبيًا كانت تعاليم المسيحية تحمل معها ـ فى حدها الأدنى ـ لمسة أمل للنبوءة التى احتفظ بها لليهود، لكن بوصفه رئيسًا فإن مناقشته للقضية اليهودية كانت دائما تتسم بشحذ العقل، وليس إتباع رؤية نبوءية على المدى البعيد أو دعوة أخلاقية للعمل الدؤوب لحل مشكلة. وخلال سنوات صعود «هتلر» إلى قمة السلطة، كان «روزفلت» قد حدد ما لا يقل عن ٦٦٦ موقعًا جغرافيًا محتملًا لإعادة توطين «اللاجئين اليهود الأوروبيين». وتم عقد مؤتمر دولى فى يوليو عام ١٩٣٨ بمدينة إيفيان بفرنسا ـ الذى كان لا يزال فى إمكانه منع المحرقة ـ ولكن رد فعل كل الدول المقترحة لالستضافة اليهود، يمكن تلخيصها بسهولة فى عبارة واحدة «بقدر ما نود الترحيب بأولئك الناس، فإننا نأسف ـ فى نهاية الأمر ـ على أننا لا نستطيع ذلك»[١٣]. أما بريطانيا فوافقت على المشاركة فى المؤتمر فقط إذا ما استبعدت فلسطين من الاختيار لاستيعاب هجرة اليهود. وفى برمودا عام ١٩٤٣ عُقد مؤتمر آخر حول نفس الموضوع ولكن الوفود لم تناقش مصير اليهود الذين لا يزالوا فى قبضة النازى، وإنما فقط اليهود الذين هربوا إلى بلاد أخرى محايدة.

وبالتالى مع إقفال كل الدول أبوابها أمام اليهود المغادرين من ألمانيا، بدأ الألمان يتجهون نحو الحل النهائى لمشكلة اليهود بعد «ليلة البلور ـ الكرستيال». وكان من الواضح منذ البداية بأن اليهود كُتب عليهم الموت بطريقة أو بأخرى. وكما قال «روزفلت» فى برقيته المؤرخة فى ١٤ يناير ١٩٣٩: «يجب علينا مواجهة حقيقة أن هناك فى

وسط وشرق أوروپا مجموعة دينية من سبعة ملايين شخص ينتظرهم مستقبل اجتماعى واقتصادى مظلم وسيزداد إظلامًا(١٤). ومرة أخرى رفض تسميتهم باليهود أو إتخاذ أى إجراءات جوهرية لمساعدتهم.

ومع تزايد إغلاق أبواب النجاة أمامهم، ومع زيادة الاضطهاد النازى لهم، لم يتردد اليهود الذين كان فى مقدورهم الفرار من ألمانيا، فعل ذلك، والذين تمكنوا من الانتقال إلى فلسطين فعلوا ذلك، ولكن نسبة المهاجرين كانت مقيدة بشدة، و لم يرحب العرب بالمهاجرين اليهود. واندلع قتال وحرب عصابات بين اليهود والعرب عام ١٩٣٦ ولم تستطع بريطانيا المحافظة على السلام والأمن هناك. كانت بريطانيا مشغولة أيضًا بتأثير «هتلر» فى الشرق الأوسط، وكانت الدعاية الألمانية النازية تلعب بمكر وخبث على مخاوف العرب المعادية للصهيونية. ففى الحرب العالمية الأولى نجح البريطانيون فى كسب العرب إلى جانبهم، والآن يحاول الألمان كسب عرب فلسطين إلى جانبهم. وكان «هتلر» واثقًا من أن الله اختاره ليكون زعيمًا للعالم كله وليس زعيمًا للمسيحيين فحسب، وإنما أيضًا لغير المسيحيين. وقال «هتلر» معلقًا: «إننى سوف أصبح شخصية دينية محترمة وسأكون قائدا عظيما، وسوف يردد العرب وأهل المغرب اسمى فى صلاتهم»(١٥).

كشفت الإذاعة النازية من برامجها الموجهة للشرق الأوسط بصورة كبيرة خلال عام ١٩٣٧، وصورت الصهيونية باعتبارها خادمة للإمپريالية الفرنسية والبريطانية. واستمر قلق العرب فى التصاعد؛ ففى أعقاب تقرير لجنة «بيل» زار مفتى القدس العربى الحاج «أمين الحسينى» القنصل العام الألمانى فى القدس ليخبره بمدى إعجابه بالرايخ الألمانى الثالث، وكيف سيكون ممتنًا بأقل مساعدة تقدمها ألمانيا إلى العرب فى كفاحهم ونضالهم ضد البريطانيين واليهود. ومن هنا تقدمت المفاوضات حتى سلم رئيس المخابرات الألمانية كميات من الأسلحة المنتجة فى المصانع الألمانية إلى المفتى وذلك عن طريق العراق والسعودية(*).

(*) كما سبق وذكرنا كانت العراق تحت السيطرة البريطانية، وكانت للسعودية وثيقة دول الخليج علاقات حميمة مع أمريكا وبريطانيا ـ المترجم.

وتحولت بريطانيا إلى التودد للعرب لكسبهم إلى جانبها، فعملت على فرض قيود على الهجرة اليهودية. فأصدرت تلك الورقة المشينة المسماة «الوثيقة البيضاء» يوم ٢٨ مايو ١٩٣٩ التى اغلقت الباب أمام هجرة اليهود إلى فلسطين و ذلك فى محاولة منها لتهدئة العرب و منعهم من التحول الكامل الى الجانب الالمانى فى الحرب. وعلى الرغم من أن التهدئة البريطانية أدت فقط إلى حث العرب على أن يكونوا أكثر عدوانية تجاه اليهود حتى بعد الحرب، إلا أن ١٧٠٠٠ مهاجرًا يهوديًا تقريبًا وجدوا طريقًا غير شرعى ليدخلوا فلسطين خلال الفترة من ١٩٣٩ وحتى اندلاع الحرب العالمية الثانية[١٦]. وكتب «فريدلاندر» عن ذلك قائلًا:

فى يوم ٢٠ سبتمبر عام ١٩٣٩ وبعيدًا عن الشاطىء عند «تل أبيب» أطلقت سفينة بحرية ملكية بريطانية قذائفها على «تل النمر» الذى كان يأوى ١٤٠٠ لاجىء يهودى فمات اثنان منهم، وعلق «برنارد واسرشنين» بسخرية على هذا الحدث قائلًا «ربما كانت هذه أول قذيفة معادية تطلقها القوات البريطانية بعد الهجوم الألمانى على پولندا أمس»[١٧].

وقبل توقيع «الوثيقة البيضاء» بخمسة أيام بالضبط، غادرت ٩٢٥ عائلة يهودية ـ بينها عائلات تتكون من عدد صغير من الأطفال، بعضهم كانوا مازالوا يتعلمون المشى ـ ميناء هامبورج على ظهر الباخرة «أس أس سانت لويس»، متجهة إلى كوبا فى يوم ٢٣ مايو ١٩٣٩ هاربين من الاضطهاد النازى. وعلى الرغم من أن كل يهودى منهم كان يحمل تأشيرة دخول إلى كوبا، إلا أنه مُنع من الدخول، وعندما حولت السفينة دفتها متجهة نحو أمريكا أملًا فى إيجاد ميناء آخر، وجدوا «الأبواب مغلقة» أيضًا. وفى مناسبة الإحتفال بإعادة لم شمل ركاب السفينة فى القدس عام ٢٠٠٢ وصف أحد الأطفال الصغار ـ الذى شاهد أحداث تلك السفينة ـ ويدعى «ميشيل باراك» استقبال الولايات المتحدة قائلًا:

«عند اقترابنا من ميامى فى بلاد «الحرية» أرسل روزفلت إلينا البحرية الأمريكية لمنعنا من الدخول بالقوة، وعلاوة على ذلك فإنه حذر أى دولة فى المنطقة من السماح لليهود الملعونين من دخول أراضيها بأمان. وفى كندا قال لنا رئيس مصلحة الهجرة بعد سؤالنا له: كم عدد اليهود على ظهر تلك السفينة يمكنكم قبولهم؟ أجاب «لا أحد» يعتبر عددًا كبيرًا جدًا![١٨].

وأبحرت السفينة على طول امتداد سواحل فلوريدا لمدة خمسة أيام محاولة إيجاد «باب مفتوح» فى مكان ما فى العالم. وقضت ثلاثة أسابيع محاولة إيجاد ملاذ آمن لها، وأرسلت برقيات عاجلة إلى جميع المسئولين بالحكومة الأمريكية من بينها برقيتان لمناشدة الرئيس «فرانكلين دلانو روزفلت» شخصيًا، لكنه لم يرد عليهما إطلاقًا. وأرسل لنا سفن حرس السواحل الأمريكية لمنع أى شخص من السباحة الى الشاطئ. وفى يوم ٧ يونيه ١٩٣٨ اضطرت السفينة «سان لويس» عبور المحيط الأطلنطى مرة أخرى حيث استطاعت إنزال مجموعات صغيرة مبعثرة من ركابها اليهود فى دول كإنجلترا وهولندا وفرنسا وأخيرًا بلجيكا. وتم تفرقة معظم عائلات الركاب الذين كانوا على ظهر السفينة عندما استولى النازى على هولندا وبلجيكا وفرنسا فى السنة التالية ١٩٤٠، وتم ترحيل ٢٦٠ من ركابها فورًا إلى معسكرات القتل الجماعى[١٩]. وقتل تقريبًا نصف هؤلاء الركاب فى المحرقة النازية.

وكان أحد ركاب السفينة «سان لويس» ويدعى «هنرى فلد » فى العاشرة من عمره. قُتل والده فى ليلة البلور ـ الكرستيال وكان مع والدته وأخ آخر له يبلغ ثلاثة عشر عامًا من العمر حاضرًا فى ذكرى الاحتفال بإعادة لم شمل ركاب السفينة بالقدس عام ٢٠٠٢. واتصلت به ابنته من مدينة «نيوجيرسى» لتسأل عن سلامته فى تلك المدينة التى تشهد عمليات انتحارية وبشكل منتظم، فأجابها قائلًا: [رست أخيرًا سفينتى فى إسرائيل. وشاهدت دولة عاقدة العزم على الدفاع عن شعبها... وإذا كانت إسـرائيل موجـودة عام ١٩٣٩، لتم إنقاذ الركاب الذين كانوا على ظهر السفينة «أس أس سان لويس»].

فى ديسمبر ١٩٣٩ عين « روزفلت» «بريكينريدج لونج» فى موقع يكون فيه مسئولًا عن تحديد من الذى يسمح ومن الذى لا يسمح له بالحصول على تأشيرة الدخول لأمريكا من ألمانيا النازية. وكانت فلسفته ببساطة «لا تسمح لأحد بالدخول فكلهم مثيرى شغب» وعندما سأله الصحفيون ذات مرة حول ما ينبغى فعله مع اليهود الذين يحاولون الهرب من «هتلر» ودخول أمريكا، أجاب هكذا «يجب قتلهم» ـ وهو يمثل مستخدمًا يداه كأنها ممسكة بمدفع رشاش. وفى النهاية وعلى الرغم من «الوثيقة البيضاء» والعقوبات البريطانية الصارمة ضد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فقد سمح بدخول ما يزيد عن ٢٥٨٠٠٠ لاجئ

يهودى إلى فلسطين، وذلك ما بين عامى ١٩٣١ و١٩٤٢، وذلك العدد كان أكثر مما سمحت به الولايات المتحدة الأمريكية نفسها خلال نفس الفترة (١٦٩٠٠٠) مهاجرًا يهوديًا. واعتمدت وزارة الخارجية الأمريكية إعتبارًا من عام ١٩٣٣ حتى انتهاء الحرب، مثل هذه السياسات الصارمة للهجرة، ولم توافق عمليًا سوى على نصف الحصص المقررة لهجرة اليهود القادمين من ألمانيا والنمسا إليها. فعلى سبيل المثال لم يدخل الولايات المتحدة الأمريكية عمليًا سوى ٢٧٠٠٠ يهودى ألمانى إلى خلال عامى ١٩٣٣ و١٩٣٨ بينما كانت البلدان المسموح بها للهجرة تصل إلى ١٢٩٨٧٥ مهاجر يهودى[٢٠]. وعندما أثيرت قضية ما يحدث لليهود فى الحصة التى يسيطر عليها «هتلر» كما أثارها «رابى ستيفن وايز» ووفد من الليبراليين المسيحيين عام ١٩٤١. فإن الرئيس الأمريكى ببساطة كان يحيل القضية إلى صديقه «بريكينر يدج»[٢١] لبحثها.

ومع بداية تلك الصراعات، فإن «هنرى موزجينثو» المتحفظ الآخر بدأ يكتشف أصله. فعلى الرغم من أنه كان يعتبر نفسه أمريكى بنسبة ١٠٠٪ إلا أن هناك شىء ما بداخله عزف على وتر حساس وهو ما حدث لليهود فى ألمانيا فى عهد «هتلر». ولكنه كان يدرك أن صديقه الرئيس «روزفلت» لم يكن مهتمًا بالقضية. أخبر «مورجينثو» إحد مساعديه ذات مرة أن الرئيس «روزفلت» لم يكن الأمثل فى التعامل مع القضية اليهودية[٢٢].

ولكن بحرص وهدوء فعل «مورجينثو» كل ما فى وسعه من أجل اليهود، واقترح على الرئيس «روزفلت» عام ١٩٣٨ بأن تحصل الولايات المتحدة على جزيرة «جويانا» البريطانية والفرنسية لاستخدامها كملاذ للاجئين اليهود نظير مساعدة اليهود لأمريكا فى الحرب العالمية الأولى. رفض «روزفلت» هذا الاقتراح قائلًا: «إنه اقتراح عقيم فسوف يستغرق هذا الأمر ما بين خمسة إلى خمسين عامًا ليتغلب اليهود على الحمى»[٢٣] ولكن «روزفلت» فعل شيئًا آخر هو دراسة إمكانية إيواء باراجواى لليهود مقابل تبرعات مالية يهودية لها، ولكنها خطة لم يتم صياغتها وإكمالها، فلم تقدم إلى من يمكنهم التبرع لذلك.

وفى هذه الأثناء كان الحاج «أمين الحسينى» مفتى القدس ينزل ضيفًا عزيزًا على «هتلر»

فى برلين عام ١٩٤١. وكان مقتنعًا بأن النازى يملك مفاتيح تحقيق اثنين من الأهداف العظيمة لحياته وهما تدمير اليهود وطرد البريطانيين من الشرق الأوسط(*).

وفى عام ١٩٤٢ نجح الحاج «أمين» فى إقناع «هتلر» و«موسيلينى» بالموافقة فى وثيقة سرية على إلغاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين، وكان حماسه مركزًا أكثر على إبادة اليهود(**). وعندما أصدر «هتلر» تعليماته بالحل النهائى « كان المفتى الحاج « أمين» واحدًا من أكثر المؤيدين لهذا الحل، وعمل بجد على تأكيد ضرورة غلق جميع المنافذ حتى لايجد أى يهودى طريقة ما لدخول فلسطين ولو على سبيل الخطأ. وهكذا رفع الحاج «أمين» شخصيًا شكوى إلى «فون رينزوب» وزير الخارجية النازى عندما علم بأن الحكومة الألمانية على وشك مبادلة سبعة آلاف طفل يهودى وثمانمائة رجلًا يهوديًا تقريبًا بالمواطنين الألمان والرومانيين والمجربون الذين كانوا يعيشون فى فلسطين. وكنتيجة لشكوى الحاج «أمين» لم يغادر أحد من هؤلاء اليهود أوروبا.

وهناك أدلة قوية تؤيد معرفة «روزفلت» ووزارة الخارجية الأمريكية بأن هناك شىء ما محدد حول «الحل النهائى للمشكلة اليهودية» الذى نادى به «هتلر» عام ١٩٤٢. ومع دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب، كان أمامها خياران إما أن تفعل شيئًا ما لإيجاد ملاذ آمن لليهود، أو على الأقل أن تستغل المعلومات المتوافرة لديها حول الفظائع الألمانية ضد اليهود من أجل حشد التأييد لها فى الحرب. ولكنها لم تُقدم على أى منهما.

وفى يوليو عام ١٩٤٢ طلب رئيس مجلس الشيوخ اليهودى الأمريكى «رابى ستيفن

(*) كان اليهود، حسبما يذكر المؤلف، وتذكر كثير من الكتب الأخرى، مضطربين ومظلومين فى أوروبا، تصادر أموالهم وممتلكاتهم، ويعاقبوا بالاعتقال والقتل، رغم أنهم كانوا مواطنين فى تلك البلاد الأوروبية، ولعدة أجيال. أما فى فلسطين التى هاجروا إليها هربًا من اضطهاد أوروبا ـ والعالم كله حسبما يقول هرتزل وغيره ـ فكانوايقومون بدور المعتدى على الفلسطينيين، بمصادرة الأراضى، والاعتداء والقتل على الفلسطينيين، ذلك الأمر الذى بدأ من القرن الرابع من القرن الماضى، واستمر، ونعانيه اليوم ـ المترجم.

(**) ليس بين أمين الحسينى واليهود إلا ما يفعلوه فى فلسطين، فإن توقفوا عن ذلك، فلا شأن له باليهود، سواء عاشوا فى أوروبا أو آسيا أو أمريكا، أو حتى فلسطين، كما كانوا يعيشون بين المسلمين لمدة تقرب من أربعة عشر قرنًا، ولميحدث لهم مثل ما حدث فى أوروبا ـ المترجم.

وايز» من الرئيس «روزفلت» إلقاء تصريح على الجماهير المحتشدة فى «ماديسون سكوير جاردن» لإدانة معاملة «هتلر» لليهود. واقترح «وايز» على الرئيس «روزفلت» القول: بأن قوى المحور لن تنجح إطلاقًا فى إبادة اليهود مثلما لن ينجحوا فى استعباد الجنس البشرى. وبدلًا من هذا الاقتراح قال الرئيس روزفلت ناصحًا وايز: بأن الأمريكان يتعاطفون مع جميع ضحايا الجرائم النازية(٢٤)(*). ويبدو أن الجرائم ضد اليهود لم تكن من الكلمات الواردة فى قاموس الرئيس الأمريكى. وفى ديسمبر من نفس العام عندما اعترف الرئيس الأمريكى فى محادثة له مع «وايز» بأن الحكومة الأمريكية كانت تعرف كثيرًا من الحقائق عما كان يحدث لليهود لكنه اعترف أيضًا بأنه كان من الصعب على أمريكا أن تفعل شىء حيال ذلك. وفى نفس الشهر أصدر البريطانيون تصريحًا يدينون فيه القتل الجماعى لمئات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال اليهود الأبرياء. ولم تصدر أمريكا أى تصريح، أو تفعل أى شىء تجاه ذلك.

ويبدو أن أمريكا قد سقطت خلال تلك الفترة فى مستنقع التعصب والتبلد فيما يتعلق بمصير اليهود. وفى خلال فترة النصف قرن منذ وجه «ادى» مزيدًا من الإدانة لوثيقة «بلاكستون»، تحجرت عقول مسئولى وزارة الخارجية الأمريكية على مواقف انعزالية ونسبية تكيل بمكيالين. فإذا ما أمكن مقايضة السلام مع حرية ومصير الشعوب الأخرى، فلماذا لا يكون الأمر هكذا؟ بأى حق تتدخل فى شؤن الحكومات الأخرى؟ ولماذا تقدم احتجاجًا رسميًا؟. حتى وإن تم تقديم مثل هذا الاحتجاج فسيتم تجاهله. سوف نناى بأنفسنا عن تلك المشكلات المعقدة حتى ولو كان هذا يعنى تجاهل القتل الجماعى الذى يرتكبه أعداؤنا الذين دخلوا فى حرب معنا، وحتى إذا ما أمكننا المساعدة عن طريق إيواء اللاجئين اليهود الذين يهربون من هذه الإبادة الجماعية، فلننس الأمر برمته ونتركهم يذهبون إلى أى مكان آخر بعيدًا عنا.

ومهما بدا هذا الاتجاه محيرًا إلا أنه على الأقل كان يمثل موقف الولايات المتحدة

(*) جرائم النازى، وجرائم الحرب العالمية الثانية، وهى فى الحقيقة، وبصفة أساسية. حرب المصالح الأوروبية ضد بعضها البعض، وانضمت لها اليابان والولايات النتحدة، بسبب تعارض مصالحهما أيضا، أسفرت عما يزيد عن خمسين مليون قتيل ـ المترجم.

الأمريكية الرسمى حتى منتصف الحرب، عندما ظهر أن لدى أحد المسئولين الأمريكيين الضمير الحى والوعى الأخلاقى ليأخذ موقف واشنطن المتجاهل لمعاداة السامية كأنها قضيته المقدسة التى يدافع عنها عن عقيدة وإيمان.

وعندما لم يجد «رابى وايز» عند الرئيس «روزڤلت» أو وزير خارجيته ما هو أكثر من مجرد التعاطف بالكلمات، بحث فى مكان آخر بعيدًا عنهما عن شخص ما يمكنه أخذ زمام المبادرة. وقعت عيناه على ضالته المنشودة فى وزير الخزانة الأمريكية «هنرى مورجينثو الصغير» الذى تعرف عليه منذ فترة طويلة وحضر حفل زفافه على زوجته «إلينور». وبدا من أول وهلة أن «مورجينثو» هو آخر ما يمكن توقعه لحمل راية الدفاع عن القضية اليهودية المهملة، ليضعها على قمة اهتمام البيروقراطية الأمريكية بواشنطون. فعلى الرغم من كون « مورجينثو» يهوديًا، إلا أنه كان يعتبر نفسه أمريكى الأصل. وكان «مورجينثو» بصورة ما رجل ضعيف الصحة. حيث كان يعانى من صداع نصفى ونوبات إغماء طوال حياته، وكان يقضى الساعات والأيام ممددًا فى الغرف المظلمة محاولًا الشفاء منهما. ولم تكن قصص «رابى وايز» المرعبة عما يحدث فى معسكرات الموت وغيرها من مذابح النازى الأخرى هى قصصًا يمكنها أن تساعد «مورجينثو» على الشفاء من تلك النوبات. وأثناء رواية «وايز» المرعبة التى تروى كيفية قتل ملايين اليهود، وأن النازيين يصنعون الصابون من بقايا جثث اليهود ويصنعون الستائر من جلودهم، علقت «هنريتا كولتز» إحدى مساعدات «مورجينثو» الموثوق بهم واصفة رد فعله على تلك القصص قائلة: «يصبح شاحبًا الوجه من الخوف أكثر فأكثر ويشعر بأنه على وشك أن يسقط مغشيًا عليه»، وصرخ «مورجينثو» فى «رابى» ليطالبه بالتوقف عن سرد حكايته المرعبة قائلًا: «إننى لا أستطيع تحمل سماع المزيد من تلك المآسى والقصص المرعبة»[٢٥].

ووجد «وايز» فى «مورجنيثو» تجسيدًا لصورة النبى داود، فهو البطل الذى يقبل تحدى جوليات [جالوت] لوضع نهايةٍ لتحيز وزارة الخارجية والبيروقراطية بواشنطن. وقرر «مورجينثو» مواجهة «بركينريدج لونج» عندما سمع عن عدائه تجاه اللاجئين وبخاصة اليهود منهم. وبأنه يؤخر عن عمد الأموال والمعلومات وجوازات السفر التى يمكن استخدامها لإنقاذ اليهود من الحل النهائى «لهتلر». لذا تحدث «مورجينثو» مع «لونج» فى

ديسمبر عام ١٩٤٣ قائلًا له: «ربما نتحدث معًا بصراحة. الانطباع الذى لدى المحيطين بك، وهو أنك معادى للسامية بصورة خاصة» وعندما أنكر «لونج» هذا الاتهام، استمر «مورجينثو» قائلًا: «مستر لونج لقد خلقت الولايات المتحدة الأمريكية لتكون ملاذًا لمن يتعرض للاضطهاد فى جميع أنحاء العالم. وبصفتى وزير للخزانة الأمريكية لمئة وخمسة وثلاثين مليونًا أمريكيًا، فإننى أقول لك هذا الكلام بوصفى أمريكيًا وليس بوصفى يهوديًا»[٢٦].

عرض «مورجينثو» الموضوع على رئيس «لونج» المباشر «كوردل هول» الذى كانت زوجته نصف يهودية، وعلى الرغم من أن «هول» قد بذل كل ما فى وسعه لإخفاء تلك الحقيقة، إلا أن «مورجينثو» ضغط على هذا الوتر الحساس، وقال له: «لو أنك يا «هول» كنت عضوًا فى الوزارة الألمانية اليوم لكان من المحتمل أن تكون بين المعتقلين فى معسكرات الموت، ولكانت زوجتك فى مكان لا يعلمه إلا الله»[٢٧].

ولكن لم يلق «مورجينثو» من «لونج و هول» سوى إحراجهما وارتباكهما. لذلك عقد العزم على عرض الموضوع على الرئيس «روزفلت»، ولمعرفته بمواقف «روزفلت» السابقة حول تلك القضايا فإن «مورجينثو» كان يعرف أن هذا الموضوع يمكن أن يكلفه خسارة منصبه الوزارى ويفسد صداقته مع «روزفلت». ولكن هذا المنصب لم يعد يهمه، فضميره لن يسمح له بالتخلى عن الطريق الذى بدأه واختاره لنفسه، ويجب أن يمضى فيه إلى نهايته مهما كان مصيره.

وحدد «مورجينثو» موعدًا مع الرئيس «روزفلت» فى يوم الأحد الموافق ١٦ يناير ١٩٤٤. وفى هذا التوقيت وصل عدد اليهود الذين قتلوا إلى ما يقرب أربعة ملايين يهوديًا، ولم تتفوه أمريكا بأى لفظ علنى لتدين هذه الإبادة[٢٨]. وكان الرئيس «روزفلت» يعانى من أنفلونزا أصيب بها أثناء رحلته إلى «طهران» لذا استقبل «مورجينثو» ومساعده فى الطابق العلوى بالغرفة البيضاوية فى جناح العائلة بالبيت الأبيض، حيث تسلم تقريرًا أعده اثنان من مساعدى «مورجينثو» بناء على توصياته ـ كلاهما مسيحى ـ ويحمل عنوان تقرير إلى وزير الخارجية حول «إذعان الحكومة تجاه قتل اليهود». ويتهم التقرير وزارة الخارجية بـ«التسويف والمماطلة الخطيرة والعجز المقصود عن التصرف، بل حتى

يتهمها بمحاولات عن نية مبيتة لمنع اتخاذ أى إجراءات لإنقاذ اليهود من «هتلر». وأقر التقرير كذلك ما يلى: «إن التاريخ المأساوى لمعالجة الحكومة لهذه المشكلة يكشف عن أن موظفى ومسئولى وزارة الخارجية مدانين بارتكاب ما يلى:

(١) لم يفشلوا فى استخدام الإمكانيات الحكومية التى تحت تصرفهم لإنقاذ اليهود من «هتلر» فحسب، بل استخدموا تلك الإمكانيات لمنع وإعاقة إنقاذ هؤلاء اليهود.

(٢) لم يفشلوا فى التعاون مع المنظمات الخاصة فى محاولاتها لإنجاح برامجها لمساعدة اليهود فحسب، بل اتخذوا أيضًا خطوات تهدف إلى منع تلك البرامج من أن توضع حيز التنفيذ.

(٣) لم يفشلوا فى تسهيل الحصول على معلومات تتعلق بخطط «هتلر» لإبادة اليهود فى أوروبا فحسب، ولكنهم أيضًا وبصفتهم الرسمية ذهبوا إلى أبعد من ذلك، حيث حاولوا عن قصد إعاقة الحصول على المعلومات المتعلقة بقتل اليهود الأوروبيين.

(٤) حاولوا التغطية على جريمتهم عن طريق:

(أ) الإخفاء وسوء تقديم المعلومات.

(ب) إعطاء تفسيرات زائفة ومضللة لتبرير عدم اتخاذهم خطوات فعالة ومحاولتهم تعطيل تلك الخطوات.

(ج) إصدار تصريحات زائفة ومضللة فيما يتعلق بالخطوات التى اتخذوها[٢٩].

واقتبس «التقرير» أيضًا عن تقرير لإحد أعضاء مجلس الشيوخ قوله: «إننا نؤيد تعيين لجنة مكلفة بمهمة إعداد وصياغة الخطط الرامية إلى إنقاذ يهود أوروبا من الفناء والإبادة على أيدى ألمانيا النازية»[٣٠]. وبعد قراءة ذلك التقرير بإمعان والاستماع إلى الملخص حاول «روزفلت» الدفاع عن وزير خارجيته ولكن حججه بدت بلا أساس منطقى. واستمر هذا الاجتماع لمدة أربعين دقيقة. ومع افتقار «روزفلت» لأسباب منطقية تفسر هذا التقاعس؛ رفض أيضًا الالتزام بأى شىء. وأخيرًا أنهت زوجته «إلينور» الاجتماع بدخولها لتذكره بأنه مريض ويحتاج إلى الراحة.

غادر «مورجينثو» الاجتماع وهو فى منتهى العصبية والشك فى نتيجة الاجتماع، وعند حلول مساء ذلك اليوم كان مهمومًا بالقضية لدرجة أنه اتصل بالرئيس «روزفلت» تليفونيًا بحجة سؤاله عن نصيحته بخصوص خطاب ينوى إلقاءه قائلًا له: «هل تكون كلمات زعماء الكراهية ملائمة للإشارة إلى القيادة الألمانية؟».

«فأجابه «روزفلت» «حسنًا ولكن من الأفضل أن تضيف وصف الزعماء الألمان فقط الذيـن ثبت عليهم تهمة قتل اليهود»[٣١]. فالصداقة القديمة بينهما تغلبت على الموقف، فكان «روزفلت» يمزح مع «مورجينثو» طوال صداقتهما.

وبعد ستة أيام من هذا الاجتماع، أنشأ الرئيس «روزفلت» مجلس لاجئى الحرب. ويبدو أن مواجهة «مورجينثو» لروزفلت قد حركت أخيرًا اهتمامه لفعل شىء لمواجهة المحرقة. «وبنهاية الحرب ربما أنقذ هذا المجلس أرواح مئتى ألف يهودى»[٣٢]. وفى ١٢ يونيه عام ١٩٤٤ قرر الرئيس «روزفلت» فى خطاب له أمام الكونجرس بأن أمريكا سوف تثبت مرة أخرى بصورة ملموسة بأن نمط عالمنا الأمريكى وليس نمط عالم «هتلر» هو الذى سيسود فى النهاية وينتصر.[٣٣] ومن الآن فصاعدًا فإن رغبتنا فى إنهاء الحرب بسرعة ستضمن أيضًا مناقشة أفضل الطرق لإنهاء «الحل النهائى» لـ «هتلر».

إن «مورجينثو» لم يغير فجأة سياسة الرئيس «روزفلت»، بل إنه كشف له عن شىء ما كان موجودًا بالفعل فى أعماق قلبه، ولكنه لم يترجمه فى الواقع إلى إجراءات عملية تنم عن اقتناع كامل. فمنذ بداية رئاسته عالج المشكلة من الناحية الفكرية النظرية وأطلق عليها اسم «مشكلة لاجئين» ولكن لسبب ما-لم يكن مستعدًا بصراحة لربطها بما يطلق عليه الناس ويصنفونها علانية بوصفها مشكلة يهود أوروبا. وربما كانت٥ هذه ورطة «روزفلت» فى السنوات الأولى للحرب أيضًا. كان فى رأيه أن هناك متسعًا من الوقت لاتخاذ الإجراءات اللازمة لإنقاذ الناس من الإعدام فى غرف الغاز، وكان الرئيس «روزفلت» يريد أخذ الأشياء فى عموميتها ولا يريد تميز جنس عن جنس آخر، وبالتالى فإنه شعر بأن أفضل طريقة لمساعدة كل الشعوب والأجناس هى «كسب الحرب».

ولكن ما ذكرناه توًا لا يفسر لنا بصورة كافية الحقيقة الكاملة بقولنا بأن الولايات

المتحدة الأمريكية لم تكن مستعدة لمساعدة هؤلاء الذين تعرضوا للإبادة فى معسكرات الموت. فبينما كانت قوات الحلفاء تضيق الخناق فى حصارها على برلين، كانت القاذفات الأمريكية تقوم بطلعات لإعاقة وتدمير المصانع التى تمول آلة الحرب الألمانية. وكانت تلك القاذفات تقصف بصورة منتظمة أهدافًا قريبة من معسكر الموت بـ «اوشفيتس» وكان «روزفلت» وأركان حربه على علم تام بما يجرى هناك من إبادة لليهود، وكان يمكن لإحدى الطلعات الجوية أن تدمر غرف الغاز أو خطوط السكك الحديدية المؤدية إلى معسكرات الموت، وتنقذ أرواح عشرات الآلاف من اليهود، ولكن «روزفلت» وأركان حربه إعترضا على القرار. وحقيقة أنهم لم يرسلوا طائرة قاذفة واحدة لمحاولة إنقاذ ضحايا القتل الجماعى، لا تزال تدمى قلوبنا بوصفها إحدى أكثر وصمات العار التى تلطخ سجل «روزفلت».

ومع اقتراب الحرب من نهايتها؛ حدث تطور آخر مثير، وهو أن الألمان بدأوا فى التفاوض مع الأطراف المختلفة لمقايضة اليهود بالمؤن التى يحتاجونها، وأحدى الأمثلة المعروفة لذلك هو ما يعرف باسم «الدم مقابل الشاحنات» حيث استدعى «جول براند» عضو لجنة انقاذ وغوث اليهود «بمدينة بودا بست» إلى اجتماع مع «أدولف إيخمان» فى يوم ٢٥ أبريل عام ١٩٤٤ حيث قدم «إيخمان» إلى «براند» عرضًا بأن السلطات العليا فى الرايخ قد وافقت على شروط تسمح لـ «إيخمان» بمقايضة «مليون يهودى» ببضائع تحصل عليها ألمانيا من خارج المجر، وتشمل عشرات الآلاف من الشاحنات للاستخدام المدنى أو كبديل للاستخدام الحربى على الجبهة الشرقية الروسية.

وكان يفترض مغادرة مليون يهودى البلاد ـ لأن «إيخمان» وعد بأن تكون «المجر» خالية من اليهود ـ وربما يتجه هؤلاء اليهود لأى جهة غير فلسطين. وذلك لأن «إيخمان» وعد مفتى القدس بأنه لن يسمح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، ولكى يتفاوضوا على تطبيق الصفقة فقد سمح «إيخمان» لـ «براند» بمغادرة المجر.

وعلى الرغم من عدم وعى وإدراك «براند» بحقيقة أبعاد الصفقة فى ذلك الوقت، إلا أن العرض كان مرتبطًا بمحاولة «هتلر» الوقيعة بين التحالف الغربى والاتحاد السوفيتى

وإبرام ألمانيا معاهدة سلام منفصلة مع الاتحاد السوڤيتى. وبالفعل ذهب «براند» إلى «أنقرة» والقدس والقاهرة وفاوض الزعماء والمسئولين الأمريكيين للوكالة اليهودية لفلسطين. ولكن السلطات الإنجليزية بمصر قبضت عليه وسجنته فى القاهرة، ولم تتم أبدًا تلك الصفقة لإنقاذ أرواح اليهود

ولكن لا يزال لدى «روزڤلت» خططًا عظيمة لإعادة إنشاء دولة إسرائيل فى فلسطين، وفى إحدى هذه الخطط اقترح حتى ضرورة ترحيل مائتين أو ثلاثمائة ألف عربيًّا من فلسطين إلى العراق وتعويضهم بمبلغ ثلاثمئة مليون دولار أمريكى(*).

واقترح أيضًا إبرام صفقة سياسية مع القوميين العرب وإقامة أسوار شائكة حول ما وصفه بـ«المنطقة اليهودية الشاملة» بحيث لا يستطيع العرب «قطع أعناق اليهود». ومع اقتراب الحرب فى أوروپا من نهايتها حاول «روزڤلت» إقناع الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية بمساعدته على حل المشكلة، ولكن الملك السعودى لم يبدِ أى اهتمام تجاه توطين اليهود فى أى مكان بالشرق الأوسط بل رفض مجرد دراسة الأفكار الأمريكية حول هذا الموضوع. وعلى الرغم من عقد ذلك الاجتماع يوم عيد الحب عام ١٩٤٥ إلا أنه لم يكن هناك تفاهم أو حب بينهما على الإطلاق(**).

وعلى الرغم من فشل اللقاء إلا أن هذا اللقاء كان كلمحة نور بالنسبة لروزڤلت. ففى كلماته فى آخر خطاب له أمام الكونجرس فى جملة أضافها إلى خطابه الرسمى: «فى مناقشتنا عن مشكلة المملكة العربية، تعلمت عن المشكلة برمتها مشكلة المسلمين ومشكلة اليهود خلال حديثى مع الملك بن سعود لمدة خمس دقائق أكثر مما تعلمته من تبادل أربعة وعشرين أو ستة وثلاثين خطاب»[٣٤]. والذى تعلمه «روزڤلت» هو أن

(*) بمثل هذه البساطة، يرى مؤلفنا المسيحى العظمة فى خطة تهجير مئتى ألف فلسطينى من البلاد ولدوا فيها هم وأباؤهم وأجدادهم، إلى بلد أخرى، هى العراق، لانقاذ اليهود المولودين فى أوروپا، هم وأباؤهم وأجدادهم، من الظلم والاضطهاد، والقتل الأوروپى لهم... سواء كان ذلك على يد ألمانيا النازية، أو روسيا القيصرية من قبل. ومثل هذه الفكرة يرددها قادة إسرائيل منذ عقدين أو ثلاثة، وحتى اليوم ـ المترجم.

(**) كأن المؤلف يريد من الملك عبد العزيز أن يحب طرد الفلسطينيين من منازلهم ووطنهم، ليحل محل اليهود الذين تكرههم أوروپا وتضطهدهم، أو قتلهم ـ المترجم.

العرب يكرهون اليهود(*) وأنه يعرف جيدًا ما الذى سوف يعنيه ذلك بالنسبة لمستقبل أى دولة يهودية فى الشرق الأوسط و كيفية مواجهة تلك الكراهية، وسوف يكون الرئيس «ترومان» وليس «روزڤلت» هو الذى سيعقد العزم فى نهاية المطاف على حشد كل طاقته من أجل مساعدة اليهود. ولم يعش «روزڤلت»، طويلًا حيث مات بعد أقل من شهرين من اجتماعه مع الملك بن سعود حيث توفى بعد ظهر يوم ١٢ أبريل عام ١٩٤٥.

وهكذا فلم يعجز «روزڤلت» عن مساعدة اليهود بسبب افتقاره إلى الأفكار والخطط، بل عجز بسبب افتقاره إلى العزيمة لاتخاذ إجراءات محددة وحاسمة. و كلفت لامبالاة «روزڤلت» تجاه اليهود أن ملايين الأرواح قد أُزهقت. وعندما اقترح «روزڤلت» خططه لدولة يهودية جديدة، فكان الأمر يبدو كما لو كان ينتظر شخصًا ما آخر غيره، لكى ينطلق للأمام لأخذ زمام المبادرة ليدافع عن اليهود ويلقى بكل ثقله وتأييده لهم، ومن جانبه لم يكن روزڤلت ليطلق» مثل هذه الخطط على أرض الواقع من تلقاء نفسه وربما الذى رآه فى «مورجينثو» هو ذلك الشخص الذى سوف يأخذ زمام المبادرة لفعل شىء ما لليهود.

وهكذا كان «مورجينثو» هو «موردخاى» الذى فعل فى نهاية المطاف كل ما فى وسعه لتحقيق نبؤة ميلاد دولة إسرائيل أكثر مما كانت تحلم به وزارة الخارجية الأمريكية. ولكن مع موت «روزڤلت» سوف يضعف تأثير «مورجينثو» وسوف تظهر القضايا الملحة الخاصة بنهاية الحرب العالمية الثانية وتقرير مصير اليهود، و سيتولاها الرئيس الأمريكى الجديد «هنرى ترومان» القادم من الغرب الأوسط الامريكى بكل قيمه.

(*) هذا استنتاج المؤلف، ولقد عاش اليهود بين العرب قرون طويلة، ولم يعانوا مشاكل مثل التى عانوها عندما عاشوا بين الأوروبيين، ولكن ليس معنى هذا أن يتنازل الفلسطينيون والعرب عن حقوقهم لليهود ـ المترجم.

الفصل السابع

إعادة زرع شجرة الزيتــون

«آمنت بدولة إسرائيل حتى قبل قيامها، وأعلم أنها قامت على حب الحرية، هذا الحب الذى كان[1] النجم الهادى للشعب اليهودى منذ أيام موسى».

«الرئيس الأمريكى هنرى ترومان»[1]

«مهما كانت طبيعة الدور الذى تلعبه أمريكا فى الشئون الدولية، فمن المؤكد أنه دورًا حاسمًا فيما يتعلق بشئوننا الإسرائيلية».

«ديفيد بن جوريون» زعيم حزب العمال الفلسطينين (*)
قبل أشهر قليلة من الهجوم على «بيرل هاربر»[2]

«فإذا كانت بعض أغصان الزيتونة قد قطعت، ثم طُعمت فيها وأنت من زيتونة برية، فصرت بذلك شريكًا فى أصل الزيتونة وغذائها، فلا تفتخر على باقى الأغصان. وإن كنت تفتخر، فلست أنت تحمل الأصل، بل هو يحملك».

«الرسالة إلى مؤمنى روما ١١: ١٧ - ١٨»

«ونحن الآن ننظـر إلى الأمور من خلال زجاج قاتم فنراها بغموض. إلا أننا سنراها أخيرًا مواجهة. الآن أعرف معرفة جزئية. ولكننى، عندئذ، سأعرف مثلما عُرفت».

«الرسالة الأولى إلى مؤمنى كورنثوس١٣: ١٢»

تلك هى كلمات الكتاب المقدس التى اختارها الرئيس «ترومان» ليضع يده عليها وهو يؤدى اليمين الدستورية عند توليه الرئاسة.

(*) ديفيد بن جوريون زعيم حزب العمال الإسرائيلى وليس الفلسطينى. (المترجم).

كان إعادة ميلاد إسرائيل عام ١٩٤٨ هو أكثر الأحداث النبوءية دلالة وأهمية على الإطلاق فى جيلنا، حيث يعتقد كثير من الناس بأنها تمثل البوابة التى سوف ندخل منها قبل دوى صوت البوق الأخير:

«لأن الرب نفسه سينزل من السماء حالما يدوى أمر بالتجمع، وينادى رئيس ملائكة، ويبوق فى بوق إلهى، عندئذ يقوم الأموات فى المسيح أولًا. ثم إننا، نحن الباقين أحياء، نختطف جميعًا فى السحب للاجتماع بالرب فى الهواء. وهكذا نبقى مع الرب على الدوام. لذلك عزوا بعضكم بعضًا بهذا الكلام!».

«الرسالة الاولى إلى مؤمنى تسالونيكى ٤ : ١٦ - ١٨»

إن التزامنا تجاه إسرائيل جعل من دولتنا المفتاح الذى سيفتح أبواب أحداث النبوءة، وذلك بعد أن حولت يد الله قلوب قادة الولايات المتحدة إلى صالح إسرائيل.

فى ٢٠ يناير ١٩٤٥ أدى «هنرى ترومان» اليمين الدستورية بوصفه نائب لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وكان موقفًا غريبًا من الرئيس «روزفلت» بأن يختار زميله «هنرى ترومان» نائبًا له، حيث كان كل منهما على طرفى النقيض فى العديد من القضايا المطروحة عندما كان «ترومان» لا يزال سيناتور. ولكن «ترومان» أعطى الحزب انطباعًا جيدًا عن توجهاته السياسية، لأن النائب السابق لروزفلت كان شديد الليبرالية. وبسبب سجل «ترومان» الرائع من الأمانة والكفاءة فى مواجهته للقضايا الصعبة، إحتل إسمه المرتبة الأولى فى قائمة المرشحين، حيث يرجع إلى ترومان الفضل فى توفير ١٥ مليار دولار تقريبًا للبلاد من خلال توقيع عقود للدفاع خلال أشد سنوات الحرب العالمية الثانية قسوة. ولم يتباحث «روزفلت» و«ترومان» سوى مرات قليلة، وعندما مات «روزفلت» تحديدًا بعد اثنين وثمانين يومًا من اختياره لـ«ترومان» كنائب له، كان الرئيس الجديد

لا يعرف سوى القليل عن خطط الرئيس «روزفلت» تجاه إنهاء الحرب والآثار المترتبة عليها، ناهيك عن عدم معرفته بأى شىء عن أحلام «روزفلت» العظيمة لإنشاء دولة لليهود فى فلسطين. ولكن قيم الغرب الأوسط الأمريكى التى يتمتع بها الرئيس «ترومان» وقدرته على مواجهة القضايا الصعبة قبل وقوعها، بدت كلها وكأنها تأخذ بيديه وتساعده. أعطاه حبه للكتاب المقدس (قرأ الكتاب المقدس عندما كان لايزال فى الثانية عشر من عمره) ميلًا طبيعيًّا لمساندة شعب الله المختار فى سعيه لإقامة وطن آمن لهم، ويبدو أن الإتصال الذى تلقاه من وزارة الخارجية بعد ستة أيام من توليه الرئاسة كان تأكيدًا لتلك النزعة. فأرسلت له وزارة الخارجية مذكرة تحدد ملامح القضية شديدة التعقيد لفلسطين بوصفها قضية «ترتبط بأمور تتخطى حدود مصائب اليهود فى أوروبا» وإنها قضية «سوف تستدعى طلب الرئيس الجديد «ترومان» معلومات وافية عنها قبل اتخاذه لأى موقف محدد»[٣]. وكانت وزارة الخارجية الأمريكية متأكدة من صحة موقفها المؤيد للعرب، وعبر وزير الدفاع «جيمس فينست فورستال» عن وجهة نظر وزارة الخارجية الأمريكية قائلًا: » تفهموا الموقف جيدًا. أربعمائة ألف يهوديًا فى مقابل أربعين مليون عربى. سوف يلقى الأربعون مليون عربى بالأربعمائة ألف يهودى إلى البحر، وهذا كل ما فى الموضوع، أما البترول فهو ذلك الجانب الذى ينبغى علينا أن نقف معه»[٤].

وبعد سنوات لاحقة كتب «ترومان» مذكرة إلى مسئولى وزارة الخارجية قليلى الخبرة (الأولاد ذوى البنطلونات المخططة) مشيرًا إلى «أنهم يريدون إخبارى بتوخى الحذر والحرص فى خطواتى القادمة، لأننى لا أفهم حقيقة مايحدث هناك، وينبغى أن أترك هذه القضية للخبراء المتخصصين». ولكن الرئيس الجديد لا يمكن إخافته، فقد شعر بأنه «ما دمت رئيسًا سأحرص، على أن أكون أنا الذى يضع السياسات»[٥].

ولا يبدو أن مذكرة وزارة الخارجية كانت ستحول دون تأييد الرئيس ترومان للصهيونية، إلا أن التأثير الذى تركته على «ترومان» فعلًا هو أنه مهما كان قراره حول الموضوع، فإنه سوف يتخذه بصورة مستقلة تمامًا عن ضغط وزارة الخارجية.

أما العامل الآخر الذى سوف يؤثر على تأييد «ترومان» للحركة الصهيونية، فهو

استمرار معاناة باقى اليهود فى أوروپا. فمع هزيمة ألمانيا أخيرًا، وتحرير من كانوا فى معسكرات الموت، لم يصدم العالم فحسب بالجرائم التى ارتُكبت فى حق اليهود، ولكنه سوف يُصدم أيضًا على امتداد الشهور التالية بما كان على وشك أن يحدث لهم بعد «تحريرهم». فحلت معسكرات المشردين محل معسكرات الموت، وعلى ما يبدو لم يكن هناك أى اختلاف بين أى من المكانين سوى أن أحدهما قد أنشئ لقتل اليهود والآخر إنشئ لمحاولة إنقاذهم. وكانت معسكرات إيواء المشردين شديدة الفقر، وتعانى من قلة الإمكانيات. نظرًا لأن الإمكانيات الموجودة فى نهاية الحرب كانت هزيلة ولا تسمح بتخصيص أية مساعدات .بالإضافة إلى فقر تلك المعسكرات، فهؤلاء الذين كانوا لا يملكون شيئا ليتشبثوا به سوى الأمل فى النجاة والحياة، أصبحوا الآن لا يعرفون ما يفعلون بحياتهم بعد أن أصبحوا «أحرارًا»، فلم يكن يوجد لديهم أى شىء ليعودوا من أجله إلى أوروپا.ولم يكن لديهم مكان يذهبون إليه أو مأوى يقيمون فيه. وستصبح هذه المشكلة هى قضية الرئيس «ترومان» الرئيسية وكانت إحدى أولى الخطوات التى اتخذها ترومان هى مطالبة بريطانيا لفتح أبوابها مرة أخرى لاستقبال مائة ألف مهاجر يهودى مشرد.

ولم يمض وقت طويل حتى أصبح الصراع من أجل السيطرة على فلسطين يتعدى حدود المنطقة. وصارت المشاكل ساخنة ومعقدة جدًّا وأصبح من الصعب على البريطانيين معالجتها، ولذلك سلمت القضية إلى الأمم المتحدة التى تمثل الأمل الجديد لتحقيق السلام فى العالم. وكانت الأمم المتحدة تعقد اجتماعاتها فى ذلك الوقت فى مبنى قديم كان يصنع فيه جهاز الجيروسكوب (جهاز لحفظ توازن الطائرات) فى «بحيرة سكسيس» بنيويورك على جزيرة «لونج أيلاند». ولم يكن لدى بريطانيا أى علاج من شأنه ايقاف ذلك العنف الواقع بين هؤلاء المنحدرين من سلالة أبناء إبراهيم، ربما كانت لدى الجمعية العمومية لدول العالم ذلك العلاج.

ومثلما تبدو الأمم المتحدة اليوم مكانًا غير محتمل للتصديق على قيام دولة إسرائيل فى فلسطين، فإنها كانت كذلك فى الماضى بعد الحرب العالمية الثانية وسياسات ما قبل الحرب الباردة، وجدت إسرائيل أول حق مشروع لها فى الوجود كدولة. فاللجنة الخاصة

للأمم المتحدة عن فلسطين[٦] اقترحت فى أحد أغرب القرارات التى أصدرتها السياسات الدولية المتناقضة بأن تقسم فلسطين إلى دولتين دولة يهودية وأخرى عربية ذات اقتصاد موحد، على أن يتم انشاء منطقة تخضع للأمم المتحدة حول القدس.

الشيء الغريب حول هذا الاقتراح هو أن الأعداء صوتوا ككتل منفصلة لإصداره، العرب و اليهود، فكان اليهود لا يريدون محمية وإنما يريدون دولة خاصة بهم بينما عارض العرب (الذين شعروا بأن أملهم الوحيد لتقويض إمكانية قيام دولة يهودية يكمن فى إلغاء أى محمية فى المنطقة) استمرار وضع فلسطين كمحمية تحت الوصاية. وصوتت الدول العربية من جانب واحد ضد خطة تقسيم فلسطين، ولكن استمرار تصويتهم أيضًا ضد الوصاية، جعل خطة التقسيم هى الخطة الوحيدة التى يمكن للأمم المتحدة دراستها بجدية. ولكن العرب وقفوا بشدة يعارضون كل شيء ورفضوا كل ما عرض عليهم[٧]، وتركوا مصير فلسطين يحدده أخرون غيرهم.

وقف السفير الروسى «أندريه جروميكو» فى الأمم المتحدة يوم ١٤ مايو عام ١٩٤٧، واعلن إن الاتحاد السوفيتى يتفهم «الحقوق المشروعة للشعب اليهودى»، وأن الاتحاد السوفيتى يؤيد إنشاء دولة يهودية عربية مستقلة مزدوجة وديمقراطية ومتجانسة فى فلسطين. وكان إعطاء الاتحاد السوفيتى مثل هذا التأييد القوى للدولة اليهودية المقترحة قد أجبر الولايات المتحدة الأمريكية ـ رغم ضغوط وزارة خارجيتها فى الاتجاه المعاكس ـ إلى المحاولة إما أن تكون مؤيدة بصورة أقوى للدولة اليهودية، أو أن تخاطر بأن تصبح إسرائيل تابعة للسوفيت. وهكذا استخدم كلًا من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية نفوذهما للتصويت ككتلة واحدة لإصدار القرار رقم ١٨١ للأمم المتحدة ـ خطة تقسيم فلسطين ـ وتم قبول القرار بأغلبية الأصوات فى يوم ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧. وبعد مرور عقود عديدة سوف يرفع «جروميكو» يده ليعلن: «بهذه اليد خلقت لكم دولة إسرائيل»[٧]، مشيرًا إلى خطابه التاريخى فى ذلك اليوم» الذى تلاه تصويت السوفيت لصالح خطة التقسيم.

وعلى الرغم من تمرير خطة التقسيم، فسوف تثار المشكلة مرة أخرى عندما سحبت

وزارة الخارجية الأمريكية تأييدها لاقتراح اللجنة الخاصة للأمم المتحدة بدون الحصول على موافقة الرئيس «ترومان»، فى الأشهر الأولى لعام ١٩٤٨. وأدى هذا التصرف إلى خلق حالة جديدة من الفوضى فى الأمم المتحدة الوليدة، وفتح هذا أيضًا باب الصراع الحقيقى فى فلسطين على مصراعيه. وفى الوقت الذى كانت الأمم المتحدة تناقش فيه ما ينبغى عليها فعله خلال ساعات طويلة من الجدل الذى لا تبدو له نهاية، أعلنت بريطانيا بأنها سوف تنسحب من فلسطين فى منتصف مايو عام ١٩٤٨ تاركة فلسطين باعتبارها محمية للأمم المتحدة. وقرر اليهود بأنهم سوف يطبقون قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ من جانب واحد حتى وإن لم تعد الأمم المتحدة تؤيده، وأُعلنت دولة إسرائيل فى ١٦ مايو ١٩٤٨.

وهكذا فى ١٤ مايو عام ١٩٤٨ وأثناء مناقشة الأمم المتحدة للوصول إلى اتفاق جديد حول مصير فلسطين، كان المندوب السامى البريطانى لفلسطين الجنرال سير «ألان كانينجهام» يقوم بإنزال العلم البريطانى من أمام مقر الحكومة، و أتخذ طريقه نحو السفينة الملكية «إيوريالوس» التى سوف تغادر «حيفا» عند منتصف الليل مع آخر وحدات حكومته المدنية. وفى ظهر ذلك اليوم، تم دعوة مجلس الدولة اليهودية إلى الاجتماع فى قاعة المتحف فى تل أبيب، وأعلن قيام دولة إسرائيل فى منتصف الليل الذى كان يوافق السادسة مساءً بالتوقيت المحلى «لواشنطن وليك سكسيس». [فى المنطقة] فى الساعة الحادية عشرة وست دقائق مساءً بالتوقيت الرسمى لشرق الولايات المتحدة، وقع الرئيس «ترومان» وثيقة اعتراف لتكون أمريكا بذلك هى أول دولة تعترف بإسرائيل كحقيقة موجودة وقائمة بالفعل، بدون علم وزارة الخارجية الأمريكية أو موافقتها. وبعد وقت قصير من اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بإسرائيل تم إعلان ذلك الأعتراف فى الجمعية العامة للأمم المتحدة، وكان هذا إيذانًا بفتح أبواب الجحيم. وأعلنت جامعة الدول العربية فى اليوم التالى الموافق ١٥ مايو ١٩٤٨ قرار بشن غزو مسلح على الدولة الجديدة، وكان أربعة مليون عربى يخططون لإلقاء أربعمائة ألف يهودى فى البحر(*).

(*) حقيقة الأمر، أن المشاكل المتبادلة بين أوروبا ويهودها هى التى القت باليهود فى البحر، وراجع فى ذلك القصة التى رواها المؤلف عن السفينة التى أبحرت من هامبورج إلى كوبا، فرفضتها كوبا، ثم رفضتها الولايات المتحدة،=

وصف «أبا ايبان» الذى كان يمثل المصالح الصهيونية فى الأمم المتحدة أحداث ذلك اليوم قائلًا:

«وهكذا بين فجر يوم وآخر تم إزالة الغموض الذى عم الأجواء بالأمس، فلقد انتهى الحكم البريطانى لفلسطين وأُعلن قيام دولة إسرائيل، ووقفت أمريكا إلى جانب إسرائيل، وشن العرب هجومهم ووقفت الأمم المتحدة عاجزة، واندفعت هذه الأحداث وتلاقت لتشكل تيارًا واحدًا.

ولا شىء فى التاريخ يماثل لحظة عودة شعب إلى الأرض التى حرم منها لقرون عديدة(*). وكان هذا يمثل بالنسبة لملايين من الناس فى العالم لغزًا فريدًا، فلا يشبه استقلال إسرائيل أى أشكال تقليدية أخرى للتحرر القومى. فلم تكن هناك ثورة شعبية داخلية ضد محتل أجنبى، ولا هجرة إمبريالية استعمارية إلى أرض غريبة ولكنه اتحاد شعب وأرض عاشا معًا منذ القدم وتفرقا عن بعضهما لمدة تسعة عشر قرن من الزمان(**). وعلى الرغم من طول فترة الافتراق، فلا زالت الأمة العائدة إلى أرضها تتحدث بنفس اللغة وتتمسك بنفس الديانة التى زرعتها فيهم تلك الأرض منذ ثلاثة آلاف عام مضت. ويبدو أن العالم الذى شاهد موت وولادة الكثير من الأمم يرى الآن ولأول مرة شىء ما أشبه بـ«البعث».

وفى فجر اليوم الثانى قصفت الطائرات الحربية المصرية تل أبيب وتحركت الجيوش العربية حتى وصلت بالقرب من مراكز تجمعاتنا السكانية. وتذوقت إسرائيل طعم فرحة الميلاد وطعم الخوف من الموت فى رشفة واحدة (٨).

وعلى الرغم من الظروف السياسية المحيطة بالموقف، إلا أن الرئيس «ترومان» لم

=ثم رفضتها كندا، فعادت ثانيًا، وبعثرت ركابها بين إنجلترا وهولندا وفرنسا وبلجيكا. فهؤلاء اليهود كانوا موطنين أوروبيين فارين بحياتهم، فلماذا يدافع الفلسطينيون، والشرق الأوسط كله، ثمن المشاكل المتبادلة بينهم وبين بلادهم الأوروبية، ويصبح الفلسطينيين والعرب معادلين للسامية، وما إلى ذلك من التهم، وهم فى الواقع يدفعون ثمن المشاكل المتبادلة بين اليهود الأوروبيين والبلاد التى عاشوا فيها ـ المترجم.

(*) ولا يماثل شىء فى التاريخ إكراه شعب على الخروج من أرضه قسرًا، ومنعه من العودة إليها ـ المترجم.

(**) استمر بعض اليهود يعيشون فى فلسطين طوال تلك القرون، ولم يلاقوا بين العرب المسلمين ما لاقوه فى أوروبا، وكان يمكنهم العودة كأفراد، طوال تلك القرون، ولكنهم لم يعودوا إلا بعد قيام الحركة الصهيونية فى القرن التاسع عشر، والمذابح التى تعرضوا لها فى روسيا وألمانيا ـ المترجم.

يفقد أهمية مغزى نبوءات الكتاب المقدس للحدث. فبعد عام من اعتراف «ترومان» بدولة إسرائيل، تقابل مع رئيس الحاخامات الذى أخبر «ترومان»: وضعك الله فى رحم أمك لكى تكون الوسيلة التى يعيد بها ميلاد دولة إسرائيل بعد ألفى عام، فبكى «ترومان». ويروى لنا «بن جوريون» تجربة أخرى مماثلة عندما تقابل مع «ترومان» فى نيويورك. كانت الدموع تملأ عينى «ترومان» عند توديعه لـ«بن جوريون» وقد أمسك بن جوريون بـ «ترومان» حتى يهدأ أو يستعيد رباطة جأشه قبل أن يخرج ليواجه كاميرات الصحفيين[٩].

وردت وزارة الخارجية على كل هذا بتطبيق حظر الأسلحة على إسرائيل، ولم تكن الولايات المتحدة تريد مساعدة إسرائيل علانية فى الدفاع عن نفسها. وعلى الرغم من موافقته الشخصية على قيام دولة إسرائيل، فلم يرفع «ترومان» الحظر عنها[*]. ولكن من خلال تشيكوسلوفاكيا وقنوات أمريكية غير معلنة (المنظمات الأمريكية التى تدعم إسرائيل، والتى فعلت أقصى ما فى وسعها سرًّا لتسليح إسرائيل) سلحت إسرائيل نفسها بصورة كافية تمكنها من المحافظة على استقلالها. وواقع أن جماعة رثة الثياب من اليهود اللاجئين قد تمكنوا من إيقاف هجوم الجامعة العربية بأكمله[**]، باستخدام أسلحة مستعملة، إنما هو أمر يمثل أيضًا دليلًا عظيمًا على أن الله مستعد لوجود إسرائيل، مرة أخرى، على وجه الأرض. وفى يوم ٢٥ يناير ١٩٤٩ تم تكوين حكومة إسرائيلية دائمة فى أعقاب انتخابات ديموقراطية، وبعدها بستة أيام لم تعترف الولايات المتحدة الأمريكية بإسرائيل كدولة فحسب، وإنما أعترفت بها أيضًا بوصفها حكومة شرعية وقانونية. وبدا الأمر كما لو كان ينبغى على إسرائيل أن تبرهن أولًا على شرعيتها للولايات المتحدة الأمريكية عن طريق بناء نفسها ديموقراطيًّا بدون مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك فى الوقت الذى بذل فيه شيوخ البترول العرب كل ما فى وسعهم للضغط على أمريكا حتى تظل بعيدة عن الصراع العربى الإسرائيلى.

(*) لأن ذلك كان بوضوح، استهلالًا للنظام العالمى ـ بعد الانتصار على المانيا النازية ـ بظلم فادح يقع على الفلسطينيين ـ المترجم.

(**) كما بينا سابقًا، كانت معظم الدول العربية، إن لم يكن كلها، محتلة من قبل دول أوروبية والولايات المتحدة، ولم يكن يسمح لأى دولة منها ببناء جيش ـ المترجم.

كانت حدود إسرائيل فى يناير ١٩٤٩ بالنسبة لليهود أكثر مما اقترحته الأمم المتحدة(*)، وذلك على الرغم من أنهم تركوا القدس مدينة مقسمة بينهم وبين العرب. وعلى الجانب الآخر لم يعلن الفلسطينيون أبدًا تلك الدولة التى قدمتها لهم الأمم المتحدة، بل على العكس استولت الأردن على القدس الشرقية (بما فيها المدينة القديمة وجبل الهيكل) والضفة الغربية، وسوف تسيطر مصر على قطاع غزة.[١٠] وسرعان ما فرض وقف إطلاق النار ليُثبت تلك الحدود التى سوف تبقى على ماهى عليه حتى شرعت الدول العربية فى إشعال فتيل الحرب مع إسرائيل عام ١٩٦٧(**).

على الرغم من أن الرئيس» ترومان» يحتفظ فى قلبه بحب خاص لإسرائيل بعد أن مهد باعترافه بدولة إسرائيل الطريق أمام دول العالم الأخرى بأن تحذو حذوه، وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية ساهمت ودعمت النمو الاقتصادى لإسرائيل من خلال تقديم قروض ومساعدات، ولم يعد لدى «ترومان» ما يستطيع تقديمه لليهود. ورأى ترومان أنه حل القضية الأساسية والتى تتلخص فى إيجاد مكان آمن للاجئين اليهود المطرودين من ألمانيا النازية.

وخلال الأعوام الأربعة التالية، هاجر ستمائة ألف يهودى إلى إسرائيل ليساعدوا فى إنمائها. وسمح الاتحاد السوڤييتى لأكثر من مائتى ألف من اليهود الذين هربوا من ألمانيا إلى روسيا خلال الحرب العالمية الثانية بالرحيل الى الغرب أو فلسطين. وتبع ذلك آلاف من يهود رومانيا والمجر وبلغاريا. ولكى تظهر تلك الدول مزيدًا من التأييد لإسرائيل، أبدت استعدادها لتدريب اليهود المتجهين إلى إسرائيل على النواحى العسكرية[١١] وهكذا استطاع هؤلاء اليهود المهاجرون بأيديهم و مهاراتهم أن يحولوا الصحراء إلى أراضى خضراء وأن تزدهر إسرائيل.

ربما كانت السنوات الثمانى لرئاسة «أيزنهاور» التى أعقبت رئاسة «ترومان» هى

(*) يبين هذا من البداية، تجاوز إسرائيل لقرارات الأمم المتحدة ـ المترجم.

(**) لا خلاف فى أن إسرائيل هى التى بدأت عندوان ١٩٦٧، ومن قبله شاركت بريطانيا وفرنسا فى عدوان ١٩٥٦ على مصر ـ المترجم.

الأكثر برودةً وجمودًا فى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية. رفض «أيزنهاور» مقابلة الزعماء اليهود، وأبقى أمريكا بعيدة عن إسرائيل بقدر المستطاع، وتودد إلى العرب أملًا فى إبعادهم عن الاتحاد السوڤييتى. ولكن المساعدات الأمريكية استمرت فى التدفق على إسرائيل، إلا أنها توقفت مرة واحدة فقط، وكان هذا خلال الهجوم الذى شنته إسرائيل بناء على مشورة سيئة على شبه جزيرة سيناء عام ١٩٥٦ الذى نعرفه اليوم بأسم «أزمة السويس». أطلقت عليها الدول الثلاثة التى إشتركت فى تلك العملية، بريطانيا وفرنسا وإسرائيل إسم «عملية فرسان»، وكان هذا الغزو مكيدة تسمح لبريطانيا وفرنسا بإعادة احتلال منطقة قناة السويس. والفكرة كانت أن تغزو إسرائيل شبه جزيرة سيناء حتى تصل لقناة السويس، وبحجة مساعدة مصر سوف ترسل بريطانيا العظمى وفرنسا قواتهما العسكرية لتستعيد سيطرتها على المنطقة والاحتفاظ بها كمنطقة عازلة بين الجارين المتحاربين مصر وإسرائيل. وبذلك يصبح من الطبيعى أن تضم هذه المنطقة العازلة السيطرة على قناة السويس(*).

ونظرًا لأن إنجلترا وفرنسا فى ذلك الوقت كانتا أكبر مصدرين رئيسيين للأسلحة لإسرائيل، فمن السهل علينا إذًا فهم السبب الذى جعل إسرائيل تشعر بوجوب إشتراكها فى هذه الخطة، وبالطبع فإن إسرائيل كانت ترحب تمامًا بالحصول على قطعة صغيرة من أرض مصر بزعامة عبد الناصر. وكان رئيس الوزراء البريطانى «انتونى ايدن» دائمًا ما يشير إلى عبد الناصر بوصفه «الكولونيل عبد الناصر» فى تشبيه له بالعريف «هتلر» الشاب، ولم يكن هو الشخص الوحيد الذى رأى أوجه الشبه بين الرجلين «ناصر» و«هتلر». وفى رأى كثير من الناس أن قومية «عبد الناصر» العدوانية التى أراد أن ينشرها تحت راية الإسلام(*) كانت تتشابه كثيرًا مع الرايخ الثالث بزعامة «هتلر» ولكن عدوانية «عبد الناصر» أصابت الأنظمة الملكية التقليدية فى السعودية والعراق بالتوتر، حيث كان ملوك هذه الدول

(*) بهذه الصياغة اللطيفة، يشرح المؤلف العدوان الثلاثى (الذى اشتركت فيه بريطانيا وإسرائيل) على مصر - المترجم.

(**) نشأت فكرة القومية العربية على أيدى مفكرى البعث المسيحيين، مثل ميشيل عفلق، لتجنب الفكر الإسلامى - المترجم.

يميلون نحو الغرب فى ذلك الوقت. ولم يستطع ناصر أبدًا الحصول على تأييدهم فى بناء الوحدة العربية التى كان يسعى إليها على الرغم من أنه كون تحالفًا عربيًا مع سوريا منذ عام ١٩٥٨. وكان «حلف بغداد» الذى ضم بريطانيا وإيران والعراق وتركيا وباكستان قد حافظ على الغالبية العظمى من دول الشرق الأوسط مؤيدة للغرب، وذلك حتى وقوع «أزمة السويس». وكان العدو المشترك بالنسبة لتلك الدول هو الاتحاد السوڤييتى، وكان العدو بالنسبة لعبد الناصر هو إسرائيل(*). وهذا الاختلاف جعل إسرائيل تركز انتباهها على مصر حيث كانت مصر المكان الأكثر احتمالًا الذى قد تبدأ منه الحرب القادمة مع أبناء إسماعيل.

وعلى الرغم من نجاح الجزء العسكرى من عملية «الفرسان» (أزمة السويس)(**) إلا أن المؤامرة فشلت وفهمت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوڤييتى فورًا الأهداف البريطانية والفرنسية و تصدى كلًا منهما معًا للدفاع عن حق مصر فى ممارسة سيادتها على أراضيها. ومن خلال ضغط الولايات المتحدة الأمريكية وقطعها الكامل لمعوناتها لإسرائيل حتى تسحب قواتها من سيناء، اضطر «الفرسان الثلاثة» بريطانيا وفرنسا وإسرائيل إلى الانسحاب من شبه جزيرة سيناء.

وظل حظر بيع الأسلحة الأمريكية لإسرائيل مطبقًا بصرامة خلال تلك السنوات أيضًا على الرغم من تلك الواقعة الاستثنائية التى باعت فيها أمريكا لإسرائيل مائة صاروخ مضاد للدبابات، وذلك فى الأيام الأخيرة من رئاسة «إيزنهاور». وتساءلت إسرائيل الوليدة ذات السنوات العشر هل أدارت صديقتها القديمة أمريكا ظهرها لها وانغمست فى حربها الباردة مع الاتحاد السوڤييتى؟.

(*) لم تكن فلسطين فى أولويات عبد الناصر، وفى الواقع بدأت إسرائيل بالإعتداء المتكرر على مصر عبر الحدود، وبدأت عمليات ـ تسمى اليوم إرهابية ـ داخل مصر، مثل فضيحة لافون، ثم المشاركة فى الاعتداء الثلاثى على مصر، ثم اغتيال الكثير من العلماء المصريين والألمان الذين كانوا يعملون فى مصر وخارجها، بخطابات مفخخة ـ المترجم.

(**) هكذا يرى المؤلف، ومدبرو العدوان ـ العدوان الثلاثى ـ «عملية فرسان»، وهو اسم يوحى بالشهامة والجدارة ـ المترجم.

إن الشخصية الدافئة للرئيس «جون كنيدى» هى التى سوف تخرج العلاقات الأمريكية الإسرائيلية من حالة التجمد التى خلفتها سنوات حكم «إيزنهاور» لتحتل مكانًا بارزًا من الإهتمام الأمريكى. وقال كنيدى فى خطاب افتتاح رئاسته: «لتعلم كل الدول سواء هؤلاء الذين يتمنون لنا الخير أو الذين يتمنون لنا الشر» أننا سوف ندفع أى ثمن ونتحمل أى عبء ونواجه أى صعاب وندعم أى صديق ونواجه أى عدو لنضمن نجاح الحرية وبقاءها[١٢].» وكان هدف كنيدى هو اكتشاف مَن مع أمريكا مِنْ دول الشرق الأوسط ومن ضدها، ومن الذى يدعم الحرية والديموقراطية، وبعد ذلك يعمل على تقوية صداقاتنا مع ذلك النوع الأخير من الدول من أجل مزيد من الدفاع عن الحرية والسلام فى العالم[١٣].

وكان كنيدى قد اتخذ موقفًا عدائيًا بصفة مبدئية من مصر فى عهد ناصر. ولم تتطور هذه الصداقة بين مصر والولايات المتحدة لعدد من الأسباب، حتى أن محاولة عبد الناصر توحيد العرب بالقوة عند غزوه لليمن بعد فشل أساليبه الودية لم تكن أبدًا أقل تلك الأسباب التى أعاقت تطور أى صداقة مصرية أمريكية. وكانت أقدام عبد الناصر قد انزلقت وسقط على خشبة الأحداث العالمية، حيث تحول هذا الصراع إلى حرب ڤيتنام أخرى لاسبيل لناصر لكسبها. وهكذا عندما كان «كنيدى» يبحث عن أصدقاء له فى مكان آخر غير مصر فى الشرق الأوسط، كان «بن جوريون» يدق بالفعل على باب صداقة الولايات المتحدة الأمريكية.

كانت إسرائيل تعلم جيدًا بأنها تحتاج لدعم وتأييد القوى العظمى لكى تبقى وتعيش، وبما أن أكبر الجاليات اليهودية عددًا كانت تعيش فى الولايات المتحدة، فمن المنطقى أن تكون الأخيرة هى الصديق الأنسب لإسرائيل خاصة فى ظل ما خلفته «أزمة السويس» وتأثيرها على علاقة إسرائيل بفرنسا وإنجلترا، بالإضافة إلى قيام الإتحاد السوڤيتى بإمداد أعداء إسرائيل بالسلاح ـ وعلق أحد الديپلوماسيين الإسرائيليين على علاقة إسرائيل بالولايات المتحدة قائلًا: «لقد وضع الله العلى القدير مخزونًا هائلًا من البترول تحت التراب العربي. ومن حظنا السعيد أن الله قد وضع خمسة ملايين يهودى فى أمريكا»[١٣]. وهكذا فقد دق بن جوريون على باب أمريكا، وذلك لأنه حان الوقت لأن تتحرك إسرائيل بأن تأخذ صداقتها مع أمريكا إلى ما هو أبعد من مجرد الدعم الاقتصادى البسيط.

لقد قال «بن جوريون» لـ«كنيدى» بأن هناك فجوة فى سلاح الصواريخ بين مصر وإسرائيل لصالح مصر، وأن طائرات ميج ١٩ الجديدة، سوڤييتية الصنع التى تمتلكها مصر تتفوق على سلاح إسرائيل من طائرات سوبر ماستير «الفرنسية». وبالتالى فإذا هاجمت مصر إسرائيل سوف تكون إسرائيل فى موقف العاجز الضعيف، وكانت صواريخ هوك الأمريكية الصنع ـ هى صواريخ أرض/ جو دفاعية ـ تنطلق لتلتصق بمحركات المقاتلات النفاثة لتسقطها وهى فى الجو. ومثل هذا السلاح سوف يعيد التوازن فى تكنولوچيا التسليح بين مصر وإسرائيل ويثنى عزيمة مصر، إذا فكرت فى شن هجوم على إسرائيل. ولأن هذا السلاح هو أيضًا دفاعى بصورة كاملة فإنه لن يستخدم فى أى غزو محتمل لمغامرة أخرى تقوم بها إسرائيل على غرار حرب السويس، وعبر «شيمون بيريز» عن هذا الموقف حينما قال: إننا أردنا أن نطلب من الرئيس كنيدى بعض صورايخ الهوك باسم الحمائم فى إسرائيل»[١٤]. وبدأ كنيدى يعتقد بأن هذا النوع من المساعدة لإسرائيل ربما يكون ممكنًا.

ولكن بيع صواريخ هوك سوف يكون أيضًا سابقة خطيرة، فصواريخ «هوك» ذات أنظمة تكنولوچية متقدمة لم تعطه الولايات المتحدة الأمريكية لكثير من حلفائها. واستغرقت المناقشات الرئيسية طوال اليوم حول الضرورة التكتيكية التى تسمح لإسرائيل بالحصول على هذه الصواريخ، إلا أن الدلالة الرمزية لهذا البيع كانت واضحة. وكم كان هذا الموقف مختلفًا عن المرة الوحيدة التى باع فيها أيزنهاور لإسرائيل مائة صاروخ مضاد للدبابات. فإذا وافق كنيدى على بيع صواريخ هوك إلى إسرائيل، فإنه سوف يطلع إسرائيل على إحدى أدق أسرار الصناعة الحربية الأمريكية، ويفتح الباب على مصراعيه أمام إسرائيل لطلب أى أسلحة أخرى تريدها من الترسانة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية.

اختلفت الآراء اختلافا شديدًا حول حقيقة الأسباب التى جعلت « كنيدى» يفكر جديًا فى تزويد إسرائيل بصواريخ هوك وموافقته فى نهاية الأمر على طلب «بن جوريون»، على الرغم من وجود الكثير من الأسباب التى تجعله يرفض ذلك أيضًا. كان والده «جوزيف كنيدى» معروفًا عنه كراهيته ومعاداته للسامية وتأييده لـ«هتلر» قبل الحرب العالمية الثانية، ولكن يبدو بأن الأب لم يصب أبناءه بعدوى معاداته للسامية. وسُئل الرئيس «كيندى» ذات مرة عن حقيقة مشاعر والده تجاه اليهود وهتلر. وقالو له: «جاك إن كل واحد يعرف

عن كراهية والدك لليهود وتأييده «هتلر» وكل واحد يعرف أن التفاحة لا تسقط بعيدة عن الشجرة. فرد عليهم «كنيدى» أنتم تعرفون أن أمى كانت أيضًا جزء من الشجرة [١٥].

نصحت وزارة الخارجية الرئيس كنيدى بألا يوافق على الصفقة، لأنهم كانوا يخشون من أن يؤدى ذلك إلى بدء سباق التسلح فى الشرق الأوسط، كانت الولايات المتحدة تسلح إسرائيل والاتحاد السوفييتى يسلح العرب. وتزامن ذلك مع قرب انتخابات التجديد النصفى لمجلس الشيوخ، فهل ستشجع مبيعات صواريخ هوك الناخبين اليهود لإعطاء أصواتهم إلى الديمقراطيين؟ كان لدى الديموقراطيين بالفعل مثل هذه الأصوات المضمونة. وأكدت السجلات الوثائقية أن رفع حظر الأسلحة لم يكن لمثل ذلك الغرض السياسى [١٦]. وكان كيندى يعرف تمامًا مضاعفات صفقة البيع وآثارها السلبية، ولكنه أدرك بأنها خطوة هامة نحو إقامة علاقة جديدة مع إسرائيل. فهل هناك تأثيرات أخرى لعبت دورًا فى ميل كفة الميزان لصالح إسرائيل؟.

من المعروف أن الأخ الأصغر للرئيس كنيدى «روبرت كيندى» و الذى كان يشغل منصب المدعى العام فى إدارة الرئيس «كنيدى» كان أحد المستشارين الموثوق بهم لدى الرئيس. ومالم يكن معروفًا هو أن هذا الأخ الأصغر عقب تخرجه من «هارفارد» كان يعمل مراسلًا لجريدة بوسطن پوست فى إسرئيل وقت اعلان قيامها كدولة، كما كان موجودًا أثناء الأيام الأولى لحرب الاستقلال. ذهب الإخوة كنيدى إلى إسرائيل عام ١٩٥١ فى جولة للكونجرس لمدة ٧ أسابيع فى الشرق الأوسط. وغادر الإخوة كيندى إسرائيل و هم يكنون مزيد من التقدير والإحترام لتلك الدولة الفتية التى تصر على «تحمل أى أعباء» فى سبيل سعيها لتحقيق أحلامها. وربما رأى الرئيس الأمريكى «كنيدى» فى الدولة حديثة النشأة ذلك الصديق الذى كان ينشده فى الشرق الأوسط ـ وهى تلك الدولة التى تحذوها أحلام كتلك التى كانت فى مدينة «كاميلوت» الأسطورية.

وعندما التقى «روبرت كنيدى» لأول مرة مع «شيمون بيريز» خلال المفاوضات حول شراء صواريخ الهوك، فإن ذكرى زيارة «ر.كنيدى» لإسرائيل عام ١٩٤٨ كانت أول موضوع تحدثا عنه. و تطرق حديثهما بعد ذلك إلى رغبة إسرائيل فى رفع الحظر الأمريكى

على تصدير الأسلحة لإسرائيل[١٧].» ويبدو أن «روبرت كنيدى» كان له بعض التأثير فى هذا الأمر لمصلحة «شيمون بيريز» وللسماح لإسرائيل بامتلاك صواريخ هوك.

ورأى البعض أن تأثير «روبرت» فى هذا القرار هو شىء سوف يلعنه العرب فى جميع أنحاء العالم، وبصفة خاصة بعد أن ساعدت الأسلحة الأمريكية إسرائيل على كسب حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧. وإذا ما كان العرب يلعنون «روبرت كنيدى» الصغير على مساعدته على إنهاء حظر الأسلحة على إسرائيل، عندما كان مدعيًّا عامًا. فكيف ستكون عليه الأمور إذا ما أصبح رئيسًا جديدًا للولايات المتحدة الأمريكية؟

كان «روبـرت كنيدى» يتنافس عام ١٩٦٨ على منصب الرئاسة عن الحزب الديموقراطى، ويقود حملته الإنتخابية فى كاليفورنيا. وفى الواقع كان فوزه بأصوات كاليفورنيا فى ٥ يونيه عام ١٩٦٨ يوافق يوم الذكرى السنوية لاندلاع حرب الأيام الستة. وطالب فريق «كنيدى» المشرف على الانتخابات بالتقاط صورة تذكارية له مع «إسحاق رابين» ـ الذى كان رئيسًا لأركان جيش إسرائيل خلال تلك الحرب وأصبح فى ذلك الوقت سفيرًا لإسرائيل فى أمريكا ـ تخليدا لتلك الذكرى. ولكن تلك الصورة التذكارية لم يكتب لها أن تلتقط أبدًا. قتل «روبرت كنيدى» بالرصاص فى هذا المساء على أيدى شاب «أردنى» من مواليد القدس عام ١٩٦٧ يسمى «سرحان بشارة سرحان»، يعتبر سرحان أردنيًّا قبل حرب ١٩٦٧، ولكن بعد الحرب بدأ العالم يعرف أن الأردنيين الذين يولدون فى الضفة الغربية والقدس الشرقية سوف يحملون «الجنسية الفلسطينية». وكما كتب «إسحاق رابين» فى مذكراته واصفًا هذا الحدث:

«لقد صدم الشعب الأمريكى بما أصابهم من فعل طائش لشاب مجنون لدرجة أنهم لم يستطيعوا حينها اكتشاف الدلالات السياسية الحقيقية لهذا العمل[١٨]».

فما هى الدلالة السياسية لاغتيال روبرت كنيدى؟ ووفقًا للتقرير الذى أعده القنصل الخاص لمكتب المدعى العام لولاية لوس أنجلوس، أطلق «سرحان» النار على «روبرت كنيدى» بسبب تأييده لإسرائيل، وكان يخطط لهذا الاغتيال منذ شهور. وفى نوبة غضبه أثناء المحاكمة اعترف سرحان قائلًا:

قتلت «روبرت كنيدى» مع سبق الإصرار والترصد ومع عشرين عامًا من الحقد الدفين»[19].

(وبالطبع تلك العشرون عامًا تعود إلى إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨.) وفى المذكرات التى وجدت فى شقة سرحان، عثر المحققون على نص كتبه سرحان يوم ١٨ مايو ١٩٦٨ فى السـاعة التاسعة وخمس وأربعون دقيقة مساءً ويقول فيه: يجب أن أغتال روبرت كنيدى قبل ٥ يونيه ١٩٦٨ ـ الذكرى السنوية الأولى لبدء حرب الأيام الستة. شهد السيد والسيدة «جون وايدز» أصحاب محل للأطعمة الصحية الذى كان «سرحان» يعمل به بأنه أخبرهما أن «إسرائيل أخذت منزله، وأن اليهود يعتلوا القمة فى الولايات المتحدة ويحركون الأحداث بها[20].» لقد اتضح خلال المحاكمة بأنه «عندما وعد السيناتور «كنيدى» خلال حديثه فى أواخر مايو أو أوائل يونيو بإرسال خمسين طائرة مقاتلة من طراز «فانتوم» إلى إسرائيل[21]، أصيب «سرحان» بصدمة كبيرة. وفى الليلة التى تم فيها اعتقال سرحان لارتكابه جريمة اغتيال «كنيدى» عثر المحققون فى جيوبه على قصاصتى ورق جرائد «لمقالتين» تدعوا إحداهما الجمهور للحضور ومشاهدة السيناتور «روبرت كنيدى» يوم الأحد ٢ يونيه ١٩٦٨ فى الساعة الثامنة مساء فى «فندق إمباسادور» بـ«كوكونت جروف» بلوس انجيلوس، والأخرى قصة يرويها الصحفى «ديفيد لورانس» ويورد فيها أجزاء من خطاب السيناتور «كنيدى» التى يقول فيها: «إذا اقتضت الضرورة فسوف تحظى إسرائيل بالمساعدات العسكرية المتقدمة»[22].

ولا يبدو بأن أحدًا كان يشك فى ذلك الوقت بأن إرهابيًا فلسطينيًا قد اغتال السيناتور «روبرت كنيدى». جعل سرحان من نفسه قاتلًا انتحاريًا بنفس الطريقة التى أصبح بها منذ ذلك اليوم كثيرٌ من مواطنيه الفلسطينيون ينفذون التفجيرات الانتحارية. **واختار سرحان ليلة القتل لتوافق عشية الذكرى السنوية الأولى للحرب التى أدت إلى إعادة التوحيد النبوءى لمدينة القدس، وعودة القدس الشرقية التى ولد فيها سرحان إلى السيادة اليهودية لأول مرة منذ ألف وتسعمائة سنة الماضية تقريبًا**[*].

(*) بمثل هذه البساطة، يرى المؤلف العدوان الإسرائيلى عام ١٩٦٧ تحقيقًا لنبوءة توحيد القدس، ليس إرهابًا، وليس عدوانًا، وليس خرقًا لمواثيق الأمم المتحدة ـ المترجم.

ويمكننا أن نتأكد من شيء واحد، وهو أن إرهابى شاب يعرف باسم «ياسر عرفات» كان فى ذلك الوقت يرقص فرحًا. ومن ناحية أخرى أنشئت منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ برعاية مصر وأعضاء آخرين بجامعة الدول العربية، قبل اندلاع حرب الأيام الستة بثلاثة سنوات. كانت الضفة الغربية والقدس و سامراء [الضفة الغربية] فى ذلك الوقت تحت سيطرة العرب(*)، وكان هدف تلك المنظمة ببساطة هو تدمير الدولة اليهودية. وعندما هاجم العرب إسرائيل عام ١٩٦٧، وانهزموا كان هناك اسم واحد يتردد فى عقولهم وهو «كنيدى» واقتنعت منظمة التحرير الفلسطينية بأن مفتاح الانتصار يكمن فى النمط الڤيتنامى لحرب الاستنزاف الإرهابية، وكان «سرحان» هو أول بطل لمنظمة التحرير الفلسطينية وربما لم يكن سرحان مرتبط ارتباطًا مباشرًا بتلك المنظمة إلا أن تلك المنظمة شعرت بأنه أحد أعضائها المقربين.

وعندما اقتحمت الجماعة الأرهابية المعروفة باسم «إيلول الأسود» التابعة لـ«ياسر عرفات» السفارة السعودية فى الخرطوم فى مارس ١٩٧٣ وأخذت السفير الأمريكى «كليونويل» والقائم بالأعمال «چورچ كيرتس مورو» وغيرهما من المسئولين كرهائن، كان من أهم مطالبهم الرئيسية إطلاق سراح «سرحان». وفى ٢ مارس ١٩٧٣ عندما رفض الرئيس «نيكسون» هذا الطلب، استرقت المخابرات الإسرائيلية ووكالة الأمن القومى الأمريكى السمع وسجلت لـ«ياسر عرفات» إصداره لأوامره السرية الكودية بإعدام «نويل ومورو» والديپلوماسى البلجيكى «جاى ايد» والذين قتلوا جميعًا رميًا بالرصاص، وخرج المحلل الذى يعمل فى وكالة الأمن القومى الأمريكى للشئون الفلسطينية «جيمس ولش» ليتهم «عرفات» بالتخطيط والتنفيذ لهؤلاء المختطفين والقتلة. وإذا كان «سرحان» قد اغتال «كنيدى» بصورة فردية مستقلة عن منظمة التحرير الفلسطينية، فلماذا كان الإرهابيون مستعدون لقتل جميع الرهائن الأمريكيين فى محاولة منهم لإطلاق سراحه؟.

وعلى الرغم من أن الأسلحة الأمريكية لإسرائيل لم تكن هى التى رجحت بالضرورة

(*) إسرائيل هى التى بدأت بالعدوان عام ١٩٦٧، وما زالت حتى اليوم تحتل أجزاء من أربعة بلاد عربية: مصر، سوريا، لبنان، فلسطين ـ المترجم.

ميزان حرب الأيام الستة لصالح إسرائيل، إلا أن حقيقة حصول إسرائيل على هذه الأسلحة كانت ذات أهمية ودلالة كبيرة. فمع إنهاء حظر الأسلحة وتقليص الاختلال فى ميزان القوى لسلاح الصواريخ بين الطرفين، لم يكن هناك سبب لدى الولايات المتحدة الأمريكية ليمنعها من فعل ذلك لسلاح الدبابات أيضا، وعلى هذا قامت إسرائيل عام ١٩٦٥ بشراء عدد ٢١٠ دبابة أمريكية الصنع وفى عام ١٩٦٦ اشترت إسرائيل ٤٨ طائرة قاذفة من طراز «سكاى هوك». ومن الواضح الآن أن مبيعات الأسلحة للإسرائيليين لم تعد قاصرة على الأسلحة الدفاعية فقط والدليل على ذلك ما ورد فى ملاحظات «روبرت كنيدى» حول استعداده لإعطاء إسرائيل «طائرات الفانتوم». هذا وعلى الرغم من أن الرئيس «ليندون جونسون» حاول مقايضة مبيعات الأسلحة الأمريكية بالتفتيش على المركز الإسرائيلى النووى فى « ديمونة»، آملًا بذلك فى الإبقاء على القنبلة الذرية بعيدًا عن متناول يد الإسرائيليين، إلا أن التفتيش الأمريكى عجز عن ذلك(*).

ولا يقع اللوم على هذا الفشل فى منع إسرائيل من امتلاك القنبلة الذرية على الرئيس «جونسون» وحده. فمثله مثل «كنيدى» و«إيزنهاور» من قبل، كان يعلم جيدًا ما الذى يفعله الإسرائيليون فى «ديمونة» ولكنه لم يستطع منعهم من تطوير القنبلة النووية؛ لأنه كان يعلم بأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تخاطر بحرب نووية عالمية ثالثة إذا ما هاجم السوفييت دولة إسرائيل الصغيرة(**). وخلال فبراير عام ١٩٦٨ وهى آخر سنة فى فترة رئاسة «جونسون»، تقابل مستشار السياسة الخارجية لعمدة مدينة نيويورك سرًّا مع بعض الأكاديميين فى منزل اللواء «إلاد بليد» مدير كلية الدفاع الإسرائيلية، وقبل سنة من هذا الاجتماع كان هذا المستشار يعمل مدرسًا بتلك الكلية. وكانت رسالته واضحة، ووفقًا لما عبر عنها «شلومو ارونسن» وهو الباحث المتخصص فى السياسة النووية الإسرائيلية قال:

(*) بهذه البساطة تتم مناقشة السلاح النووى الإسرائيلى، والقارئ ليس فى حاجة لتذكيره بالعدوان الإنجليزى الأمريكى الإرهابى على العراق لمدة أكثر من عشر سنوات تحت زعم تطويره أو مشاريعه لتطوير أسلحة الدمار الشاملة، ثم الغزو الإنجلو أمريكى البربرى للعراق فى عام ٢٠٠٣، بنفس الحجة تارة، وبحجة العلاقة بين العراق وتنظيم القاعدة تارة أخرى، وثبت أن كل ذلك أكاذيب روج لها حكومتا واشنطون ولندن.

(**) وما الذى يجعل الاتحاد السوفييتى يهاجم دولة إسرائيل ؟

«إن الولايات المتحدة الأمريكية» لن تحرك ساكنًا للدفاع عن إسرائيل إذا ما اختار السوفييت الدخول بصورة مباشرة فى الصراع بشن هجوم بالصواريخ على القواعد الجوية الإسرائيلية فى سيناء لثلاثة أسباب: **أولًا**، أن الهدف الرئيسى لأى رئيس أمريكى هو منع قيام حرب عالمية ثالثة، **ثانيا**، ولن يخاطر رئيس أمريكى بحرب عالمية ثالثة بسبب المناطق التى تحتلها إسرائيل. **وثالثًا**، يعلم الروس ذلك[٢٣].

كان «هنرى كيسنجر» هو ذلك المستشار الذى أخبرهم بذلك، ويبدو أيضًا بأن هذا لم يكن سيناريو بعيد الإحتمال - حيث أضاف الاتحاد السوفييتى إلى قائمة أهداف صواريخه النووية مدن: تل أبيب، حيفا، بير سبع واشدود فى العام السابق - وكما قال السفير الروسى «أناتولى دوبررنين» لاحقًا: «إذا ما قامت إسرائيل بتهديدنا، فإننا سوف نبيدهم فى خلال يومين. ويمكننى أن أؤكد لكم أن خططنا جاهزة لهذا الاحتمال»، وهذه الخطط هى تحقيق ما ورد بالنبوءة التى رآها «سكوفيلد» فى سفر حزقيال ٣٨ و٣٩ وهى خططًا تم وضعها بالفعل موضع التنفيذ(*).

ويبدو أيضًا بأن «جونسون» كانت لديه أسبابه الأخلاقية التى جعلته يأمل فى نجاح اليهود. ففى نهاية الحرب العالمية الثانية، ذهب « جونسون» فى جولة لتقصى الحقائق نظمها الكونجرس إلى أحد معسكرات الموت فى «داخاو». وبعد عدة سنوات لاحقة على موت جونسون، قالت زوجته «ليدى بيرد» لأحد المؤرخين في تكساس - الموطن الأصلى لجونسون -: لقد عاد من تلك الجولة وهو يرتجف من الخوف الشديد والرعب القاتل لما شاهده هناك. إن سماع تلك القصص من بعيد نظريًا لهو أمر يختلف عن مشاهدتك لمعسكرات الموت والإبادة الجماعية لليهود على أرض الواقع[٢٤](**).

وعلى الرغم من أن كبار المسئولين الحكوميين الأمريكيين قد غضوا البصر عن صنع إسرائيل للقنبلة النووية، إلا أن مسئولى المخابرات سجلوا أدلة تثبت بأن الإسرائيليين يمكنهم اطلاقها. وقال أحد المحللين الفنيين لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية:

(*) ولكنها لم تتم، ولا يبدو أنها قد تتم - المترجم.

(**) لا يبرر ما وقع لليهود فى أوروبا ما يفعلونه بالفلسطينيين والعرب فى الشرق الأوسط - المترجم.

«لدينا خط مباشر مع الله، ولدينا كل شيء ـ ليس فقط من الفرنسيين ولكن أيضًا من الإسرائيليين».

فلقد سرقنا بعض الأسرار، وتجسسنا على البعض الآخر، ويمكنني رسم نموذج مصغر من هذا النظام النووى الإسرائيلى. وصممت بالفعل ثلاثة رؤوس حربية نووية وكيميائية شديدة الانفجار كتجربة. ونحن نتنبأ بما يمكن للإسرائيليين أن يفعلوه. وأضاف المسئول السابق فى وكالة المخابرات الأمريكية المركزية قائلًا:

«إسرائيل يمكنها توجيه وإطلاق رأس حربى نووى بنجاح. والمشكلة فى كيفية نقل تلك المعلومات المخابراتية» فإننى لم أستطع أبدًا عن طريق وكالة المخابرات المركزية الأمريكية نشر أى شيء بصورة رسمية ليوزع على الحكومة.

و أضاف قائلًا: «إن كل إنسان منا يعرف بشأن الصاروخ الإسرائيلى النووى، ولكن لا أحد منا يريد الحديث عنه. ويقول المسئول أنه جازف بفقد وظيفته وقرر أن يسرب نسخة من تقرير المخابرات إلى كبار المسئولين فى البنتاجون ووزارة الخارجية. وإنه اخبر أدميرال بوكالة المخابرات بفحوى هذا التقرير، ولكنه لم يكن مستعدًا لتصديقه، ولكنى جعلته يدور حول نفسه، ولكنه تقاعد ولم يهتم أحد غيره بالموضوع[٢٥]».

وقطعت إسرائيل شوطًا كبيرًا فى تطوير قدراتها النووية، ولم تسمح حتى لأقرب حلفائها وهى الولايات المتحدة الأمريكية يمنعها من ذلك. وهكذا أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية مصدرًا أساسيًا لتصدير الأسلحة التقليدية إلى إسرائيل فى ذلك الوقت الحاسم الذى شهد أيضًا قطع السوڤييت لعلاقاتهم مع إسرائيل فى أعقاب حرب الأيام الستة، وزيادة دعمهم لمصر وسوريا والعراق. وسارعت أمريكا فى تجاوز كل الحدود لمساعدة وإنقاذ صديقتها فى الشرق الأوسط (إسرائيل)، عندما تعرضت مرة أخرى للهجوم فى أقل من عشرة سنوات خشية ان تقدم إسرائيل على استخدام قدراتها النووية.

فى يوم ٦ اكتوبر عام ١٩٧٣ وفى أقدس أعياد اليهود وهو «عيد الغفران» هاجم تحالف

عربى، إسرائيل بصورة مباغتة آملين أخيرًا فى إلقاء إسرائيل فى البحر المتوسط(*). عقد الاتحاد السوڤييتى العزم على توحيد العالم العربى من خلال هزيمة الإسرائيليين، فقام بتسليح مصر وسوريا مرتين خلال هذا الصراع. وعندما بدأت الحرب أُخذت إسرائيل بصورة مأساوية على غرة. فكان معظم قوات الإحتياط للجيش الإسرائيلى فى المعابد، وانقطع إرسال إذاعتها وكان الناس يستمتعون جميعا بيوم راحة واسترخاء وعبادة. ولم تكن إسرائيل مستعدة للرد الفورى على الهجوم المنسق على جبهتين من مصر وسوريا. ولم تكن المخابرات الإسرائيلية ترى الهجوم وشيكًا، ولم تكن آلاتها العسكرية جاهزة للحرب. ومع حلول اليوم الثالث كانت إسرائيل قد خسرت آلاف الجنود (ومعظم خسائرها حدثت فى أول يوم من حرب ١٩٧٣ حيث خسرت إسرائيل فيه أكثر مما خسرته فى حرب الأيام الستة كلها) فقدت تسعًا وأربعين طائرة وثلث قواتها المدرعة (أكثر من خمسمئة دبابة) وجزء كبير من الأراضى العازلة التى كسبتها فى حرب الأيام الستة. وأصبح الإسرائيليون مرة أخرى على شفا هاوية المحرقة(**).

وفى رابع يوم للحرب، وفى عملٍ يائسٍ للدفاع عن النفس أمرت رئيسة الوزراء «جولدمائير» بتجهيز ثلاثة صواريخ نووية، ووجهتها نحو مقر القيادة العسكرية للجيوش المصرية والسورية بالقرب من القاهرة ودمشق. ونقل الصحفيون عن رئيس أركان الحرب الإسرائيلية «موشى ديان» قوله [هذه هى نهاية الهيكل الثالثة] وأخبرالصحفيين لاحقًا فى إحدى الإجتماعات الحاسمة: «إننا فى موقف اليائس فخسرنا كل شىء و يجب علينا أن ننسحب»(٢٦).

فى أوائل فترة رئاسة أوضح «نيكسون» بأن الحرب حتمية فى الشرق الأوسط، وأن هذه

(*) قبل عبد الناصر مبادرة روجرز للحل السلمى، ورفضتها إسرائيل قدم السادات مبادرته للسلام مع إسرائيل إذا انسحبت من سيناء ورفضتا إسرائيل، توجه السادات للولايات المتحدة والأمم المتحدة عارضًا السلام مع إسرائيل لو انسحبت من سيناء، ورفضت إسرائيل، والولايات المتحدة، وأخيرًا قام باسترداد أرض سيناء التى احتلتها إسرائيل فى عدوان بعملية عسكرية لتحرير الأرض المصرية، وفى أثناء إنتصار العرب الواضح على إسرائيل، وبعد بداية الحرب بأيام قليلة، عرض مبادرة سلام أخرى ـ المترجم.

(**) لا يريد المؤلف الاعتراف بعدوان ١٩٦٧، ويتجاهل مبادرات السادات قبل الحرب، وأثناءها للتسوية السلمية ـ المترجم.

الحرب يمكن أن تشعل فتيل الحرب العالمية الثالثة مع قتال الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى بعضهما البعض[٢٧]. والآن كان يرى اندلاع الشرارة الأولى لتلك الحرب. وبالتالى فوض الرئيس «نيكسون» «هنرى كيسنجر» بوضع كل طائرة أمريكية يمكنها الطيران فى الجو لنقل كل الأسلحة التقليدية المتاحة للإسرائيليين. وكان الجسر الجوى لتزويد إسرائيل بالأسلحة للدفاع عن نفسها أكبر من الجسر الجوى الذى استخدم لتمويل حصار برلين عقب الحرب العالمية الثانية، وقلب هذا موازين الحرب منقذًا إسرائيل من الفناء ومجنبًا العالم ويلات حرب نووية. و نفذ نيكسون الاتفاقية التى عقدها كنيدى بشأن الدعم العسكرى لإسرائيل و انتقل فى هذه الاتفاقية إلى المرحلة اللاحقة منطقيًّا وتتمثل فى عقد تحالف عسكرى كامل.

وعندما أدرك الاتحاد السوفييتى حقيقة ما يحدث اندفع مذعورًا ليقدم مزيدًا من المساعدة إلى مصر وسوريا. وكان التهديد الروسى حقيقيًّا وكان «نيكسون» يخاف من المواجهة المباشرة مع الاتحاد السوفييتى فرفع مستوى الوحدات العسكرية كلها فى جميع أنحاء العالم إلى وضع حالة الدفاع ٣ (حالة الدفاع الأولى ـ أعلى وضع استعداد قتالى وتعنى الحرب، وحالة الدفاع الثانية تعنى الاستعداد للحرب الوشيكة، وحالة الدفاع الثالثة تعنى الإستعداد لأن الحرب محتملة وحالات الدفاع الرابعة، الخامسة كانت حالات عادية فى جميع المناطق فى هذا الوقت ما عدا منطقة جنوب شرق آسيا التى وضعت بصورة دائمة فى حالة الدفاع الثالثة بسبب كابوس حرب ڤيتنام).

ولكن الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة نجحا فى التوصل لوقف إطلاق النار، وافقت عليه كل الأطراف المعنية وانتهت حرب يوم الغفران، وكان السبب المباشر هو الضغط الذى مارسته الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى، ولكن السبب الغير المباشر وراء وقف إطلاق النار كان حظر البترول الذى فرضته دول الأوبك.

أضاف هذا الضغط البترولى قوة إلى النيران الهادئة التى كانت تأكل ببطء فترة رئاسة «نيكسون» مع ظهور فضيحة «وترجيت» التى أدت إلى إقدامه على عملٍ جنونى بمقابلته للسفير السعودى وإخباره بأنه إذا ما رفع العرب الحظر البترولى فإنه سوف يجد حلًا دائمًا

للنزاع العربى الإسـرائيل بأسرع ما يمكن، وقال نيكسـون للسفير السعودى: «إن المكانة الرفيعـة لـى كرئيس للولايـات المتحدة الأمريكية سـوف تكـرس لتحقيق هـذا الهدف، ويجـب عليـك أن تعرف بأن هذا يعنى أننى سـوف انتزع رئاسـتى من بعـض الجماعات المعارضة لى فى هذا البلد[٢٨].» وكان هذا التلميح غير منطقى بالمرة، وبعد أقل من عام أجبرت «وترجيـت» نيكسون على الإستقالة.

وفى عام ١٩٧٤ وبعد فترة قصيرة من حرب يوم الغفران، قررت الولايات المتحدة الأمريكية أخيرًا إعطاء إسرائيل لأول مرة مساعدات عسكرية عادية. فكانت الولايات المتحدة الأمريكية تعلم علم اليقين أنه إذا ما تعرضت إسرائيل لأى هجوم آخر، فسوف تفعل كل ما هو ضرورى لحمايتها بوصفها حليفًا كاملًا لها. وهكذا فإذا ما استطاعت إسرائيل القوية منع قيام حرب أخرى محتملة أو استطاعت أن تدافع عن نفسها عند الضرورة، فإنها سوف توفر على الولايات المتحدة على المدى البعيد دفع نفقات مباشرة. عبر الكاتب أ.إف.كى أورجانسكى عن ذلك قائلًا:

(إن التغير فى السياسة الأمريكية فى التعامل مع إسرائيل كحليف هام واستراتيجى، قد يعود إلى حقيقة أن الزعماء الأمريكيين قد أصبحوا مقتنعين بعد مرور عشرين عامًا بأن إسرائيل يمكنها أن تقاتل. وفى حال انتصارها فإنها سوف تستطيع إيقاف ذلك النفوذ السوفييتى المتزايد، بل أنها قد تسبب فى انحساره. وذلك على العكس من المعتقد التقليدى للإدارات الأمريكية المتعاقبة)[٢٩](*).

(*) انهار الاتحاد السوفييتى فى عام ١٩٩٠، وما تزال الانحياز الأمريكى لإسرائيل قائمًا، ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن العرب ساعدوا فى انهيار الاتحاد السوفييتى على جبهتين:

أ- تخفيض السعودية أسعار البترول، مما أضر بالاقتصاد السوفييتى.

ب- نجحت الولايات المتحدة فى استدراج الاتحاد السوفييتى للدخو بقواته فى أفغانستان تلبية لطلب الحكومة الأفغانية العميلة، ثم جندت الولايات المتحدة العرب والمسلمين للجهاد ضد كفار الاتحاد السوفييتى ـ ومن هنا ظهر بن لادن وتنظيم القاعدة، الذى دربته وسلحته الـ C.I.A بأموال البترول العربى، وساندت كل الحكومات العربية الاسلامية المجاهدين ـ بن لادن ورفاقه ـ بصفتهم جنود الحرية، كما كان يحلو لواشنطون أن تسميهم فى ذلك الوقت، وشارك فى ذلك الحكومات العربية بمؤسساتها الدينية التى كانت تدعو ليل نهار للمجاهدين، ومؤسساتها الإعلامية، وأجهزة مخابراتها ـ المترجم.

وبالتالى وافق الكونجرس على أول صفقة مساعدات إلى إسرائيل تخصص جزء منها على هيئة قروض للدفاع (قبل تلك الصفقة كانت معظم المساعدات لإسرائيل تاتى فى شكل قروض تسددها إسرائيل أو على شكل مبيعات أسلحة يتم دفع ثمنها نقدًا. أما فى هذه الصفقة كانت هناك بعض القروض لأسباب الدفاع، ولكن ليس هناك منح أو هبات مجانية)، واعتبارًا من عام ١٩٧٦ أصبحت إ سرائيل أكبر مستفيد من المساعدات الخارجية الأمريكية فى العالم، ومنذ عام ١٩٧٤ تلقت إسرائيل تقريبًا مساعدات بمبلغ ٨٠ مليار دولار (معظمها فى صورة قروض).

وبسبب هذا كله ذهب أحد المؤرخين إلى حد القول بأن «إذا كان «هارى ترومان» هو الأب الراعى للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية المتميزة فإن «كنيدى» هو الأب الراعى للتحالف الإستراتيجى بين الولايات المتحدة وإسرائيل»[٣٠]. ومن الجدير بالملاحظة أن هذا التغير من وضع الصديق إلى وضع الحليف جاء فى نفس العام ١٩٦٢ الذى انتهت فيه إقامة الصلوات بالمدارس، بمعنى أن الاعتراف بدولة إسرائيل جاء على يد رئيس أمريكى قارئ للكتاب المقدس [ترومان]، أما الإلتزام بحماية إسرائيل فقد جاء لأن الصلوات كانت لا تزال تمارس فى المدارس، وأن قوة مثل هذه الصلاة، حتى لو كانت روتينية، فلا يمكننا التقليل من شأنها.

وعلى الرغم من وجود بعض التذمر للابتعاد عن تراثنا المسيحى قبل هذا الوقت، إلا أنه من الصعب تجاهل الخط الحـدودى الفاصل لما كانت عليه أمريكا قبل وبعد عام ١٩٦٢م. فليس من الصعب أن نلقى بتبعات ذلك الارتباك الاخلاقى الذى نعيشه اليوم إلى تلك النزعة النسبية التى نشـأت و ترعرعت فى أواخر الستينيات من القرن العشرين.

الفصل الثامن

إعادة إحياء بنى إسماعيل

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ١٧١].

ترجمة لنص منقوش باللغة العربية
من على حائط مسجد قبة الصخرة
وهو موقع الهيكل بالقدس[١].

إنكم لا تكرهون اليهود، ولكنكم ضد الصهيونية فقط، وأننى أقول لكم الحقيقة تدوى من أعلى قمم الجبال ليتردد صداها فى وديان أرض الله الخضراء، فعندما ينتقد الناس الصهيونية فإنهم يقصدون اليهود، وأن الصهيونية لاتخرج عن كونها حلمًا ومثالًا أعلى للشعب اليهودى ليعود للعيش فى أرضهم الخاصة بفلسطين.

مارتن لوثر كنج الصغير[٢]

ربما يبدو غريبًا عدم الاهتمام بما سوف يكون عليه رد فعل العرب أثناء إنشاء دولة يهودية فى فلسطين. فى الواقع عندما أصدر « بلفور إعلانه لم يكن هناك تطورات جدية خطيرة ليهتم بها الناس فى ذلك الوقت، فالأتراك وليس العرب هم الذين كانوا يسيطرون على فلسطين، وكانت بريطانيا تأمل فى تحرير فلسطين منهم مع نهاية الحرب العالمية الأولى، أما العرب فكانوا مبعثرين فى جميع أنحاء المنطقة، بلا أية قيادة مركزية تجمعهم أو تعاليم قومية واضحة يلتفون حولها، ولم يتنبأ أحد بالحرب فى عام ١٩١٧، التى اندلعت تقريبًا فى نفس الساعة التى أُعلنت فيها الدولة اليهودية بعد مرور ثلاثين عامًا، كنتيجة لكفاح «إسحاق» من أجل إعادة ميلاد دولته، بينما كان «إسماعيل» يحاول الوقوف مرة أخرى بعد سقوطه من القمة التى وصل إليها فى فجر الألفية الثانية الميلادية.

لقد كان العالم الإسلامى فى أوج مجده فى الجزء الأول من الألفية الثانية ومتفوق على الشعوب الأخرى فى الفنون والعلوم وتوسعت الدولة الإسلامية فى كل أنحاء الأرض ـ فى شمال إفريقيا وأوروپا والشرق الأدنى ـ ولأن جميع الثقافات الأخرى كانت بالنسبة للمسلمين متأخرة وهمجية فى ذلك الوقت، انعزل المسلمون عن باقى العالم وتقوقعوا داخل أمجادهم الخاصة، وبسبب تلك العزلة عجزت ممالك الإسلام عن ملاحظة أوروپا فى ذلك الوقت التى نهضت فيه من «عصور الظلام» لتدخل عصر النهضة والإصلاح والتطور التكنولوچى فى أوائل عصر الصناعة. فلم يتم ترجمة أى كتاب إلى اللغة العربية ـ حتى أواخر القرن الثامن عشر سوى كتاب واحد فقط وهو كتاب طبى عن «السيلان أو الزهرى» وقد سمح المسلمون بترجمته لأنهم شعروا بأن هذا المرض وصل إليهم من الغرب[٣]. فى المراحل الأولى لظهور الإسلام، كانت المسيحية الغربية هى أعظم تهديد لانتشار الإسلام، ولأن المسيحية الغربية بدأت تضعف مع سقوط الإمبراطوريات الرومانية والبيزنطية، فلم يواجه العرب أى مشقة فى هزيمة الحملات الصليبية التى أرسلها

الغرب لفتح القدس، ومن وجهة نظر المسلمين فسوف يسقط المسيحيون بسيف الله كما حدث ذلك مع الديانات الأخرى فى ذلك الوقت. ولم تكن الصين معنية بالمشكلة لبعدها عن أرض الصراع، كما تحول الأفارقة بسهولة إلى عبيد، وكانت الهند والشرق الأدنى فى ذلك الوقت معنيين بالدخول فى الإسلام، وأصبح المسلمون قانعين بفتح العالم قطعة قطعة بقدرة الله، فأولًا وقبل كل شيء وصف المسلمون سيطرتهم وهيمنتهم على العالم بأنها حتمية لامفر منها.

بالنسبة للمسلمين، تعتبر الديانة اليهودية والمسيحية هما الأساس الذى سوف يكمله ويختمه الرسول محمد بالقرآن، بنفس الطريقة التى يعتقد بها المسيحيون بأن يسوع قد أكمل وتمم الكتاب المقدس ومواثيقه مع إبراهيم وموسى وداود. فهؤلاء جميعًا كانوا أنبياء تمت الإشارة إليهم فى القرآن. بالنسبة للمسلمين جسد الله فى القرآن كل ما هو حقيقى وصادق فى تلك الأديان الأخرى واستبعد منه كل ما هو زائف وكاذب. ولذلك فإن تهديد المسيحية ليس تهديدًا بالردة عن دين الإسلام ـ لماذا يعود شخص ما إلى الآيات الغير كاملة للكتاب المقدس عندما يكون لديه بالفعل الآيات الكاملة للقرآن ـ لكن تهديد المسيحية كان تهديد القوة والتكنولوچيا والغزو، ولم تمتلك البوذية والكونفوشية وغيرها من الديانات الأخرى فى الشرق مثل تلك القوة والتكنولوچيا التى كانت للمسيحية، ولذلك فالمشكلة فى تلك الديانات الشرقية لم يكن سوى تهديدًا ضئيلًا للإسلام. فى تلك المرحلة التاريخية لم يكن المسلمون خائفين من الأفكار فى حد ذاتها ـ لأن ثقافتهم كانت أكثر تقدمًا ـ ولكنهم خافوا من القوة العسكرية لأوروپا. ومع مرور الزمان تطور معظم المسلمين حتى شعروا بالتسامح مع اليهود والمسيحيين بوصفهم موحدين بالله و«أهل الكتاب» لأنهم ذُكروا فى القرآن.

ولكن الثقافة والأفكار الغربية سرعان ما ارتفعت وسمت فوق ثقافة وأفكار الإمبراطوريات الإسلامية بسبب نشوب القتال بين العرب والفرس[1]، وقد لاحظ

(*) ربما يقصد المؤلف الحرب بين الفرس والأتراك ـ المترجم.

الخبير والمؤلف فى التاريخ الإسلامى «برنارد لويس»(*) بأنه لولا صراعات واختلافات الإمبراطورية العثمانية مع الفرس لربما أصبحت أوروبا جزءًا من إمبراطوريتهم فى عام ١٥٥٠م(٤). ولكن العثمانيين قاتلوا باتجاه الشرق وليس الغرب واستمر الصراع لقرون عديدة مبعدًا بؤرة اهتماماتهم عن أوروبا. كان الأتراك العثمانيون مسلمون سنيون وكان المسلمون فى مصر وفارس وشبه الجزيرة العربية مسلمون شيعة(**) وردًا على اعتناق بعض الأتراك الذين كانوا يعيشون فى أقصى المناطق الشرقية من الإمبراطورية العثمانية إلى المذهب الشيعى غزا السلطان العثمانى سليم الأول وغيره من الحكام العثمانيون الآخرون بلادهم الشيعية وكانت الإمبراطورية العثمانية فى أوج مجدها فى أواخر القرن السابع عشر. حيث امتدت حدودها إلى بحر قزوين شرقًا والأجزاء الشرقية من « فارس» (إيران اليوم) وإلى البحر الأحمر جنوبًا وعلى طول جبال «عسير» وبالتالى سيطروا على لبنان وسوريا (الشام) وفلسطين ومصر والعراق والكويت وأطراف شبه الجزيرة العربية، كما امتدت إلى شمال إفريقيا حتى المغرب تقريبًا من جهة الغرب و شمالا إلى المجر والأقاليم المطلة على شواطئ البحر الأسود، ولكن ظلت أجزاء كبيرة من وسط وشمال أطراف شبه الجزيرة العربية وهى صحراء شاسعة حرة بعيدة عن النفوذ العثمانى. كان العرب فى تلك المنطقة على شكل قبائل بدوية تشكلت خلال القرون الزمنية السابقة للحرب العالمية الأولى فى الوقت الذى ظهرت فيه الصهيونية فى الغرب، وشجعت بريطانيا اليهود للتفكير فى فلسطين لتكون وطن قومى محتمل لهم كما جاء بإعلان بلفور. كان هناك رجالٌ مثل «تى. إى. لورانس» ـ المعروف فى اللغة العربية باسم «لورانس» و«هارى فيلبى» يحاولون تنظيم العرب البدو لمساعدة بريطانيا على طرد الأتراك من الشرق الأوسط. وبينما كان الجزء الأكبر من تلك القوات تحت قيادة لورانس والشريف حسين بوصفه الزعيم «الدمية» للأمة العربية(***) (بمعنى آخر كان زعيمًا فقط على الورق

(*) هو مؤرخ يهودى صهيونى، كثير من كتاباته خارثمة ومزيفة ـ المترجم.

(**) أصبحت فارس شيعية فى سنة، وكان أهل العراق مختلطين، سنة وشيعة، أما بقية البلاد العربية، بما فيها مصر، فكانت السنة هى الأغلبية الكبيرة، ونسب قليلة من الشيعة ـ المترجم.

(***) لم يكن الشريف حسين زعيمًا للأمة العربية، ولا حتى لعرب الجزيرة، وإنما لجزء صغير منهم فى الحجاز ـ المترجم.

لخدمة المصالح البريطانية) أرسل البريطانيون «فيلبى» للتخلص من العصابات التى تعوق تحقيق الهدف البريطانى، وكانت هناك جماعة صغيرة من المسلمين المنشقين من طائفة متطرفة تنفذ بعض العمليات الإرهابية(*) ضد قوات الشريف حسين، وأرسلت بريطانيا « فيلبى» لمقابلة قائد تلك الجماعة الإرهابية وهو حاكم مسلم من «الطائفة الوهابية المتطرفة» يدعى عبد العزيز بن سعود ليثنيه عن مقاومة الإنجليز والانضمام إلى جانب البريطانيين واستمر «بن سعود» كما عرفه الغرب بهذا الاسم فى بناء المملكة العربية السعودية وجميع زعمائها اليوم ينحدرون من سلالته المباشرة.

كون «محمد بن عبد الوهاب» تلك الجماعة الأصولية الوهابية فى منتصف القرن الثامن عشر وقام بالتبشير لها بين السعوديين، وذلك عن طريق تحالفه مع محمد بن سعود عام ١٧٤٤ . ويبدو أن محمد بن سعود اخلص لهذا التحالف لدرجة أنه تزوج من ابنة «بن عبد الوهاب»، و بالتالى فإن الأسرة الملكية السعودية الحاكمة اليوم تنحدر من «بن عبد الوهاب» بوصفه جدها الأول.

أعتقد «ابن عبد الوهاب» بأن الإسلام يتهاوى لأنه قد أصيب بعدوى الزندقة والهرطقة من الأديان الأخرى (نتيجة الإيمان بالآلهة الكثيرة أو «الشرك»، وتبجيل الصحابة الإسلاميين الأوائل وعبادة الأشجار المقدسة وما شابه ذلك من أشكال الوثنية). وفى كتاب بن عبد الوهاب «التوحيد» كتب قائلًا: «إن الشرك شر مهما كان موضوع هذا الشرك، سواء كان تقديس ملك أو نبى أو قديس أو شجرة أو مقبرة»(٥). ولأنه لم يكن يوجد هناك عدد كبير من السكان المسيحيين أو اليهود فى الشرق الأوسط يستحقون اهتمام «ابن عبد الوهاب» فقام بمهاجمة العرب الآخرين الذين «ارتدوا» عن الديانة الإسلامية الحقيقية، ولكى يبرر «ابن عبد الوهاب» ما فعله قام بإعادة تفسير «المثل الأعلى للجهاد». عنى الجهاد لدى الجهاد لدى معظم المسلمين فى أيامه، وبصفة خاصة الشيعة منهم، نضالًا روحانيًا للوصول إلى ما هو مقدس، ويتضمن الدعوة للإسلام فى أطراف الدنيا، وبدون

(*) بكل سهولة وانتقائية يمنح الإعلام والحكومات الأمريكية المتعاقبة مصطلح إرهابى على من يريدون، ويمنعونه عن من يريدون، بصرف النظر عن أفعال أولئك وأولئك ـ المترجم.

ضرورة لخوض مزيد من المعارك، إلا أن «ابن عبد الوهاب» علّمَ اتباعه أن جهاد الرسول (محمد) كان حربًا مقدسة على الكفار». فهؤلاء الذين كان لديهم إيمان زائف - بما فيهم المسلمون الذين ارتدوا عن دينهم - بسبب وقوعهم تحت تأثيرات خارجية - يجب عليهم الرجوع مرة أخرى أو يقتلون، وإن كان القتل يفضل عن الرجوع إلى دينهم، وبالتالى أطلق على هؤلاء «اسم المشركين» واعتبروا أقل من مرتبة البشر، فهم ماشية يجب أن تذبح كأضحية لله «الإله الواحد الحقيقى» ولا يستثنى من هذا العقاب حتى النساء والأطفال والشيوخ والعجزة، ولا تقارن محاكم التفتيش الأسبانية فى فظائعها بالمذهب الوهابى(*). وطبقًا لمذهب «ابن عبد الوهاب» كان ارتكاب القتل الجماعى بقوة الجيوش السعودية هو طريقة التقرب إلى الله.

وسرعان ما أنشأ «ابن عبد الوهاب» دولة قومية عربية فى «نجد» (وهى المنطقة الواقعة فى وسط شبه الجزيرة العربية حول الرياض) ومن هناك شنوا حربًا لتطهير الإسلام، ومن بين المدن التى سلبوها ونهبوها ودمروا معابدها وأماكنها المقدسة كانت كربلاء المدينة الشيعية المقدسة ١٨٠٢ (التى كانت جزءًا من الإمبراطورية العثمانية وهى جزء من

(*) يجدر بنا أن نجرى مقارنة سريعة بين الوهابية، ولحاكم التفتيش، وبعض نصوص العهد القديم من الكتاب المقدس (التوراة)، ولنبدأ بنصوص العهد القديم:

(أ) سفر الخروج:

الإصحاح ٣٢، جاء تحت عنوان «غيرة اللاويين»:

«وخاطب موسى هارون... ص ١١٦.

فى هذا اليوم ببركة». (٢١-٢٩).

(ب)سفر العدد:

الإصحاح ٣١، جاء تحت عنوان «القضاء على المديانيين»:

وقال الرب لموسى صفحة ٢١٨

من نهر الأردن مقابل أريحا»

وجاء تحت عنوان «تطهير المجاربين وقتل النساء الأسيرات»:

فخرج موسى والعازر صفحة ٢١٨-٢

فتكونوا طاهرين».

(ج) محاكم التفتيش:

نتقل هنا جزءا مما جاء فى موسوعة «قصة الحضارة» - ول ديورانت، تحت عنواان «منشأ محكمة التفتيش» فى الجزء السادس عشر صفحة ٩٠:....

العراق اليوم). وبلا رحمة تم ذبح السكان الشيعة بوصفهم مشركين. وذهب «ابن عبد الوهاب» إلى أبعد من ذلك حيث قام بتدمير مقابر صحابة النبى محمد؛ لأن المسلمين كانوا يتباركون بهم بطريقة مشـابهة للقديسين المسيحيين، وقتلوا فى غاراتهم الآلاف من الرجال والنساء والأطفال والشباب والشيوخ والحوامل بلا رحمة [٦].

وفى عام ١٨٠٣ استولى الوهابيون على مكة، وهددوا بالاستيلاء على دمشق فى الفترة من عام ١٨٠٣ حتى عام ١٨٠٥، وفى النهاية بالرغم من اضطرارهم للانسحاب إلى الرياض التى بنيت كعاصمة لهم عام ١٨٢٤، إلا أنهم عاودوا للاستيلاء على معظم الأراضى التى احتلوها وتقهقروا منها سابقًا، ولكن الجزيرة العربية دخلت فى حرب أهلية بعد عام ١٨٦٥ ـ نفس العام الذى أنهت فيه الولايات المتحدة حربها الأهلية ـ وتم تقسيم المملكة بين العثمانيين وطوائف مختلفة، وهربت الأسرة السعودية الملكية إلى المنفى فى الكويت، ولكنهم نهضوا مرة أخرى حيث أعادت قوات «عبد العزيز بن سعود» الاستيلاء على الرياض عام ١٩٠٢ وسيطرت قواته على منطقة نجد عام ١٩٠٦، وقاموا بدعم أنفسهم عسكريًّا كقوة يعمل لها حساب، ومع أنهم كانوا لا يزالون قوة صغيرة إلا أنهم أظهروا وحشية فى حروبهم تماثل تمامًا أساليب أسلافهم الوهابيين منذ قرن من الزمان مضى [٧].

كانت قدرة الأصولية المتطرفة للمذهب الوهابى لدى «بن سعود» وأسلافه مذهلة، فى السيطرة الدينية والسياسية على مقاليد الأمور. وحيث أن طبيعة المذهب الوهابى تميل نحو العزلة والحنين للماضى، فقد زرع بن سعود فى نفوس اتباعه لهفة وحنينًا لاستعادة عظمة الإسلام السابقة، وخلق روحانية حول أسلوب الحياة البدوية ومجد البلاط العربى القديم.

وهناك شىء واحد يجب علينا ملاحظته حول الأصولية الإسلامية وهو أن الثقافة والحكومة والدين عندهم مترابطة ولايمكن فصلها، وبينما نجد أن فكرة الفصل بين الكنيسة والدين لم يقدمها أجدادنا الأوائل أو الليبراليون المحدثون، وإنما قدمها لنا يسوع نفسه عندما قال «أعط مالقيصر لقيصر و ما لله لله» [٨]. فالمسيحية قدر لها أن تكون مملكة

روحانية أثرت على ما هو طبيعى من خلال تغيير ما فى قلوب الناس، بينما كان الإسلام هو دين القوانين الطبيعية للحكومة والثقافة التى تقرر ما هو روحانيًا، وبالتالى يمكن للمسيحيين التعامل مع قضايا القلب من خلال تفسير أكثر ليبرالية للكتاب المقدس، وأن يطبقوا تلك القضايا على أى ثقافة، دون الرجوع إلى الأساليب الثقافية ليسوع وحواريه. بينما الوهابيين لم يرجعوا إلى تفسير القرآن بطريقة أكثر ليبرالية فحسب، وإنما رجعوا إلى ممارسات وثقافة الزمن القديم الذى أنزلت فيه الكتب المقدسة، وبالتالى نظروا إلى التقدم والتحديث بشك كبير على أنهما فساد وإغراء(*).

بشر «ابن عبد الوهاب» بمذهب زاهد، قانونى، ينبذ كل ترف ورقص ومقامرة وموسيقى، وتدخين التبغ، من بين أشياء أخرى كثيرة غيرها، ومثل هذا النظام من المعتقدات لا يمكنه أن يتواجد ويعيش داخل نظام آخر، ولكن يجب أن يسود ويهيمن ـ وبالتالى فإن عدم تسامحه ورغبته فى أن يعيد العالم بأكمله إلى القرن التاسع والعاشر هى نزعة خطيرة ـ ولأن هذا المذهب متخلف فى جوهره، فكل ما هو حديث ينظر إليه بوصفه ضلالًا (باستثناء الأسلحة الحديثة التى يمكنها أن تؤدى إلى صعود الوهابيين إلى قمة السلطة) وكل من يدعو إلى الحداثة إنما هم اتباع الشر.

(*) ما يقوله الكاتب ينقصه برهان. وحتى لا نطيل، فنكتفى بذكر نصوص قليلة من القرآن، فى مقابل نصوص قليلة من الكتاب المقدس:

(أ) ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩]. ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢]. ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦]. ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨].

(ب) جاء فى سفر التثنية تحت عنوان «الأمر بقتل الأنبياء الكذبة وعابدى الأوثان» الإصحاح الثالث عشر: «وإذا أضلك ....صفحة ٢٤٧، ٢٤٨.... ارجمه بالحجارة حتى يموت» (٦-٩).

(جـ) جاء فى سفر التثنية تحت عنوان «التحذير من مخالطة الأمم» الإصحاح السابع: (ومتى أدخلكم الرب .... صفحة ٢٣٩........ وأحرقوا تماثيلهم» (١-٥).

(د) أما تفسير المسيحيين الليبرالى للشريعة والكتاب المقدس، فخير شاهد عليها هذا الكتاب الذى بين يدى القارئ، مع وجوب ذكر أن هذا التفسير شائع لدى اليمين المسيحى، والإنجيليين، والأصوليين، وليس كل المسيحيين ـ المترجم.

واليوم بنيت الحكومة والسلوك فى معظم البلاد الإسلامية على أساس قانون الشريعة الإسلامية الذى اشتق واستمد من أربعة مصادر رئيسية هى: (١) القرآن. (٢) السنة وهى مأخوذة من أفعال وأقوال عن النبى محمد. (٣) الإجماع وتعنى «الاتفاق» وهو يشير إلى «الاتفاق» على امتداد قرون من الزمان لمدارس القانون، ولكنه يشير أيضًا إلى اتفاق المجتمع الإسلامى. (٤) «القياس» الاستدلال بالتمثيل المنطقى الذى يشرع ويصيغ منه القضاة والباحثون القوانين الجديدة على أساس ماورد بالقرآن والسنة. ولكن الوهابيين رفضوا الإجماع ـ فلا يوجد هناك أى مجال للإجماع، أو للآراء الأخرى ـ وبالتالى فإن القانون ينتقل من «القرآن» عن طريق رجال الدين والقضاة والزعماء ويطلق عليهم «العلماء أو الفقهاء أو أولى الأمر» الذين تصدر عنهم ما يعرف بالفتاوى، ومثل تلك الفتاوى ملزمة ولا تقبل الجدل. ولا يحتاج الناس إلى أى تعليم آخر بجانبها، لذلك أكثر من نصف سكان معظم البلاد الإسلامية الأصولية لايمكنهم اليوم حتى قراءة القرآن لأنفسهم، وهكذا يمكن لـ«ابن سعود» أن يحكم بدون معارضة بدين يفرض سلطته المطلقة على كل الناس.

لقد نظر الإسلام الأصولى إلى الغرباء وبصفة خاصة الأوروبيين المحدثين منهم بصورة عقائدية متشددة بوصفهم كفارًا. ونظروا إلى الاتصال بهم على أنه يشكل مخاطرة قد تؤدى الى التلوث العقائدى، وبالتالى عندما وصل اليهود الأوروپيون إلى شواطئ فلسطين من أجل بناء منازلهم وإقامة محلاتهم، كانوا يشكلون تهديدًا رهيبًا للأسلوب الوهابى فى الحياة(*)، ونظرًا لكراهيتهم الشديدة للحكم بالإجماع، لم تكن الديموقراطية ضيفًا مرغوبًا فيه عند الوهابيين، ولم يكن «ابن سعود» يريد رؤية البريطانيين واليهود يقيمون المحلات بجواره وعلى حدوده الشمالية.

(*) لم يوجد أى نفوذ أو أثر للمذهب الوهابى فى فلسطين والشام ذلك الوقت، وكان غالبية المسلمين أحناف أو شوافع، مع قلة قليلة حنبلية. وهذا فى الواقع حال العالم الاسلامى اليوم، فأقل المذاهب انتشارًا هو المذهب الحنبلى، وأقل منه الوهابية، والتى تكاد لا توجد إلا فى الجزيرة العربية. أما القول أن الناس فى فلسطين فى ذلك الوقت كانوا يكرهون الحكم بالإجماع، فقد جاء فى القرآن ذكر الشورى مرتين، وليس هناك ذكر واضح لهذا المفهوم، لا فى العهد القديم ولا العهد الجديد ـ المترجم.

وبرغم هذا عقد «فلبيى» و«سعود» اتفاقًا للتعاون الثنائى معًا ـ فمن المحتمل أن يكون كل منهما نافعًا للآخر ـ ويبدو أن «فلبيى» ساعد فى جعل «ابن سعود» ملكًا على شبه الجزيرة العربية فى مقابل مساعدة «سعود» لجعل «فلبيى» غنيًّا، أو ربما كان جزءًا من نجاح الصفقة هو أن «فلبيى» كان يكن كراهية واحتقارًا مساويًا لكراهية ابن سعود لليهود، وشكل هذان الرجلان معًا شراكة أبدية سوف تملأ عالم إسماعيل بالأمل وتمده بالوسائل الكفيلة لاستعادة عظمة الإسلام. ويمكن القول أن الذى فعله ابن سعود و«فلبيى» فى الحرب العالمية الأولى، قاد مباشرة وبوضوح إلى أحداث ١١ سبتمبر، وإلى الحرب التى تخوضها أمريكا الآن على الإرهاب.

لقد وقع كلًا من «لورانس» و«فلبيى» فى غرام الثقافة العربية وأساليبها خلال الحرب العالمية الأولى، وشعرا بأنه يجب على بريطانيا أن تعد عرب الجزيرة بالاستقلال إذا ساعدوهم على هزيمة الأتراك والألمان. وفعل البريطانيون ذلك ووعدوا نظرائهم السعوديين بكل ما أرادوه فى مقابل ولائهم لهم. ونتيجة لذلك اعتبر كلا منهما تبنى بريطانيا لإعلان «بلفور» خيانة صغرى، واعتبرا كل منهما رفض بريطانيا للتحرك نحو إعطاء العرب استقلالهم خيانة عظمى. لكن بريطانيا رأت أن العرب مبعثرون لدرجة أنهم لايستطيعون وحدهم إقامة حكومة حتى ولو قدمت إليهم على طبق من الفضة. وبالتالى فإن العرب غير جديرين بجهود بريطانيا لمنحهم الاستقلال، ولذلك رفضت بريطانيا أن تفك الأغلال والقيود التى لفتها حول رقاب القادة العرب. وبينما أخذ «لورانس» هذه الخيانة على أنها إهانة له إلا أنه بقى موالِ للتاج البريطانى، أما «فيلبى» فقرر أن يتحول إلى خائن، وفضل أساليب الحياة العربية وقيودها على العودة الدائمة إلى إنجلترا، ولكنه كان يعود لإنجلترا من حين لآخر ليحافظ على المظاهر. كان فلبيى أولًا وقبل أى شيء جاسوسًا، كما كان ابنه «كيم فيلبى» أكثر الجواسيس المزدوجين السوفيت وأسوأ البريطانيين سمعة على الإطلاق فى التاريخ البريطانى، ولسوء الحظ استخدم «فلبيى» مواهبه ضد حكومته لمساعدة «ابن سعود» كى يجنى المال.

بعد الحرب العالمية الأولى بدأ «ابن سعود» فى الدعوة إلى الإطاحة بالزعماء العرب «الدمى البريطانية» البريطانية فى المنطقة. وكان «فلبيى» الذى طُرد من وظيفته بسبب

اتجاهاته الغير المتحضرة ودفاعه عن العرب، قد دبر بمساعدة «لورانس» البقاء فى الشرق الأوسط بوصفه الممثل البريطانى الرئيسى فى عمان و فى الضفة الشرقية لنهر الأردن، وبالتالى كان فى مكان ممتاز لإمداد «ابن سعود» بالمعلومات المخابراتية التى يحتاجها للإطاحة بالحكام «الدمى». والمفترض أن فلبيى يساعدهم على البقاء. استولى ابن سعود على جبل شمر عام ١٩٢١ ومكة عام ١٩٢٤ والمدينة عام ١٩٢٥ وعسير عام ١٩٢٦ وذلك بسرعة خاطفة، وأعلن «ابن سعود» نفسه ملكًا على الحجاز. وفى عام ١٩٣٢ وبعد توحيده للمناطق التى غزاها، أعلن قيام المملكة العربية السعودية كدولة مستقلة.

ولكن المملكة العربية السعودية ظلت إلى حد ما فى طى النسيان، حتى تم اكتشاف حقولها البترولية عام ١٩٣٨. ولعبت المملكة العربية السعودية على كلٍ من الجانبين المتحاربين فى الحرب العالمية الثانية وحاولت كسب كلًا منهما حتى بدأ النصر أكيدًا للحلفاء، حينئذ أعلنت الحرب على ألمانيا واليابان فى مارس ١٩٤٥. وفى الوقت الذى أعلنت فيه إسرائيل نفسها دولة، كان «ابن سعود» قد جمع عائدات دخل عشر سنوات من مبيعاته للبترول، دفعت الشركات الأمريكية فى ذلك الوقت ٥٣ مليون دولار تضاعفت أربعة مرات فى عام ١٩٥٢ لتصل إلى ٢١٢ مليون دولار[٩].

وعلى الرغم من كل هذا، » أصبح الشرق الأوسط فى الخمسينيات من القرن العشرين لوحة شطرنج للحرب الباردة. ومع حصول العرب على استقلالهم من القوى الإمبريالية الاستعمارية، بدءوا فى تبنى الحكم الذاتى بدلًا من وضعهم تحت الحماية البريطانية، وبدأ هناك اتجاهان اثنان فى الظهور فى الشرق الأوسط أحدهما اتجاهًا نحو القومية العربية والتحديث، وفقًا لرؤية الرئيس المصرى «جمال عبد الناصر» والاتجاه الآخر رؤية ملوك المنطقة للرجوع إلى النزعة الوهابية القديمة، وكانت المملكة العربية السعودية من بين رواد الاتجاه الأخير. وكانت المملكة العربية السعودية والعراق وإيران والكويت لهم حظوة وأفضلية شرعية على أنصار القومية العربية عند الغرب ؛ وذلك لأنهم سيطروا على البترول.

استقطبت الحرب الباردة المنطقة أكثر فأكثر نظرًا لازدياد نفوذ شركات البترول

الأمريكية. ساندت الولايات المتحدة الأمريكية هذه الأنظمة الملكية على الرغم من بذل الرؤساء الأمريكان «إيزنهاور» و«كنيدى» محاولات مضنية لخطب ود عبد الناصر إلا أن سوريا ومصر تحركتا باتجاه السوفييت وتلقيا معظم أسلحتهم وتقنياتهم العسكرية من الاتحاد السوفييتى(*).

بدأت قطع الشطرنج فى التحرك بسرعة شرقًا وغربًا فى لعبة الحرب الباردة، فبريطانيا أقامت «حلف بغداد» مع العراق وإيران وتركيا وباكستان فى عام ١٩٥٥، وذلك فى محاولة من بريطانيا لإبقاء تلك الدول مؤيدة للغرب. وفى عام ١٩٥٦ تحركت بريطانيا مع فرنسا وإسرائيل لغزو شبه جزيرة سيناء ليظهر ما يعرف بأزمة السويس(**)، وردًا على تلك المناورات البريطانية شكلت مصر وسوريا الجمهورية العربية المتحدة فى عام ١٩٥٨ وسوف تكون هذه الوحدة بينهما هى التحالف الذى سيؤدى إلى اندلاع حرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧ وحرب يوم الغفران عام ١٩٧٣. وردًا على ذلك شكلت الأردن والعراق «الوحدة العربية للأردن والعراق» فى عام ١٩٥٨ لتوحيد مملكتهما الهاشمية(***) وتولى رئيس وزراء العراق السابق «نورى السعيد» منصب رئيس الوزراء للمملكة الهاشمية المتحدة الجديدة، ورد «جمال عبد الناصر» على هذا بدعوته الشعب والشرطة والجيش العراقى للإطاحة بحكومتهم المؤيدة للغرب، وأدى ذلك إلى انقلاب فى ١٤ يوليو ١٩٥٨، مما جعل الجيش العراقى يسيطر على البلاد، ويتم حل الاتحاد العربى الهاشمى وانسحاب بغداد من تحالفها فى حلف بغداد عام ١٩٥٩.

أدت تلك التطورات لظهور سياسة شاذة على الساحة، حيث ساندت الولايات المتحدة الأنظمة الرجعية ضد الأنظمة التقدمية، وعلى الرغم أن كلًا من النظامين كانا

(*) قد يكون العكس تمامًا هو الصحيح، فقد حاول عبد الناصر التقارب مع الولايات المتحدة، ولكنها رفضت تمويل مشروع السد العالى، ورفضت إمداده بالسلاح، فى الوقت الذى كانت فيه إسرائيل تكرر إعتداءاتها على الحدود المصرية ـ المترجم.

(**) لا يريد المؤلف ذكر كلمة عدوان ـ المترجم.

(***) حكم البلدين أبناء الشريف حسين الهاشمى، ولا حاجة بنا لذكر الحديث الشريف الذى معناه أن النبى محمد ﷺ حذر بنى هاشم من أن يأتى الناس بأعمالهم يوم الحساب، ويأتى بنو هاشم بلا أعمال ولكن يقولون فقط نحن بنو هاشم ـ المترجم.

ديكتاتوريًا وقمعيًا، إلا أن أمريكا كانت تؤيد جانب «بنى إسماعيل» الذى سوف يرعى الإرهاب ويستمر فى محاولاته لإرجاع الشرق الأوسط إلى الوراء وإلى العصور الوسطى، وذلك بدلًا من تأييدها لجانب «بنى إسحاق» الذى سوف يتحرك أحفادهم نحو التحديث و تحقيق مستويات أفضل للمعيشة. ومع نضوب احتياطات حقول البترول الأمريكية فى «أوكلاهوما» و«تكساس» أثناء لكسب الحرب العالمية الثانية، أصبح بترول الشرق الأوسط وبصفة خاصة البترول القادم من المملكة العربية السعودية وإيران والعراق والكويت فى غاية الأهمية، إن لم يكن ضروريًا، للإبقاء على الاقتصاد الأمريكى مزدهرًا .كانت أمريكا تدفع بسخاء ملايين الدولارات لضخ البترول الخام للإبقاء على اقتصادها مزدهرًا، فكانت بذلك تمول الحركة السرية المعادية لإسرائيل والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط(*).

وخلال تلك الفترة حافظت المملكة العربية السعودية على الحياد الذى أعلنه «ابن سعود» خلال الحرب العالمية الثانية، وانتظرت ما سوف تسفر عنه الأوضاع تحت قيادة الإبن الثانى لـ بن سعود وهو الملك «سعود» (توفى بن سعود عام ١٩٥٣)، وعلى الرغم من أن المملكة العربية السعودية لم تكن تحمل أدنى حب تجاه الدول اليهودية الوليدة فى ذلك الوقت، إلا أنها كانت أكثر اهتمامًا بجيرانها العدوانيين وبصفة خاصة الممالك الهاشمية للأردن والعراق على حدودها الشمالية، هذا وعلى الرغم من استمرار تدفق أموال البترول على المنطقة فى ظل حكم الملك «سعود» إلا أن المملكة العربية السعودية عانت من الفوضى المالية، وتم خلع الملك سعود ليحل محله أخوه الأصغر «فيصل بن عبد العزيز»، وذلك فى عام ١٩٦٤، ولعب علماء المسلمين الوهابيين دورًا كبيرًا فى هذا التغيير الذى حدث فى القيادة السعودية، ولن ينسى «فيصل» لهم هذا.

(*) هذا استنتاج غريب. فأولًا ما زال بالولايات المتحدة بترول يكفى احتياجها لعشرات السنين، ثانيًا، كان وما زال يمكنها الحصول على البترول من دول أخرى فى العالم مثل أمريكا اللاتينية وأوروبا [إنجلترا والنرويج]، وشرق آسيا. ثالثًا أمريكا تمول إسرائيل وتسلح جيشها بالمجان، بينما ما تدفعه للعرب هو ثمن البترول الذى تشتريه، وقد أعلن العرب عدة مبادرات للعيش بسلام مع إسرائيل بعد أن تنسحب من المناطق التى احتلتها، ويعدد الفلسطينيين حقوقهم، ورفضت إسرائيل كل تلك المبادرات ـ المترجم.

تطورت الحكومة السعودية فى عهد «سعود» نحو الانفتاح والمرونة أكثر إلا أن «فيصل» سوف يعيد البلاد إلى جذورها الوهابية المحافظة بصورة متطرفة عملًا بنصيحة جده من ناحية الأم وهو الذى رباه بعد موت أمه عندما كان فى السادسة من عمره والذى نصحه قائلًا: «يجب على المملكة العربية السعودية قيادة العالم العربى ويجب تصدير المذهب الوهابى إلى الخارج»(١٠).

حتى بعد وفاة جد الملك فيصل بوقت قصير من تلك النصيحة، إلا أن الملك فيصل لم ينساها أبدًا، ويبدو أن الملك فيصل كان يشبه كثيرًا أبيه «ابن سعود» أكثر من أخيه الأكبر وسوف يستخدم الملك «فيصل» تأثيره ونفوذه والقوة التى أعطاها له المذهب الوهابى وليس القوة العسكرية للارتقاء بالمصلحة السعودية العليا، وقد ترجم ذلك على أرض الواقع، فبينما زود أبيه «ابن سعود» العرب باثنين فقط من الألوية السعودية للمساعدة فى قتال اليهود فى حربهم للاستقلال خلال عامى ١٩٤٨ و١٩٤٩، إلا أن ابنه فيصل زود العرب بلواء واحد فقط أثناء حرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧، ولم يشترك هذا اللواء حتى فى العمليات العسكرية الفعلية. لكن المملكة العربية السعودية مع ذلك سوف تستفيد بأكثر من فائدة من انتصار إسرائيل، فمع ضعف وارتباك مصر فان «جمال عبد الناصر» سوف يسحب قواته العسكرية من اليمن التى كان يأمل فى استخدامها كقاعدة أمامية لتدبير انقلاب يعيد شبه الجزيرة العربية إلى معسكر الدول المؤيدة للقومية العربية، ومع انسحاب «جمال عبد الناصر» من اليمن أصبحت الحدود الجنوبية للسعودية آمنة مرة أخرى.

ولكن الملك «فيصل» لم يظهر أى عرفان بالجميل لهذا، وسرعان ما وجد طريقًا آخر لتقويض الدولة الإسرائيلية وإضعاف الدول العربية التى ربما تنافس السعوديين فى الشرق الأوسط؛ فبدأ فى تمويل منظمة وليدة تسمى «فتح» - حركة التحرير الوطنية الفلسطينية - بالأموال وهى منظمة يرأسها فلسطينى الجنسية مصرى المولد يسمى «ياسر عرفات» وسوف تستخدم «فتح» والمنظمات الأخرى التابعة لها تلك الأموال السعودية لزعزعة الاستقرار فى الأردن، لتجبر الأردن على استخدام كل طاقاتها العسكرية لطرد تلك المنظمات منها خلال «أحداث أيلول الأسود» عام ١٩٦٨، ولكن لازالت فتح مستمرة

فى فرض السيطرة على منظمة التحرير الفلسطينية التى أنشأها «جمال عبد الناصر» عام ١٩٦٩ لتضم العديد من الجماعات الإرهابية تحت مظلة واحدة.وأثناء ذلك احتفظت المملكة العربية السعودية بعلاقات قوية مع الولايات المتحدة الأمريكية وتدفق البترول لأمريكا وتدفقت الدولارات الأمريكية بدورها لتدعيم وتصدير المذهب الوهابى، وهو مذهب كراهية بنى إسماعيل للغرب.

الفصل التاسع

تصدير الكراهية

«إن المملكة العربية السعودية هى الراعى الرئيسى للإرهاب. فالإرهابى الانتحارى الذى يفجر نفسه إسلامى الطبيعة، وهذا عرف إجتماعى متبع فى الصراع مع الكافرين. ويجب على الغرب بأن يفهم أن الأصولية الإسلامية هى تهديدًا عالميًا له».

دكتور «ديفيد باركاى» أستاذ بجامعة حيفا
مؤتمر قمة القدس الذى عقد
فى الفترة من ١٢ إلى ١٤ أكتوبر ٢٠٠٣[1]

«أما إسماعيل، فقد استجبت لطلبتك من أجله. سأباركه حقًّا، وأجعله مُثمرًا، وأكثر ذُريته جدًّا فيكون أبًّا لأثنى عشر رئيسًا، ويصبح أمة كبيرة. غير أن عهدى أبرمه مع إسحاق الذى تنجبه لك سارة فى مثل هذا الوقت من السنة القادمة».

«سفر التكوين ١٧ : ٢٠-٢١»

ففى حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ وحرب يوم الغفران عام ١٩٧٣ (*) لم تدافع إسرائيل عن نفسها فحسب، ولكنها أيضًا حولت أنظمة عربية تقدمية اشتراكية مؤمنة بالقومية العربية إلى أنظمة «رجعية» وتميل إلى الغرب، ومع فشل القوميين العرب تابعى راية «جمال عبد الناصر» مرة تلو الأخرى فى هزيمة جيش إسرائيل الصغير، بدأت سيطرتهم على المنطقة تتلاشى أكثر فأكثر. وجلست المملكة العربية السعودية ـ بهدوء فى الخلف لتحافظ على مصالحها، وأيضًا ليتم استبعادها من قائمة أهداف الإرهابيين، لذلك استخدمت المال للمحافظة على أهدافها الحيوية مثل (خطوط أنابيب البترول «التابلين»)، والتى تمر من «صيدا» بلبنان عبر مرتفعات «الجولان» (إلا أن هذا الخط تم اغلاقه عند انهيار لبنان عام ١٩٨٣)، ومع تولى منظمة التحرير الفلسطينية قيادة جماعات الإرهاب فى المنطقة، أصبح الملوك والأمراء السعوديون من أكثر المؤيدين لـ «ياسر عرفات».

عندما أوقف الملك فيصل ضخ البترول إلى الولايات المتحدة وبريطانيا لفترة قصيرة خلال حرب الأيام الستة، ومع عدم ظهور أى تأثير لهذا الحظر، لم يدرك الملك فيصل أن البترول لايمكن استخدامه كسلاح لحسم المعارك، ولكن العالم تغير كثيرًا من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٣. فى ذلك الوقت قام كلًا من «صدام حسين» الذى كان نائب الرئيس فى النظام الذى أطاح بالملكية فى العراق فى عام ١٩٧٢ (**)، ومعه القذافى الذى تولى السلطة فى يونيه ١٩٧٣ (***) بتأميم كل الامتيازات البترولية داخل أراضيهم. كانت منظمة «الأوبك» للدول المنتجة للبترول فى ذلك الوقت فى أوج مجدها، بينما قنع السعوديون

(*) كانت حرب ١٩٦٧ عدوانًا إسرائيليًا صريحًا على مصر وسوريا، أما حرب ١٩٧٣ فكانت لاستعادة الأراضى المحتلة ـ المترجم.

(**) تم الإطاحة بالملكية فى العراق قبل ذلك بحوالى عشر سنوات وقبل ظهور صدام حسين فى العراق ـ المترجم.

(***) تولى القذافى السلطة قبل وفاة الرئيس عبد الناصر، فى أواخر ستينيات القرن العشرين ـ المترجم.

أثناء اندلاع حرب يوم الغفران يوم ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ بالجلوس خلف الصفوف متابعين ما يحدث. إلا أن الملك «فيصل» عندما رأى أن العرب قد خسروا كل ما لديهم فى المعارك مع عبور القوات الإسرائيلية لقناة السويس بقيادة «إريل شارون» حتى وصلت يوم ٢٠ أكتوبر إلى ٦٣ ميلًا من العاصمة المصرية «القاهرة»(*) قرر الدخول مباشرة فى الصراع حيث قطع إمدادات البترول عن الولايات المتحدة الأمريكية يوم ٢٠ أكتوبر، وعن الأسطول السادس الأمريكى المتواجد فى البحر المتوسط حينئذ يوم ٢١ أكتوبر، ودعا باقى دول الأوبك إلى أن تحذو حذوه وذلك ما فعلته تلك الدول. وفجأة وجدت إسرائيل حلفائها يحثونها ويطالبونها بتوقيع وقفًا فوريًا لإطلاق النار.

وعلى الرغم من أن كفة الحرب لم تمِل إلى أى من الطرفين، حيث لم يسلم أى طرف بالهزيمة، كان السعوديون هم الرابحون الوحيدون من تلك المعركة، حيث كسبوا الحرب بدون إطلاق رصاصة واحدة، كما أنهم أظهروا للدول العربية الأخرى بأن لديهم القوة التى ليست للمصريين الناصريين والسوريين(**)، وهذا فى حد ذاته كان له تأثيرًا واسعًا. من ناحية أخرى كان لهذا الحظر البترولى فائدة إضافية غير متوقعة، ألا وهى الارتفاع الجنونى لأسعار البترول، الأمر الذى جعل إيرادات البترول السعودى تقفز من ٢,٧ بليون دولار عام ١٩٧٢ إلى أن وصلت ٤,٣ بليون دولار فى عام ١٩٧٣ ثم وصلت إلى ٢٢,٦ بليون دولار عام ١٩٧٤ [٢]، وفجأة أصبح لدى الملك «فيصل» قدرة مالية غير محدودة لكى يدعم بها المصالح السعودية والوهابية.

وسرعان ما طورت المملكة العربية السعودية نظامًا اقتصاديًا رائدًا بين الدول الإسلامية، وبالتالى أصبحت قبلة يتجه إليها المسلمون الذين لا يستطيعون إيجاد فرص عمل فى بلادهم، واستغل العلماء الوهابيون هذا لمصلحتهم، فسرعان ما سيتغلغل المذهب الوهابى داخل عقول هؤلاء المهاجرين أثناء عملهم فى المملكة العربية

(*) لقد ذكر المؤلف من قبل أن إسرائيل كانت على وشك استخدام أسلحتها النووية بعد أن أحست بخسارتها وقرب إنهيارها، ولذلك بدأت الولايات المتحدة فى إمدادها بجسر جوى من الطائرات والمدرعات بقيادة أمريكيين يهود، ولذلك قال الرئيس السادات إنه لا يستطيع أن يحارب الولايات المتحدة - المترجم.

(**) كانت مصر فى ذلك الوقت تحت حكم السادات - المترجم.

السعودية، وعندما يجمعوا أموالًا تكفيهم فيعودوا إلى أوطانهم بعقول مغسولة «من جديد» وسيكون «المذهب الوهابى» هو صيحة اليقظة ليعتلى الإسلام مكانة هامة وبارزة فى النظام العالمى(*).

وهكذا أصبحت المملكة العربية السعودية مثلًا أعلى لكل الدول الإسلامية الأخرى، ودعا السعوديون للمذهب الوهابى بوصفه نظامًا عقائديًّا يباركه السعوديون من صميم قلوبهم، وسعى العالم الإسلامى إلى المملكة العربية السعودية سعيًا لكى يتخلصوا من الفقر وأيضًا ليتزودوا بالثقافة الإسلامية، هنا سيصبح المذهب الوهابى نواة لإعادة إحياء الإسلام الحقيقى.

علاوة على ذلك تعتبر سيطرة السعوديين على المدن المقدسة مثل مكة والمدينة التى يجب أن يسافر إليها كل مسلم على الأقل مرة واحدة طوال حياته لتأدية فريضة «الحج» (وهى أحد أركان الإسلام الخمسة) ميزة أخرى للسعوديين ليظهروا لباقى العالم «شكل الإسلام الحقيقى» حيث يتم تلقين وتعريف الحجاج بالمذهب الوهابى الأصولى المتطرف بوصفه عودة إلى الإسلام الحقيقى لـ «محمد»(**). مع إنتشار المذهب الوهابى زيادة الاهتمام به فى جميع أنحاء العالم الإسلامى، وجعله المنهج الرسمى الذى يدرس فى المساجد والمدارس والجامعات، أدت المنح والتبرعات السعودية للأعمال الخيرية الإسلامية دورها لتأكيد ذلك.

قلل الغرب من خطر تلك الأصولية الوهابية، فأطلقوا عليها المذهب الإسلامى، ولم تُعِر وزارة الخارجية والمخابرات الأمريكية وغيرهما من الجهات الأخرى المعنية أدنى اهتمام. وكان يُنظر إلى «الأسلحة» فى الثقافة النسبية الأمريكية ـ التى تؤمن بفصل الكنيسة عن الدولة بوصفها حركة ثقافية لرفع الروح المعنوية والارتقاء ببعض الدول الأكثر فقرًا فى العالم. ويرى المسئولون الأمريكيون أن التعاليم الدينية يمكنها فعلًا أن تقترب بصورة

(*) العالم الاسلامى يزيد على المليار نسمة، يمثل الحنابلة فيه ما لا يزيد عن العشرة بالمئة، والوهابيون شريحة من الحنابلة ـ المترجم.

(**) بالطبع هذا كلام يس له أى أساس من الصحة، ويعلم ذلك من حج واعتمر ـ المترجم.

متطرفة من حدود «التعصب» الدينى (وهى أكبر مساوئ «الموائمة السياسية»)، وهذا يتناقض مع نسيج النسبية العالمية للـ « القرية العالمية» الدعوة للعولمة. وفى حقيقة الأمر أننا لم ننتبه لهذا الخطر إلا بعد وقوع هجمات ١١ سبتمبر، ولم تعلن أى جهة حكومية علانية بأن المذهب الوهابى يشكل تهديدًا إلا بعد مرور سنتين من ١١ سبتمبر[٣]. وحتى ذلك اليوم لم يكن أحد فى الحكومة الأمريكية مستعدًا لتخيل أن هناك من يكره الأمريكيين إلى الحد الذى يجعله يختطف طائرة وينتحر بها أملًا فى قتل الآلاف من الأمريكيين. أن أى شخص يفكر فى مثل هذه المهمة سيتراجع عن تنفيذها عمليا ولكن مسئولى الحكومة الأمريكية كانوا مخطئين وأساءوا تقدير القوة التدميرية المجنونة للمذهب الوهابى والكراهية التى يثيرها.

وأحدثت حرب يوم الغفران تغييرات أخرى هامة فى العالم الإسلامى والشرق الأوسط، حيث بات واضحًا بعد إحباط مصر وسوريا فى تلك الحرب التقليدية، خاصة عندما بدأت الولايات المتحدة فى دعم إسرائيل بوصفها حليفًا عسكريًا، وإمدادها بأحدث الأسلحة المتطورة، أن أمل العرب فى كسب حرب تقليدية ضد إسرائيل قد أصبح ضعيفًا. وعلى الرغم من أن إسرائيل تشغل فقط ١/٨ من إجمالى مساحة أراضى الدول العربية، إلا أن هذه الدولة الصغيرة لم تكن أكثر من مجرد النبى «داود» الذى كان يحارب العمالقة، وبطريقة تشبه المعجزة أصبحت إسرائيل القوة العظمى فى الشرق الأوسط؛ لأنها الدولة الوحيدة فى المنطقة التى تمتلك القنبلة النووية، وأدى ذلك إلى خلق هاجس أن إسرائيل ربما تهاجم العراق بالأسلحة النووية إذا ما استفزت خلال حرب الخليج عام ١٩٩١، ومرة أخرى دفع هذا الهاجس أمريكا إلى الإسراع بتزويد إسرائيل بالأسلحة المتطورة للدفاع عن نفسها ـ هذه المرة زودت أمريكا إسرائيل بصواريخ باتريوت ـ وذلك فى مقابل وعد إسرائيل بالالتزام بالحياد وعدم الدخول فى المعركة مع العراق. لذلك حصلت إسرائيل على تسعة وثلاثين صاروخًا باتريوت فى الوقت الذى أبقت على صواريخها النووية موجهة صوب بغداد طوال الوقت.

وفى اجتماع عام ١٩٧٤ فى «الرباط» بالمغرب العربى، أعلنت جامعة الدول العربية منظمة التحرير الفلسطينية الإرهابية الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى وعينت

«محمد عبد الرؤوف عرفات القدوة الحسينى» المصرى المولد الفلسطينى الجنسية ـ المعروف اليوم باسم ياسر عرفات ـ زعيمًا لها.

وهناك نتيجة أخرى مهمة تمثل أقوى شعاع للأمل رأيناه فى الصراع العربى الإسرائيلى فى القرن الماضى، وهو توقيع معاهدة سلام وتطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل والذى بمقتضاه استعادت مصر شبه جزيرة سيناء فى مقابل ضمانات بأن تبقى سيناء منزوعة السلاح، ولكن حتى وسط هذا الأمل كانت هناك إشارات خفية تدل على الكراهية، فبعد أن قام الرئيس المصرى «محمد أنور السادات» برحلته الغير المسبوقة لإسرائيل عام ١٩٧٧ ليصبح بذلك أول زعيم عربى يخاطب البرلمان الإسرائيلى المعروف باسم «الكنيست» سألت رئيس الوزراء الإسرائيلى «مناحم بيجن» عن رأيه فى الزعيم المصرى أثناء اجتماع غير رسمى عقد بيننا، فرد علىّ قائلًا: «إننى لا أحب رابطة عنقه، ولا أحب صيغة خطابه» ولم أفهم ما يقصده «مناحم بيجن» بتلك الكلمات، ولكننى شعرت بأنه من غير الملائم أن أسأله بالضبط عن سر عدم حبه «للسادات». واكتشفت أن «السادات» كان يرتدى أثناء خطابه أمام «الكنيست» رابطة عنق ذات رسومات لنجوم النازية المعقوفة بحجم كبير، واكتشفت أيضًا أنه أثناء انتشار الشائعات عام ١٩٥٣ بأن «هتلر» هرب من الأسر والموت ولازال حيًا معافى يعيش فى البرازيل و سألت «جريدة المصور» المصرية الأسبوعية رأى زعمائها وقادتها السياسيين بما سوف يكتبونه لـ «هتلر» إذا ما سنحت لهم الفرصة بذلك فرد عليهم «السادات» ـ الذى كان أحد مساعدى «جمال عبد الناصر» فى انقلابه ضد الملك فاروق قائلًا: «أهنئكم من كل قلبى أيها النازيون لأنكم على الرغم من هزيمتكم فأنتم المنتصرون لأنكم استطعتم بذر بذور الشقاق بين الرجل العجوز «تشرشل» وحلفائه من ناحية وبين حلفائهم والشيطان من ناحية أخرى... ، إذا ما أصبحتم خالدين فى ألمانيا فهذا سبب كافى لتفخروا بأنفسكم، ولكن يجب، علينا ألا نندهش إذا ما شاهدناكم أيها النازيون مرة أخرى فى ألمانيا أو شاهدنا «هتلر بينكم»[٤]. لقد قضى «السادات» قبل هذه التصريحات فترة من عمره وسط الحرب العالمية الثانية فى السجن لموقفه المؤيد للنازية علانية وتأييده الصريح لـ«هتلر» فى الوقت الذى كانت

فيه مصر تحت حكم بريطانيا. وهكذا وقع السـادات معاهدة السـلام مع إسرائيل وهو مرتديًا رداء معاداة السامية(*).

وعلى الرغم من ذلك، تم اغتيال السادات عام ١٩٨١ بسبب محاولته لإحلال السلام فى الشرق الأوسط. وانقطعت العلاقات الطبيعية ـ التى لا تعنى فقط العلاقات التطبيعية مثل فتح السفارات، وتبادل السفراء، ولكنها تعنى أيضًا فتح طرق التجارة والمواصلات بين البلدين ـ عندما سحبت مصر سفيرها من إسرائيل عام ٢٠٠١. ولكن اتجاه «السادات» نحو السلام خلق سابقة سار الأردنيون على دربها لاحقًا عندما وقعوا معاهدة السلام مع إسرائيل عام ١٩٩٤. واليوم مصر والأردن هما الدولتان العربيتان الوحيدتان اللتان وافقتا على مثل هذه المعاهدات. أما باقى الدول العربية فاحتفظت بحقها فى الإبقاء على عدائها علانية لإسرائيل، ولكن كما هو واضح فى وسائل الإعلام المصرية أن معاداة السامية بدأت فى العودة إلى مصر أكثر من أى وقت مضى(**).

ما هى الوسيلة التى تمكننا من هزيمة إسرائيل إن لم تكن المواجهة العسكرية المباشرة هى الحل؟ لقد زودنا «آية الله الخمينى» بجزء من الإجابة على هذا السؤل فى إطاحته بالشاه، كما زودتنا منظمة التحرير الفلسطينية بالجزء الآخر المتبقى من الإجابة فى سيطرتها على لبنان. فالعرب سيشنون حربًا استنزافية ضد إسرائيل ويهزمونها ويدمرون إرادتها فى العودة للقتال رويدًا رويدًا، وسيتحقق ذلك من خلال نشر فيروس المعاداة للسامية والإرهاب المتطرف. فالخمينى أوضح لنا كيفية توحيد الجماعات الدينية والإجتماعية والعلمانية فى كراهيتها للشاه والولايات المتحدة الأمريكية واستخدام تلك الكراهية المطلقة كوسيلة سياسية وعسكرية للإطاحة بالشاه، وبدأ الخمينى ثورته وهو خارج إيران ـ ومع اقتحام السفارة الأمريكية فى طهران يوم ٤ نوفمبر ١٩٧٩، اتضح أن

(*) تهمة معاداة السامية، هى تهمة تلقى على كل من يعارض سياسة إسرائيل، والعرب ساميون مثل بنى إسرائيل، وإن كان الأصح القول بأن اليهود ساميون مثل العرب، وإبراهيم جد العرب وجد بنى إسرائيل أصله عربى عراقى وزوجته هاجر أصلها مصرى، وزوجته الثانية سارة أصلها عراقى وأحد أسباط بنى إسرائيل (يوسف) نسله من زوجته المصرية، بل أن يشوع فتى موسى وخليفة الذى قاد بنى إسرائيل من بعده وهو مصرى، وذلك طبقًا للكتاب المقدس ـ المترجم.

(**) راجع الهامش السابق.

الغرب ليس له مثل تلك القوة التى لدى الإسلام، وفجأة أصبح الإسلام هو «النبى داود» يبدأ فى هزيمة العمالقة الجدد أو الشيطان الأكبر «أمريكا» والابن الشرعى الوليد للشيطان الأكبر «إسرائيل».

لم تغير مفاجاة المسئولين الامريكين فى واشنطن و«لانجلى» ـ مقر قيادة المخابرات المركزية فى فيرجينيا ـ من الأمر شيئًا عندما علموا بنشوب الثورة الإيرانية. أخبر الموساد الأمريكيين عام ١٩٧٨ بأن وضع الشاه «محمد رضا بهلوى» أصبح ضعيفًا ولن يصمد طويلًا. إلا أن الأمريكيين لم يعبئوا بهذا التقرير الإسرائيلى مفضلين نبوءاتهم المستمرة بأن الشاه سيتشبث بالسلطة، وعندما سقط الشاه بعدها بعام تقريبًا لم يكن سقوطه صدمة للأمريكيين فحسب، وإنما سبب لهم أيضًا حالة من الارتباك والحرج، ولسوء الحظ لم يكن ذلك الحدث هو الأخير الذى سوف تعجز المخابرات المركزية الأمريكية عن تحذير الرئيس الأمريكى منه.

وعلى الرغم من مفاجأة الولايات المتحدة بسقوط الشاه، إلا أن السعوديين رحبوا بسقوطه بأكثر من طريقة، فالمملكة العربية السعودية ستستفيد من الثورة الإيرانية لأنها أدت إلى قطع إمدادات البترول الإيرانى عن الغرب، وتضاعفت إيرادات البترول السعودى مرة أخرى بصورة فلكية مثلما حدث تمامًا بعد الحظر البترولى الذى فرضته دول «الأوبك» أثناء حرب ١٩٧٣، حتى إن دخل العائلة المالكة من البترول عام ١٩٧٨ بلغ ٣٢,٢ مليار دولار أمريكى، وبلغ عام ١٩٧٩م ٤٨,٤ مليار دولار أمريكى وعام ١٩٨١م ١٠٢,١ مليار دولار أمريكى(٥)، مما ساعد فى بناء ١٥٠٠ مسجد و٢١٠ مركزًا إسلاميًا و٢٠٠٠ مدرسة إسلامية فى البلاد غير المسلمة وحدها فى الفترة ما بين عامى ١٩٨٢ و ٢٠٠٢م من أجل نشر وتدعيم المذهب الوهابى. كما تبرع السعوديون أيضًا لتجهيز الأقسام الأكاديمية للدراسات الإسلامية فى مدرسة القانون بهارفرد وجامعة كاليفورنيا فى «بركلى»، كما تبرعوا أيضًا بمنح لتدعيم البحث العلمى الإسلامى فى الجامعة الأمريكية بـ «واشنطون» وجامعة هوارد وديوك وجون هوبكنز(٦). ومما هو ثابت من الوثائق الداخلية للمجلس الإسلامى العالمى أن السعوديين أنفقوا عشرة ملايين دولارًا أمريكيًا لبناء المساجد فى الولايات المتحدة الأمريكية خلال سنتين فى الثمانينيات من القرن العشرين(٧).

ومنذ عام ١٩٧٣م انفق السعوديون سبعة وثمانين مليار دولارًا أمريكيًا لنشر المذهب الوهابى فى جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية ونصف الكرة الغربى[٨]، وهكذا لم يزود الخمينى السعوديين بالمثل الأعلى والقدوة الحسنة[*]، فقط وإنما زودهم أيضًا بكيفية تدعيم مواردهم وإمكانياتهم المادية.

وفى هذا الوقت تقريبًا بدأ السعوديون فى شراء الأسلحة الأمريكية. فى فبراير ١٩٧٨م؛ أخبر الرئيس «جيمى كارتر» الكونجرس بعزمه على بيع طائرات إف١٥ إلى المملكة العربية السعودية، وبالرغم من الاعتراضات الإسرائيلية واللوبى الصهيونى المؤيد لإسرائيل، والمظاهرات التى زحفت فى الشوارع تحمل لافتات كتب عليها «بحق الجحيم قولوا لا لمنظمة التحرير» و«إن مساعدة إسرائيل هى أفضل استثمار لأمريكا» إلا أن صفقة بيع الطائرات للسعودية تمت بعد موافقة الكونجرس[٩]. وتبيع أمريكا حاليًّا أسلحة متقدمة إلى كلٍّ من أبناء إسماعيل وإسحاق.

لقد ساهمت منظمة التحرير الفلسطينية وحزب الله فى ظهور المذهب الإسلامى الأصولى عن طريق تكوينها لما هو معروف باسم «الهجمات الإرهابية غير المتماثلة» وذلك لأن مصطلح «غير المتماثلة» يستخدم لوصف تلك الهجمات التى تنفذ من جانب واحد؛ بمعنى أن تلك الهجمات ليست هى بمعارك يواجه فيها الجنود بزيهم العسكرى جنودًا آخرين بزى عسكرى آخر ويطلقون النار بعضهم على بعض فى ميدان المعركة، ولكن تلك الهجمات هى فجائية وانتحارية هدفها قتل أكبر عدد ممكن من الناس، ولن تكون هناك أى فرصة للرد عليها والانتقام منها»، فلن يتبقى أحد من منفذيها حيًّا للرد بالنيران عليه. لقد ابتكرت منظمة التحرير الفلسطينية وحزب الله «القنبلة البشرية» الجديدة التى يمكن استخدامها ضد أى هدف بدقة أعلى من القنابل الذكية الأمريكية، وأقل منها تكلفة بالطبع ما لم نضع فى الحسبان أرواح الضحايا الذين تمزقهم تلك القنابل، وهى تكلفه لم يضعها هؤلاء الذين يخططون للعمليات الإنتحارية فى اعتبارهم.

(*) فى الحقيقة انزعج حكام السعودية ودول الخليج من الثورة التى أطاحت بالشاه انزعاجًا حقيقيًا، يماثل انزعاج ملكيات أوروبا من الثورة الفرنسية التى أطاحت بالملكية فى فرنسا، وكيف تصبح الثورة الشعبية مثلًا أعلى للملكة السعودية الوهابية؟ المترجم.

برعت منظمة التحرير الفلسطينية وحزب الله فى استخدام تلك القنابل البشرية بنجاح لتنفيذ عمليات إرهابية خفية لإرهاب عدوهما وإجباره على التراجع، وكنت أنا شخصيًا فى «بيروت» فى أكتوبر عام ١٩٨٣م عندما استخدمت شاحنتان محملتان بالقنابل ضد القوات الأمريكية والفرنسية المتمركزة هناك حيث قتلت الانفجارات ٢٤١ جنديًا أمريكيًا و٤٨ جنديًا فرنسيًا شبه نظامى، ولن أنسى الفوضى والرعب اللذان سيطرا على كل ما فى الشوارع فى ذلك اليوم. ونتيجة لذلك انسحبت القوات الأجنبية(*) وتحولت لبنان إلى مركز لاحتضان الإرهاب يُقتل فيه المسيحيين، وأيضًا كان يتم تعليم الأطفال فى دور الحضانة بلبنان كيف يكون منفذى التفجيرات الانتحارية الاستشهادية ضد إسرائيل شهداء عظماء من أجل الله؟ وبهذا فقدت أمريكا معركتها الأولى فى حربها ضد الإرهاب، ولم نكن ندرى حينها أننا كنا فى قلب هذه المعركة.

وعندما ركز المذهب الوهابى كراهيته على الغرب، لم يكن أيضًا يشعر بالحب تجاه الشرق الشيوعى، وبالتالى عندما غزا السوڤييت أفغانستان فى نهاية عام ١٩٧٩م لحماية الحكومة «الدمية» السوفيتية الصنع من خطر المجاهدين ـ المصطلح العربى الذى يطلق على المقاتلين التابعين للمنظمات الإرهابية ضد السوڤييت(**) ومع انتفاضة الثوار غادر الوريث الشرعى لأكبر شركة مقاولات سعودية والذى كان يبلغ من العمر حينئذ ثلاثة وعشرين عامًا ـ مع كثيرين غيره من الشرق الأوسط للقتال بالاشتراك مع هؤلاء الإخوة المسلمين فى أفغانستان للإطاحة بالحكومة السوفيتية العميلة. وتلقى دعم المملكة العربية السعودية وباكستان وأمريكا لخوض حرب عصابات بدوية ضد القوة العسكرية السوفيتية المتطورة، وما بين عامى ١٩٨٠ و١٩٩٠م أنفق السعوديون أربعة

(*) جاء فى كتاب «إرهاب القراصنة وإرهاباالأباطرة» لناعوم تشومسكى، الأمريكى اليهودى ما يلى:
وفى الشرق الأوسط الذى يعتبر المركز الرئيسى للإرهاب صـ١٥٩، ١٦٠.
الذى يدور حول كيسى والـ «سى آى إيه».

(**) كان الإعلام الأمريكى يطلق عليهم فى لك الوقت «مقاتلو الحرية، وجنود الحرية»، وكانا أمريكا تمدهم بالسلاح ـ من أموال البترول ـ وتدربهم، وكانت كلها الأنظمة العربية الموالية لأمريكا تساند هؤلاء المجاهدين، بكل مؤسساتها الدينية: حيث كان الدعاء للنجاهدين من على كل المنابر ـ الإعلامية: فهؤلاء أبطال الحرية ـ العسكرية: بالتعاون فى التدريب والإمداد بالسلاح والعمليات التنظيمية.

مليارات دولار لمساعدة الثوار الأفغان، وذلك بخلاف المبالغ التى أعطوها لهم من خلال الجمعيات الإسلامية الخيرية المختلفة والأموال الخاصة بالأمراء[١٠]، وتلقى ذلك المهندس الإنشائى تدريبًا خاصًا فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وأنشأ بنجاح شبكة فى جميع أنحاء العالم الإسلامى لتجنيد المقاتلين للإنضمام إلى الثوار للحصول على الأسلحة والمعدات ولطرد الكفار السوڤييت، وبعد عشرة سنوات تقريبًا من القتال، انسحب السوڤييت من أفغانستان تحديدًا فى فبراير ١٩٨٩م ليظهروا للعالم بأنه لم يعد باستطاعتهم دخول أى منطقة وقمع انتفاضتها كما فعلوا من قبل فى جميع بلاد الكتلة السوفيتية فى السنوات الماضية. ونتيجة لذلك بدأت الجمهوريات السوڤييتية فى إعلان استقلالها وانسحبت من اتحاد الجمهوريات السوفيتية واحدة تلو الأخرى، فلم تكن لدى موسكو النية لخوض حرب أهلية لإعادتهم إلى الاتحاد السوفيتى مرة أخرى، ونتيجة لذلك تم هدم سور برلين فى ٩ نوفمبر عام ١٩٨٩م، وفى ديسمبر ١٩٩١م تفكك الاتحاد السوفيتى كليًا[*].

ولكن القتال لم ينته فى أفغانستان بانسحاب السوڤييت حيث استمر الثوار على نفس النهج، وهو السيطرة على الحكومة التى أسفر عنها التدخل السوڤييتى. صمدت الحكومة الأفغانية ضد تلك القوات لبعض الوقت حتى وقع الاتحاد السوفيتى قبل رحيله اتفاقًا مع الولايات المتحدة الأمريكية لوقف إعطاء أى طرف منهما أى مساعدات، وعلى امتداد السنوات القليلة التالية، إدعت الجماعات المختلفة السيطرة على مقاليد الأمور فى أفغانستان حتى كسبت أخيرًا الحرب حركة شبه وهابية ومقرها الرئيسى فى «هيرات» تطلق على نفسها «طالبان». ونجحت فى إقامة حكومة هناك، ونظم مهندس البناء السعودى الذى أصبح فجأة «چورچ واشنطون» العرب تلك الحركة، ليس فقط لأنه أطاح بالاتحاد السوڤييتى بل أيضًا لأنه أسس أول حكومة وهابية خارج المملكة العربية السعودية، وكان اسم ذلك البطل

(*) وكانت حرب أفغانستان، أو ڤيتنام الاتحاد السوڤييتى، من أسباب انهيار الاتحاد السوڤييتى، أو القشة التى قصمت ظهر البعير، إن لم تكن الضربة القاضية له، ومع هذا لم ترد الولايات المتحدة الجميل للعرب وتحل المشكلة الفلسطينية، ولكنها بدلًا من هذا، وبالإشتراك مع إسرائيل والصهيونية العالمية، بدأت فور سقوط الاتحاد السوڤييتى فى شيطنت الإسلام والمسلمين، وتنصيبهم العدو الجديد لها وللحضارة الغربية، فكان ذلك لهم جزاء شهار ـ المترجم.

الشعبى الجديد «أسامة بن لادن» وبمساعدة طالبان وبتمويل سعودى نشأت وترعرعت أفغانستان كدولة محتضنة للإرهاب من خلال معسكراتها الخاصة لتدريب الإرهابيين.

وبعد نجاح تنظيم القاعدة - الذى أسسه «بن لادن» عام ١٩٨٨م(*) فى هزيمة السوفييت «اتجه إلى القوة العظمى الوحيدة المتبقية التى تهدد «وجهة النظر الوهابية» وهى الولايات المتحدة الأمريكية(**). ومن هنا بدأت القاعدة لمدة ١٠ سنوات جولة من العنف ضد الولايات المتحدة الأمريكية التى لم يشعر بها أى أمريكى إلا بعد اختطاف ١٥ سعوديًا وأربعة مسلمين آخرين ينتمون لتنظيم القاعدة لأربع طائرات أمريكية ليصدموا بها برجى مركز التجارة العالمى والبنتاجون فى ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م.

مولت المملكة العربية السعودية وفى صمت الإرهاب، وحصلت على الحماية والمعدات العسكرية المتطورة من الولايات المتحدة الأمريكية، حتى يظل بترولها يُضخ لنا. وفى عام ١٩٩١م حث السعوديون الولايات المتحدة على شن هجمات على جارتها المسلمة «العراق» انطلاقًا من أراضيهم خوفًا من طغيان وإرهاب «صدام حسين»، وإن كانت نيتهم الحقيقية هى إضعاف الهاشميين(***)، وكعادتهم جلسوا فى الخلف يراقبون كلا من الجانبين وهم يتصارعون من أجل تقوية وضع المملكة العربية السعودية. ولكن التهديد الحقيقى للسعوديين كان عام ١٩٩١م، فبسبب ضعف القدرة الدفاعية للسعودية كان بإمكان «صدام حسين» الانطلاق من الكويت إلى السعودية إذا ما أراد.

وعلى الرغم من أن السعوديين كان لديهم بعض الأسلحة الأمريكية المتطورة، إلا أن قواتهم لم تكن فى وضع استعداد قتالى، ولا يمكنها خوض عمليات حربية بكفاءة.

(*) بمساعدة، إن لم يكن بمبادرة أمريكية ومباركة الحكومات الموالية للولايات النتحدة - المترجم.

(**) فى الحقيقة كانت أهداف بن لادن الجديدة متماثلة ومتماشية تماما مع أهدافه القديمة: خروج القوات الأمريكية من جزيرة العرب - كما كان فى السابق خروج القوات السوفييتية من أفغانستان، وخروج قوات الاحتلال الإسرائيلية من الأراضى العربية المحتلة - المترجم.

(***) غير مفهوم أى هاشمين يقصدم المؤلف. وهناك رؤية أرى لتلك الأحداث، وهى أن الولايات المتحدة أغرت صدام حسين بغزو الكويت، كما أغرته من قبل بالاعتداء على إيران، وبعد أن دخل الكويت هددت الولايات المتحدة والمجتمع الدولى لينسحب، وكان على وشك الانسحاب ولكن الولايات المتحدة وبريطانيا والقوات الموالية لهما بادروا بالهجوم عليه - المترجم.

لم تكن هناك أكثر من كبوة فى الاقتصاد الأمريكى مع ارتفاع أسعار البترول بشكل مؤقت كإستجابة لما قد تسببه حرب الخليج من نقص حاد فى إمدادات البترول لكن عادت أسعار البترول إلى ما كانت عليه قبل الحرب. وقال فى هذا الصدد «مارتن إندك»(*) سفير الولايات المتحدة السابق فى إسرائيل: «لقد عقدنا صفقة مع الدكتور «فاوست» ـ أى عقدنا صفقة مع الشيطان ـ لنغض بصرنا عن السياسات الداخلية للمملكة العربية السعودية، وعن محاولات السعودية لتصدير المذهب الوهابى للخارج(١١).

وفى نفس تلك الفترة تقريبًا (١٩٩٠ - ٢٠٠١م) كانت المملكة العربية السعودية هى العميل العالمى الأول لشراء الأسلحة الأمريكية التقليدية المتقدمة، وذلك مع وصول أسعار مبيعات البترول إلى ما يزيد عن ٤٥ مليار دولار أمريكى. واستثمر السعوديون حوالى ٢٠٠ مليار دولار فى الاقتصاد الأمريكى خلال تلك السنوات.

ولكن على الرغم من امتلاكها لأحدث الأسلحة الأمريكية المتطورة فى المنطقة، دون أن يكون هناك أى قوات أمريكية أو مرتزقة يقومون بتشغيلها أو إجراء الصيانة اللازمة لها، فإن تلك الأسلحة فى أيدى السعوديين لا تزيد عن كونها لعب أطفال خطيرة جدًّا للهو والعبث بها. ومثل كثير من الإنجازات التى تمت فى المملكة العربية السعودية، تم إنفاق أموالًا طائلة على تجميلها من ناحية الشكل فقط، ولكن ليس هناك أى بنية أساسية لصيانتها. فالثروة السعودية مبنية أساسًا على احتياطيات بترولها، ولكن تلك المليارات من الدولارات لم تخلق اقتصادًا قويًّا يستمر طويلًا، ولم يتم تدريب أى سعودى على أعمال الإدارة حيث يدير المملكة بأكملها مهندسون وخبراء أجانب من الغرب، بالإضافة إلى العمالة الرخيصة من باقى الدول الإسلامية؛ فلم يستفد المواطنون السعوديون كثيرًا من حكم بيت آل سعود وبدلًا من تطوير ثروتهم ورفع مستوى معيشة المواطنين أنفقت الثروات السعودية على الحياة المترفة للمسئولين الحكوميين ـ ومعظمهم من العائلة المالكة ذات السبعة آلاف عضوًا من أصحاب النفوذ الأقوياء ـ وأيضًا على تصدير كراهية المذهب الوهابى.

(*) وهو أمريكى يهودى صهيونى ـ المترجم.

وعقب الغزو العراقى للكويت فى أغسطس ١٩٩٠م عرض «أسامة بن لادن» مساعدة قواته من المجاهدين ذوى التدريب العالى فى حماية وطنه السعودية من زحف «صدام حسين» من الكويت إلى الرياض، وهذا يعفى المملكة العربية السعودية من احتمال تدنيس القوات الغربية الكافرة لأراضيها فى حالة إذا ما سمحت بدخول تلك القوات للدفاع عنها، ولم تأخذ الحكومة السعودية عرض بن لادن مأخذ الجد، ولم تدرسه بعناية. وسرعان ما بدأت تحركات القوات الأمريكية داخل المملكة العربية السعودية لتشكل قوة الغزو لعاصفة الصحراء، واعتبر «بن لادن» أن وجود القوات الأمريكية فى أرض بلاده الإسلامية مأخذًا ضد أمريكا وكذلك مأخذًا لما قد رآه إفسادا غربيا للقيادة السعودية. ويستدل على هذا فى أن «بن لادن» أصبح أكثر فأكثر ناقدًا فى تعليقاته اللاذعة لنظام الحكم السعودى، إلى الحد الذى دفع بالحكومة السعودية إلى سحب الجنسية السعودية منه عام ١٩٩٤م. وهناك أيضًا دليل قوى على أن ذلك الشعور هو الذى دفع أعضاء «القاعدة» لشن أربعة عمليات تفجيرية فى الرياض فى مايو ونوفمبر ٢٠٠٣، التى أودت بحياة اثنين وأربعين شخصًا معظمهم من المسلمين (فقط ثمنهم أمريكيون)، وأدت إلى جرح المئات فى محاولة لطرد جميع الغربيين من فوق أرض المملكة العربية السعودية.

بدأت ثورة غضب بنى إسماعيل لتصبح أكثر حدة. ففى أبريل عام ١٩٩١م عقدت الجماعات الإسلامية المتطرفة التى تعاطفت مع العراق خلال عاصفة الصحراء اجتماعًا فى الخرطوم بدعوة من حسن الترابى، وذلك فى الفترة من ٢٥ إلى ٢٨ أبريل عام ١٩٩١م، وكان المجاهدون المسلمون الذين يطلقون على أنفسهم إسم «الجبهة الإسلامية الشعبية» قد أطاحوا بالحكومة السودانية فى يونية ١٩٨٩م ودخلت السودان معسكر العالم الإسلامى المتطرف. وبعد انسحاب السوڤييت من أفغانستان قام «ابن لادن» برحلات إلى السودان للمساعدة فى تنظيم «الجبهة الإسلامية الشعبية» وتلقت كثيرًا من الجماعات التى حضرت مؤتمر الخرطوم دعمًا ماليًا من السعودية. اشترك فى هذا المؤتمر وفود من خمس وخمسين دولة من بينها عدة دول من الشرق الأوسط، وممثلين من «حماس» ـ وهو اسم مختصر لحركة المقاومة الإسلامية والجهاد الإسلامى ـ وأيضًا «ياسر عرفات» و«ابن لادن» الذى قام بإنشاء مقر له فى الخرطوم فى عام١٩٩١م حتى تم طرده منها عام

١٩٩٦م(*)، ثم عاد «ابن لادن» بعدها إلى أفغانستان لبناء مقر قيادة جديد للقاعدة، وبدأ فى تلك السنوات القليلة مشاريع متنوعة لجمع الأموال للقاعدة.

إن السمة المشتركة التى جمعت تلك الجماعات الإسلامية المتطرفة هى كراهيتهم للولايات المتحدة الأمريكية(**) ومحميتها إسرائل. وانطلاقًا من تلك الكراهية خرج «المؤتمر الإسلامى العربى الجماهيرى الذى كان يعقد كل سنتين، حتى أغلق السودان مكتبه فى الخرطوم فى فبراير عام ٢٠٠٠م. وفى محاولة يائسة ألقى «الترابى» باللوم فى إغلاقه بشكل أساسى على الولايات المتحدة الأمريكية من بين دول أخرى، معللًا بأن الولايات المتحدة الأمريكية معروف عنها عداؤها للإسلام(١٢). وفى تلك الفترة الزمانية كان المؤتمر الإسلامى العربى الجماهيرى» ملتقى يعقد فيه الإرهابيون صداقاتهم، ويشاركون فى أسرار صنع القنابل، وينسقون جهودهم وشئونهم الإدارية والتنظيمية، ويشجعون بعضهم البعض على كراهيتهم لأمريكا وإسرائيل. وفى المؤتمر التالى الذى عُقد فى فبراير ١٩٩٣م ازدهرت «القاعدة» نتيجة للاتصالات التى قام بها «ابن لادن»؛ حيث تم تنسيق الجهود مع «حزب الله»، ومن ثم حضر «حزب الله» «اجتماع المؤتمر الإسلامى العربى الجماهيرى» عام ١٩٩٥م، وأصبح ذلك المؤتمر وكرًا لالتقاء الإرهابيين الدوليين.

قد يكون أول هجوم ضد المصالح الأمريكية نفذه «المؤتمر الإسلامى العربى الجماهيرى» عام ١٩٩٢م هو على فندقى «جولد مور» و«عدن»، فى اليمن حيث كان مشاة البحرية الأمريكية ترانزيت فى طريقهم إلى الصومال، وتلى ذلك الهجوم هجوم آخر خطط له بعناية فائقة لتفجير مركز التجارة العالمى بنيويورك عام ١٩٩٣م، إلا أن التنفيذ لم يكن على مستوى التخطيط.

(*) طبقًا لتشومسكى، عرض السوران تسليم ابن لادن للولايات المتحدة، ولكنها رفضت العرض ـ المترجم.

(**) كانت تلك الجماعات على وفاق مع الولايات المتحدة وتعمل تحت مظلتها، إلى أن دخلت القوات الأمريكية للأراضى السعودية، ومع إصرار الولايات المتحدة على الانحياز الكامل لإسرائيل، برغم دور تلك الجماعات فى انهيار الاتحاد السوفييتى ـ وقد اعترف المؤلف بذلك ـ انقلبت الجماعات على الولايات التتحدة ـ المترجم.

وكان الشيخ «عمر عبد الرحمن»(*) هو المنظم لتلك الخطة الشيطانية، وكتب مساعده «السيد نصير» أحد تلاميذ أسامة بن لادن فى مذكراته قائلًا:

«إن الأمر الملزم من الله يقع على عاتقنا للقيام بالجهاد فى سبيل الله، ويجب علينا إحباط عزيمة أعداء الله بتفجير أبراجهم التى تشكل أعمدة حضارتهم والمبانى العالية التى يفتخرون بها»[١٣](**).

وفى نوبة جامحة من العمى النسبى الأخلاقى، كتب المسئولون الأمريكيون عبارات غير ملائمة ليستبعدوا السبب الحقيقى الذى دفع الإرهابيين للهجوم على مركز التجارة العالمى، وليستبعدوا ربط الإرهابيين بالحركة الوهابية العالمية التى أطلقت شرارة الإرهاب داخلهم. واعتبر الأمريكيون جماعة «عبد الرحمن» بوصفها جماعة متطرفة كجماعة «جيم جونز» ومزرعة الدافيديين فى واكد تكساس «Branch Davidians».

حضر الشيخ «عمر عبد الرحمن» الذى كان متورطًا فى اغتيال الرئيس المصرى أنور السادات إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٠م، وبنى «وكرًا للإرهاب» فى «نيوجيرسى»، وفى عام ١٩٩٤م بعثت لجنة أمريكية خاصة بتقرير مفصل يرصد ويسجل قيام شبكة خفية للجماعات الإسلامية الراعية للإرهاب فى جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية منذ الثورة الإيرانية، فى توريد أسلحة للجهاد الإسلامى وحماس وحزب الله مع خلايا سرية لها فى «نيويورك» و«فلوريدا» و«شيكاجو» و«كنساس سيتى» و«دالاس». وتختفى تلك الجماعات خلف ستارة من المشاريع الصغيرة والجماعات الدينية والخيرية. ويعمل أعضاء هذه الشبكة فى الولايات المتحدة الأمريكية على جمع الأموال، وتجنيد المتطوعين، ووضع الخطط للهجمات الانتحارية فى المعركة النهائية ضد «الشيطان الأكبر». وإن هدفها الرئيسى هو تنفيذ تلك الهجمات بدون أن يلومها أحد، ولتحقيق تغطية إعلامية واسعة لها وإلحاق أكبر قدر من الخسارة النفسية والاقتصادية من خلال الإرهاب.

(*) ليس هناك إجابة مقنعة عن: كيف حصل عمر عبد الرحمن على تأشيرتين لدخول الولايات المتحدة، برغم صعوبة ذلك على المشتبه فيهم؟ المترجم.

(**) استشهد المؤلف فى هذا الكتاب بكتاب دانيال، وهو أكثر الكتاب الكارهين للإسلام والعرب فى الولايات المتحدة، وأكثر المؤيدين لليهود والصهيونية ـ المترجم.

وهكذا وصلت كراهية إسماعيل لأخيه إسحاق ذروتها عام ١٩٩٣م بتصميمه على مهاجمة أمريكا وإسرائيل. وساعدت الولايات المتحدة الأمريكية على تقوية تلك الكراهية بتمويل السعوديين بمليارات الدولارات من ثمن البترول وتدريبها لهم على الإطاحة بالقوى العظمى «الاتحاد السوفيتى»، وتنظيم السعودية لجماعة « المؤتمر الإسلامى العربى الجماهيرى «والدول الراعية للإرهاب، والمشاريع التجارية والخيرية فى أمريكا. وأحد الأسرار الأخرى للغزو الذى أدى إلى أحداث ١١ سبتمبر ظهر من محاولة جماعة جزائرية اختطاف طائرة فرنسية بهدف الارتطام بها بـ«برج إيفل» فى ديسمبر ١٩٩٤م، وكان معظم أعضاء تلك الجماعة من العرب الذين حاربوا فى أفغانستان، وفشلت خطتهم لأنه لم يكن بين المختطفين من يستطيع قيادة الطائرة؛ وبالتالى هبطت الطائرة فى «مرسيليا» بدلًا من «باريس» حيث اقتحمتها الشرطة الفرنسية، ولم يوجد هناك أى ارتباط مباشر لتلك المحاولة الإرهابية بتنظيم القاعدة، ولكن المحاولة فى حد ذاتها ألهمت عقول الإرهابيين بفكرة تنفيذ هجمات ١١ سبتمبر مع تجنب الأخطاء وتوخى الحذر لضمان أن الإرهابيين على متن الطائرة يمكنهم قيادتها (حتى وان لم يستطيعوا الهبوط بها). وإذا لم يكن هذا يدل على شىء ؛ فانما يدل على أن أمريكا كانت بصورة مباشرة على موعد مع الغضب النبوئى.

كنا فى مفترق الطرق بين الأخوين «إسماعيل» و«إسحاق»، فجلست فى سبتمبر عام ١٩٩٣م بين جمهور من المستمعين أثناء حفل أقامه الرئيس «بيل كلينتون» فى حديقة البيت الأبيض للاحتفال بما أسماه «المقامرة الشجاعة من أجل السلام» حيث أجبر «كلينتون» رئيس الوزراء الإسرائيلى «إسحاق رابين» عندما دفعه للأمام بإصبع إبهامه ـ ليصافح «ياسر عرفات» رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ـ الذى ربما كان قد صافح «أسامة بن لادن» بنفس الطريقة الأخوية منذ شهور قليلة مضت(*) وذلك ليتصافحوا فوق ورقة بيضاء تمثل إعلان المبادئ أو «اتفاقية أوسلو» التى أدت إلى تنازلات إسرائيلية

(*) قبل هجمات سبتمبر بعدة شهور، أجرى أسامة بن لادن عملية جراحية فى إحدى دول الخليج، وزاره فى المستشفى مسؤل المخابرات الأمريكية فى المنطقة ـ المترجم.

للسلطة الفلسطينية(**) والتى رد عليها الفلسطينيون بمزيد من القنابل البشرية فى «القدس» و«تل أبيب» وهى نفس الورقة التى كانت موضوعة على نفس المنضدة الذى جمع عليها «جيمى كارتر» «مناحم بيجن» والرئيس «السادات»، ووصف الرئيس «كلينتون» هذه المناسبة بأنها واحدة من أروع اللحظات فى فترة رئاسته. حيث تصافح «إسحاق رابين» و«ياسر عرفات» لأول مرة أمام مليار مشاهد شاهدوا الحدث على أجهزة التلفاز، وكان ذلك اليوم بحق يومًا لا يُصدق(١٤). وكان لحظة حاسمة فى حياة الرئيس الأمريكى الثانى والأربعين، ولكن ليس بالمعنى الذى وصفه لنا كلينتون، بل على العكس، فلا يُصدق أن أمريكا لم تتفاوض فى ذلك اليوم على اتفاقية رسمية بين دولة ديموقراطية ومنظمة إرهابية فقط، و إنما أيضًا فإنها أرسلت إشارة إلى الإرهابيين فى جميع أنحاء العالم بأن الإرهاب يُجدى نفعًا.

(*) لا يريد المؤلف الاعتراف بأن إسرائيل محتلة لأراضى عربية منهاأراضى فلسطين، وأن كل المواثيق الدولية تحرم احتلال أراضى الغير. ولا يريد أن يعترف بانتهاك إسرائيل المتكرر لقرارات الأمم المتحدة ـ المترجم

الفصل العاشر

الخيـــانة

«لن يتم تدمير أمريكا من خارجها، ولكن إذا تداعينا وفقدنا حرياتنا، فسيكون السبب فى ذلك دمرنا أنفسنا بأنفسنا».

«إبراهام لينكولن»[1]

«يقول إلهكم: واسوا، واسوا شعبى».

«سفر إشعياء ٤٠: ١»(*)

(*) «كل الشعوب لا تساوى شيئًا أمام الله، فكلها بالنسبة له أقل من العدم وعديمة القيمة».
هذه ترجمة ما ذكره المؤلف على أنه مدون بالكتاب المقدس فى «إشعياء ٤٠-١» بينما النص الحقيقى فى الكتاب المقدس هو: «يقول إلهكم: واسوا، واسوا شعبى».

قبل عام تقريبًا من هجمات ١١ سپتمبر، وفى الثامن من سپتمبر عام ٢٠٠٠م، استقبل الرئيس «بيل كلينتون» جمع من قادة العالم من أصحاب السمو من ملوك ورؤساء وسفراء الدول الذين كانوا يحضرون قمة الأمم المتحدة للألفية الجديدة ـ فى حفل أقامه فى إحدى الأماكن المدهشة فى مدينة نيويورك وهو معبد «دندرة» ـ وهو ذلك المحراب النوبى المقدس الذى أقيم لتمجيد الإلهة المصرية القديمة «إيزيس». وأعيد تجميع هذا المعبد فى جناح «ساكلر» بمتحف «المترو بوليتان» للفن، وهذا الجناح عبارة عن حجرة زجاجية ضخمة تكفى لاستيعاب منزلًا كاملًا، ويطل هذا الجناح على حديقة سنترال بارك. وهذا الأثر القديم قد تم تفكيكه فى الستينيات من القرن العشرين لإنقاذ الموقع الأثرى القديم من الغرق؛ إذا غمرته مياه نهر النيل بعد بناء السد العالى بأسوان. كان الرئيس المصرى «جمال عبد الناصر» قد أهداه إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٥م تعبيرًا عن الصداقة بين البلدين، ومنح هذا المعبد إلى متحف المترو بوليتان فى نفس العام الذى أشعل فيه «جمال عبد الناصر» حرب الأيام الستة(*).

كانت رمزية الحدث والمكان المخصص للاجتماع مع كل الزعماء خير تعبير عن فترة رئاسة «كلينتون». ولا تكمن رمزية هذا المكان فقط فى الاجتماع مع أعضاء الأمم المتحدة فى حجرة تضم هدية من الرجل الذى كان يكره إسرائيل، وإنما تكمن أيضًا فى رمزية المعبد نفسه حيث أن هذا المعبد قد بنى قبل ميلاد المسيح بخمس عشرة سنة تقريبًا كهدية واعترافًا يونانيًا بالتراث المصرى القديم. وهذا المعبد يعرض صورًا للإمبراطور الرومانى القيصر اغسطس ـ (المسئول عن ذهاب «مريم» و«يوسف» إلى بيت لحم من أجل ولادة المسيح)[٢] ـ وهو يقدم الأضاحى والقرابين للإلهة المصرى «إيزيس» وهو

(*) اعتدت إسرائيل على مصر عام ١٩٦٧م ـ المترجم.

يقف جنبًا إلى جنب مع الفراعنة، وهذا يرمز إلى مدى تفوق هذه الآلهة المصرية القديمة وعظم شأنها أمام أعظم قادة العالم فى ذاك اليوم. وكانت «إيزيس» الإلهة التى خُصص لها هذا المعبد، هى إحدى أكثر الآلهة المصرية القديمة خلودًا على مر العصور، فهى الآلهة الأم العظيمة التى تجسد روح الأمومة وآلهة السحر وحامية الموتى، وهى كذلك نموذج للأرض الأم ولإلهة الأرض «جايا» وكل التقاليد الدنيوية المماثلة لها، وبمعنى آخر إذا ما كان هناك أى تجمع من شأنه أن يجسد النسبية الأخلاقية التى تميزت بها فترة رئاسة «بيل كلينتون» التى امتدت لثمانى سنوات، فإن هذا التجمع هو خير تجسيد لهذة الفترة ـ وربما قرّب هذا الإجتماع «كلينتون» أكثر فأكثر من اليوم الذى كذب فيه أمام لجنة قضائية فيدرالية فيما يتعلق بتحرشه الجنسى بـ«بولا جونز».

يغض كثير من الليبراليين الطرف عن القضايا المتعلقة باتهام «بيل كلينتون»، ويصورونه على أنه الساحرة التى يطاردها الجمهوريين اليمنيون، ليقصوا عن الحكم زعيمًا عالميًا، متعلمًا، حاد الذكاء، ويتمتع بجاذبية كبيرة. ـ ذلك الرجل الذى اقترب كثيرًا من تحقيق السلام فى الشرق الأوسط، والرئيس الذى قاد أكثر أزمنة الرخاء الاقتصادى التى عرفتها أمريكا، بل والتى عرفها العالم فى التاريخ الحديث، ويعللون أفعاله قائلين: «نعم كانت للرجل بعض الفضائح الجنسية، وكان الحال كذلك مع الرئيس كنيدى وكم كـان كنيدى عظيمًا ولكنهم بذلك يخلطون الحقائق وهو الشيء الذى غالبًا ما يحدث». فإن «بيل كلينتون» لم يتهم بسبب فضيحته الجنسية مع «مونيكا لوينسكى» أو حتى لاستخدامه منصبه بوصفه حاكم ولاية للتحرش الجنسى بـ«بولا جونز»، وإنما اتهم بسبب أنه وضع يده على الكتاب المقدس، وأقسم أن يقول الصدق ولاشيء غير الصدق، ولكنه كذب «وحنث بقسمه لإخفاء سوء تصرفه، فإذا كذب الإنسان فى مثل هذه الأمور الشخصية، فما هى الأمور الأخرى التى سوف يكون مستعدًا للكذب بشأنها؟ وإذا ما كان «كلينتون» مستعدًا للتحايل على منطق الحكم الأخلاقى لتبرير حنثه باليمين، فما هى الأمور الأخرى التى سيكون مستعدًا لفعلها ليحقق أهدافه التى وضعها لنفسه؟ وهل سيكون هذا الافتقار للحكم الأخلاقى من الرئيس «كلينتون» خطرًا على المواطنين الأمريكيين ؟.

فى أول عام من فترة رئاسته، تعامل «كلينتون» مع عدد أكبر من الجماعات ذات

الاهتمامات المتنوعة أكثر مما فعل «چورچ اتش دبليو بوش» فى أربعة سنوات من فترة رئاسته. ومن خلال ممارسته وخبرته أصبح كلينتون أستاذًا فى العلاقات العامة وتنميق الصورة والاستفادة من الرأى العام، حيث احتفظ بمستوى عالٍ من التأييد والقبول الجماهيرى خلال فترة رئاسته؛ بينما كان فى واقع الأمر يخدع الولايات المتحدة وحلفائها.

كان أحد أعظم آمال الرئيس «كلينتون» على الإطلاق، هو أن يذكره التاريخ بوصفه الرجل الذى استطاع أخيرًا حل النزاع العربى الإسرائيلى فى الشرق الأوسط، ولكى يحقق لنفسه تلك المكانة، استخدم قدرته الهائلة على تغيير وتنميق الصورة ليحول «ياسر عرفات» من قاتل إرهابى إلى مقاتل من أجل الحرية، ورجل دبلوماسى. وأصبح «ياسر عرفات» أكثر زعماء العالم الذين يقابلون بالترحاب فى البيت الأبيض خلال فترة رئاسة «كلينتون». ومن المحتمل أيضًا أن يكون «عرفات» قد حصل على بعض التدريب من «كلينتون» ومستشاريه حول ما ينبغى عليه قوله من تصريحات وكيفية حديثه للآخرين، وما ينبغى عمله من أفعال، وذلك لمساعدة «عرفات» على هذا التحول الجوهرى فى صورته.

وإننى أتذكر حديثى مع عضو الكونجرس السابق والمتحدث بإسم البيت الأبيض الأسبق «جيم رايت»، وذلك أثناء القاء عرفات لخطاب أمام الجمهور فى حديقة «روز جاردن» بالبيت الأبيض فى اجتماع سبتمبر ١٩٩٣م عندما تصافح «عرفات» و«رابين» لأول مرة.

وحسب وصف أحد الصحفيين لهذا الخطاب قال «عرفات»:

«إننى أؤكد لكم أننا نشارككم تمامًا قيمكم العظيمة، مثل الحرية والعدالة وحقوق الإنسان التى يسعى ويناضل شعبى من أجلها». ولقد أخفت نظارة القراءة التى كان يرتديها «عرفات» ولهجته الرقيقة الناعمة، حقيقته كغول أسطورى: «إن شعبينا الفلسطينى والإسرائيلى يريدان إعطاء السلام فرصة»، إننا نعتمد عليكم يا أصدقاءنا الأمريكيين، وعليك يا سيادة الرئيس وعلى جميع الدول التى تعرف أنه بدون سلام فى الشرق الأوسط فإن سلام العالم لن يكتمل أبدًا»[٣] وقوبلت هذه الكلمات بتصفيق ثلاثة آلاف شخصية مرموقة تمت دعوتهم لحضور هذا اللقاء.

وبعد خطاب «عرفات»، التفت «رايت» نحوى وقال لى: «ألم يكن خطاب عرفات مدهشًا؟ إنه شخص لطيف على الرغم من أننى كنت لا أطيقه».

جعلتنى مثل هذه التعليقات أندهش بشدة، إذ إنى أرى كيف أن الحديث المعسول المنمق يمكنه أن يطغى على جوهر الأشياء. ومنذ أن تولى مسئولية قيادة «فتح» فى الستينيات من القرن العشرين، أسال «ياسر عرفات» نهرًا من الدماء وكانت أحدث أعماله الإرهابية تتمثل فى نداءه المتجدد لمليون شهيد من منفذى التفجيرات الانتحارية بالزحف نحو القدس، وقتل الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال، ولكن كل هذا السجل الإرهابى الحافل قد اختفى بفعل فاعل مع زحف عرفات وبطانته إلى البيت الأبيض فى ثلاث عشرة مناسبة مختلفة خلال رئاسة «كلينتون» ليتم استقبالهم كضيوف مكرمين للتفاوض على تحرير الأراضى الفلسطينية المحتلة.

كان كلينتون يريد أن يأخذ بيده الأخوين إسماعيل وإسحاق ويقودهما على طريق السلام، وكان له ما أراد عندما أضفى الشرعية على أحد الأخوين ومارس ضغوطًا على الأخ الآخر. وفى محاولاته العديدة لإضفاء الشرعية على عرفات، استعان بمجموعات العمل التابعة له، وكان أول ما ركز عليه هو «تغيير لغة الحوار والمناقشة»، فلم تعد الإشارة إلى منظمة التحرير الفلسطينية على أنها منظمة للإرهابيين، وإنما بوصفها «منظمة للمقاتلين من أجل الحرية» أو «مجاهدين». وأصبح بناء المستوطنات الإسرائيلية فى الضفة الغربية بطريقة أو بأخرى مساويًا فى الجرم الأخلاقى لجريمة منفذى التفجيرات الانتحارية الذين يقتلون الأبرياء فى المدن الإسرائيلية. وكان السبب فى فشل المفاوضات يعزى دائمًا إلى بناء الإسرائيليين للمستوطنات والعنف الذى يلجأ إليه الفلسطينيون. وأن خير مثال للتخبط الأخلاقى لإدارة الرئيس «كلينتون» حدث عام ١٩٩٧م عندما نظمت «سارة إيرمان» واحدة من مؤسسى «حركة السلام الأمريكية الآن» والتى أصبحت فيما بعد إحدى كبار مستشارى «كلينتون» مؤتمرًا عبر التليفاكس فى نيويورك بين وزيرة الخارجية «مادلين أولبرايت» وبعض الزعماء اليهود الأمريكيين، وكان من بين المشاركين فى هذا المؤتمر «كن بيلاكين» الذى لاحظ هذه النزعة التى سادت إدارة «كلينتون». وجه «كن

بيلاكين» سؤالًا إلى «مادلين أولبرايت» قائلًا: كيف تشبهون بناء المستوطنات ـ فى الضفة الغربية ـ بما يمارسه عرفات من إرهاب؟

انتهى مؤتمر عبر التليفاكس «وأغلق كل مشترك خط اتصاله، إلا مشترك واحد بقى على الخط وسجل بقية وقائع المؤتمر وهى «سارة ايرمان» التى سألت فى غضب شديد صديقها «ستيفن كوهن» الذى كلفه «شيمون بيريز» بإجراء اتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية خلال الثمانينيات من القرن العشرين «كيف يعقل أن يسأل أشخاص من الموجودين هنا مثل هذه الأسئلة المحرجة؟ ألم يدركوا بأن ياسر عرفات لم يكن لديه أى خيار سوى اللجوء إلى الإرهاب؟»[٤].

هل صحيح أن «ياسر عرفات» لم يكن أمامه أى خيار؟ وهل لم يكن أمام منظمة التحرير الفلسطينية وما يناظرها من تنظيمات أى اختيار آخر سوى إرسال بعضًا من أكثر شبابها حماسا لقتل الأبرياء بتفجيرهم أنفسهم؟ إذا كان الأمر كذلك فما جدوى عقد محادثات السلام حينئذ؟ هل كان «عرفات» والدول العربية الأخرى تريد حقًّا السلام مع إسرائيل؟ فإذا كانوا يريدون السلام، فلماذا رفضوا السلام المعروض عليهم مرة تلو أخرى؟ لماذا رفضوا السلام فى «مدريد» عام ١٩٨١م عندما عرض عليهم ٩٥٪ من الأراضى التى ضمتها إسرائيل إليها فى حرب الأيام الستة؟ وإذا كانوا يريدون السلام فعلًا فلماذا جددوا انتفاضتهم بعد إعطائهم قطاع غزة وأريحا وبيت لحم؟ هل لم يكن أمامهم أى خيار آخر سوى تجديد العنف مرة تلو أخرى بعد تقديم إسرائيل لتلك التنازلات لهم؟ ومن ناحية أخرى فلا بد أن تلتزم السلطة الفلسطينية ـ التى يسيطر عليها عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية ـ بكلمتها التى قطعتها على نفسها خلال المفاوضات السلمية وتشجب العنف المستمر من جانب الجماعات الإسلامية المنشقة عنها مثل «حماس والجهاد الإسلامى» مع أن٢ كثيرًا من هجمات تلك الجماعات تمت بالتنسيق مع «عرفات» ومنظمة التحرير الفلسـطينية قبل شنها.

هل لم يكن من الأفضل لعرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية تنفيذ ما وعدوا به على مائدة المفاوضـات السلمية كما التزمت إسرائيل بوعودها بدلًا من خرقهم لاتفاقيات

السلام الموقعة باستئنافهم العنف مرة تلو أخرى؟ وقد عبر «إليوت إنجل» عضو الكونجرس الديموقراطى عن نيويورك عن هذا الموقف قائلًا:

«إن التعصب وليس الفقر هو الذى يسبب الإرهاب، فالإرهابيون هم نتاج لنظام يكره اليهود، كما أن الأصولية الإسلامية ضد أى شىء غربى، ولإسرائيل الحق فى ملاحقة الإرهابيين فى أى مكان، فالحرب ضد الإرهاب هى حرب من أجل بقاء العالم، ويجب علينا التحدث انطلاقًا من نقائنا الأخلاقى، ونقول أنه ليس هناك مساواة بين ما تقوم به إسرائيل وما يفعله منفذو العمليات الانتحارية»(٥)(*).

إننا بحاجة الى ان ندرك بأن هذا النوع من المذهب النسبى فى الأخلاق هو الذى خلق هذا الخلط والفوضى، وليس «حب الحقيقة» الذى يزودنا بالنقاء الأخلاقى. فالولايات المتحدة الأمريكية هى التى أنعشت آمال بنى إسماعيل «وجعلت إسماعيل يعتقد أنه يمكن بمساعدة أمريكا أن يحصل على كل شىء، وبالتالى لن يقنع بأى شىء أقل من كل الأراضى التى احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧م، وبعد ذلك يطمع أكثر فأكثر ليستمر فى المطالبة بما حصلت عليه إسرائيل عام ١٩٤٨م وقد عبر «ألان ديرشفتز» فى الصفحات الأولى من كتابه «لماذا ينجح الإرهاب» عن ذلك قائلًا:

«عندما نفكر فى الإرهاب بعقلانية، نجده رد فعل مبرر للكبت واليأس،

(*) ونحن نوافق السيناتور على ما يقول، فالفلسطينيون يريدون تحرير أرضهم من الاحتلال الإسرائيلى وإسرائيل ترفض إنهاء الاحتلال، وترفض قرارات الأمم المتحدة التى تدعوها إلى الانسحاب، وتنتهك مواثيق حقوق الإنسان التى تعطى كل مواطن الحق فى الخروج من بلدة والعودة إليها ونكرر ثانيًا وثالثًا دعوتنا للقارئ الذى يريد الإستفاضة، أن يقرأ:

أ- الإرهاب الغربى ـ جارودى.

ب- أوهام الشرق الأوسط ـ ناعوم تشومسكى.

ج- إرهاب القراصنة وإرهاب الأباطرة ـ ناعوم تشومسكى.

د- فلسطين ـ الفلسطينيون والقانون الدولى ـ البروفيسور الأمريكى فى القانون الدولى: فرانسيس بديل.

هـ- الأصولية اليهودية فى إسرائيل ـ إسرائيل شاحاك، ونورتون ميزفينسكى.

و- مقدمة فى الأصولية المسيحية فى أمريكا، والرئيس الذى استدعاه الله، وانتخبه الشعب الأمريكى مرتين ـ عادل المعلم ـ المترجم.

ولكن الغالبية العظمى من الشعوب المكبوتة واليائسة لا تلجأ عن عمد إلى استهداف المدنيين العزل، فالسبب الأصلى الدفين للإرهاب هو أن الإرهاب ينجح فى تحقيق أهداف الإرهابيين ويجعلهم يستفيدون منه، فالإرهاب سيبقى ويزدهر طالما استمر فى النجاح واستفاد منه هؤلاء الذين يرعونه، ومادام يكافئه المجتمع الدولى بالطريقة التى اعتاد أن يكافئه بها على امتداد الخمس وثلاثين سنة الماضية»[٦].

لماذا ينجح الإرهاب؟ لأننا نحاول استرضاءه، ويحظى باهتمامنا ونجعل مرتكبيه ممثلين شرعيين لقضاياهم وإن لم تعتبرهم الشعوب التى ينتمون إليها الممثلين الشرعيين لهم، ونحن الذين نسمح للإرهابيين أن يكسبوا من عنفهم بتقديم تنازلات أكثر لهم، أو أن نسرع من أجلهم فى المفاوضات ونكثفها، وعندما يزداد العنف فإننا نحيد عن الطريق الذى رسمناه لأنفسنا، ونقدم لهم المزيد من التنازلات. إذن ما الذى يدفعهم إلى التوقف عن ممارستهم للإرهاب؟

إن هذا هو الخطأ الذى وقع فيه كلينتون بإضفائه الشرعية على أعمال العنف التى تمارسها منظمة التحرير الفلسطينية، وذلك لهوسه بفكرة دخوله التاريخ كمهندس عملية إقرار السلام فى الشرق الأوسط، مما أدى إلى الإضرار بموقف إسرائيل فى مفاوضاتها مع العرب فى التسعينيات من القرن الماضى. والأدهى من ذلك أنه لم يعط إسرائيل تأييده الكامل عندما اضطرت إلى محاربة الإرهاب عن طريق توجيه ضربات للأهداف العسكرية بغرض شل حركة الإرهابيين وليس بغرض إحداث خسائر فى أرواح الفلسطينيين الأبرياء، ولكون إسرائيل مركز كل الأحداث، فإنها كانت أيضًا بؤرة لضغوط كلينتون حتى توافق على عقد الاتفاقيات. ووفقًا لاتفاقيات أوسلو، فيجب على إسرائيل التفاوض بصورة منفصلة لإحلال السلام مع كل من الأردن وسوريا والفلسطينيين، إلا أن الإتفاقية الوحيدة التى تم عقدها كانت اتفاقية مع الأردن يوم ٢٦ أكتوبر عام ١٩٩٤م، وبالنسبة للمفاوضات مع سوريا كان لترحيل إسرائيل ٤١٥ عضوًا من أعضاء حماس إلى لبنان فى ديسمبر عام ١٩٩٢م الدور الرئيسى فى خلق أزمة أمام استمرار تلك المفاوضات. وبالتالى طالبت سوريا بأن تكون «منظمة التحرير الفلسطينية» لمفاوضاتها مع إسرائيل، وبأن تكون

لمنظمة التحرير الفلسطينية حق نقض أى قرار (فيتو)، وكان مصير الجولان أيضًا أحد القضايا الرئيسية فى هذه المفاوضات، وذلك لأن مرتفعات الجولان تمثل حاجزًا أمنيًا وقائيًّا طبيعيًّا؛ يمكن أن تستخدمه سوريا لشن هجمات ضد إسرائيل كما سبقت وفعلت ذلك فى حرب الأيام الستة(*)، وصرح «إسحاق رابين» بنفسه خلال حملته الانتخابية عام ١٩٩٢م بأن «التنازل عن مرتفعات الجولان سوف يكون خيانة لأمن إسرائيل» وقد رأى رابين فى الوقت نفسه بأنه على الأقل لا توجد أى أسس مشتركة يمكن بمقتضاها أن تتفاوض إسرائيل مع سوريا(**).

ولكن فى أعقاب توقيع اتفاقيات أوسلو، صاغ «كلينتون» خطة سلام شاملة للشرق الأوسط هدفها الأساسى كان سوريا. وعلى ذلك مارس كلينتون ضغوطه فى الفترة ما بين ١٩٩٤ - ١٩٩٥م من أجل انتقال المفاوضات بين سوريا وإسرائيل إلى مرحلة أكثر تقدمًا، ونتيجة لذلك لاحت فى الأفق اتفاقية سلام تحددت ملامحها الأولى ولكنها كانت تشترط انسحابا إسرائيليًّا كاملًا من مرتفعات الجولان، مما أثار معارضة إسرائيلية هائلة بين الجماهير الغاضبة فى إسرائيل(***). وفى سياق الاتصالات مع السوريين أعطى «إسحاق رابين» للرئيس كلينتون ما أصبح معروفًا باسم «الوثيقة الوديعة» التى تنص على أنه إذا ما تم تلبية جميع المطالب الأمنية الإسرائيلية واستيفاء جميع المطالب الخاصة بتطبيع العلاقات مقابل تحديد جدول زمنى للانسحاب، فإن إسرائيل ستكون على استعداد للانسحاب الكامل من مرتفعات الجولان. ولم تكن تلك الوثيقة التزامًا دبلوماسيًّا، وإنما كان الهدف منها إطلاع الرئيس كلينتون على ما ترغبه إسرائيل ليكون الشكل النهائى لموقفها بعد انتهاء المفاوضات، ولكى يتم الوصول بالفعل إلى اتفاقيه سلام. ووفقًا لما ذكر فى نسخة أخرى من هذه الوثيقة، كان «إسحاق رابين» مستعدًا

(*) إسرائيل هى التى بدأت بالعدوان فى حرب الأيام الستة على كل من مصر وسوريا ـ المترجم.

(**) فإسرائيل لا تريد أن تنصاع لقرارات الأمم المتحدة بالإنسحاب، وتقول هى والولايات المتحدة أن هذه القضايا لا تحل إلا بالمفاوضات، فأى مفاوضات مثمرة ممكن أن تتم بين محتل ومحتل؟ وإذا ارتفعت المفاوضات فى أى فترة، او امتنعت عنها من البداية، فماذا يفعل البلد المتحل؟ ـ المترجم.

(***) أليس هذا هو القانون الدولى؟ ناهيك عن النقاء الأخلاقى والقيم وما إلى ذلك مما يكرره المؤلف ـ المترجم.

بأن يشير صراحة إلى حدود ٤ يونيه ١٩٦٧م، أى عندما كانت سوريا تمتلك مرتفعات الجولان فى ذلك الوقت.

ولم يتضح إلى يومنا هذا الكيفية التى خرجت بها هذه الوثيقة إلى النور. ومن المحتمل أنه فى ظل العلاقة بين رئيس الوزراء الإسرائيلى «رابين» والرئيس الأمريكى «كلينتون» الذى كان يضغط عليه باستمرار من أجل تحقيق «تقدم مع السوريين»، فإن رئيس الوزراء الإسرائيلى اضطر إلى الكشف عن موقف كهذا. وبالنظر إلى ما أقدم عليه «كلينتون» من تصرفات فإن دور «كلينتون» فى تلك «الوثيقة الوديعة» كان أعظم من دور «رابين» نفسه، والنتيجة هى أن إدارة «كلينتون» كانت مستعدة لاستغلال «رابين» إلى أقصى حد ممكن للحصول على انسحاب إسرائيلى كامل من مرتفعات الجولان، وما يعقبه من توقيع إتفاقية سلام. وهكذا خان «كلينتون» «رابين»، وأظهر «كلينتون» «الوثيقة الوديعة» للسوريين وهى التى يفترض أن لا يراها أحد غيره. ولكن بدلًا من أن تظهر خيانة «كلينتون» ظهر «رابين» كما لو أنه هو الخائن واغتاله أحد المتطرفين الإسرائيليين يوم ٥ نوفمبر عام ١٩٩٥م(*). وما أطلق عليه «كلينتون» اسم «مقامرة شجاعة من أجل السلام» لم يجد رابين منها نفعًا بسبب ازدواجية معايير «كلينتون». وإننى أتذكر أثناء وقوفى فى جنازة «رابين» الرسمية، لاحظت نقطة عرق صغيرة تنصب على وجه «بيل كلينتون» أثناء وقوع نظره على جثمان «رابين». بدا «كلينتون» مجهدًا ومتعبًا، ولكن لسوء الحظ لم تبد عليه أى علامة من علامات الندم، فالضرر الذى لحق بالمفاوضات لا يمكن إصلاحه، وتدهورت المباحثات مع السوريين منذ ذلك الحين إلى أن توقفت نهائيًا عام ١٩٩٨م.

عندما كان «بنيامين نتنياهو» يتنافس على منصب رئيس الوزراء عام ١٩٩٦م لم يجده «كلينتون» مطيعًا مثل «رابين» والواقع أن «نتنياهو» كان يشكل عقبة فى طريق أحلام «كلينتون» ليدخل التاريخ بوصفه قام بإنجاز غير مسبوق، لذلك أرسل كلينتون مستشارى حملته الديموقراطيين ليحاولوا مساعدة خصم «نتنياهو» العنيد «شيمون

(*) لماذا لا يطلق المؤلف على ذلك إرهابًا وإرهابى، بدلا من كلمة متطرف؟ أم أن هذا المصطلح محجوز للعرب والمسلمين؟ ـ المترجم.

بيريز» على كسب الانتخابات بدلًا منه. كان «شيمون بيريز» وزيرًا للخارجية وجزء لا يتجزأ من مفاوضات السلام فى عهد «رابين»، وبعد اغتيال رابين أصبح «بيريز» زعيم حزب العمل ورئيس الوزراء.

لماذا رأى «كلينتون» فى «نتنياهو» الخطر الذى يهدد خططه؟ لأن «نتنياهو» أوضح بأنه لا يمكن حل مشكلات الصراع العربى الإسرائيلى بدون صفاء ونقاء أخلاقى(*)، ورأى أيضًا أن «كلينتون» يتكلم بلغتين متناقضتين. ولم يكن «نتنياهو» ليبيع أمن إسرائيل من أجل الاتفاقيات التى دائما ما يخرقها عرفات والسلطة الفلسطينية. وبعد سلسلة من أعمال العنف المتجددة، تمثلت فى عدد من تفجيرات الحافلات القاتلة فى فبراير ومارس عام ١٩٩٦م، كان «نتنياهو» يتقدم بالفعل على «بيريز» فى نتائج استطلاعات الرأى، وذلك لأن الجماهير الإسرائيلية وإن لم تكن تعرف ما يدبر لها فى الخفاء، وجدت فى السلام الذى يحاول «كلينتون» إقراره توأمًا شريرًا للعمليات الانتحارية الفلسطينية. وعندما تكلم «نتنياهو» وحزبه الليكود عن الأمن، فإن تلك الجماهير الإسرائيلية أعجبها ما سمعته عن الأمن بوصفه معارضًا لعملية السلام التى كان يتبناها حزب العمل والتى أدت إلى المزيد من العنف. ومن ناحية أخرى نظر «كلينتون» إلى حزب الليكود وزعيمه «نتنياهو» بوصفه نسخة محلية من الحزب الجمهورى (الأمريكى) فى الشرق الأوسط ولسوء الحظ فإن «نتنياهو» لن يستطيع أن يحقق الأمن بالصورة التى وعد بها الناخبين الإسرائيليين، بسبب المعايير المزدوجة لإدارة «كلينتون» وضغطها المستمر على إسرائيل.

وقبل الانتخابات بأسابيع قليلة، وصل إلى إسرائيل مستشار «كلينتون» للشئون الداخلية «رام إيمانويل» ومن الجدير بالذكر هنا أن «إيمانويل» ينحدر من عائلة يهودية تنتمى لمنظمة «أرجون» السابقة ـ وهى حركة المقاومة الإسرائيلية(**) التى ظهرت فى

(*) ما هو الصفاء والنقاء الأخلاقى فى احتلال أراضى ودول عربية، ورفض الانسحاب منها؟ وما هو فى رفض ملايين اللاجئين لمنازلهم؟ ـ المترجم.

ثم هل يمكن لأى دولة أن تتصرف وفقها تشاء ضد القوانين الدولية وحقوق الإنسان، وتبرر ذلك بأنها تتصرف وفقًا للنقاء والصفاء الأخلاقى؟ ومن هم الحكم فيها إذا كان أمرًا يمكن نقاءً أو صفاء أو كدرًا وظلمًا وبهتانًا؟ ـ المترجم.

(**) هى فى الحقيقة حركة إرهابية، سجلها معروف ـ المترجم.

الأربعينيات من القرن العشرين - وجاء إيمانويل لإسرائيل ليستمع إلى تقييم التوقعات الخاصة بنتائج الانتخابات الإسرائيلية، ولكى ينسق بشأن إمكانية مساعدة «بيريز» فى حملته الإنتخابية، وهكذا فقد دعت السفارة الأمريكية فى تل أبيب عـددًا من الخبـراء السياسيين الإسرائيليين مثل «إسحاق هيرتزوج» و«يارون ها إزراحى» و«رافى سميث» وغيرهم، لحضور اجتماع مع «رام إيمانويل» ومن بين المدعوين تجرأ واحد منهم فقط ليعلن اختلافه مع الإجماع العام داخل الغرفة حيث قال إن القضية ليست هى هل سيكسب «بنيامين نتنياهو» الانتخابات أم لا؟ ولكن السؤال هو كم سيكون فارق الأصوات لصالح نتنياهو؟ فضحك كل الموجودين فى الغرفة بمن فيهم «إيمانويل» نفسه.

وأثناء صعود إيمانويل الطائرة عائدًا إلى واشنطن، تقابل مع هذا الشخص الذى خرج عن السياق العام فى الغرفة وسنحت لهما الفرصة ليتجادلا، فقال له عليك أن تعتاد على وجود رئيس جديد لهذه الدولة، ثم أخبره عن السياسات التى يخطط لها «نتنياهو» بعد الانتخابات، وذلك اعتمادًا على ما كتبه «نتنياهو» فى كتابه «مكان بين الأمم». وعند افتراقهما فى واشنطون قال «إيمانويل»: قل لصديقك «نتنياهو» بأنه إذا تجرأ على العمـل وفقًا للسياسات التى وصفتها لنا، فإننـا سوف نلقنه درسًا قاسًيا وسوف يكون تعيسًا بائسًا لدرجة أنه لن يعرف من أى اتجاه تنهال عليه الضربات»(٧).

ولكن نتنياهو كسب الانتخابات. وأصبحت المواجهة بين «كلينتون» و«نتنياهو» على المستوى الشخصى والسياسى واضحة للعيان بصورة مباشرة خلال أول زيارة رسمية لـ«نتنياهو» إلى واشنطون بوصفه رئيسًا للوزراء وذلك فى صيف ١٩٩٦م .ولأول مرة يواجه «كليننون» رئيس دولة وضيفًا يقف إلى جانبه خلال مؤتمر صحفى وتكون لهذا الضيف تعليقات ذو حضور أقوى منه شخصيًّا. إن قول الحقيقة يظهر الاختلاف، ولكن كلينتون كان لا يطيق قول الحقيقة. وعندما تحدث «نتنياهو» أمام الكونجرس الأمريكى وقف الأعضاء يصفقون له وخاصة من الجناح الجمهورى. وبدأ «كلينتون» يعامل «نتنياهو» كما لو كان زعيم الحزب المعارض له، وليس بوصفه رئيس وزراء دولة صديقة يعبر عن إرادة الشعب الإسرائيلى. وفى نهاية المطاف بذل «كلينتون» خلال فترة رئاسته كل ما فى وسعه ليقلل من شأن «نتنياهو».

يجب علينا النظر إلى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية فى منتصف التسعينيات من القرن العشرين فى إطار السياسة العامة للرئيس كلينتون التى يمكننا تعريفها بوصفها سياسة تسترضى الإرهاب وكل الأعداء الكامنين. فإذا ما أراد «ياسر عرفات» المزيد من التنازلات الإسرائيلية أثناء محادثاتهما حول السلام، ما كان عليه سوى زيادة معدلات العنف. ويمكن لـ«كلينتون» أن يلوم «نتنياهو» على التحرك للأمام ببطء فى الوقت الذى كان فيه كلينتون نفسه يتراجع إلى الخلف. وبدأت وزيرة الخارجية الأمريكية «مادلين أولبرايت» وفريقها فى مهاجمة الإسرائيليين. ولم يكن «كلينتون» يهتم بأمن إسرائيل وبالعنف الفلسطينى، وإنما كان اهتمامه الوحيد هو استمرار عملية السلام لأنها تحقق أحلامه وطموحاته الشخصية وتصرف النظر بعيدًا عن فضائحه الأخلاقية. أظهر كلينتون تراخيًا وتقاعسًا فى شنه الحرب على الإرهاب ـ وأتضح هذا جليًا فى تجاهله المستمر للتهديد المتزايد لتنظيم القاعدة ـ وهو مسئول إلى حد بعيد عن خلق بيئة مواتية لنمو الإرهاب وشجع على خلق الإتجاهات المدمرة فى العالم. وخلال فترة رئاسة «كلينتون» تدهورت إدارة الولايات المتحدة وأجهزتها الأمنية المسئولة عن ردع الإرهاب مثلما تدهورت الأجهزة والإدارات المماثلة فى إسرائيل. وكل ما فعله كلينتون للتعبير عن الغضب الامريكى، قصفه لمبنى حكومى عراقى فارغ فى منتصف الليل بصواريخ كروز، وذلك ردًا على محاولة عراقية عام ١٩٩٣م لاغتيال الرئيس الأمريكى السابق «چورج اتش دبليو بوش» (الأب) فى الكويت، ولكنه لم يبد أى اهتمام بالمحاولة الأولى لنسف مركز التجارة العالمى الذى حدث فى نفس العام. تلى ذلك سلسلة من الهجمات الإرهابية الأخرى فى طهران والسعودية وراح ضحيتها تسعة عشر أمريكيًا.

شهد عام ١٩٩٨م سلسلة مكثفة من العمليات الإرهابية فى كينيا وتنزانيا راح ضحيتها ٢٢٤ قتيلًا وتقريبًا ٥٠٠٠ جريحًا نتيجة لمهاجمة سفارتى الولايات المتحدة الأمريكية فى نيروبى ودار السلام ـ ويا لغرابة ذلك الاسم دار السلام ـ بشاحنات متفجرة فى وقت متزامن تقريبًا. واقتصر رد فعل «كلينتون» على ذلك ـ بإطلاق صواريخ كروز على أهداف عديمة الأهمية فى السودان، ومعسكر مهجور للإرهابيين فى أفغانستان. وأدى سوء تقدير «كلينتون» للموقف إلى تحذير «أسامة بن لادن» واستطاعته الهروب بفارق

دقائق معدودة. و بدا أن ما فعله كلينتون بمثابة إرساله رسالة مفادها أن الإدارة الأمريكية تفعل ما يكفى لكى تبدو كأنها ترد على هذه الهجمات، وذلك للمحافظة فقط على تأييد الرأى العام الأمريكى لكلينتون. مرة أخرى عاد الأمريكيون إلى حياتهم الطبيعية معتقدين أن «كلينتون» يهتم بكل شىء، إلا أنه عاد إلى جدول أعماله الخاص، وبدأ التغاضى من جديد عن التهديدات الإرهابية، ونتيجة لذلك قُتل سبعة عشر أمريكيًا، وجرح أكثر من سبعة وثلاثين آخرين على ظهر المدمرة الحربية «كول»، عندما فجرها إرهابى إنتحارى فى ١٢ أكتوبر عام ٢٠٠٠م، أثناء وقوفها فى ميناء عدن باليمن للتزود بالوقود. شجع ضعف «كلينتون» المتواصل فى مواجهة الإرهابيين، على تجرؤهم بشن أخطر هجوم على مدمرة حربية أمريكية منذ الحرب العالمية الثانية.

وحاول «كلينتون» عام ١٩٩٩م استعادة قوة الردع الأمريكى ضد العنف، من خلال تواجد وأداء قوتنا العسكرية أثناء حرب كوسوڤو، وكان للضربات الجوية المكثفة على الصربيين أثر ايجابى على «ياسر عرفات» وأخر سلبى على إسرائيل دون أن يقصد «كلينتون». كانت حرب كوسوڤو هى حرب مؤيدة للمسلمين ـ معظم سكان كوسوڤو من المسلمين، بينما كان الصربيون من المسيحيين الأرثوذكس ـ وربما رأى «عرفات» نفسه كأحد مجاهدى «جيش تحرير كوسوڤو»؛ الذين يحاربون لتحرير كوسوڤو، فى وقت كانت معظم الآراء فى العالم تزج بإسرائيل فى هذا الصراع على أنها دولة معتدية مثلها مثل صربيا.

وأظهرت إسرائيل لـ«كلينتون» معلومات لا تقبل الشك تثبت بأن عرفات قد أعطى منظمة حماس الضوء الأخضر لتجديد هجماتها الإرهابية على إسرائيل، حيث سجلت إسرائيل حديث «عرفات» مع قادة حماس فى غزة من (١٢ - ١٩ مارس عام ١٩٩٧م). واعتمادًا على تلك المعلومات أكد رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية فى ذلك الحين «موشى يالون» على أن عرفات قد وافق ودعم تلك الهجمات الانتحارية على إسرائيل، وكان من المتوقع أن يرد « كلينتون» على هذا الدليل ضد «عرفات» بعنف، ولكنه لم يفعل شيئًا، لأنه لم يكن يريد التخلى عن «عرفات» الذى كان جزءًا من اتفاقية السلام بأوسلو وعملية السلام التى يلتزم بها.

فى عام ١٩٩٩م استغل «كلينتون» موقعه المميز كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية وما له من شعبيه لدى الشعب الإسرائيلى، ليهدم ويقوض موقف «نتنياهو» ليخسر الانتخابات أمام «باراك». ومن الناحية السيكولوجية؛ فإن علاقة إسرائيل المميزة والفريدة مع الولايات المتحدة الأمريكية هى واحدة من أكثر الركائز أهمية ؛ التى يعتمد عليها الأمن القومى الإسرائيلى، ولذلك إذا رأت الجماهير الإسرائيلية بعض الإهتزاز فى تلك العلاقة بسبب شخص ما، وحتى إن كانت رؤيتهم تلك لا تعتمد على أى أسباب منطقية فى الواقع إلا أنها ستؤدى فى النهاية إلى قلق شعبى خطير. ومع بداية الحملة الإنتخابية لعام ١٩٩٩م فى إسرائيل، أرسل «كلينتون» رسالة واضحة بما أراده، فأرسل الفريق الذى استعان به فى أمريكا، وكسب كل حملاته الإنتخابية الناجحة الأولى والثانية؛ لقيادة حملة «ياهود باراك» ممثل حزب الليكود. وكان هذا الفريق يتكون من «جيمس كارفيل» و«ستانلى جريبرج» و«بوب شرام». وبالنظر إلى أهمية الأنشطة السياسية التى كان هؤلاء المستشارين الأمريكيين الثلاثة مسئولين عنها، فإن هذا الفريق كان يساوى أكثر من مليون دولار، والأكثر أهمية منها، أن «ستانلى جرينبرج» قد تورط بالفعل فى رسم وتخطيط الطرق الكفيلة لفوز «باراك» فى الانتخابات التى أجريت عام ١٩٩٨ ضد «نتنياهو»، واستمر بعد ذلك فى الحفاظ على اتصالاته مع «باراك»، وبوصفه أهم المستشارين الأمريكيين الثلاثة على الإطلاق أجرى استطلاعات للرأى العام الإسرائيلى، وحلل بيانات مجموعات العمل الخاص. وأظهرت الصحافة الأمريكية والإسرائيلية بأن الرأى العام السائد هناك هو أن «نتنياهو» سوف يتولى مقاليد السلطة لمدة أربعة سنوات أخرى على الأقل، وما أكتشفه جرينبرج وأطلع باراك عليه هو أنه لهزيمة نتنياهو، على باراك أن يتخطى ذلك الحاجز الأمنى و يتمسك فقط باقتصاد الدولة و الشئون الاجتماعية وهى نفس الإستراتيجية التى اتبعها بيل كلينتون عندما فاز فى انتخابات الرئاسة الأمريكية حينما كان يرفع شعار «أنه الاقتصاد يا غبى»، الذى كان له مفعول السحر، وجعل الأمريكيين منشغلين بمحافظ النقود، بينما شرع هو فى القيام بفعل ما يحلو له. و كان هذا هو المدخل الرئيسى للامريكيين. وكما قال «تال سيلبرشتين» من كبار مستشارى حملة «باراك»: «لقد أجرى الفريق الأمريكى الأبحاث، وخلص إلى النتائج، وطبقناها على إسرائيل»[٨].

وحشد بعض كبار المتبرعين للحملات الانتخابية للحزب الديموقراطى ولـ«كلينتون» امكانياتهم لتمويل حملة «باراك»، كما لو كانت الانتخابات الإسرائيلية هى انتخابات أمريكية ديموقراطية أخرى، ينبغى على «كلينتون» كسبها.

بلغ ما أنفقه حزب العمل الإسرائيلى على حملاته المناهضة لـ«نتنياهو» ما بين خمسين إلى ثمانين مليون دولار، وهذا الرقم يفوق بعشر مرات ما أنفقه حزب الليكود على حملة «نتنياهو». وفى أوائل عام ٢٠٠٠م أعد المراقب العام للنفقات بدولة إسرائيل تقريرًا يؤكد بأن ما فعله حزب العمل يعتبر مخالفة وانتهاكًا خطيرًا للقوانين المالية للانتخابات الإسرائيلية، وعاقبت الحكومة حملة «باراك» بغرامة غير مسبوقة بمبلغ ٣,٢ مليون دولار، ولازالت تحقيقات جنائية تجرى الآن حول تمويل حملة «باراك» التى كان شعارها [إسرائيل واحدة][٩].

ساهم «كلينتون» شخصيًا فى حملة «ياهود باراك»، عن طريق استمراره فى مقابلاته الحارة مع عرفات بالبيت الأبيض، وتجاهل رئيس الوزراء «بنيامين نتنياهو» واستقبل «باراك» و«إسحاق موردخاى» اللذان يتنافس كلا منهما فى الانتخابات ضد «نتنياهو»، وقال أحد مستشارى «باراك»: «لقد ساعد «كلينتون» «باراك» أكثر مما كان يجب عليه أن يفعل».[١٠] وحقيقة أن «عرفات» أصبح أكثر الضيوف الرسميين حفاوة فى البيت الأبيض ـ وكان يمكن لـ«عرفات» أن يحصل على جائزة أفضل نزيل دائم فى فندق «بلير هاوس» ـ إنما هى حقيقة تم تفسيرها فى وسائل الإعلام الإسرائيلية ضد مصلحة «نتنياهو» وليس الرئيس الأمريكى. وأدت كل تلك المحاولات إلى انهيار مركز السياسة الإسرائيلى، مع تخلى ٦٪ من ناخبى «نتنياهو» عنه؛ ليعطوا أصواتهم لـ«باراك» مما أحدث تغييرًا سياسيًا فى إسرائيل.

استمر «كلينتون» مع شريكه الجديد رئيس الوزراء «باراك»، فى سباقهم المحموم من أجل خطب ود أكثر قادة الدول العربية تطرفًا على الإطلاق؛ ليحقق بذلك حلمه الذى سعى إليه طويلًا، وتطابق جدول أعمال رئيس الوزراء الإسرائيلى، فيما يتعلق بعملية السلام على كل من الجبهتين الفلسطينية والسورية، مع جدول أعمال الرئيس الأمريكى،

الذى لم يتبقى له سوى عام واحد فقط فى الرئاسة، وهذا ما تجسد بوضوح فى محادثات يوليو ٢٠٠٠م فى كامب ديفيد، ومن الناحية السياسية؛ كانت مجازفة كبيرة من «باراك» الاندفاع نحو كامب ديفيد، ولكن شراكته مع «كلينتون» فرضت عليه جدول أعمال صارم وقيد ثقيل، وكانت نتائج مباحثاته مع كل من الفلسطينيين والسوريين خطيرة. فعلى الرغم من أن الرئيس السورى «حافظ الأسد» كان يحتفظ فى جيبه باتفاق إسرائيلى بالعودة إلى حدود الرابع من يونيه عام ١٩٦٧م، إلا أنه رفض التوقيع عليه(*). وبدأت المفاوضات مع «باراك» حول أجزاء من بحر الجليل، والجزء الجبلى الشمالى المطل على نهر الأردن. وحدث نفس الشىء تمامًا مع الفلسطينيين الذين حصلوا على كل شىء طلبوه، ومع ذلك أصدروا لـ«باراك» إنذاراتهم الجديدة؛ تدعمها هجمات إرهابية حدثت بالفعل فى المنطقة. وبالنسبة لسياسات «كلينتون» المهادنة، قيل «إن الطريق إلى جهنم مفروش بالنيات الحسنة».

الحلم فقط لا يكفى، فبعد مرور أكثر من ثلاثة أشهر على بداية ثانى انتفاضة فلسطينية ضد إسرائيل ـ فى سبتمبر ٢٠٠٠م ـ ومع موجة متزايدة من الهجمات التفجيرية الانتحارية كان عرفات هو الضيف المرحب به بحفاوة عند «بيل كلينتون» فى البيت الأبيض بواشنطون.

وفى الثانى من يناير عام ٢٠٠١م ـ عندما كان من المفترض أن يقوم الرئيس الأمريكى «كلينتون» بالاستعداد لمغادرة البيت الأبيض ليفسح الطريق للرئيس الأمريكى چورچ دبليو بوش (الابن) لاستلام مهام منصبه، وبعد مرور حوالى نصف عام من تقديم رئيس الوزراء الإسرائيلى «باراك» لأهم التنازلات للفلسطينيين ـ اقترح «كلينتون» مبادرة سلام أخرى والتى تقدم المزيد من التنازلات الإسرائيلية التى تفوق تلك التى قدمها «باراك» للفلسطينيين فى كامب ديفيد ورفضها عرفات، حققت الانتفاضة الثانية تأثيراتها المرجوة.

لاحظ الرئيس چورچ دبليو بوش (الابن) بعد ذلك بأن خطة «كلينتون» النهائية كانت نتاج اثنين من اليائسين «كلينتون» و«باراك»: «كلينتون» كان يريد أن يخلف أسطورة صانع السلام فى الشرق الأوسط بعد إكمال رئاسته؛ هذا بالإضافة إلى حاجته الشخصية لتبرئة

(*) ارجع للهوامش من ص ٢٠٢ و٢٠٣ ـ المترجم.

اسمه وسمعته بعد فضيحة «مونيكا لوينسكى»، بينما كان «باراك» يحتاج إلى اتفاقية سلام لكى يكسب الانتخابات المقبلة، وأظهرت مصادر عربية(*) بأن عرض «كلينتون» السخى كان يتضمن تطورًا جديدًا غير عادى، فتم إعطاء عرفات «تقريبًا كل شىء أراده بما فى ذلك ٩٨٪ من أراضى الضفة، وقطاع غزة والقدس الشرقية كلها باستثناء الأحياء اليهودية والأرمينية، وأعطى سيادة فلسطينية على جبل الهيكل متنازلًا عن حق اليهود فى الصلاة هناك، وتعويضات مالية بلغت ٣٠ مليار دولار أمريكى.

هبط «عرفات» بطائرته فى قاعدة أندرو الجوية العسكرية، ومن هناك ذهب إلى «فندق ريتز كارلتون» حيث تقابل مع سفراء المملكة العربية السعودية ومصر، الذين وعداه بمساعدته وتأييده إذا وافق على خطة «كلينتون»، وحذروه بأنهما لن يؤيداه إذا عاد مرة أخرى إلى الحرب، وعندما غادر عرفات الفندق متوجهًا إلى البيت الأبيض للاجتماع مع كلينتون، أصبح من الواضح أن هناك أجابتين محددتين، إما أن يقول نعم أو لا لخطة «كلينتون»، وتأخر «عرفات» فى العودة إلى الفندق. وكان من الواضح أن الاجتماع يسير خلاف ما كان مخططا له، وقال «كلينتون» لـ «عرفات»: خمس دقائق فقط تفصلنا عن منتصف الليل، وإنك على وشك أن تضيع منك الفرصة الوحيدة التى لن يحصل عليها شعبك مرة أخرى لحل قضاياهم ومشاكلهم بشكل مرضٍ، وذلك بسبب عجزكم عن اتخاذ القرار... لقد قبل الإسرائيليون كل مطالبك[11].

أدرك السفير السعودى الأمير «بندر» أن «عرفات» هو المسئول عن فشل عرض «كلينتون»، فأخبر عرفات بأن ضياع تلك الفرصة لن يكون خطأ قاتلًا فحسب، وإنما جريمة لا تغتفر. وعلى الرغم من كل هذا وفى مساء اليوم التالى قال المتحدث الرسمى الممثل لـ«كلينتون» بأن عرفات قبل مقترحات «كلينتون» بوصفها أساسًا لمحادثات جديدة، بمعنى أن «عرفات» لن يوقع على الاتفاق ويتوقع مزيدًا من التنازلات.

إن هذا النموذج من الاستعداد للتفاوض إلى ما لا نهاية مع الأعداء حتى أثناء إطلاقهم النار، كان من السمات المميزة لرئاسة «كلينتون» فعلاقته مع إسرائيل. وعشية الانتخابات

(*) ما هى تلك المصادر؟ وما مدى صحة أقوالها؟ إن كانت هناك أى مصادر؟ ـ المترجم

الإسرائيلية عام ٢٠٠١م، شبه المستشار الاستراتيجي لـ«إريل شارون» السيد/ «ايال اريد» «كلينتون» و«باراك» بوصفهما طفلان يلعبان ببرميل من البارود.

إن «بيل كلينتون» كان رئيسًا لا يمكنه تحمل كراهية أحـد له؛ حتى أعداءه أو هؤلاء الذين خانهم وخذلهم، وكما وصف السفير السعودى «بندر» الرئيس «كلينتون» قائلًا: «إنه يسعد كثيرًا كلما كان هناك إمكانية لأن يتحدث مع عدوه، بل ويغيره ليصبح صديقا، فإذا ترك «كلينتون» الرئاسة... ولم تكن له علاقات مع كوبا وكوريا الشمالية وإيران وليبيا فسوف يشعر فى أعماقه بأنه لم يتم مهمته».

وفى سبتمبر عام ٢٠٠٣م، وتقريبًا بعد ثلاثة سنوات من تركه لمنصبه، زار «كلينتون» إسرائيل ليعبر عن استمرار تضامنه مع إسرائيل - حتى وإن كان الهدف من زيارته التعبير عن تضامنه لجزء خاص وضئيل من دولة إسرائيل وهو منزل «شيمون بيريز» الذى جاء للاحتفال معه بعيد ميلاده الثمانين.

كنت فى القدس فى فندق الملك «داود» فى ذلك الوقت، للحديث عن دحر الإرهاب عن طريق النقاء الأخلاقى فى مؤتمر دولى هناك، وقضيت الأمسية مع أصدقائى «نتنياهو» وزوجته «سارة» - بعد أن أصبح «نتنياهو» رئيس وزراء سابق ووزيرًا حاليًّا للمالية، وكان أيضًا أحد المتحدثين الرئيسيين فى ذلك المؤتمر، فقال لى «نتنياهو» هل ستذهب إلى حفلة عيد ميلاد «بيريز» يا «مايك» فى تل أبيب؟

فقلت له: هذا غير ممكن، وماذا عنك هل ستذهب؟ فأجابنى قائلًا: هل تمزح؟ بالطبع لا، فسألت «نتنياهو» هل تتذكر «كلينتون» عندما كان يضغط عليك لتقديم مزيدًا من التنازلات والأراضى لمنظمة التحرير الفلسطينية، وانفض الاجتماع بينكما قبل تمام اكتماله بسبب تصاعد فضيحة «مونيكا لوينسكى»؟ وأضفت قائلًا: «لقد صدمنى الأمر! فإن تاريخ تسليم التقرير إلى الكونجرس كان ١١ سبتمبر ١٩٩٨م، كم كان هذا مثيرًا! لقد سمعت إشاعة بأن «مونيكا» على متن الطائرة المتجهة إلى القدس، أليس هذا صحيحًا؟ فأجابنى «نتنياهو» نعم هذا صحيح، فمن الأفضل لكلينتون أن لا يبقى فى إسرائيل طويلًا! ولكن فى نفس المساء؛ وفى نفس الوقت الذى كنا نتكلم فيه، فى مكان آخر من المدينة،

كانت توجد هناك لحظة أخرى معبرة، تكشف لنا عن ازدواجية وجهة نظر «يل كلينتون» الأخلاقية ورؤيته للعالم، ففى لحظة معينة من الاحتفال بعيد ميلاد «بيريز» الذى تزامن مع حدوث سلسلة من الهجمات الإرهابية القاتلة فى إسرائيل، صعد «بيل كلينتون» إلى خشبة المسرح فى حُلة شديدة الأناقة وأنفجر فى غناء أغنية «جون لينون» المشهورة فى عام ١٩٧١م بعنوان « تخيل»، تلك الأغنية التى تصلح بأن تكون الأغنية المفضلة لأصحاب «مذهب النسبية الأخلاقية». فهل يمكنكم «تخيل» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى أرض الكتاب المقدس، هناك حيث نسف وقتل منفذو الهجمات التفجيرية الانتحارية يهودًا أكثر مما حدث فى أى بقعة أخرى على سطح الأرض. و«كلينتون» هو نفس الرئيس الذى عامل الأب الروحى للإرهاب «ياسر عرفات» على أنه بطلًا، والآن لنتخيل الرئيس السابق وهو يغنى لا جنة ولا نار ولا دين، فمن وجهة نظر العصر الجديد الموسيقية المشوهة يمكن الاستنتاج أن العالم سوف يعيش ككيان واحد.

الفصل الحادى عشر

مجانين وليبراليون وكذابون

«لن يتم تدمير أمريكا من خارجها، ولكن إذا فترت عزائمنا وفقدنا حرياتنا، سوف يكون ذلك لأننا دمرنا أنفسنا بأنفسنا».

«إبراهام لينكولن»

«ومن يقول للشرير: أنت برىء تلعنه الشعوب وتمقته الأمم».(*)

«سفر الأمثال ٢٤: ٢٤»

(*) «كل الشعوب لا تساوى شيئًا أمام الله، فكلها بالنسبة له أقل من العدم وعديمة القيمة».
هذه ترجمة ما ذكره المؤلف على أنه مدون بالكتاب المقدس فى «إشعياء ٤٠-١» بينما النص الحقيقى فى الكتاب المقدس هو: «يقول إلهكم: واسوا، واسوا شعبى».

لأن أمريكا هى الدولة التى ساعدت اليهود على إيجاد وطن ومأوى يحميهم فى الأراضى التى كانوا يمتلكونها منذ ٢٠٠٠ عام، ولأنها الدولة التى رفعت أمراء بنى إسماعيل من القاع إلى قمة السلطة بقوة دولارات البترول؛ إلا أنها ذهبت بنفسها بعيدًا عن عين عاصفة(*) النبوءة فى يوم ١١ سبتمبر عـام ٢٠٠١م لتدخل دوامة الإعصار. وكان هذا هو اليوم الذى بدأت تتهاوى فيه تلك الحالة الإقتصادية الجميلة التى تشبه فى بنائها البيت المصنوع من أوراق اللعب، والتى طالما كانت ميزة لإدارة الرئيس «كلينتون»، وانتقلت الدولة من حالة الثقة الاقتصادية غير المسبوقة المملوءة بالأمل إلى حالة من اليأس فى غضون ساعة.

وسيطر على الانتخابات الأمريكية عام ٢٠٠٠م ذلك الجدل حول ما ينبغى أن تفعله أمريكـا بفائض ميزانيتها المدهش ـ فهل تستخدم هذا الفائض لسداد ديونها الداخلية؟ أم لإنقاذ التأمين الإجتماعى؟ أم لإعادة الأموال المقتطعة من الضرائب إلى ممولى الضرائب الأمريكيين؟ كان فائض الميزانيات الحكومية عامى ١٩٩٧م و ١٩٩٨م هو الأول من نوعه الذى يتحقق فى عامين متعاقبين وذلك منذ عام ١٩٥٧م، وقد أوضحت تقديرات الميزانية الأمريكية أنه بحلول عام ٢٠١٠م سيصل فائض دخل الحكومة الأمريكية إلى ٥,٦ تريليون دولار. ولكن بحلول شهر مارس من عام ٢٠٠٢ هبط ذلك التقدير ليصل إلى ١,٦ تريليون دولار. وفى عام ٢٠٠٠ وصل فائض ميزانية الحكومة الأمريكية إلى ٢٣٧مليار دولار، ثم هبط هذا الفائض إلى النصف تقريبًا ليصل إلى ١٢٧ مليار دولار عام ٢٠٠١م، وذلك على الرغم من وقوع ذلك الهجوم بعد انقضاء ثلاثة أرباع ذلك العام. وفى عام ٢٠٠٢م وصل حجم المديونية فى الميزانية الأمريكية إلى ١٥٨ مليار دولار. ومن

(*) عين الإعصار فيها هدوء ـ وهى المحور الذى يدور حوله الإعصار ـ وتسمى أحيانا عين الكعكة ـ المترجم.

المتوقع أن يحقق هذا العجز رقمًا قياسيًّا يصل إلى ٣٧٤,٢ مليار دولار فى عام ٢٠٠٣، وذلك فى أعقاب حرب العراق. وبالنسبة لما كان متوقعًا لما سيكون عليه فائض الميزانية لعام ٢٠١٠م تحول الـ ١,٦ تريليون دولار من فائض فى الميزانية إلى عجز وصل إلى ٤ تريليون دولار بانخفاض بلغ ٩,٦ تريليون دولار عما تم تقديره عام ٢٠٠١م

وعندما أعيد فتح البورصة يوم الاثنين ١٧ سبتمبر بعد الهجمات الإرهابية، سجلت الساعات القليلة الأولى من المضاربة خسائر كبيرة. فلم يتعرض الاقتصاد الأمريكى وحده لنكسة خطيرة، ولكن تأثرت أيضًا اقتصاديات تلك الدول التى تعتمد اعتمادًا كليًا على السوق الاستهلاكى الأمريكى، ونهض الاقتصاد الأمريكى من كبوته فى الأسابيع التالية؛ إلا أنه واجه عثرات أخرى متعاقبة، وذلك لانهيار ثقة المستهلك فى السوق الأمريكية خلال التسعينيات من القرن العشرين. وأصلحت الأسهم التكنولوچية من نفسها، ولم يعد الخبراء يغالون فى تقدير قيمتها. وأضرت الفضائح المحاسبية بشركات مثل شركة «انرون» و«وارلد كوم» و«تايكو». وهكذا خدعت أمريكا بالتفاؤل الاقتصادى الزائد الذى كان يقول به القادة الفاسدون فى التسعينيات من القرن العشرين. وتلقى الطيران المدنى فى الوقت نفسه صفعة نتيجة للهجمات الإرهابية، ووصلت شركة «يونايتد إير لاينز» الأمريكية إلى حد الإفلاس المشار إليه فى هذا الفصل.

وفى خضم هذا الانهيار، شهد مجال الأمن طفرة هائلة، فقد أنفق الأمريكيون مبالغ كبيرة فى محاولتهم لتوفير الأمن فى الوقت الحالى أكثر مما كانوا ينفقون فى السابق. وفى هذا السياق تم تخصيص مبلغ ٣٧,٧ مليار دولار لوزارة الأمن الداخلى التى أنشأها چورچ بوش، فلم تكن هذه الوزارة موجودة حتى نهاية الفترة الثانية لرئاسة كلينتون التى كانت تنفق ١٩,٥ مليار دولار على الأمن القومى. شكلت هذه الوزارة الجديدة وجهًا آخر من أوجه الإنفاق الحكومى الذى سيقوم بتمويله دافعى الضرائب الأمريكية.

وتغيرت حياة الأمريكيين للأبد فى ذلك اليوم، فمن الأطفال من فقد أمه أو أباه، ومن الكبار من فقد زوجة أو زوجًا أو صديقة أو ابنًا أو ابنة. وأتذكر أنى كنت أستمع ذات مرة أثناء قيادتى للسيارة عائدًا لمنزلى بعد أيام قليلة من الهجوم - إلى رواية تصف أحد الآباء -

وهو أب مثلى ولديه أطفال أصغر سنًّا من أطفالى ـ وهو يتصل بأخته فى الدقائق التى سبقت سقوط البرج الثانى لمركز التجارة العالمى، وهو يترك لها رسالة تليفونية لتنقلها إلى زوجته وأطفاله، وإذا بالدموع تفيض من عينى لأول مرة منذ وقوع المأساة، لأننى شعرت أخيرًا بفداحة الخسارة ومدى الجنون الذى كان وراء هذه الهجمات التى أودت بحياة الكثيرين فى لحظة، بسبب الغيرة القاتلة والحقد الدفين.

ولا أعتقد أنه توجد لحظة على مر التاريخ يمكنها أن تعطى تعريفًا لفظاعة وتبلد أحاسيس الإرهابيين كمثل تلك اللحظة، ولسوء حظى لم تكن هذه اللحظة هى الوحيدة التى عرفت فيها مثل تلك الأعمال الإرهابية.

إن الوضوح الأخلاقى الذى كان بإمكانه منع هجمات ١١ سبتمبر، كان بإمكانه أيضًا إنقاذ أموال طائلة من الضياع على المدى البعيد؛ وذلك على الرغم من أن هذا النقاء الأخلاقى قد يكون سببًا فى إبطاء النمو الاقتصادى الذى بنى على الخداع خلال التسعينيات من القرن العشرين. وعلى الرغم من وعينا المتزايد باحتياجاتنا الحقيقية بعد هجمات ١١ سبتمبر، إلا أن مايدعو للأسف أن روابطنا العميقة ببنى إسماعيل لازالت تغشى أبصارنا وتحجب رؤيتنا عن الحقيقة. ويبدو أن أمريكا ما زالت تتجاهل الإشارات التحذيرية.

وإن الأمثلة الصارخة على استمرار تجاهل أمريكا للإشارات التحذيرية، هى عندما حاولت مجموعة من الأمريكيين العاملين فى إحدى اللجان الفيدرالية دق نواقيس الخطر مرتين فى سبتمبر عام ١٩٩٩م، ويناير عام ٢٠٠١م، وذلك بعد أحد عشر يومًا من بداية حكم إدارة «بوش»، وأول هذين التحذيرين هو تقرير مبدئى كتبه السيناتور السابق «جارى هارت» و«وارنر رودومان» وكانا يترأسان معًا «لجنة الولايات المتحدة للأمن القومى» وقدما هذا التقرير إلى الرئيس «بيل كلينتون». وفى التقرير «من المحتمل أن يموت الأمريكيون على الأرض الأمريكية، ومن الممكن أن يموتوا بأعداد كبيرة نتيجة لهجمات إرهابية»[٢]، إلا أن كبار المسئولين ووسائل الإعلام أهملوا هذا التقرير، واستمرت اللجنة فى عملها. وفى يوم ٣١ يناير عام ٢٠٠١م وقبل سبعة أشهر من الهجوم على مركز التجارة العالمى والبنتاجون، قدم «هارت» و«رودومان» إلى الرئيس الأمريكى

المنتخب حديثًا «بوش» التقرير النهائى للجنة المكون من مئة وخمسين صفحة، وذلك تحت عنوان «خارطة الطريق للأمن القومى وحتمية التغيير» وجددت اللجنة فى هذا التقرير تحذيرها وضمت إليه خطة مفصلة للإجراءات التى تجعل أمريكا أكثر أمانًا من الإرهاب. ومرةً أخرى تم تجاهل هذا التقرير ـ حتى بعد هجمات ١١ سبتمبر.

ولكن استمرت النسبية، وفى يوم ٢٤ أبريـل عام ٢٠٠٢م وبعد سبعة أشهر ونصف، هبطت ثمانى طائرات سعودية فى قاعدة ايلنجتون الجوية ـ هوستون ـ تكساس، وعلى متنها وفد سعودى لمقابلة الرئيس «جورج دبليو بوش» فى مكتبه «بالبيت الأبيض الغربى» فى «كراوفورد». وكان يمكن لهذه الواقعة أن تشعل ما سوف يعد كارثة دولية، ولكن هذه الزيارة تمت تحت رعاية وزارة الخارجية الأمريكية... لماذا حدث ذلك؟ لأنه من بين الوفد الذى يرأسه ولى العهد الأمير «عبد الله» كان هناك أحد المدرجين على قائمة أكثر الأشخاص المشتبه بهم والمطلوب القبض عليه من قبل ـ مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكية ـ مع راكبين آخرين مدرجين بقائمة متابعة ومراقبة الإرهابيين. وكان مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكية مستعدًا لاقتحام الطائرة دفاعًا عن مصالح الأمن القومى وإلقاء القبض على هؤلاء الثلاثة، ولكن وزارة الخارجية الأمريكية كان لها أولويات أخرى، ثم أن وزارة الخارجية هى المسئولة، وهى التى أصدرت لهم تأشيرات دخول للولايات المتحدة الأمريكية.

وبعد تدخل وزارة الخارجية الأمريكية، غادرت الطائرات دون أى اعتراض، ولم يخرج الوفد من «كروافورد» بتكساس بفضل مكتب التحقيقات الفيدرالية والخدمة السرية ـ ولقد غادر مع الطائرات أيضًا الثلاثة إرهابيين الذين كانوا بالفعل فى قبضة الولايات المتحدة[٣]، وهكذا كان للنسبية الأخلاقية اليد العليا فى ذلك اليوم، فالمصالح الاقتصادية والبترول تفوقت مرة أخرى على الأمن القومى.

والأسوأ من ذلك يكمن فى برنامج «فيزا اكسبريس» الذى يعطى السعوديين «تأشيرات دخول» من خلال وكلاء ومندوبين شركات سياحية وليس من خلال السفارة الأمريكية كما هو النظام المتبع مع الجنسيات الأخرى، فثلاثة على الأقل من الخمسة عشر إرهابيًا الذين

اشتركوا فى هجمات ١١ سبتمبر، دخلوا الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق شركة «فيزا اكسبريس»، وبالرغم من ذلك استمر هذا البرنامج بلا انقطاع فى منح تلك التأشيرات حتى بعد الهجمات، ولم يغلق إلا بعد مرور عشرة أشهر تحت ضغط إعلامى هائل.

استأجر السعوديون فى أعقاب هجمات ١١ سبتمبر عدة شركات للعلاقات العامة؛ لتحسين صورتهم أمام الرأى العام الأمريكى، وأنفقوا من أجل ذلك سبعة عشر مليون دولار وفقًا لملفات وزارة العدل الأمريكية. وضمت الشركات التى استأجرها السعوديون إحدى أبرز وأهم شركات واشنطون، وهى شركة «باتون بوجز» التى كانت تتلقى مئتى ألف دولار شهريًا؛ نظير خدماتها للسعوديين. ومعروف عن هذه الشركة ارتباطاتها الخاصة بالديموقراطيين، فقد أنشأها رجل ذو نفوذ وصلات بالديموقراطيين، وهو «توماس بوجز هال» وكان والده «هال بوجز» وزعيم الأغلبية بالكونجرس[٤].

كتبت جريدة «نيويورك تايمز» بأن المملكة العربية السعودية قد استأجرت شركة «اكن، جامب شتراوس هور، وفيلد» وهى شركة أنشأها «روبرت دبليو شتراوس» الرئيس السابق للجنة الديموقراطية القومية، ودفع السعوديون لهم ١٦١,٧٩٩ دولار فى النصف الأول من عام ٢٠٠٢م، وتلقى «فريدريك دوتون» المساعد الخاص السابق للرئيس «جون كنيدى» والذى عمل مع السعوديين كمستشار لفترة طويلة ـ مبلغ ٥٣٦ ألف دولار أمريكى لمساعدة السعودية فى تهدئة الأوضاع بعد أحداث ١١ سبتمبر، ولازال لديه إلى الآن اتصالات بهم[٥].

تدير الحكومة السعودية المئات من الإعلانات التجارية عبر الراديو والتليفزيون فى كل سوق إعلامية أمريكية رئيسية تقريبًا، وتضع إعلانات فى مجلات «مجلة بيبول» و«ستارز أند ستريبس»، اللتان تصلان إلى القوات الأمريكية فى العراق. والبرنامج الأخير هو محاولة تبرير الرفض السعودى لتلبية نداء الرئيس «چورچ دبليو بوش» لمعاونتها فى العراق، ونسى السعوديون إنقاذ الولايات المتحدة الأمريكية للمملكة العربية السعودية من الفناء على أيدى «صدام حسين» فى حرب الخليج عام ١٩٩١م.

كما استأجر السعوديون أيضًا ثلاث مؤسسات قانونية ذات صلات جيدة بجماعات

الضغط الموالية لهم بواشنطون لمتابعة قضيتهم. إحدى تلك المؤسسات الثلاثة التى يترأسها نائب الكونجرس السابق «توماس لوفلر» تلقت ٤٢٠ ألف دولار فى عام ٢٠٠٣م، وهو من كبار المساهمين فى حملة الرئيس «بوش» الانتخابية عندما كان حاكم لولاية تكساس، ومن أكبر جامعى تبرعات حملات بوش الانتخابية.

وكان يتم دفع مبالغ كبيرة من الخزائن السعودية إلى مسئولى واشنطون السابقين، وتضم هذه القائمة شخصيات مثل: «سبيرو تى اجنو» و«جيمى كارتر» و«كلارك كليفورد» و«جون بى كونالى» و«وليم إى سيمون»(٦). ذكرت جريدة «واشنطون بوست» قائمة بأسماء مسئولين سابقين آخرين من بينهم «چورچ اتش دبليو بوش» الذى أسس جماعة الارتباط السعودية «الرابح»، وأوردت الجريدة أيضًا نقلًا عن مصادر سعودية قولها أن السعوديين قد ساهموا بتبرعاتهم فى كل المكتبات الرئاسية التى أنشئت فى العقود القليلة السابقة(٧).

وأوردت «منظمة العفو الدولية» فى تقرير لها أنه تم تنفيذ ١٢٣ حالة إعدام فى المملكة العربية السعودية فى عام ٢٠٠٠م، وبعضهم أُعدم لاتهامات بمضاجعة الذكور والشعوذة والسحر؛ وأحد الذين حكم عليهم بالإعدام وهو مصرى الجنسية، علقت جثته مصلوبة بعد إعدامه. وأيضًا تم قطع أيدى أربع وثلاثين حالة سرقة العام الماضى فى السعودية، سبعة منهم تم بتر أعضائهم من خلاف (أى بتر أيديهم اليمنى وأقدامهم اليسرى). وهناك مصرى آخر تم استئصال عينه اليسرى جراحيًا بناء على حكم محكمة سعودية فى «المدينة». واستمر الجلد بوصفه عقوبة تنفذ على نطاق واسع فى المملكة العربية السعودية. وأُعتقل اثنان من المدرسين المصريين فى أعقاب المظاهرات التى شهدتها «نجران» وحكم عليهما بالجلد خمسة عشر ألف جلدة(*) لكل منهما، وتم تنفيذ هذا الحكم أمام عائلتهما وطلابهما وزملائهما المدرسين، وكان يتم تعذيب المسجونين باستخدام الصدمات الكهربائية وهو أمر شائع فى السجون السعودية(٨).

يجب أن نفيق من غيبتنا، فلا شىء يبدو على مايرام، ولا يمكن للمظاهر أن تخدعنا بعد

(*) ربما تكون الواقعة دليلًا على مبالغة المؤلف لما يحدث فى السعودية ـ المترجم.

الآن، وهل لا يكفينا اكتشاف أن خمسة عشر إرهابيًا من التسعة عشر إرهابيًا الذين نفذوا هجوم ١١ سبتمبر كانوا سعوديين، ولا يكفينا أن نعرف أن المملكة العربية السعودية هى أكبر ممول «للقاعدة»، فتلك الاعتبارات قد أغفلتها الولايات المتحدة الأمريكية للمحافظة على البترول الذى يدعم إقتصادنا القومى، إلا أننا قبلنا الغيبة الثقافية للعشر سنوات الأخيرة التى أوحت لنا: «إن كل شىء سوف يكون على ما يرام، وسوف يتعافى الاقتصاد فاخلدوا إلى نومكم العميق».

بدأت تيارات المد والجزر الخاصة بالنبوءة فى التلاشى مع اتحاد التيارات المختلفة لتنساب مسرعة نحو الأنهار الوعرة سريعة الجريان، ومع انطلاقنا نحو الأحداث الرئيسية القادمة للنبوءة فمن السهل علينا أن ننظر إلى مسرح الأحداث العالمية اليوم لنشاهد الممثلين وهم يبدأون فى الإستعداد لأداء أدوارهم على خشبة المسرح، وهم كما يلى:

إســرائيل

رأينا مما سبق كيف استطاع اليهود إعادة إقامة دولتهم، وكيف خرجوا من مرحلة النسيان، وهى دولة تعترف بفضل الولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك، وتقف إسرائيل على المسرح العالمى الآن كقوة نووية وتلوح باستخدامها عند تعرضها للغزو أو الهزيمة المحتملة يوم حرب الغفران [حرب رمضان/ أكتوبر] أوضح مثال. وتشهد حرب يوم الغفران على ذلك، ويبدو أن إسرائيل اليوم على أهبة الإستعداد لمواجهة العالم إذا اضطرت لذلك، وربما ستضطر إلى ذلك قريبًا.

الاتحاد الأوروبى

إن النظر إلى الدول الأوروبية على أنها (أصابع القدمين العشرة) التى رآها «نبوخذناصر» فى حلمه الذى ورد فى (سفر دانيال ٢: ٣١ - ٤٥) يرجع إلى أن هذه الدول شيدت على نفس الأراضى التى كانت تحتلها الإمبراطورية الرومانية. ولكن الخليط الذى أشارت إليه الآيات بين الحديد والصلصال يرمز إلى اتحاد شيئين لا يمكن لهما أن يختلطا، مثل الزيت

والماء، ولكن هذا الرمز قد يشير إلى اتحاد شكلين مختلفين تمامًا من الحكومات التى يصعب عليهما أن يختلطا، مثل النظم الملكية فى الشرق الأوسط، والنظم الديموقراطية فى أوروبا واللتان تقع قيادتهما فى الأراضى التى كانت تحتلها الإمبراطورية الرومانية، ومهما كان شكل ذلك التحالف، فيبدو أن الاتحاد الأوروبى سيبقى فى المنتصف. وبوصف الاتحاد الأوروبى أحد أعضاء الرباعى الذى تشكله روسيا والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبى والولايات المتحدة الأمريكية والذى يحاول فرض خارطة الطريق على إسرائيل، فمن الممكن اعتبار الاتحاد الأوروبى جزءًا من حكومة آخر الزمان التى ستصدق على اتفاقية سلام زائفة مع إسرائيل لتمتد لسبع سنوات.

الأمم المتحدة

وهى العضو الثانى المؤيد للجامعة العربية والمناصر للفكر «المعادى للسامية» فى العقود السابقة، بذلت الأمم المتحدة كل ما فى وسعها لإفساد مواثيق اللاجئين الفلسطينيين منذ حرب الاستقلال عام ١٩٤٨م(*)، وهى كانت تتكلم بصوت معادى لإسرائيل(**). فمن بين الأمم المتهمة بارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان، تقف إسرائيل تحت ميكروسكوب الأمم المتحدة ـ وليست كوريا الشمالية والصين والدول التى تطبق قوانين الشريعة الإسلامية وغيرها. واستمر هذا الإتجاه إلى أبعد من ذلك، عندما ترأست إحدى الدول الراعية للإرهاب مثل «سوريا» مجلس الأمن وأصبحت دولًا ـ مثل ليبيا ـ رئيسةً للجنة حقوق الإنسان، وليس هناك من عجبٍ أن تعلن «لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان» بأنه يمكن للفلسطينيين استخدام كل الوسائل المتاحة التى من بينها «النضال المسلح» لاستعادة أراضيها المحتلة ـ ويالها من موافقة غير معلنة على التفجيرات الانتحارية.

(*) لم يكن هناك شعبًا يهوديًا يعيش فى فلسطين، واحتلته قوات غازية، فحاربها ليطردها، وإنما كان هناك فلسطينيًا يعيش فى أرض فلسطين ولم يغادرها منذ آلاف السنين، ثم جاء يهود من شتى أنحاء أوروبا، لم يعيشوا هم ولا آباؤهم ولا أجدادهم ـ لعشرات الأجداد الأعلى ـ فى فلسطين، وأخرجوا منها الفلسطينيين عام ١٩٤٨ ـ المترجم.

(**) لأن إسرائيل تحتل أراضى بلاد عربية، وترفض عودة اللاجئين، وانتهكت عشرات القرارات الصادرة من الأمم المتحدة ومنظماتها ـ المترجم.

وفى مؤتمر معاداة العنصرية الذى عقد فى «دوربان» بجنوب أفريقيا عام ٢٠٠١م، اجتمعت كل الدول معًا لإدانة دولة واحدة بوصفها «دولة عنصرية» وهى إسرائيل، واتهموا إسرائيل الدولة الديموقراطية الوحيدة فى الشرق الأوسط الملتزمة بحقوق الإنسان وبسيادة القانون وبمشاركة العرب (عرب ٤٨) فى حكومتها الديموقراطية بأنها ترتكب جرائم الإبادة الجماعية والتطهير العرقى والتفرقة العنصرية. وانسحبت إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية من المؤتمر يوم ٤ سبتمبر، أى قبل أسبوع من وقوع الهجمات الإرهابية على مركز التجارة العالمى والبنتاجون، وهما الدولتان الوحيدتان اللتان اعترفتا بمدى اللاعقلانية والتحيز اللذان شابا هذا المؤتمر. وخلال فترة انعقاد المؤتمر امتلأت الشوارع باللافتات التى كتب عليها «إن دماء الشهداء تروى شجرة الثورة فى فلسطين» ويا «چورچ بوش إن دماء الفلسطينيين تلطخ يديك»، ومن السهل علينا رؤية منظمة الأمم المتحدة قد تغيرت تغيرًا كبيرًا وانحرفت عن هدفها الأصلى، وسوف تكون دمية فى يد إسماعيل ينفذ بها نزواته الحاقدة على الأرض فى أيامها الأخيرة.

روســـيا

سعدنا بسقوط الشيوعية فى روسيا، فتلك القوة العظمى لم تعد تمثل تهديدًا لنا، وربما تكون «الحرب الباردة» ـ التى أطلق عليها البعض الحرب العالمية الثالثة ـ قد انتهت، ولكن إذا ما كان العالم يتجه نحو «حرب عالمية رابعة» ليدور القتال فيها حول السيطرة على إمدادات العالم من البترول، فسوف يكون لروسيا دورًا أساسيًّا فى تلك الحرب ـ وخصوصًا أن لدى روسيا احتياطيات بترول تنافس احتياطيات المملكة العربية السعودية والعراق وإيران والكويت (التى كانت فى فترة من الفترات تمثل ثلثى احتياطيات البترول المتبقية فى العالم) ويبدو أيضًا وبوضوح إلى أى جانب سوف تنحاز روسيا فى الصراع النهائى، باعتبارها ثالث عضو فى الرباعى، والتى كانت فيما مضى زعيمة العالم الشيوعى وقوة عظمى والقائدة المحتملة لتحالف يأجوج ومأجوج المذكورين فى نبوءة الكتاب المقدس واللذان سوف ينطلقان من الشمال لمهاجمة إسرائيل.

الصين والشـــرق

يمكننا النظر إلى تلك الدول على أنها ضمن التحالف المعادى لإسرائيل، وذلك لارتباطاتها بالاتحاد السوفييتى السابق واعتمادها المطلق على مصادر خارجية للبترول، ونحن نعرف من «سفر الرؤيا: ١٦» أن «ملوك الشرق» سوف ينضمون مع هؤلاء القادمين من نهر الفرات (بابل) فى المعركة النهائية.

الإرهابيـــون

إن أهم شعاراتهم التى ينادون بها هى تدمير إسرائيل، وإعادة ثالث أقدس الأماكن الإسلامية وهى القدس - وبصفة خاصة جبل الهيكل - إلى السيطرة العربية ويتفق معظم الخبراء بأن الحرب التى بدأها الإرهابيون على الولايات المتحدة الأمريكية يوم ١١ سپتمبر لن تنتهى أبدًا، لأن الإرهابيين قد وضعوا الأمريكيين مع الإسرائيليين فى صف واحد فى قتالهم، ومن السهل علينا رؤيتهم ورؤية معاداتهم للسامية - التى بدأت تغزو أوروپا وروسيا مرة أخرى؛ مثلما حدث من قبل فى أوائل القرن العشرين - بوصفهم القوة التى ستضم هؤلاء جميعًا فى تحالف ضد إسرائيل فى المعركة النهائية.

الولايات المتحدة الأمريكية

إن أمتنا الأمريكية تقف وسط السحب المتجمعة لتلك العاصفة، وهى العضو الوحيد فى هذا الرباعى الذى له صوت حث إسرائيل على الموافقة على خارطة الطريق، ولكن تحالفنا الاستراتيجى مع إسرائيل؛ يجعلنا أيضًا أكبر المدافعين عنها. واختيارنا لتحالفنا مع إسرائيل هو الذى يحدد موقفنا فى الأيام الأخيرة، فهل تدفعنا اتجاهاتنا الليبرالية للانضمام إلى الاتحاد الأوروپى والأمم المتحدة وروسيا فى إطار حركة العولمة التى ستفرض فى النهاية على إسرائيل سلام زائف لتبدأ معه المحنة؟ أو هل بنقائنا الأخلاقى ومواطنينا اليهود الكثيرى العدد وبوعينا المسيحى سوف نوحد أنفسنا بصورة وثيقة فى

هذا الصراع النهائى لدرجة لا يمكن معها فصل أمريكا وإسرائيل بعضهما عن بعض، وذلك فى إطار الفصل الأخير من نبؤة الكتاب المقدس؟.

ربما يمكنك أن تستنتج من ما استعرضناه من أدوار لهؤلاء المؤيدين أن القرار سيرجع إلينا، ولن تفرضه علينا دول أخرى. وفى الوقت الذى ستحاول فيه القوى الخارجية التأثير علينا، سواء بالمفاوضات أو بشن الهجمات الإرهابية؛ فإن القرار النهائى يرجع إلينا. فماذا سنفعل؟ هل سنقايض حريتنا بالبترول الرخيص والعولمة والنسبية الأخلاقية؟ أو سنتبع المنهج والطريق الذى بدأه أجدادنا ونتمسك بالكتاب المقدس كمرشد لنا؟ هل ستقف دولتنا ضمن القوات المناصرة للرب فى الصراع النهائى؟ هل سنستسلم فى خنوع للمجانين والليبراليين والكذابين؟ أم هل سنقف أقوياء شامخين ونسعى لإحياء النقاء الأخلاقى فى أرضنا؟

الفصل الثانى عشر

خطوط المعركة مرسومة في قلب القدس

«ربما يمتلك، العرب البترول، ولكن الإسرائيليين يمتلكون الكبريت الذى يشعل هذا البترول»

أريل شارون لأحد زملاءه أثناء جولته
فى مفاعل إسرائيل النووى «بديمونة[1](*)

وقال كبير أساقفة كنيسة «كراكاو كارول وجتيلا»، الذى أصبح فيما بعد «البابا جون بول الثانى» بالقدس، عام ١٩٦٤م[2]:

«تمثل مدينة القدس النقطة الأرضية التى اتصل فيها الله مع الإنسان، وحيث يعبر الخلود التاريخ».

«سوى أورشليم ليكون اسمى فيها، وداود ليحكم على شعبى إسرائيل».
(أخبار الأيام الثانى ٦ : ٦)

(*) لو قال مثل هذا القول أحد حكام أو مسئولى العرب، لقامت الدنيا ولم تقعد لهذا القول الإرهابى ـ المترجم.

وبالفعل رسمت قرارات الأمم المتحدة ومطالب الإرهابيين ونواياهم - وقبول الولايات المتحدة - حدود إسرائيل بما كانت عليه ٤ يونيو ١٩٦٧ حين أعلنت «مرتفعات الجولان وقطاع غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية وجبل الهيكل» أراضى محتلة ورسم هذا خطوط معركة أرماجدون المستقبلية ومنذ ذلك الحين عرض على منظمة التحرير الفلسطينية بصورة أساسية - وفى ثلاث مناسبات مختلفة من عام ١٩٩١م إلى عام ٢٠٠١م - إعادة جميع تلك المناطق والأراضى المحتلة باستثناء السيطرة على القدس الشرقية، وفى كل مرة يرفض الفلسطينيون ذلك العرض، ويزيدوا من عنفهم. واستخلصنا من ذلك نتيجة واحدة واضحة: وهى أن منظمة التحرير الفلسطينية لن توقع أى اتفاق نهائى مع إسرائيل ما لم يتضمن مثل ذلك الاتفاق سيطرة الفلسطينيين على القدس الشرقية. وفى الحقيقة قد رُسم الخط الفاصل للمعركة النهائية ليمر من خلال قلب القدس: الخط الفاصل بين المدينة القديمة وجبل الهيكل.

أعلن كلٌّ من الإسرائيليين والفلسطينيين القدس عاصمة لهم، ولكن دولًا مثل الولايات المتحدة الأمريكية احتفظت بسفاراتها فى «تل أبيب» وليس القدس، ويرجع السبب فى ذلك إلى تردد الأمريكيين لتدعيم أحد الطرفين، فإذا ما أقامت الولايات المتحدة سفارة لها فى القدس فسوف يعتبر هذا اعتراف ضمنيًّا بالقدس عاصمة لإسرائيل، ونهاية للاعتراف الأمريكى المحتمل بالقدس بوصفها العاصمة المنتظرة للدولة الفلسطينية التى يطالبون بها. إن نقل السفارة الأمريكية من «تل أبيب» إلى «القدس» سوف يرسل رسالة قوية إلى بنى إسماعيل، ولكننا مترددون فى اتخاذ هذا القرار.

تقابلت مع العمدة «جيوليانى» فى نيويورك لمناقشة مشكلة «القدس»، وسألته عن أهم الأشياء المشتركة التى تربط مدينتى «القدس» و«نيويورك» معًا ؟، فأجابنى قائلًا: «إن أهم شىء تشترك فيه المدينتان معًا هو أن كلاهما يعيش فى حرية وديموقراطية. وإن كثيرًا

من دول العالم لا تتمتع بمثل تلك الحرية والديموقراطية التى نراها هنا. ولأننا تشترك فى نفس المبادئ التى قامت على أساسها الحكومة والمجتمع، فإن صداقاتنا (من دون سواها) أقوى.

وكذلك توجد صلة دم وقرابة بين القدس ونيويورك. ففى كلتا المدينتين كثيرًا من العائلات قريبة الصلة والنسب بعائلات من المدينة الأخرى.

ولدينا علاقات دينية مميزة بين اليهود والمسيحيين والمسلمين ـ الدلالة التاريخية تظهر فى كوننا مدينتين عظيمتين فى العالم ـ و«القدس» أقدم من «نيويورك» وإن قدرًا كبيرًا من تراث العالم يمر من خلال هاتين المدينتين، لذا فنحن نتشارك روابط عظيمة.

فى الحقيقة إن «نيويورك» وأمريكا تربطهما رابطة قوية مع «القدس» ـ المدينة التى ستستحوذ على اهتمام العالم فى الأيام الأخيرة. وحتى بعد مرور أكثر من ٣٠ عام على زيارتى لإسرائيل ودراسة الصراعات والنبوءات التى تحيط بها، فأنا لازلت لا أفهم لغزًا كبيرًا هو أن «جبل الهيكل» هو أقدس مكان على الإطلاق فى الديانة اليهودية، وربما ثانى أقدس مكان عند المسيحيين، إلا أنه يعتبر ثالث أقدس مكان عند المسلمين على الرغم من أن القرآن لم يذكر القدس أو فلسطين بوصفها كذلك، فأقدس الأماكن عند المسلمين مكة ثم المدينة.

أما بالنسبة لليهود، فإن القدس هى المكان الذى قال الله عنه: «فى هذا البيت (الهيكل)، وفى القدس التى اخترتها من بين جميع مدن إسرائيل، أجعل فيها إسمى فيها للابد»[٢] (سفر الأيام الثانى: ٢٢-٧).

وأتسائل: لماذا كانت القدس شوكة فى حلق العالم؟ لماذا شكلت تلك المدينة الصغيرة بؤرة أحداث وأخبار العالم؟ إن ذلك يرجع إلى نبوءة قديمة سيضمن «يهوا» (الله بالعبرية) نفسه تحقيقها.

إن كل أمة وقفت ضد القدس أصابتها اللعنة، وآخرها «بابل» ففى عام ٥٨٦ قبل الميلاد حاصر الجيش البابلى القدس ونهب الهيكل، وفى يوم الجمعة الموافق ١١ أبريل

عام ٢٠٠٣م»، نهبت عصابة خارجة عن القانون المتحف القومى العراقى فى بغداد هناك حيث سرقت ما يزيد عن مائة وسبعين ألف قطعة أثرية وتحف لا تقدر بثمن، وإن تلك الآثار القديمة المسروقة تغطى فترة كاملة تبلغ ٧٠٠٠ عام من التاريخ البابلى.

لقد حلت اللعنة على «صدام حسين» الذى ادعى أنه تجسيد حديث لـ«نبوخذ ناصر» مثلما حلت اللعنة من قبله على «نبوخذ ناصر» الأول، ومن المؤكد أن صدام قرأ كتابه المقدس، فمن كان منا يصدق بأن الرجل الذى كانت ترتعد منه الأمم الأخرى ينتهى به الحال إلى رجل ذى شعر أشعث ولحية غجرية يتغذى على طعام عفن مختبئًا فى حفرة تحت الأرض.

إن الفئران التى تعيش تحت الكبارى كانت لتبدو أفضل حالًا من «صدام حسين» لحظة إلقاء القبض عليه واعتقاله.

ولعقود كثيرة طالبت زعماء أمريكا بألا يمسوا «القدس» وأتذكر بأننى عندما التقيت بـ«روبرت ماكفارلاند» مستشار الرئيس «ريجان» للأمن القومى، الذى قال لى: «إن وضع القدس يجب أن يتحدد من خلال المفاوضات» فقلت له «أعذرنى ياسيد «روبرت ماكفارلاند» لدى كتاب القدس، والله لا يفاوضك ولا يفاوض أى شخص آخر حول القدس».

وفى مدريد كنت أول الذين تحدوا وزير الخارجية الأمريكى فى ذلك الوقت «جيمس بيكر» حول القدس فسألته: «لماذا لا تستطيع أمريكا الاعتراف بالقدس كعاصمة لدولة إسرائيل؟ فغضب «بيكر» لملاحظاتى وقال: «إنه لا يريد أن يستدرجه أحد إلى جدل عقيم، فوضع القدس يجب أن يتقرر عن طريق المفاوضات».

فما هو سبب اهتمامى الكبير بقضية القدس؟ لا توجد مدينة فى العالم أنزل الله بركته على مَنْ باركها، وحل لعنته على مَنْ لعنها سوى مدينة القدس. فإن الأمم التى تقسم القدس سوف يلعنها الله أكثر مما تتصوره عقولهم، وإذا ما قسمت القدس فلن يكفر أى قدر من الصلوات والتوبة عن هذا الذنب، وبمجرد أن نكذب تلك النبوءة، فسوف ينصب علينا غضب الله.

إن الوحى مدهش، فلقد وضع الرؤساء الأمريكان أيديهم على نبوءة الملك سليمان[٤] أثناء حلفهم اليمين الدستورية لفترة رئاستهم. ووثقوا بأن الله يبارك أمريكا وفترة رئاستهم، ولكن يبدوا أن الاحتمال قليل فى أن يكون أى من هؤلاء الرؤساء قد قرأ نبوءة أخرى غير تلك التى قالها نفس الملك، والموجودة فى «سفر أخبار الأيام الثانى ٦: ٦» والتى يقول فيها: «سوى أورشليم ليكون إسمى فيها» وتدل تلك النبوءة على أن القدس هى المدينة الوحيدة فى العالم التى اختار الله بان يكون اسمه موجود فيها.

فهل من المهم ألا نمس القدس ونعبث بقدسيتها؟

نعم نقولها ألف مرة فالسماء والأرض التقتا فى القدس (قدوم المسيح) وسوف تلتقيان ثانية و(عودته). وتقول النبوءات بأن القدس سوف تتوحد (وليس تقسم) عند عودة المسيح، فالمسيح لن يعود إلى مدينة مسلمة. وعند نهاية العصر ستكون القدس مركز النبوءة: حيث يقول «وأنا «يوحنا» رأيت المدينة المقدسة، أورشليم الجديدة، نازلة من السماء من عند الله، مجهزة كانها عروس مزينة لعريسها».

«سفر الرؤيا ٢: ٢١»

وكما قال النبى يوئيل:

«يزأر الرب فى صهيون ويجلجل بصوته من أورشليم فترجف السماوت والأرض، لكن الرب يكون ملجأ لشعبه وحصنا لبنى إسرائيل»

«سوف يصيح الله أيضًا فى صهيون ويتردد صوته فى القدس»

«سفر يوئيل من ٣ إلى ١٦»

ومن أقوال «النبى زكريا»» لهذا يقول الرب القدير: «ها أنا ذا عائد إلى صهيون لأقيم فى أورشليم فتدعى آنئذ مدينة الحق، كما يدعى جبل الرب القدير الجبل المقدس».

«سفر زكريا ٨: ٣»

وليس من قبيل المصادفة بأن أولى كلمات «كتاب العهد الجديد» كانت:

«هذا سجل نسب يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم»

«إنجيل متى ١ : ١»

كان الملك داود أول ملوك أورشليم وهو جد المسيح الملك الحقيقى للقدس[٣](**).

إن المعركة النهائية لكل العصور ستقع على أرض القدس، فإذا ما اختارت أمريكا الوقوف ضد الكتاب المقدس، فإنها ستجد نفسها تقاتل ضد ياهوا (الله)، وبالتأكيد سوف تخسر تلك المعركة.

إن تحدى الشيطان لله بعظمته يمكننا أن نجده فى «سفر إشعياء»:

«كيف هويت من السماء يا زهرة بنت الصبح؟ كيف قطعت وطرحت الى الأرض يا قاهر الأمم؟ قد قلت فى قلبك: «إنى أرتقى إلى السموات، وأرفع عرشى فوق كواكب الله، وأجلس على جبل الإجتماع فى أقصى الشمال».

«سفر إشعياء ١٤ : ١٢ - ١٣»

ولنلاحظ أن الشيطان قال أنه سوف يجلس على الجانب الشمالى لجبل الهيكل بالقدس، ولكن الله نفسه يقول: «إنك سوف تلعن وتنزل إلى أسفل السافلين فى جهنم أيها الشيطان».

قد اندلعت بسبب معظم الحروب النزاعات حول الأراضى والممتلكات، وإن النزاعات الشخصية حدثت بسبب الخلافات حول انتحال أسماء شخصيات أخرى فى كتابة شيك أو لشراء بضائع وهذا يسمى «احتيال»، ويمكننا معاقبة الشخص الذى ارتكب جريمة الاحتيال بقسوة.

إن أمريكا لديها قوانين تمنح المواطن الحق فى رفع دعوى قضائية لحماية ممتلكاته، وإن صك ملكية القدس مشاع لا يملكها أحد وتعود ملكيتها إلى الله، فقد وضع اسمه هناك.

(**) الأصوليون الذين يقرأون الكتاب المقدس قراءة حرفية، ويعدونه معصوما من الخطأ، يتغافلون عن قول المسيح «مملكتى ليس فى هذا العالم» وكذلك يتغافلون عن عهد الختان كما جاء فى سفر التكوين:
وقال الرب لإبراهيم «أما أنت فاحفظ عهدى. صـ١٩ ... يستأصل من بين قومه لأنه نكث عهدى».
«الإصحاح ١٧ : ٩-١٤»

أخبرنى أحد الباحثين المتخصصين، أعرفه منذ عشرات السنوات: «إنك إذا ما نظرت إلى صورة بالقمر الصناعى لمدينة القدس، فإنك سوف ترى يا هوا منقوش YHWA على جبال القدس.

وهذا مرئى بوضوح فى الصورة، فما الذى تعنيه حروف كلمة YHWA؟ إنها الاسم العبرى لله - وهو نعم فإن الاسم المكتوب المنقوش بصورة غامضة ولغزه فى نفس مدينة القدس هو «اسم الله».

أعلن الأنبياء أيضًا بأنه:

«ولا يلبث ان يهب الرب ليحارب تلك الأمم، كما كان يحارب فى يوم القتال، وتقف قدماه فى ذلك اليوم على جبل الزيتون الممتد أمام أورشليم باتجاه الشرق، فينشق جبل الزيتون إلى شطرين من الشرق الى الغرب عن واد عظيم جدًّا، فيتراجع نصف الجبل إلى الشمال، والنصف الآخر إلى الجنوب».

«سفر زكريا ١٤: ٣ - ٤»

ومن المدهش بأن الولايات المتحدة الأمريكية - المفترض أنها دولة مسيحية - تريد تقسيم القدس وتقديم القدس الشرقية إلى نظام حكم إرهابى - هو منظمة التحرير الفلسطينية - لتصبح دولة إسلامية، وهذا الباحث العبقرى المحترم الذى أخبرنى عن اكتشافه لاسم الله مكتوبًا على صورة القمر الصناعى المتلقطة لمدينة القدس قال لى: «إن اسم الله محفور فى التكوينات الجغرافية لمدينة القدس، ولا يمكن إزالته منها أبدًا».

وإذا كان ما قاله لى صديقى صحيحًا، فهذا يمثل إشارة نبوءية مدهشة أخرى تتعلق بالقدس القديمة ومعركة الإنسان العقيمة للسيطرة عليها وتملكها. وفى الحقيقة توجد هناك[٤] نبوءة قديمة بأن لعنة الله سوف تحل على الأمة التى تقسم مدينة القدس:

> **«ها أنا مزمع أن أجعل أورشليم كأس خمر تترنح منها جميع الشعوب المحيطة بها، فتحاصر يهوذا أيضًا فى أثناء حصارها لأورشليم.**

في ذلك اليوم أجعل أورشليم كصخرة ثقيلة تعجز عن حملها جميع الشعوب. وكل من يحاول حملها ينشق شقًّا، ويتألب عليها جميع شعوب الأرض.

في ذلك اليوم أجعل عشائر يهوذا كمستوقد نار بين الحطب أو كمشعل ملتهب بين أكداس الحنطة، فيلتهمون الشعوب ممن حولهم ممن عن يمينهم وعن يسارهم، بينما تظل أورشليم مستقرة آمنة آهلة في موضعها ويخلص الرب أولًا خيام يهوذا لئلا يتعاظم افتخار بيت داود وأهل أورشليم على سائر يهوذا. في ذلك اليوم يحفظ الرب سكان أورشليم فيكون أضعفهم قويًّا قادرًا مثل داود، ويتولى بيت داود قيادتهم في الطليعة، تمامًا كما كان الله أو ملاك الرب يتقدمهم».

«سفر زكريا١٢: ٢، ٣، ٦-٨»

«وهذا هو البلاء الذي يعاقب به الرب جميع الشعوب الذين اجتمعوا على أورشليم: تتهرأ لحومهم وهم واقفون على أرجلهم، وتتآكل عيونهم في أوقابها، وتتلف ألسنتهم في أفواههم. في ذلك اليوم يلقي الرب الرعب في قلوبهم حتى ترتفع يد الرجل ضد يد رفيقه في آن واحد ويهلكان معًا. ويحارب أبناء يهوذا أيضًا دفاعًا عن أورشليم ويغنمون ثروات من الأمم المحيطة بهم من ذهب وفضة وأثواب، بوفرة عظيمة».

«سفر زكريا ١٤: ١٢ - ١٤»

ووفقًا لـ «سفر التكوين ٢٢» فإن هذا المكان (الموقع) من المفترض أن يضحي فيه إبراهيم باسحاق قربانًا لله قبل أن يمسك الملاك يد «إبراهيم» ليمنعه من ذلك، وفي التراث الديني الإسلامي الذي يعكس غيرة الابن الأكبر ولكنه ليس المفضل «إسماعيل»(*)، فإن الذي قدم قربانًا لله هو «إسماعيل» وليس «إسحاق». ويقال عن هذا المكان أيضًا أنه شهد

(*) ليس في التراث الإسلامي تفضيل أحد من الإخوة على أحد، وقد رفض النبي ﷺ الشهادة على عطية أب لواحد فقط من أبنائه، وجدير بالذكر أن التراث اليهومسيحي، يرث الابن الأكبر (الذكر) كل ما تركه الأب ـ المترجم.

«الإسراء والمعراج» الرحلة الروحانية التى قام بها «محمد» ذات ليلة إلى السماء. ولا يشير المسلمون إلى هذا المكان بوصفه جبل الهيكل وإنما «المسجد الأقصى».

بُنى جامع «عمر» المعروف باسم «قبة الصخرة» فوق الصخرة التى يقال إن «إبراهيم» وضع فوقها ابنه «إسماعيل» ليقدمه قربانًا لله(*) - ويعتقد البعض أن فى ذلك الموقع مذبح أول معبدين يهوديين، وربما يكون ذلك بسبب خلط الصليبيين بينه وبين هيكل سليمان، أكثر من الاعتماد على الدليل الجغرافى الفعلى. وبُنى هذا الجامع عام ٧٠٠ ميلادية تقريبًا حيث استولى الخليفة «عمر ابن الخطاب» - الذى خلف «محمدًا» - على القدس عام ٦٣٧ ميلادية، وهذه «القبة الذهبية» التى نراها فى الصور الفوتوغرافية الحديثة للقدس تضم جبل الهيكل، وعلى الرغم من أن هذا المسجد هو أكثر شهرة من المسجد الأقصى بسبب قبته اللامعة المتلألئة؛ إلا إنه ليس الأقدس.

إن صفة الأكثر قدسية ترجع إلى أنه ثانى مسجد مقام على الجبل، ويسمى المسجد الأقصى (الذى يعنى «أبعد مكان لعبادة الله الواحد» وتشير تلك التسمية إلى بُعْد المسجد الأقصى عن مكة)، ويقع بالضبط جنوب «قبة الصخرة»، والمسجد الأقصى هو أكبر المساجد فى القدس، وتم بناؤه بعد بناء «مسـجد قبة الصخرة» وهو فى - بعض الروايات الإسلامية - المكان الذى خُصص لرحلة «الإسراء والمعراج» التى قام بها «محمد» إلى السماء ليلًا.

وأصبح موقع المسجد الأقصى مركز انطلاق شرارة الانتفاضة الثانية؛ التى يطلق عليها اسم «انتفاضة الأقصى» لأنها بدأت عندما زار «أريل شارون» هذا الموقع المقدس. وعلى الرغم من أن العنف بدأ بالفعل قبل هذه الزيارة بأيام فى صورة أعمال صغيرة، إلا أنه بلغ ذروته يوم ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠م بعد وقوف «أريل شارون» على باب المسجد الأقصى. وعلى الرغم من عدم دخول «شارون» المسجد المقام على جبل الهيكل، إلا أن مجرد وجوده فى «قدس الأقداس» (الذى يعتبر العرب كل جزء فيه حتى مدخله مقدس) أدى إلى اثارة الهتافات ورمى الحجارة؛ التى تسببت فى إصابة ثمانية وعشرين من رجال الشرطة

(*) كان ذلك فى مكة، فى التراث الإسلامى - المترجم.

الإسرائيلية ثلاثة منهم أدخلوا المستشفى للعلاج، ولم يبلغ عن أى إصابات فلسطينية، ولكن فى اليوم التالى لزيارة «شارون» اندلعت أعمال العنف المنظم بعد صلاة يوم الجمعة (عند المسلمين) لتؤدى إلى سقوط قتلى وجرحى من الجانبين(*).

وهكذا بدأت أسوأ فترة من العنف الفلسطينى فى التاريخ الإسرائيلى على الإطلاق، وخلال الفترة من ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٠م إلى ١١ سبتمبر ٢٠٠٢م قُتل ٤٢٧ مدنيًّا إسرائيليًّا و١٨٥ من قوات الأمن الإسرائيلية وجُرح ٣٢٠٢ مدنى إسرائيلى و١٣٠٧ من قوات الأمن الإسرائيلية[٦](**).

وربما تكون شرارة العنف قد انطلقت بالفعل بسبب انسحاب «عرفات» من محادثات «كامب ديفيد» مع إسرائيل فى شهر يوليو، إلا أنه تم استخدام زيارة «شارون» إلى قدس الأقداس كذريعة لإثارة العنف بشراسة، وهذا خير دليل على مدى تأثير السيطرة على جبل الهيكل فى القلوب.

وشهد هذا الموقع اندلاع أعمال العنف الأخرى بين الفلسطينيين واليهود، مثلما حدث يوم ٢٤ سبتمبر ١٩٩٦م الذى أدى إلى أربعة أيام من القتال المتواصل؛ والذى استدعى طلب دعم من الدبابات وطائرات الهليكوبتر الهجومية، وأسفر عن موت سبعين شخصًا، وجرح المئات. وكان سبب القتال هذه المرة؛ فتح مخرج جديد لـ«نفق هاسمونين» وهو موقع أثرى يمتد بطول «الحائط الغربى» وتحت جزء من مدينة القدس القديمة، وذلك لأن الزائرين اليهود لهذا النفق كانوا يدخلون ويخرجون فى ذلك الوقت من نفس المنفذ.

ويعرف أبناء إسماعيل نبوءة أنه سوف تتم إزالة «قبة الصخرة» قبل بناء اليهود للهيكل

(*) وفى رواية الأمريكى اليهودى ناعوم تشومسكى، جاء الآتى:
بدأت انتفاضة الأقصى... صـ٥٨، ٥٩
الأباتش الهليكوبتر المهاجمة ـ أوهام الشرق الأوسط.

(**) كالعاد الأمريكية فى ذكر ضحايا أمريكا، وإسرائيل، وعدم ذكر ضحايا الطرف الآخر، وبصفة فالإحصائيات تشير أن الضحايا الفلسطينيين حوالى أربعة أمثال ضحايا الإسرائليين ـ المترجم.

الثالث والأخير(*)، وهى سبب إزياد توجسهم وتشككهم من احتفاظ اليهود «بجبل الهيكل» ـ ويعتقد البعض أن الموقع الأصلى للهيكل ربما يقع على الجزء الشمالى لـ«جبل الهيكل» وهو أرض مفتوحة، وليس على الجزء الجنوبى الذى ترتكز عليه قبة الصخرة، فإذا كان الأمر كذلك فمن الممكن إعادة بناء الهيكل بدون إلحاق ضرر بالمسجدين، وهذا سوف يحقق سلامًا أفضل للجانبين، لأنه يراعى أهمية المكان بالنسبة لكلٍ من اليهود والمسلمين، بصورة أو بأخرى ربما يكون إعادة بناء الهيكل إحدى نقاط المساومة التى استخدمها أعداء المسيح لجذب إسرائيل وتشجيعها للدخول فى معاهدة السلام لمدة سبع سنوات.

وهكذا تعود «مدينة القدس» لتجذب انتباه العالم، حتى لو كانت بالفعل تشغل اهتمام اليهود والمسلمين. سوف يصبح مصير القدس أكبر مصدر للأمل فى العالم مع توقيع اتفاقية سلام السبع سنوات وبداية المحنة. وعندما يدخل أعداء المسيح الهيكل بعد إعادة بناؤه ويدنسون حرمته، ستصبح القدس حينئذ موقع الأمل نهائيا وعلامة بداية المحنة العظيمة، وإذا ما كانت الروح المعادية للمسيح تقف خلف أعمال العنف لمنظمة التحرير الفلسطينية وغيرها من المنظمات الإرهابية الأخرى ـ وأنا اعتقد ذلك وبشدة – فهذا يضيف بعدًا روحانيًا يفسر لنا لماذا تمثل مدينة القدس شرطًا لقبول السلطة الفلسطينية لمعاهدة سلام مع إسرائيل، ويعتبرها أى ممن يريدون إقرار السلام فى المنطقة نقطة جوهرية فى المفاوضات. فالأمر ليس فى تحديد عدد القتلى فى التفجيرات الانتحارية أو على أيدى رجال الشرطة الإسرائيلية ؛ إنما الموقف الحاسم يكمن فيمن يتحكم فى مركز العالم والصخرة التى قطع الله عليها ميثاقه مع البشرية.

إن خط المعركة الفاصلة لم يرسم بدقة على أرض القدس فحسب، وإنما كلًا من الطرفين المتصارعين يعرفان أيضًا ماهما مستعدان للتضحية به من أجل حصولهما على ما يريدان. فالفلسطينيون يريدون طرد الإسرائيليون من أرضهم، واليهود يريدون

(*) ليس هناك مثل تلك النبوءة فى التراث الإسلامى، ولكن هناك توجسًا مما يريده الأصوليين اليهود والمسيحيون ـ المترجم.

حماية أرضهم. وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى [السابق] يريدان تجنب سباق التسلح فى الشرق الأوسط إلا أنهم لم يستطيعا تحقيق ذلك مع احتفاظهما بالقوى الموالية لهما هناك. قام السوفييت بتسليح الدول العربية الموالية لـ«جمال عبد الناصر» وتعهدت الولايات المتحدة الأمريكية بالمحافظة على تفوق إسرائيل عسكريا على جيرانها بعد حرب يوم الغفران. ويبدو أن الالتزام بهذا التعهد ـ بعد توقيع السادات على معاهدة سلام مع إسرائيل عام ١٩٧٨م ـ أصبح أكثر صعوبة مع موافقة أمريكا على تزويد المملكة العربية السعودية ومصر ودولة الإمارات العربية المتحدة والكويت والبحرين والأردن وعمان ولبنان وقطر واليمن بالأسلحة المتقدمة، مرتبة حسب مبيعات الأسلحة من عام ١٩٩٠م إلى عام ٢٠٠١م[٥]. فإذا ما حصلت أى دولة من تلك الدول على نظام للأسلحة المتقدمة (صواريخ وطائرات وسفن ودبابات... إلخ)، فإن الولايات المتحدة بموجب تعهدها ملتزمة بتقديم نفس هذا النظام أو أفضل منه إلى إسرائيل خلال نفس الفترة من عام ١٩٩٠م إلى عام ٢٠٠١م. لقد باعت الولايات المتحدة الأمريكية أسلحة قيمتها ٧٩,٤ مليار دولار إلى تلك الدول العربية، مقابل مبلغ ٨١,٠٣ مليار دولار التى منحتها الولايات المتحدة لإسرائيل بين عامى ١٩٧٦م و٢٠٠١م ومعظمها مساعدات اقتصادية وقروض، وليست مبيعات أسلحة. وفى نفس الفترة الزمنية تقريبًا ومنذ عام ١٩٩١م أعطت الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل أسلحة ومساعدات عسكرية بقيمة ١٨,١ مليار دولار، وبفضلنا ـ نحن الأمريكيين ـ تم تجهيز الجيوش على كل من جانبى المعركة التى ستدور رحاها داخل مدينة القدس، بأحدث الأسلحة ليشنوا حربًا تقليدية من أجل السيطرة عليها.

يتفوق الإسرائيليون على العرب إلى حد بعيد، ليس فقط بسبب أننا ـ الأمريكيين ـ قد وعدناهم بالمحافظة على تفوقهم على العرب فى هذا السباق للحصول على الأسلحة الأمريكية، ولكن بسبب قوة الردع الإسرائيلى النووى المحتملة. ومع إعادة ميلاد إسرائيل الذى جاء بعد مرور ثلاثة سنوات من ضرب «هيروشيما» و«نجازاكى» بالقنبلة الذرية، رأى رئيس الوزراء الإسرائيلى «ديفيد بن جوريون» بأن الطاقة النووية يمكن أن تكون مفيدة جدًا فى جعل صحراء النقب مزدهرة عن طريق تزويدها بالكهرباء وبمحطات

تحلية مياه البحر، لإمدادها بمياه الشرب، ولكن كما عبر عنه المؤلف والكاتب «سيمور هرش» قائلًا: «لم تكن الطاقة النووية على قمة أولويات «بن جوريون» فالصحراء كانت مزدهرة قبل ذلك[٦]، لكن «بن جوريون» كان يفكر فى أن تصبح إسرائيل قوة نووية.

ومن خلال اتصالاته مع الولايات المتحدة الأمريكية استمر «بن جوريون» فى سعيه الحثيث والذى لم يمكنه من الحصول على وعد من الولايات المتحدة الأمريكية بأن تجد إسرائيل ملاذًا آمنًا لها تحت مظلة الأسلحة النووية الأمريكية، وبالتالى بدأت إسرائيل لعبة القط والفأر مع أقوى حليف لها، فمن ناحية حاولت الحصول على وعد الولايات المتحدة لحمايتها، و من ناحية أخرى حاولت تطوير حمايتها الذاتية الخاصة.

فى عام ١٩٥٣م طور «معهد ويزمان الإسرائيلى» آلية للتبادل الأيونى المحسن لإنتاج الماء الثقيل وطريقة أكثر فاعلية لتخصيب اليورانيوم التى قايضتها مع الفرنسيين من أجل اتفاق رسمى على التعاون فى مجال البحث النووى. وبدأ الإسرائيليون عام ١٩٥٨م فى بناء مفاعلهم النووى الخاص بالقرب من مدينة ديمونة بصحراء النقب، والذى اعتمد فيه المسئولون الإسرائيليون على زياراتهم للمفاعل النووى الفرنسى فى «ماركيول» ليكون صورة طبق الأصل منه. وربما أدرك «بن جوريون» حينئذ بأن الولايات المتحدة لم تكن مهتمة بأمن إسرائيل مثلما كان يأمل بعد رد فعل الرئيس الأمريكى «إيزنهاور» على أزمة السويس. واستمرت إسرائيل فى أبحاثها النووية لمدة عشر سنوات تالية قبل إنتاج أول قنبلة نووية من مفاعل «ديمونة» فى عام ١٩٦٩م. ففى هذا العام وصل هذا المفاعل إلى أقصى طاقة إنتاجية له بمعدل ٤ أو ٥ قنابل سنويًا، وخلال تلك الفترة حاولت الولايات المتحدة الأمريكية بكل الوسائل الممكنة اكتشاف ما يحدث فى «ديمونة» بينما حاولت إسرائيل إخفاء ذلك، ومع ذلك كانت الدلائل تشير إلى أن لدى الولايات المتحدة الأمريكية فكرة جيدة عن الهدف الذى من أجله أُنشئ مفاعل «ديمونة»، ولكنها تجاهلت ذلك لمعرفتها بأنه ليس أمام إسرائيل الكثير من الاختيارات، بل إن بعض أعضاء الكونجرس أيدوا المخططات النووية الإسرائيلية. وقبل أيام قليلة من مقابلة «شيمون بيريز» مع الرئيس «كنيدى» لإجراء المزيد من المناقشات حول شراء إسرائيل صواريخ «هوك» تقابل «بيريز» مع السيناتور «ستيورت سيمنجرون» وهومن مؤيدى كنيدى وعضو بارز فى لجنة

الخدمات العسكرية بالكونجرس، قال بيريز فى «السيرة الذاتية» أخبرنى «سيمنجرون»: «لا تكونوا جماعة من الحمقى، فلا تتوقفوا عن صنع القنابل النووية، ولا تصغوا إلى نصائح وزارة الخارجية وافعلوا ما تؤمنوا به فأنه الأفضل لكم»(٧).

ولكن هذا الصراع من أجل الحصول على قوة ردع نووية لم يمر بدون خسائر سياسية لإسرائيل، ففى ربيع عام ١٩٦٢م ضغط الرئيس «كنيدى» بشدة على رئيس الوزراء الإسرائيلى «بن جوريون» للحصول على بعض الإجابات على أسئلته حول ما يجرى فى مفاعل ديمونة، أو على الأقل الحصول منه على وعود قاطعة بأن أبحاث إسرائيل النووية لن تستخدم فى الأغراض العسكرية، وواجه «بن جوريون» هذا الموقف العاصف، وفقًا لما وصفه عالم فيزيائى وضابط مخابرات سابق فى وزارة الدفاع الأمريكية متورط بالعمل مع برنامج إسرائيلى للأسلحة النووية، ويدعى «يافال نيمان»: كان هذا الحوار بين «كنيدى» و«بن جوريون» لم يكن وديًّا بل محتدمًا؛ حيث أظهر «كنيدى» فيه قوته(٨).

أنهى «كنيدى» الاجتماع مع «بن جوريون» وسط تهديداته لإسرائيل. وفى أبريل من هذا العام انضمت العراق إلى مصر وسوريا فى اتحاد عربى لم يدم طويلا، ليجعل خطر الغزو العربى لإسرائيل مساويًا لخطر حرب الاستقلال الأمريكية وأكثر احتمالًا منها. ويصف لنا المؤلف «سيمورهيرش» هذا الموقف قائلًا: اتجه «بن جورين» بصورة غريزية إلى واشنطون واقترح فى خطابه للرئيس «كنيدى» بأن يعلن الاتحاد السوفييتى وأمريكا علنا الاتفاق على ضمان الأمن والسلامة الإقليمية لأراضى كل دولة بالشرق الأوسط، وطلب «بن جوريون» من كنيدى قائلًا: «إذا ما أمكنكم توفير ساعة أو ساعتين لإجراء مناقشات معى حول هذا الموقف والحلول الممكنة له، فأنا مستعد للسفر إلى واشنطون ومقابلتك فى أى مكان وزمان يناسبانك وبدون أى ضجة إعلامية».

لكن «كنيدى» رفض طلب «بن جوريون» للقيام بزيارة رسمية، وعبر عن «تحفظاته الحقيقية» حول أى إعلان مشترك مع السوفييت حول القضية، وذلك وفقًا لما ذُكِرَ فى السيرة الذاتية لحياة «بن جوريون». وبعد خمسة أيام أرسل «بن جوريون» المحبط خطابًا آخر لـ«كنيدى» يقول فيه: «يا سيدى الرئيس إن لشعبى الحق فى البقاء... وهذا البقاء

يتعرض للخطر»، وطلب «بن جوريون» بأن توقع الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة أمن مع إسرائيل، وكانت الإجابة مرة أخرى بالنفى، وأصبح واضحًا «لحزب ماباى» أن زعامة «بن جوريون» ومخالفته لمعاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية فى «ديمونة» إنما هى جرائم خطيرة من وجهة نظر أمريكا، واعترفت «جولدا مائير» إلى مؤلف السيرة الذاتية لـ«بن جوريون»: كنا نعلم عن تلك العواقب الوخيمة، ولم نقل شيئًا عنها، بل إننا تعجبنا منها، وبعد عدة أسابيع استقال «بن جوريون» فجأة من منصبه كرئيس للوزراء وكوزير للدفاع، منهيًا بذلك فترة حكمه التى دامت خمسة عشر عامًا بوصفه أكثر المسئولين الإسرائيليين نفوذًا وتأثيرًا على الإطلاق[٩].

وبحلول عام ١٩٧٣م كان لدى إسرائيل خمسة وعشرون رأسًا نوويًا حربيًا مع ثلاثة أو أربعة منصات لإطلاق الصواريخ مجهزة فى «هيربات زكريا» وكان لدى إسرائيل أيضًا عددًا من منصات إطلاق صواريخ «جيركو (أريحا)»، وتمتلك قدرات لإطلاق أسلحة نووية وتصيب أهدافًا بعيدة مثل «تبليسى» و«باكو» فى جنوب روسيا، ودمشق والقاهرة كانت ـ بسهولة ـ فى مرمى تلك الصواريخ.

وعندما اندلعت حرب يوم الغفران، كانت الولايات المتحدة الأمريكية بطيئة فى رد فعلها مع بداية الهجوم، وافترضت بعض المصادر بأن «نيكسون» و«كيسنجر» خططا بترك إسرائيل لتتلقى ضربة قاسية تسيل الدماء من أنفها قبل أن تسارع الولايات المتحدة لنجدتها، وذلك من أجل إعطاء إسرائيل درسًا، ولكن فى ذلك الوقت طورت إسرائيل ما أصبح معروفًا باسم «اختيار شمشون»، وعندما اكتشفت الولايات المتحدة الأمريكية ذلك، ألغت كل العوائق التى تمنع مساعدة إسرائيل من كسب حرب تقليدية وحتى تمنع إمكانية نشوب حرب نووية عالمية تبدأ شرارتها فى الشرق الأوسط.

ظهر «اختيار شمشون» النووى انطلاقًا من عقد إسرائيل العزم بألا تكون هناك محرقة نازية أخرى لليهود على أيدى قوة أجنبية، وكما فعل اليهود فى «ماسادا» من قبل، فمن الأفضل لهم الموت بأيديهم وبأنفسهم عن أن يقعوا فى أسر قوة ظالمة سواء كانت تلك القوة الظالمة هى الرومان أو الألمان أو العرب، ولكن ليس الاختيار هنا هو اختيار

الضعفاء فى «ماسادا» ولكنه اختيار «شمشون» الجبار الذى أخذه الإسرائيليون كمثل أعلى يحتذون به. ففى ساعته الأخيرة فى الحياة أجبر «شمشون» الضعيف الأعمى على السير نحو المعبد فى عرض مذل مهين لإظهار تفوق الفلسطينيين على اليهود، وأثناء صيحات الاستهجان والاستهزاء التى انهالت عليه، صلى «شمشون» إلى ربه قائلًا «يا إلهى تذكرنى فأنا أصلى متضرعًا لك بأن تقوينى، وأصلى وأتضرع لك فقط هذه المرة، يا إلهى أرجوك أعطينى القوة يا سيدى الرب، أذكرنى وقونى هذه المرة فقط لأنتقم من الفلسطينيين ممن قلع عينى»[١٠]، ثم بعد ذلك وضع «شمشون» يديه بقوة على اثنين من الأعمدة الضخمة التى تدعم سقف المعبد، وصلى متضرعًا لله مرة أخرى: ربى اجعلنى أموت ومعى كل الفلسطينيين»[١١] وبكل قوته دفع العمودين ليسقطا وينهار معهما السقف فوقه وفوق كل الفلسطينيين الذين كانوا يسخرون منه. ولقد أخبرنا الكتاب المقدس بأن «شمشون» قتل بعمله البطولى الأخير فلسطينيين أكثر من الذين تقابل معهم سابقًا فى حياته كلها.

أظهر اختيار «شمشون» استعداد إسرائيل توريط العالم فى حرب نووية وتدمير جزء كبير منه حتى لا تسمح بمحرقة أخرى على أيدى أمة معادية للسامية. فإسرائيل كانت تعلم العواقب الوخيمة إذا ما هاجمت مصر وسوريا بالأسلحة النووية، فسوف يشن الاتحاد السوفيتى عليها فورًا هجومًا نوويًّا شاملًا، وسوف تحدث المعركة الكبرى الفاصلة بين قوى الخير والشر «أرمجدون» مبكرًا قبل موعدها.

وهكذا صوبت إسرائيل صواريخها النووية نحو القيادات المركزية العسكرية المصرية والسورية بالقرب من القاهرة ودمشق بعد أيام قليلة من اندلاع الحرب، فلم يكن لدى إسرائيل أى اختيار آخر غير ذلك، لأنها فقدت و بسرعة ثقتها فى نفسها، وكان الزعماء الإسرائيليون يدرسون بحرية استخدام الأسلحة النووية كملجأ أخير ينقذ الموقف، فأسرعت الولايات المتحدة الأمريكية لنجدة إسرائيل للإبقاء على الحرب تقليدية ومنع تلك الكارثة النووية.

وفى عام ١٩٧٩م كانت إسرائيل تجمع بصورة روتينية معلومات مخابراتية عبر الأقمار الصناعية الأمريكية من أجل توجيه صواريخها النووية نحو مدن فى الاتحاد السوفيتى،

و تعلمت إسرائيل حقيقة رئيسية من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى فى الحرب الباردة: فى الحرب النووية لا يهم كم عدد المرات التى سوف تنسف بها أعداؤك ولكن الذى يهم هو أن تنسفهم، لقد دخلت إسرائيل عالم القوى العظمى النووية.

وبالتالى فإن النصر الذى حققته إسرائيل فى حرب يوم الغفران هو أساسا انتصار كسبته على أكتاف منصات إطلاق صواريخها النووية. ولأن إسرائيل كانت توصف بالأمة التى لا يمكن هزيمتها فى حرب مفتوحة لتفوقها النووى على العرب، فإذا ما طور العرب أسلحة نووية فسوف تخسر إسرائيل تلك الميزة الفائقة. وهذا هو السبب الذى دفع إسرائيل فى ٧ يونيه عام ١٩٨١م إلى استخدام طائرات إف ١٥ أو إف ١٦ الأمريكية الصنع ـ التى اشترتها إسرائيل لأغراض دفاعية ـ فى تدمير المفاعل النووى العراقى فى «أوسيراك» الذى يبعد اثنا عشر ميلًا جنوب غرب بغداد قبل أن يصبح جاهزًا للتشغيل. لم تكن إسرائيل تريد سيناريو صراع بين شمشون و«جوليات».

كانت إسرائيل تعلم العواقب الخطيرة لضربتها الإجهاضية، وكانت مستعدة لأى رد فعل انتقامى محتمل. وقبل مهاجمة المفاعل النووى العراقى، أغلقت إسرائيل مفاعلها فى «ديمونة» تحسبًا لأى هجوم مضاد وظل مغلقًا لمدة عام تقريبًا.

ورغم ما أثارته تلك الضربة من ثورة غضب فى العالم، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تفعل سوى توبيخ إسرائيل عن تلك الضربة الاجهاضية. ووفقًا لوصف «ريتشارد فى آلن» مستشار الأمن القومى الأمريكى للرئيس الأمريكى «ريجان»: عندما أُبلغ الرئيس «رونالد ريجان» بالهجوم الإسرائيلى، دار الحديث التالى بينهما:

- لقد دمر الإسرائيليون يا سيدى الرئيس توًّا المفاعل النووى فى العراق بطائرات إف ١٦.
- ما الذى تعرفه حول هذا الهجوم؟
- لا شىء سيدى، أنا بانتظار التقارير.
- لماذا تفترض بأن الذين فعلوا ذلك هم الإسرائيليون؟

وترك الرئيس «ريجان» سؤاله معلقًا لفترة ثم أضاف مجيبًا على نفسه «حسنًا الأولاد هم دائمًا الأولاد»[١٢].

وأعلن «البيت الأبيض» بأن القسط التالى لتمويل بيع خمس وسبعين طائرة فانتوم إف ١٦ من صفقة ١٩٧٥م سيعلق بسبب هذا الهجوم الإسرائيلى، ولكن تم رفع هذا التعليق بعد شهرين من صدوره، وتسلمت إسرائيل أربعة طائرات إف ١٦ جديدة.

ويبدو أن إسرائيل استطاعت كسر القيود التى فرضتها أمريكا عليها لمنعها من استخدام قمر التجسس الأمريكى السرى والمتقدم من طراز «KH11»، ووافق الرئيس الأمريكى «جيمى كارتر» للإسرائيليين على استقبال صور الأقمار الصناعية التى تغطى مساحة مئة ميل بعيدًا عن حدودهم، وبذلك يمكنهم مراقبة تحركات القوات العسكرية فى البلاد المجاورة لهم، حيث يمكن لتلك الصور أن تنذرهم بأى غزو محتمل قد تشنه عليهم القوات العربية ـ وذلك مرة أخرى «من أجل أغراض دفاعية فقط». ولكن بطريقة ما تلقى الإسرائيليون صورًا أخرى من أقمار التجسس الصناعية أبعد من مدى المائة ميل لتشمل مفاعل «أوسيراك» النووى العراقى ـ الذى يبعد عن القدس بمسافة ٥٥٠ ميل تقريبًا ـ وهذا ما مكنهم من شن هجومهم الإجهاضى ضد العراق بدون أن يكتشفهم العراقيون حتى وصلت طائراتهم بالفعل فوق هدفها.

وفى الثمانينيات من القرن العشرين زرعت إسرائيل ألغامًا أرضية نووية على طول امتداد مرتفعات الجولان. ولدى إسرائيل الآن غواصات نووية ـ كل غواصة منها تحمل أربعة صواريخ كروز نووية. وفى يونيه عام ٢٠٠٠م أطلقت غواصة إسرائيلية صاروخ كروز أصاب هدفًا على بعد ٦٠٠ كيلو متر لتكون إسرائيل بذلك ثالث دولة بعد أمريكا وروسيا تمتلك هذه القدرة النووية. ولكن فى ربيع عام ٢٠٠٢م أطلقت إيران صاروخًا غطى نفس المسافة، وأثناء قمة «بوش وبوتين» فى ٢٤ مايو عام ٢٠٠٢م عندما سُئل نائب رئيس هيئة الأركان الروسية «الجنرال يورى باليوفيشى» عن قدرات «إيران» النووية قال: «إن لدى إيران بالفعل أسلحة نووية وبالطبع ليست أسلحة نووية استراتيجية، فأنا أقصد أنها ليست ذات مدى يزيد عن ٥٥٠٠ كيلو متر فأكثر»[١٣] وربما ليس لديها صواريخ نووية ـ ذات مدى يصل إلى موسكو أو واشنطون، ولكن يمكنها بالتأكيد الوصول إلى «تل

أبيب» والقدس. وبالتالى فإن «جوليات» يقترب بسرعة من مجاراة التفوق العسكرى «لشمشون». ومرة أخرى ليس المهم عدد المرات التى يمكن فيها نسف شخص ما، وإنما يكفى أن تكون لك تلك القدرة على النسف مرة واحدة.

وفى نوفمبر عام ١٩٩٩ م كنت فى الاتحاد السوفييتى وتقابلت مع الرئيس السابق لجهاز الاستخبارات الروسى وقلت له: «إنه لأمر رائع بأن العالم قد أصبح اليوم مكانًا أكثر أمانًا» فكشر وجهه ونظر إلىّ بجدية وأجابنى قائلًا:

«اسمعنى جيدًا. إن العالم لم يصبح مكانًا أكثر أمانًا لنعيش فيه، فجمهوريتنا السوفييتية فقيرة ينقصها الأموال وتكثر فيها الجريمة، ونحن لدينا الآلاف من القنابل النووية، والشهر الماضى فقدت قنبلتان فى «أوكرانيا» وترك فقط غلافيهما الخارجيان «وعندما سألته» وفى إعتقادك أين ذهبت تلك القنبلتان؟ أخبرنى «ذهبت إلى أصحاب المشاريع السوفيتية، وبينما تحتفلون أنتم فى بلادكم بنهاية الحرب الباردة، فإننا نرتعد خوفًا من بداية الحرب الساخنة».

وسألته عن إسرائيل. ابتسم لى مرة أخرى وقال: «استمع إلى جيدًا، إننا نوجه صواريخنا النووية نحو مدنهم وهم يتدربون لسنوات طويلة على ضربنا بالقنبلة النووية فما هو الجديد فى هذا؟ كنت أعرف أنه يقول الصدق لأننى قد سمعت هذا من قبل من المستشار الأول لاثنين من رؤساء الوزراء الإسرائيليين.

وقالت جريدة «واشنطون پوست» فى تقرير لها:

«فى الصراعات العرقية التى أحاطت بسقوط الاتحاد السوفييتى، كان المقاتلون فى عدة بلاد استولوا على سلاح جديد غير شائع، وهو صاروخ صغير رفيع يعرف باسم «ألازان»، الذى صمم أصلًا من أجل تجارب الطقس، ولكن تم تحويله إلى سلاح مرعب محمل بالمتفجرات ويطلق على المدن، وتظهر السجلات العسكرية بأنه تم تعديل ثمانية وثلاثين رأس حربية على الأقل من صاروخ «ألزان» لتحمل مواد مشعة، ليكون بذلك أول قنبلة قذرة أرض-أرض يعرفها العالم على الإطلاق، ووفقًا للخبراء والمسئولين اختفت الآن تلك الرؤوس الحربية(١٤).

وظهر اختيار «شمشون» على مسرح الأحداث مرة أخرى أثناء حرب الخليج عام ١٩٩١م. وكان «روبن هيشت» المستشار الأول لرؤساء الوزراء الإسرائيليين يعيش فى «حيفا»، والتى كانت هدفًا للهجوم بصواريخ «سكود» أثناء الحرب. قال لى «هشت»: حصلنا على معلومات مخابراتية تفيد بأن «صدام حسين» أعطى أوامره بوضع أسلحة كيميائية وبيولوجية على صواريخ «سكودا». ولم يكن أمامى سوى الذهاب إلى غرفة واقية وبسرعة. وأؤكد لكم، إذا ما أصاب العراقيون مدننًا فسوف يحول الإسرائيليون بغداد إلى كتلة من الغبار المشع. كان لدى إسرائيل منصات متحركة لاطلاق الصواريخ المزودة برؤوس نووية، وهى موجهة لبغداد أثناء حديثى معك، وهى مستعدة للانطلاق عند صدور الأمر بذلك، فنحن على أقصى درجات الاستعداد الكامل لحرب نووية شاملة. وأضاف: أنت تعرف يا «مايك» أن هذا أمر لن يتكرر.

واليوم فإن اختيار «شمشون» ومشروع ٧٠٠، ومشروع «زكريا» وأسلحة «الهيكل» و«قسم زد» كلها أسماء لأجزاء من اضخم الترسانات النووية فى العالم والموجودة فى إسرائيل. ونسمع الآن أسماء جديدة مثل مضخات أشعة إكس ليزر والهيدروديناميك ونقل الإشعاع ـ وهى جيل الأسلحة الجديد لمعركة «أرماجدون» التى سوف تدور بين قوى الخير والشر فى العالم. إن لدى إسرائيل أكثر من ثلاثمئة سلاح تكتيكى واستراتيجى، وهذا يتضمن أكثر من مائة قذيفة نووية والغام أرضية نووية وقنابل نيوترونيةسوف تدمر الحياة البيولوجية دون أن تحدث أى انفجارات. ولدى الإسرائيليون أيضًا أشعة ليزر تستخدمها طائراتهم ودباباتهم، وأسلحة كهرومغناطيسية يمكنها تعطيل أجهزة الرادار.

فى ١٤ نوفمبر عام ٢٠٠٣ أبرمت إسرائيل أول صفقة للحصول على طائرات مقاتلة نفاثة من طراز اف ١٦١ أمريكية الصنع، والتى سوف تتسلم منها ١٠٢ طائرة قبل حلول عام ٢٠٠٨م لتجعل من تلك الصفقة أكبر صفقات الأسلحة على الإطلاق فى تاريخ إسرائيل.

ويمكن للطائرة النفاثة الجديدة الوصول إلى دول بعيدة مثل إيران وليبيا، وهى مزودة بصواريخ جو-جو من طراز «إبراهام»، وأجهزة رادار APG 68 من طراز «نورثروب جرمان» تسمح لها بإسقاط الطائرات النفاثة المعادية من مسافة تزيد على ثلاثين ميلا.

وحاليا فإن هناك تسعة دول على الأقل لديها إمكانيات مهاجمة عدو بقنبلة نووية حرارية هى: روسيا والولايات المتحدة الأمريكية والصين وإسرائيل وفرنسا وبريطانيا العظمى والهند وباكستان وعلى ما يبدو إيران، وتلك الإمكانيات تعطى تلك الدول كل إمكانية إطلاق وابلًا من القنابل النووية أو النيترونية التى تحدث تأثيرًا مشابهًا لما وصفه الكتاب المقدس فى سفر زكريا:

«وهذا هو البلاء الذى يعاقب به الرب جميع الشعوب الذين اجتمعوا على أورشليم: تتهرأ لحومهم وهم واقفون على أرجلهم، وتتآكل عيونهم فى أوقابها، وتتلف ألسنتهم فى افواههم».
«سفر زكريا ١٤: ١٢»

ويبدو بأن دول أخرى مثل كوريا الشمالية تقترب من الحصول على تلك القدرات. فى المعركة النهائية الأخيرة، ستكون دولًا مثل روسيا والدول الأوروبية (بريطانيا) العظمى وفرنسا، والدول الشرقية (إيران وباكستان والهند والصين وكوريا الشمالية) فى الجانب الآخر من خط القتال ضد إسرائيل، فأين سيكون موقف الولايات المتحدة من تلك المعركة؟

ونظرًا لأن الشبكة الإرهابية تقف بالمرصاد ضد أمريكا، فإنها مسألة وقت ومال قبل أن تجد إحدى القنابل السوفيتية النووية ذات شكل الحقيبة اليدوية «طريقها إلى الوقوع فى أيدى الإرهابيين، فإذا لم نتخذ الخطوات القادمة فى حربنا على الإرهاب ببراعة وحكمة، فمن المحتمل أن تساعد تلك القنابل ـ التى يدعى الليبراليون «عدم وجودها» ـ الإرهابيين على تحقيق هدفهم المميت.

وهكذا تحولت الحرب على الإرهاب بعيدًا عن هجمات ١١ سبتمبر إلى الانتصار فى العراق، ولكننا إذا أردنا فى نهاية المطاف الانتصار فى تلك الحرب ومنع أسلحة الدمار الشامل من ضرب مدننا، فإلى أين نحتاج أن نذهب بعد العراق؟

إننا يجب أن نبتهل إلى الله بقلوب خاشعة فى صلواتنا وندعو بأن تتعلم أمريكا من أخطاء الماضى، فليس لدى أمريكا أدنى فكرة عما يمكن لإسرائيل أن تواجهه إذا غفوت أمريكا ونامت. ويقول «چورچ سانتيانا»: «إن هؤلاء الذين لا يمكنهم تذكر دروس الماضى، كتب عليهم أن يتكرر لهم نفس المصير»[١٥].

الفصل الثالث عشر

قضية أمتنا في القرن الحادى والعشرين
الانتصار فى الحرب على الإرهاب

«إن لم نجر تغيرات جذرية هامة الآن قبل حلول عـام ٢٠٠٠م سيكون هناك شـك إذا كانت أمتنا ستبقى أم لا؟ وبحلول الألفية الثالثة، سيصبح تعداد سكان العالم تقريبا سبعة مليار نسمة وسيعانى خمسة مليارات منهم المجاعة واليأس والأمية».

دكتور «ألبرت سابن»

«طوبى للأمة التى الرب إلهها، وللشعب الذى اختاره ميراثًا له»..

«سفر المزامير ٣٣: ١٢»

أدى «چورچ واشنطون» أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية يمين الولاء الدستورى عام ١٧٨٩م واضعًا يده على الكتاب المقدس المفتوح على سفر التكوين «٤٩: ١٣ - ١٤» ليقرأ:

«زبولون يسكن عند سواحل البحر، ويصبح مقره مرفأً للسفن وتمتد تخومه نحو صيدا. يساكر حمار قوى رابض بين الحظائر».

يالها من نبؤة مدهشة تلك التى أخبرها «يعقوب» (الذى تغير اسمه إلى «إسرائيل») لأبنائه، وتحققت تلك النبوءة تمامًا كما قالها «يعقوب». وضع «چورچ واشنطون» يده على النبوءة التى تحدد بالتفصيل مستقبل أمة إسرائيل، وكما سيحدد إخلاص الولايات المتحدة الأمريكية لدولة إسرائيل مستقبل الأمة الأمريكية الوليدة، التى يترأسها «چورچ واشنطون».

مع وقوف أمتنا الأمريكية على مشارف الألفية الجديدة، نواجه أكبر تهديد على الإطلاق تتعرض له الحياة الأمريكية، وبينما احتفظ المذهب الشيوعى لنفسه بثقافة استعمارية جديدة، إلا أن هذا التهديد الشيوعى تقلص بصورة كبيرة بعد تفكك الاتحاد السوڤييتى السابق، ونهاية الحرب الباردة، لم يعد الصراع الحالى الذى نواجهه فى حربنا على الإرهاب مجرد حرب حول سيادة أيديولوچية سياسية تُفرض من خلال القوة العسكرية، وإنما هى معركة على كسب القلوب والعقول من خلال تحريف الحقيقة التى حولت أعدائنا إلى مرضى اجتماعيين إرهابيين مهووسين مستعدين للتضحية بحياتهم من أجل قتل الآخرين، وليست ديانتهم مثل ديانتنا المسيحية التى يمكنها أن تحول معظم الثقافات وترشدها إلى الطريق المستقيم وتهديها عن طريق الحب، بل نظامًا طاغيًا مستبدًا، يسيطر على الحكومات والثقافات، ويفرض بالقوة الحقيقة التى تتماشى مع المصالح

الخاصة. وربما كانت الحكومة القمعية «لحركة طالبان» هى خير مثال على الصورة التى يتمنى «أسامة بن لادن» وأتباعه الوهابيون فى العالم أن يكون عليها شكل الحكم. وفى عالمنا يصبح «الإسلام» هو القوة التى تشحن الأمم الفقيرة ضد الأمم الغنية اقتصاديًّا، التى تتفوق عليها. فالتهديد الأكبر على الإطلاق لأمتنا الأمريكية اليوم هو اتباعها لسياسة خارجية تنكر الحقيقة من أجل رخاء قائم على الحظ، وافتقارها إلى العزيمة فى خوضها الحرب على الإرهاب، كتلك السياسة المتخاذلة التى ابتدعها «كلينتون».

يعتقد كثير من الناس أن الولايات المتحدة الأمريكية تحتاج للعودة إلى المواقف الأكثر انعزالية، مثل الموقف الذى اتخذناه فى بداية القرن العشرين؛ لننعزل ونهتم بمصالحنا الذاتية تاركين باقى دول العالم تهتم بشئونها الخاصة. ولا أعتقد بإمكانية العودة لمثل هذا الموقف الإنعزالى، لأننا نعيش فى عالم يمكنه إرسال نفس البث التليفزيونى الموحد إلى جميع أنحاء العالم فى آن واحد، وتستغرق فيه الرحلات ساعات معدودة، بينما كانت فى الماضى تستغرق شهورًا طويلة، و قطعنا شوطًا كبيرًا بعيدًا عن الفكرة الرائعة «لجول فيرن» المتعلقة «برحلته حول العالم فى ثمانين يوم» لتصل إلى وقت يمكن للأقمار الصناعية فيه أن تلف العالم فى حوالى تسعين دقيقة فقط، ولأن معظم منتجاتنا الاستهلاكية تصنع فى الخارج، فإننا مرتبطين بباقى دول العالم على نحو لم يحدث من قبل.

ولهذا أعتقد أن مجالات السياسة الخارجية والأمن القومى ستهيمن على مناظرات الانتخابات الأمريكية للعقود القادمة، وكذلك السؤال: كيف يمكننا كسب الحرب على الإرهاب؟ وأثناء كتابتى لهذا الكتاب أيقنت أن كسبنا للحرب على الإرهاب هو أحد أعظم الطرق لنضمن لأمتنا مستقبل يسوده السلام. ولأول مرة فى التاريخ، لا ينبغى علينا القتال ضد مثال أعلى، على الصعيد السياسى، أو القتال ضد إنسان مجنون يرد السيطرة على العالم، وإنما ضد مثال أعلى خطير، على الصعيد الدينى، وهو المهب الوهابى. لن تستطيع بعد الآن التسامح مع كل معتقد، آملين بانسجابمه يوم ما مع معتقداتنا ـ فبعض المعتقدات فى العالم قاتلة وملعونة.

عندما أطلق علينا الوهابيون المتطرفون أمثال «أسامة بن لادن» تسميات مثل «المشركين»

و«الصليبيين» فإنهم ليس فقط يكفرون وجهة نظرنا، ويسيئون فهم شخصياتنا، وعندما نسمع عن توزيع المنشورات التى تدعى بأن المسيحيين الأمريكيين مشركون؛ لإيماننا بالثالوث (الأب والابن والروح المقدسة) فإننا نهز رؤوسنا أسفًا وندين منشوراتهم بوصفها «مواد دينية غير ملائمة»، ولكن عندما نسمع الوهابيين يطلقون علينا اسم «الكفار» ويتخذونا كأهداف للجهاد الإسلامى وكحيوانات تستحق الذبح، و« عندما يكون القتل الوحشى للكفار» هو عبادة وإخلاص عند الوهابيين اليوم تمامًا كما كان عند الأتباع الأصوليين لـ «محمد بن عبد الوهاب» فى منتصف القرن الثامن عشر، وعندما نفكر فى الحروب الصليبية بوصفها خطأ من الكنيسة فى العصور الوسطى، أو كاسم يطلق على فريق كرة السلة لمدرسة مسيحية، أما أتباع المذهب الوهابى يتحدثون عن الحروب الصليبية؛ ويفكرون فى القوى التى انتزعت منهم القدس والمسجد الأقصى الشريف ـ كقوى اجتمعت لمحو الإسلام تمامًا، وبنفس الطريقة يأمل «الجهاد الإسلامى»(*) إبادة ومحو اليهود والمسيحيين اليوم؛ لذا أنزل أتباع المذهب الوهابى «الصليبيين» إلى منزلة منحطة أقل من كونهم «بشر»، كما تمثل ذلك أيضًا فى خرق صلاح الدين الأيوبى لمعاهدة السلام مع الصليبيين ليعاود الاستيلاء على القدس قائلًا:

«ليس من الضرورى محافظة الإنسان منا على وعوده مع القردة والخنازير»[1](**).

(*) إذا كان المؤلف يقصد «الجهاد» فى فلسطين، فهدفهم المعلن هو تحرير الأراضى الفلسطينية المحتلة، ولا يتكلمون عن المسيحيين مطلقًا، وكفاحهم ضد الاحتلال الإسرائيلى للأراضى الفلسطينية ـ المترجم.

(**) لقد أنقذ صلاح الدين الأيوبى الملك الإنجليزى ريتشارد قلب الأسد، وأكرمه، وأرسل له طبيبا يعالجه، وأهداه الهدايا، وكان مثالًا للعدو النبيل كما تشهد أدبيات غربية كثيرة، ولنقرأ من كتاب الأمريكية اليهودية باربارا نوخمان «الكتاب المقدس والسيف» [منشورات مكتبة الشروق الدولية]. ما جاء عن ريتشارد قلب الأسد، مثال الفروسية والنبالة فى التاريخ الغربى، قديمًا وحديثًا:

... وتم ترتيب هذه تبادل الأسرى مع صلاح الدين.. ولكن حين دأب صلاح الدين على تأخير ما يخصه من الإتفاقية، ذبح ريتشارد، بلا أى تأنيب ضمير، أكثر من ألفى أسير مسلم صفحة ٨٦، الجزء الأول.

... أصبح ريتشارد مستعدًا لإنهاء الحرب عن طريق التفاوض على الهدنة.. واستمرت جلسات المفاوضات خلال الشتاء والربيع فى عام ١١٩٢، وتبادل الطرفان المقترحات بشأن من يسيطر على أورشليم والمدن الساحلية ... وكان من ضمن الاقتراحات اقتراح ساذج مرير تقدم به الملك ريتشارد، وهو أن يتزوج صلاح الدين شقيقته جوانا ليحكما أورشليم معًا... وأبقى صلاح الدين الدبلوماسى المهذب محادثات بلباقته ومهارته فى فن الحديث، وبإرسال الهدايا باستمرار لريتشارد. حصانا أسبانيًا ....و....و... وطبيبًا ماهرًا يعالج الملك ـ صفحة ٩٢، ٩١=

وعلى الرغم من نشوب كثير من الحروب فى الماضى بسبب صراعات دينية، إلا أن إنهاء هذه الحروب لم يقصد به أبدا محو أيدلوچياتها الدينية من على وجه الأرض، وهذا يدخل بعدًا روحانيًا على الحرب ضد الإرهاب، وهى حربًا ضد أناس أملهم الموت شهداء. ولا يكون هناك مهادنة أو وقف إطلاق نار معهم، ولايمكننا كسب تلك الحرب بدون إخلاصنا التام للحقيقة، أو بدون الصلوات والنضال لكسب هذه المعركة والفوز بقلوب وعقول الناس، ويجب علينا تدعيم الحق و الاستقامة الأخلاقية، ونبذ مذهب النسبية الأخلاقية، بوصفه أساس القاعدة الأولى للقانون، وأساس علاقاتنا مع الدول الأخرى، وأخبرنا الكتاب المقدس:

«فإن حب المال أصل لكل شر؛ وإذ سعى بعضهم إليه، ضلوا عن الإيمان، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة». «الرسالة الأولى تيموثاوس ٦: ١٠»

ولم يكن هذا القول واضحًا؛ كما هو واضح الآن، وذلك عندما نراقب اليوم كيف يتم مقايضة كثير مما هو خير ومقدس فى أمتنا الأمريكية ببعض المكاسب الاقتصادية، فامتلاك المال شيء محبب لنا، ولكننا بحاجة إلى معرفة أن بركات الله على أمريكا بالحرية والأمن أغلى وأثمن منه.

لا يمكننا كسب الحرب على الإرهاب بأن نقسم على هزيمة الإرهابيين من ناحية، ونهادنهم من ناحية أخرى، لا يمكننا محاربة الإرهابيين على جبهة ما، ومهادنتهم على جبهة أخرى، يجب إدراك أن الجبهة الرئيسية فى الحرب ضد الإرهاب تمر خطوط تماسها وسط قلب مدينة القدس.

وعلى الرغم من وصف الليبراليين فى الولايات المتحدة الأمريكية الكفاح الفلسطينى كثورة سياسية من أجل التحرر من الظلم، إلا أنه لا توجد دولة فى العالم استهدفت، من قبل، قتل المدنيين الأبرياء بغرض الإطاحة بأعدائها. فحرب الإرهابيين هى حرب على الأبرياء والبراءة ـ فلا يهتمون بمن هم ضحاياهم، طالما يتحقق الهدف حتى وإن كان ذلك

=ـ الجزء الأول ومن رعايا صلاح الدين فى مصر والشام أقباط ومسيحيين، أهل كتاب، لم يكشف التاريخ عن أى اضطهاد منه لهم ـ المترجم.

يعنى قتلهم للأطفال الرضع فى عرباتهم الصغيرة. ويجب علينا إدراك حقيقة أن «عرفات» وأتباعه ليسوا مقاتلين من أجل الحرية، وإنما هم «إرهابيون» وإن حرب إسرائيل ضد منظمة التحرير الفلسطينية وحماس والجهاد الإسلامى وغيرها من التنظيمات الأخرى؛ هى حرب على الإرهاب، فكيف يمكننا تجاهل حرب حليفتنا إسرائيل ضد الإرهابيين ـ ونجبرها على مهادنتهم، ثم نتوقع كسب نفس تلك الحرب على العدو المشترك(*)؟

إنه لا يمكننا كسب الحرب على الإرهاب ونحن نسمى «الإرهابيون الفلسطينيون «بالإرهابيون الطيبين»، ونطلق على «إرهابى» «أسامة بن لادن» «الإرهابيون أشرار» فالإرهابيين هم إرهابيون فى كل زمان ومكان، وإذا كنا «نأمل كسب الحرب على الإرهابيين فعلينا معاملتهم جميعًا كمجرمين، ولا نتعامل مع أحدهم كديبلوماسى، فعندما يقتحم شخص ما منزلك ليسرق أو يؤذى أسرتك، فإنك لا تتفاوض معه حول «أى حجرة من منزلك يمكنه أن يعيش فيها»، ولكن يجب عليك حبسه فورًا(**). لا يمكننا بعد الآن إضفاء صفة الشرعية على الإرهابيين باعتبار ذلك أسلوبًا ديبلوماسيًا تفاوضيًا للحصول على تنازلات أكبر من الحكومات ذات السيادة. وكما رأينا، لن تكون هناك مهادنة مع هؤلاء السفاحين حتى نقضى عليهم تمامًا.

وكما ذكرت منذ البداية، حضرت مؤتمر القمة السنوى الأول للقدس ـ وهو محفل دولى يستهدف اقرار السلام فى الشرق الأوسط ـ وذلك خلال الفترة من ١٢ إلى ١٤ أكتوبر ٢٠٠٣، ولى الشرف بأن أكون المتحدث الرئيسى لافتتاح أول أمسية لهذا المؤتمر، وتحدث أيضًا زعماء العالم ورجال الإعلام المشهورين خلال الثلاثة أيام التى استغرقها هذا المؤتمر، والذين كان من بينهم رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق «بنيامين نتنياهو» ونائب رئيس الوزراء «أهود أولمرت» ومدير منتدى الشرق الأوسط «دانيال بايس» ووزير

(*) نقترح على القارئ الذى يريد أن يتحقق ممن هم الإرهابيون، نظريًا وفعليًا، وكيف بدأ الإرهاب فى الشرق الأوسط، أن يقرأ للكاتب الأمريكى اليهودى ناعوم تشومسكى الكتابين الآتيين:
«أوهام الشرق الأوسط»، «إرهاب القراصنة وإرهاب الأباطرة»، وللكاتب الفرنسى روجيه جارورى «الإرهاب الغربى»، والكتب الثلاثةمن منشورات مكتبةالشروق الدولية.

(**) هذا تمامًا ما يريد الفلسطينيون عمله مع اللصوص الإرهابيون الذين اقتحموا منازلهم وأراضيهم، وطردوهم منها ـ المترجم.

السياحة الإسرائيلى «بنى آلون» و«ريتشارد بيرل» ومضيف محطة «فوكس الإخبارية» والصحفى النقابى «جال توماس» والسفير الدكتور «آلون كيز» وكان الموضوع المثير لهذا المؤتمر هو «كسب الحرب على الإرهاب من خلال الصفاء والوضوح الأخلاقى»، مع طبع العبارة التالية المقتبسة من الكتاب المقدس «سفر زكريا ٨: ١٩» على غلاف برنامج المؤتمر» «لهذا أحبوا الحق واالسلام».

وأثناء حديث رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق «بنيامين نتنياهو» أمام المؤتمر قال:

«إن الضمير هو مؤشر أخلاقى، وهو غائب فى بعض المجتمعات، وبالتالى فإنها تدعم الإرهاب، الإرهاب عمل مقصود ومنظم لقتل المدنيين الأبرياء، وإسرائيل تكافح الإرهاب، لكن الأمم المتحدة لا تفرق بين هذين النوعين من العنف، حتى لا يقال إن بعض أعضاء الأمم المتحدة هم مرتكبى جرائم الإرهاب أو الحرب...

لن توقف الأمم المتحدة الإرهاب؛ من يستطيع إيقافه؟ هو تحالف من الدول الحرة تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، يهدف إلى إسقاط الأنظمة التى ترعى الإرهاب، يجب علينا زرع القيم والأخلاقيات فى الحضارات، فالنجاة أو الخلاص لن يأتى من الأمم المتحدة... ويجب على قوات الدفاع الإسرائيلية الاستمرار فى مكافحة الإرهابيين من أجل بقاء إسرائيل، ومن أجل تدعيم العدالة والأخلاق».

وأضاف وزير التعاون الإستراتيجى بين دولتى الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل «أوزى لاندو» تلك الكلمات إلى خطاب «نتنياهو» المذكور عاليه:

«الإرهاب ليس له تبرير... إن إسرائيل هى هدف صغير، لكن أمريكا هى الهدف الأكبر للإرهاب، ولكننا جميعًا على خط المواجهة الواحد، فإذا لم نهزم الإرهاب هنا فى إسرائيل، فإنه سوف ينتقل إلى أمريكا وأوروبا، إن حربنا هى حرب مجتمعات حرة ضد الإرهاب».

وأكد لنا السفير «كيز» قائلًا:

« كان علينا فى أعقاب ١١ سپتمبر إتخاذ موقف واضح؛ لا لبس فيه، بأن الذين يمارسون الإرهاب لاحق لهم فى المطالبة بالمشاركة المشروعة فى كل العمليات الدولية الشرعيه

مهما كانت نوعية الشر الذى يختفى وراءه الإرهاب، و تراثنا من الحق والإيمان يقول «افعل ما شئت من شر، ولكن الله هو الله، وسوف أقف مع الله وأحارب من أجله» وأعتقد بأن هذا هو التراث الأخلاقى الذى يسمو فوق أى صراع ضد الشر. فنحن سوف نحارب الشر لأن هذا ضرورى للعالم، وعلينا كسب هذه الحرب أولًا داخل أنفسنا وأرواحنا؛ لكى نكون فى نهاية اليوم الى جانب الله ـ ليس بوصفنا من هزموا الشر ولكن لاننا أخلصنا لله ودافعنا مرةً أخرى عن الحقيقة القائلة لا يمكنكم تدمير الإيمان الذى يربطنا للابد بالإرادة الحقة لله»[٢].

لا يمكننا كسب الحرب على الإرهاب بدون عزيمة قوية تقودنا نحو هذا الانتصار، أوبدون الإقتناع بتسمية الإرهاب بمسماه الحقيقى «الشر» (فمهما كان الشخص الذى يرعى الإرهاب؛ فإننا نسميه شخصًا شريرًا)، وبدون إرادة كسب المعركة داخل أنفسنا من خلال الصلاة، فلا تكفى البصيرة والفطنه الثاقبة لكسب هذه الحرب، فإننا نحتاج إلى هداية الله، وعندما تضعف عزيمتنا سنبدأ فى التعايش مع مشاهد الأطفال مبتورى الأرجل، ونسمح لهؤلاء الذين بتروا أعضائهم بعملياتهم الإرهابية بأن يفلتوا من الجريمة بدون عقاب، فأنا لا أدعوكم إلى ملء أرواحكم بالكراهية والوضاعة، ولا أعظ بالعنصرية تجاه العرب والمسلمين، إننى أقصد القيم، لانستطيع مخالفة قواعد قوانيننا وتشريعاتنا[*] لمطاردة هؤلاء الإرهابيين، ولكن أيضًا لا يمكننا أن نسمح للإرهابيين القتلة بأن يفلتوا من العقاب، لأسباب سياسية عندما يكون لدينا الأدلة الكافية لإدانتهم. وإننى أتحدث عن الحب الحقيقى ـ حب الله ـ الذى يشمل العدالة وليس الإنتقام؛ فإذا ما أردنا كسبًا شاملًا

(*) قراءات الأصوليين. عن اليهود والمسيحيين للكتاب المقدس، تأخذ حرفيًا الأوامر الصريحة فى التوراة التى جاءت مرارًا وتكرارًا بقتل الأغيار، رجالًا ونساءًو وأطفالًا وشيوخًا، وحتى الحيوانات، فى ارض الميعاد، ومن رؤيا يوحنا يتطلع الأصوليين المسيحيون لحرب، يموت فيها عشرات إن لم يكن مئات الملايين من البشر، ويصل فيه الدم إلى إرتفاع ألجمة الخيل ولمسافة ٣٢٠ كيلومترًا.
[سفر التثنية الإصحاح ٧: ٦-١٤، سفر العدد، الإصحاح ٣١: ١٣-٢٤.
سفر التثنية الإصحاح ٢٠: ١٠- ١٥، رؤيا يوحنا ١٤: ١٩، ٢٠.
سفر التثنية الإصحاح ٢٠: ١٦-١٨، رؤيا يوحنا ١٦: ١٦.
سفر يشوع الإصحاح ٦: ١٦-٢١].

للحرب على الإرهاب علينا كسبها أولًا فى إسرائيل باتخاذ خطوات واضحة ومحددة للوصول إلى تلك الغاية المنشودة، فكثير من الأشياء التى يجب على أمريكا فعلها متاحة لها بالفعل، وإننى أعرض فى النقاط التالية كيف نبدأ فى كسب الحرب على الإرهاب فى إسرائيل، ونرسل رسالة واضحة إلى الإرهابيين بأن عصرهم فى نشر الرعب والقتل قد ولى بلا رجعة:

١- السماح لإسرائيل بإنهاء وإكمال الجدار الأمنى لإنقاذ أرواح كلًا من الفلسطينيين والإسرائيليين:(*)

نشرت وسائل الإعلام تقاريرًا بأن إدارة الرئيس «بوش» طالبت بتوقف حكومة رئيس الوزراء «أريل شارون» عن توسيع المستوطنات، وأن توقف بناء الجدار الأمنى العازل فى الضفة الغربية، وتم تسليم هذه الرسالة المتضمنة المطالب الأمريكية فى اجتماع بـ «روما» عام ٢٠٠٣ بين كبير مستشارى البيت الأبيض فى شئون الشرق الأوسط «إليوت إبرامز» و«أريل شارون»[٣].

استنفذت إسرائيل كل مواردها وإمكانياتها؛ لتوفير الأمن للمواطن الإسرائيلى ولم يتبق أمامها سوى بناء الجدار الأمنى العازل لردع الإرهابيين؛ الذين يتسللون داخل إسرائيل من الضفة الغربية، فقرار بناء الجدار الأمنى العازل الذى أصدرته الحكومة الإسرائيلية ليس بخطة سيئة، فهناك حواجز مماثلة على طول الحدود الإسرائيلية مع لبنان وسوريا والأردن وقطاع غزة، فهل تصدق انه لم يتسلل أى فدائى إرهابى داخل إسرائيل عابرًا تلك الحواجز؟ وليس أمام الإرهابيين سوى التسلل من الأماكن التى لا توجد فيها حواجز أمنية والمشى فى خط خفى للوصول من الضفة الغربية إلى إسرائيل لتنفيذ عملياتهم الإرهابية. استطاع الأمريكيون القبض على «صدام حسين» لأنهم بنوا جدارًا أمنيًّا حول مدينة تكريت ـ مسقط رأسه؛ للسيطرة على المرور منها وإليها، وهذه القيود فى الدخول والخروج ساعدت قواتنا المسلحة فى القبض على «صدام حسين». فالجدار الأمنى مهما كانت محدوديته سيعرقل عبور تلك المنطقة التى من المستحيل

(*) أدانت محكمة العدل الدولية والأمم المتحدة بناء هذا الجدار ـ المترجم.

تسيير دوريات حراسة فيها لوعورة تضاريسها، وسوف ينقذ أرواح الآلاف من المدنيين. ويجب علينا السماح لإسرائيل بفعل ما كنا أنفسنا سنفعله إذا وجدنا أنفسنا فى مكانها.

٢- الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، والتصديق على مشروع الكونجرس؛ بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس:

إن مثل هذا المشروع الذى صدر عام ١٩٩٥م؛ يعكس التشريعات الأخرى التى أصدرها الكونجرس لتأييد إسرائيل، و كان أمام السلطة التنفيذية متسعًا من الوقت لتقديم تنازلات حول الأمن القومى، ولم يتم تنفيذ هذا القرار للآن، و مشروع القرارهذا يدعو الولايات المتحدة للاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وبنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس قبل حلول ١٩٩٩م، ولم يتم اتخاذ أى خطوات عملية لتنفيذه، لأن هذا المشروع قد وضع ضمن التنازلات التي نقدمها بدعوى أمننا القومى، ونورد هنا عددًا قليلًا من البنود الأساسية الواردة فى مشروع قرار إعادة نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب للقدس:

- تحتفظ الولايات المتحدة الأمريكية بسفارتها فى العاصمة لكل بلد باستثناء حالة صديقتنا الديموقراطية وحليفتنا القوية «دولة إسرائيل».
- تعقد الولايات المتحدة الأمريكية اجتماعات رسمية وصفقات تجارية أخرى فى مدينة القدس فى اعتراف ضمنى منها بوضعها كعاصمه لإسرائيل.
- يجب أن تبقى القدس مدينة موحدة تتم فيها حماية حقوق كل جماعة عرقية أو دينية.
- يجب الإعتراف بالقدس عاصمة لدولة إسرائيل.
- يجب نقل سفارة الولايات المتحدة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس فى موعد لايتجاوز ٣١ مايو ١٩٩٩م[٤].

وكما قال السناتور الجمهورى عن «ولاية كنساس» «سام براونباك» عبر الأقمار الصناعية إلى الجمهور الحاضرين فى قمة القدس:

«إن هذا القرار هام، حيث كانت القدس عاصمة للشعب اليهودى لثلاثة آلاف عام

مضت(*)، ولم تكن القدس أبدًا عاصمة لأى شعب آخر سوى اليهود، وعلى الولايات المتحدة تبنى موقف واضح فيما يتعلق بوضع القدس، فلا يمكن لسفارتنا أن تظل بتل أبيب بينما ندعى مساندتنا ودفاعنا عن حق إسرائيل فى الوجود».

إن إحدى أولى الخطوات الإيجابية التى يجب علينا اتخاذها لإظهار تضامننا القوى مع إسرائيل - وفى نفس الوقت نرسل رسالة واضحة للإرهابيين مفادها أن العنف المستمر سوف يضعف فقط من قوتهم التفاوضية - تلك الخطوة هى رفض الاستمرار فى تنازلنا عن أمننا القومى ورفض استمرار التخاذل مع «مشروع نقل السفارة إلى القدس» وأن نعترف بالقدس كعاصمة لإسرائيل، وبالتالى ننقل سفارتنا هناك، فهذا يعطينا حرية حركة فى مفاوضات السلام اللاحقة مع الممثل الشرعى للفلسطينيين - بمجرد ظهور من يمثلهم، واستبعاد موضوع القدس عن تنازلات أمننا القومى سيرسل رسالة واضحة للإرهابيين «إننا لن نسمح بعد الآن باستخدامكم العنف كوسيلة تفاوضية ضاغطة».

٣- أن نصدق على معاهدة مكافحة الإرهاب لعام ١٩٨٧م التى كانت بدورها من بين موضوعات التنازلات عن أمننا القومى، وذلك لسبب واحد، أن هذه المعاهدة تصف منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها جماعة إرهابية، وقبول ذلك سيقوض قدرتنا على التفاوض معها لتنتهى بالفشل، كما حدث مع الرئيس «بوش» (الاب) والرئيس «كلينتون» وهذا يستدعى أيضًا الإغلاق الفورى لمكاتب منظمة التحرير الفلسطينية فى نيويورك هناك حيث تتمتع منظمة التحرير الإرهابية الفلسطينية بوضع المراقب فى الأمم المتحدة».

وفعل الرئيس «بوش» (الابن) كل ما فى استطاعته للمضى قدمًا باتفاقيات «أوسلو» والعمل مع السلطة الفلسطينية بوصفها كيانًا سياسيًّا منفصلًا عن منظمة التحرير

(*) مصدر هذا القول، هو العهد القديم. ولكن حتى العهد القديم لا يقول بتلك الثلاثة آلاف سنة، فدخول داود للقدس كان حوالى القرن الثانى عشر قبل الميلاد، ومنذ ذلك الوقت وحتى هدم الرومان الهيكل سنة سبعين ميلاديًّا، لم يسيطر بنو إسرائيل على القدس إلا مرات تخلف عليها، ولكن يمكن الكلام على ست قرون، قد تزيد أو تنقص، حيث كانوا يدخلوا فى معارك مع الفلسطينيين وغيرهم، ومعارك بين بعضهم البعض، بل يحكى الكتاب المقدس على معارك بين داود وابنه قتل فيه الابن، وهو أحد المنشقين على داود، بالإضافة لنفى بنى إسرائيل عدة قرون خلال تلك المدة، أما الفلسطينيون فقد كانوا هناك قبل دخول داود، ولم يخرجو من فلسطين إلا على أيدى العصابات الإرهابية المناحم بيجن وشارون وغيرهما قبيل حرب ١٩٤٨ وأثنائها - المترجم.

الفلسـطينية؛ اتضحت له الحقيقة أنه يجب عليه التعامل مع السـلطة الفلسـطينية من أجل تجنب أى تعامل منه مع منظمة التحرير الفلسـطينية، وعلى الرغم من أن «ياسـر عرفات» لم يعد رئيسًا لوزراء السلطة الفلسطينية إلا أنهما زال يحتفظ بقيادتها، ورفضت الولايات المتحـدة الأمريكيـة التفاوض مع حكومة طالبـان الداعمة للإرهابيين، فمـا الذى يجبرنا نحن - الأمريكيين - على التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية الراعية للإرهاب أيضًا، وننسى أن « عرفات» مرارًا وتكرارًا كان سبب فشل الجهود التى بذلها قادة العالم الآخرين لدفـع عملية السـلام ونبـذ الإرهاب واضفاء الشـرعية علـى منظمة التحرير الفلسـطينية. واسـتمر «عرفـات» فى عنفه وإرهابه مـع تجاهله لنداءاتهم الدولية لـه بالتوقف لدرجة أن أول رئيس للسـلطة الفلسـطينية غير «ياسـر عرفـات» وهو «محمد عباس» اسـتقال لعدم قدرته على الوفاء بتعهداته الدولية بإنهاء العنف.

إذا انطلقنا وأعلنا أن منظمة التحرير الفلسطينية منظمة إرهابية، واذا إنتزعنا عنهم للأبد صفتهم كممثلين شرعيين للتفاوض بالنيابة عن الفلسطينيين، فإن ذلك أولًا وقبل كل شيء: سوف يرسل رسالة واضحة بأن الإرهاب لن يجدى نفعًا، وثانيًا: سوف يمهد الطريق لظهور جماعة شرعية حقيقية ممثلة للفلسطينيين من خلال الانتخابات البلدية والمجالس القروية، كما خططت أولًا إسرائيل والأردن لذلك فى أواخر الثمانينيات من القرن العشرين، وستكون هذه بمثابة حركة إيجابية كبيرة نحو السلام فى المنطقة، فلا يمكن أن ينعم الشعب الفلسطينى والإسرائيلى أبدًا بالسلام، طالما تتحكم فى أقدارهم وقراراتهم منظمة إرهابية. والخطوة التالية لذلك هى إدراج منظمة التحرير الفلسطينية مرة أخرى ضمن قائمة المنظمات الإرهابية؛ يجب علينا السعى وراء تصفيتها بنفس الطريقة التى نحاول بها تصفية تنظيم القاعدة؛ فيجب علينا تجميد بلايين الدولارات من أصولها وأرصدتها، وأن نعتقل أو على الأقل نسمح لإسرائيل باعتقال زعمائها، فتلك الإجراءات هى خطوتنا القادمة اليسيرة التى نتخذها لكسب حربنا على الإرهاب، ومحاكمة الإرهابيين على جرائمهم، وحينئذٍ يمكننا الإفراج عن مليارات الدولارات التى جمعها «عرفات» لتدعيم خططه الإرهابية ولنستخدمها بدلًا من ذلك فى بناء المدارس وتطوير الإقتصاد والديموقراطية الفلسطينية، وهو مالم يفعله «عرفات» وأتباعه أبدًا منذ تسلموا سلطات الإختصاص.

٤- مطالبة الدول العربية بإنهاء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين باستيعابها للاجئين داخل مجتمعاتهم(*) مثلما فعلت إسرائيل وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية والأردن وبعض البلاد الأخرى فى مثل هذا الشأن.

إن معسكرات اللاجئين الفلسطينيين هى أقدم أنواع المعسكرات عرفها العالم على الإطلاق وأطولها عمرًا، وهى المعسكرات الوحيدة التى اعتبر فيها على الدوام الأطفال والأحفاد الذين أنجبهم الآباء والأجداد لاجئين، وكانت الأردن هى الدولة العربية الوحيدة التى أبدت إستعدادها لإعطاء الهوية الأردنيه للاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون داخل حدودها، ولم تفعل لبنان ولا سوريا ولا أى دولة عربية أخرى كالأردن. ولم تسمح تلك الدول لهم بترك هذه المعسكرات، وإعادة التوطين فى أى مكان آخر فى العالم العربى، وهذه المعسكرات تحتفظ بهؤلاء اللاجئين مكدسين داخلها ومسجونين بأيدى إخوانهم العرب مع إلقاء اللوم تمامًا على إسرائيل(**)، وعلى الحرب التى كسبتها فى عام ١٩٤٨م، وبعد ثلاثة أجيال مازال العرب يستخدمون اللاجئين الفلسطينيين كقطع شطرنج فى لعبة تجريم إسرائيل(٥)، كما عبر عن ذلك وزير السياحة الإسرائيلى «بن آلون» قائلًا:

«يجب علينا أن نكون واضحين، وحينئذٍ فقط يمكننا أن نطلب المساعدة، علينا اقتلاع الإرهابيين من جذورهم، وتحقيق النصر عليهم، وأناشد القواعد الشعبية للجماهير المسيحية فى أمريكا بوضع تلك الأفكار موضع التنفيذ... يجب علينا تحويل المساعدات الخارجية الأمريكية لتمويل إعادة توطين اللاجئين، فمشكلة اللاجئين هى مشكلتنا الأولى لأن معسكرات اللاجئين وكرًا لتفريخ الإرهابيين وتصديره إلينا».

فى ضوء العنف والإرهاب الذى يشبون عليه، فإن تلك المعسكرات تشكل مشكلة خطيرة لإسرائيل، ولكن لايمكن إعتبار إسرائيل وحدها هى المسئولة عن خلق تلك

(*) بمثل هذه البساطة، يضرب المؤلف عرض الحائط بحقوق الفلسطينيين العودة لبلادهم، وهذا حق أساس من حقوق الإنسان التى تقول الحكومة الأمريكية أنها تروج بها، وهو بهذا يضرب بعرض الحائط قرارات الأمم المتحدة القاضية بعودة اللاجئين إلى وطنهم، وهو بهذا يضرب بعرض الحائط الشرعية الدولية، فى مقابل تمسكه بقراءة أصولية حرفية انتقائية للكتاب المقدس ـ المترجم.

(**) تلك البلاد تستضيف الفلسطينيين لحين عودتهم إلى وطنهم الأصلى، وهم بالطبع أحرار فى مغادرتها إلى مكان فى العالم، وكثير منهم فعل، ويفعل ذلك ولكن لم يتخل عن حقه ولا أمل فى العودة لوطنه ـ المترجم

المعسكرات، وتحت العين الحارسة للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية زاد عدد هؤلاء اللاجئين الفلسطينيين من سبعمائة ألف إلى أكثر من أربعة ملايين لاجىء، وإذا كانت الغالبية العظمى منهم محرومة من أى خدمات، أو أمل لهم فى منزل أو وطن، فلا عجب أنهم يصبحون قنابل بشرية موقوتة.

كثير من دول العالم الأخرى تعاملت بإيجابية مع اللاجئين الذين لم يكن لهم حتى أدنى مسئولية عن تشريدهم، ولكن الدول العربية رفضت استيعاب هؤلاء اللاجئين الذين تطلق عليهم «أخوة»، والذين أصبحوا لاجئين ليس بسبب أن إسرائيل طردتهم، وإنما لأن الدول العربية التى تحارب إسرائيل أخبرت هؤلاء اللاجئين «أخرجوا من إسرائيل لكى يمكننا نحن دخولها»[٦](*).

وبعد موافقة الدول العربية على وقف إطلاق النار مع إسرائيل عام ١٩٤٩م، أجبرت تسعمائة ألف يهودى على ترك أراضيهم وطردتهم، فقامت إسرائيل باستيعابهم جميعًا، فى نفس الوقت الذى كان يتدفق عليها موجات نزوح جماعية من اليهود المبعدين من أوروبا، واستوعبت الولايات المتحدة الأمريكية اللاجئين من ڤيتنام وكوبا، وحتى من الحرب الإيرانية العراقية إلى الحد الذى وصل فيه أعداد هؤلاء اللاجئين الى ٥ , ٥ مليون عربى يحملون الجنسية الأمريكية اليوم ـ وهو عدد يماثل نفس عدد اليهود فى أمريكا ـ ولقد استوعبت بلا ضجة وبصعوبات كبيرة ألمانيا الغربية إخوانهم الألمان الشرقيين الفقراء، فلم تجد أمامها أى إختيار آخر سوى مساعدة من كانوا سابقًا مواطنيها، وتحتاج الدول العربية تحتاج إلى فعل نفس الشىء مع اللاجئين الفلسطينيين وحينئذٍ فإن القضية المتعلقة «بحق العودة» سوف تتلاشى من المفاوضات النهائية لإقامة الدولة الفلسطينية فتصبح المشكلة أبسط مما يكون(**).

(*) ما فعلته العصابات الإرهابية فى الفلسطين قبل حرب ١٩٤٨م وأثنائها وبعدها مسجل وموثوق، ويكفى الاطلاع على كتابى تشومسكى المذكورين سابقًا:
«أوهام الشرق الأوسط»، «إرهاب القراصنة وإرهاب الأباطرة» ـ المترجم.

(**) كل هذه المقارنات غير منضبطة، والفلسطينيون يريدون وطنهم ولا يريدون عنه بديلًا، وقد يكون الأقرب للحق والمنطق أن يعود الأمريكيون اليهود إلى أمريكا، والأوروبيون اليهود إلى أوروبا، والعرب اليهود إلى بلادهم العربية ـ المترجم.

وكما قال «جمال عبد الناصر»: «إن عودة اللاجئين سوف تعنى نهاية إسرائيل»[7](*) فيجب على العرب أن يسقطوا هذا الكارت من اللعبة ليفعلوا شيئًا إنسانيًا لمساعدة إخوانهم العرب، ويجب عليهم تفكيك تلك المراكز الخاصة للإرهابيين وإعطاء هؤلاء اللاجئين منازل حقيقية.

٥- إن الأرض مقابل السلام ليس هو الاختيار المتاح حاليًا، بروز الممثلين الشرعيين حتى يظهر الممثلون الشرعيون الحقيقيون للشعب الفلسطينى من بين القرى الفلسطينية.

إن الجماهير الفلسطينية الحالية هم أناس مغسولة ومبرمجة عقولهم، وهؤلاء هم الذين رقصوا فى الشوارع عندما سمعوا أخبار هجمات ١١ سبتمبر، والذى من المحتمل أن يكونوا سعداء إذا ما انتخبوا « ياسر عرفات» أو «أسامة بن لادن» بوصفه رئيسًا لدولتهم إذا ما كانت هناك انتخابات ديموقراطية، وهؤلاء هم الذين ربوا أبنائهم وأطفالهم ليكونوا (منفذى عمليات تفجيرية انتحارية) وألبسوا صغارهم ملابس مقاتلى حرب العصابات والفدائيين ويلوحون بأيديهم بالأسلحة الأوتوماتيكية، ويجعلون بناتهم يغمرون أيديهم فى الماء الذى يمثل دماء الإسرائيليين[8]، و يحتفلون ويفرحون برؤية جثث الموتى من الإسرائيليين فى المستشفيات نتيجة للهجمات فى الوقت الذى يعالج الأطباء اليهود مصابى العرب فى نفس الهجمات، والذين يرقدون فى نفس المستشفى(**).

وعلينا القضاء على معاداة السامية فى المقاطعات الفلسطينية؛ وحتى يمكن ظهور

(*) لم تكن إسرائيل وفلسطين فى أولويات سياسة عبد لناصر ولكن إسرائيل بادرت بالهجوم على الحدود المصرية، ثم أرسلت الإرهابيين للعمل داخل مصر [كان اسمهم الإعلامى فى ذلك الوقت «المخربين»] ولنسف بعض المصالح الأمريكية لإفساد العلاقات بين مصر والولايات المتحدة [فضيحة لافون] ثم شاركت إسرائيل إنجلترا وفرنسا فى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ـ المترجم.

(**) أدعوا القارئ لقراءة كتاب «الأصولية اليهودية فى إسرائيل» من تأليف إسرائيل شاحاك ونورتون ميزفنيسكى، والدكتور... والأول إسرائيلى يهودى، ليعرف عن علاج الأطباء اليهود للعرب، وبالذات الدكتور «باروخ جولد شتاين» الذى قتل عشرات المصلين فى الفجر فى الحرم الإبراهيمى، وكرمته الحكومة والشعب الإسرائيلى أصبح قديسًا له مزار بين القدسين وكيف كان يرفض علاج العرب والدروز المجندين فى الجيش الإسرائيلى، ويعرف أيضا ماذا قال ويقول حاخامات اليهود عن العرب والمسلمين، وماذا تساوى أرواحهم والفرق بينهم وبين الحيوانات ـ المترجم.

قيادة فلسطينية شرعية غير إرهابية وغير مبرمجة لعقول الفلسطينيين، فإنه لا يوجد أحد يمكن لإسرائيل التفاوض معه من الفلسطينيين وإن التدخل مطلوب لتطوير مثل هذه القيادة الجديدة وللقضاء على تيار نشر الكراهية لإسرائيل داخل المناطق التى يسيطر عليها الفلسطينيون.

وهذا ليس دورًا من المحتمل أن تلعبه إسرائيل أو حتى الولايات المتحدة الأمريكية وحدهما، وبدلًا من ذلك يجب أن تقوم به كلًا منهما بالتعاون مع شريك عربى مثل الأردن - كالخطة التى كانت تنفذها كلا من إسرائيل والأردن فى أواخر الثمانينيات.

٦- إننا نحتاج إلى محاربة العنصرية والمعاداة للسامية بنفس الحماس الذى حاربنا به أشكال العنصرية الأخرى فى أمريكا ـ مثل العنصرية ضد الزنوج(*).

إننا نحتاج إلى إخماد وإسكات معاداة الصهيونية ومعاداة السامية بوصفهما تجسيدًا للعنصرية، وهذه الكراهية الكامنة وراءهما هى الوقود الذى يشعل نيران الحقد، وينشر الإرهاب بين منفذى العمليات التفجيرية، ولا يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تدعم الدول التى تنشر وسائل إعلامها دعايات معادية للسامية أو توافق على نشرها لكتب الأدب المعادية للسامية، ولا يجب على الولايات المتحدة الأمريكية تزويد تلك الدول بالأسلحة.

إن الحرب على الإرهاب هى معركة من أجل تغيير القلوب والعقول، وإن الله وحده هو القادر على الوصول إلى قلب الإنسان منا ليغير ما بداخله، وبينما يكون اتخاذ مثل هذه الخطوات المذكورة عاليه بمثابة خطوة سياسية للأمام للعودة إلى الحقيقة بوصفها المبدأ المسيطر والحاكم فى الولايات المتحدة الأمريكية؛ لا يمكن اتخاذ مثل هذه الخطوات بدون عودة أمريكا إلى الله، وعلى الرغم أن أمتنا الأمريكية لا تزال ملوثة بمذهب النسبية الأخلاقية، معتقدة بأن المال والتعليم أو حتى الجاذبية قد يكفينا، فلا غنى عن عودتنا إلى الله.

(*) لو أنصف المؤلف لقال محاربة معاداة العرب والمسلمين ـ المترجم.

أخبر يسوع حواريه عن المهمة العظيمة «ولكن حينما يحل الروح القدس عليكم تناولون القوة، وتكونون فى شهورًا فى أورشليم واليهودية كلها، وفى السامرة، وإلى أقاصى الأرض» أعمال الرسل - ١ : ٨[٩] فهل أصبحت هذه المهمة العظيمة هى غفوة عظيمة - فلم يعد «حب المسيح» يدرس ويعلم فى أراضى يهودا، أراضى الضفة الغربية كما كان الله يأمل - فإذا ما أردنا عكس الكراهية التى تغذى الإرهاب الفلسطينى، فإننا نحتاج إلى العودة إلى التعاليم الأولى للـه من خلال الكنيسـة.

هل أمريكا تتجه نحو يقظة ونهضة عظيمة؟ أم آن الأوان لنكتشف بأن ثقتنا فى موقعنا القيادى فى العالم قد اهتزت، وأن هناك من سيحل محلنا؟. وأوضحت لنا النبوءة أيضًا بأننا نتجه حاليًّا نحو حدث نهائى بالمقارنة معه سيبدو تأثير ١١ سبتمبر أمامه قزمًا بمئات المرات - هل سوف يكون هذا الحدث هو نهاية أم خلاص أمتنا؟ ولكى نجيب على هذا السؤال يجب علينا أولًا فهم ماكان يمثل القضية الأخلاقية العظمى للقرن العشرين، ويعد بأنه سوف يكون أكثر أهمية فى القرن الواحد والعشرين.

الفصل الرابع عشر

المعاداة الجديدة للسامية

«إننى اليوم بدفاعى عن نفسى ضد اليهود، فى اعتقادى أننى أتصرف وفقًا لإرادة الله الخالق العظيم، وأننى أحاربهم من أجل إرادة الله وعمله»

هتلر فى كتابه «كفاحى»

كما يعلمنا تاريخنا الحديث، فإن ما يبدأ تهديدًا لليهود سرعان ما يتحول إلى تهديد للعالم كله، وهذا التهديد هو بمثابة خطوة قصيرة تفصل بين الطعن بسكين فى القدس، وتفجير مركز التجارة العالمى بنيويورك.

«إسحاق رابين» فى مذكراته لعام ١٩٧٩م
أعيدت طباعتها عام ١٩٩٤م

«فقال الرب ماذا فعلت؟ إن صوت دم أخيك يصرخ إلىّ من الأرض».

«سفر التكوين ٤: ١٠»

منذ البداية رأى كثير من المشرعين؛ الذين اشتركوا فى صياغة الدستور الامريكى أن الأمل الذى تبشر به الكلمات الوردية بحياة مشرقة للأمريكيين، إنما يحمل أيضًا فى طياته صورة سوداء قاتمة وذلك قبل أن يجف مداد الحبر المستخدم فى كتابة الدستور، وكانت تلك القضية الشائكة موضع جدال ومناقشة محمومة خلال جميع مراحل صياغة هذا الدستور؛ لدرجة أنها هددت فى بعض المراحل بتمزيق أوصال أمريكا البلد الفتية حتى قبل أن تستجمع قوتها وتلم شملها، ولكن بدلًا من تفكيك أوصال الاتحاد الأمريكى الجديد إلى مستعمرات، تشجع بريطانيا على العودة للسيطرة عليها بسهولة الواحدة تلو الأخرى، توصلت الوفود إلى حلول وسط تجسدت فى «المادة الثالثة والخمسين من الدستور». وإن تلك السحابة السوداء القاتمة التى رآها أجدادنا الأوائل هى قضية العبودية، والتى كانت وليدة الكراهية والعنصرية، تلك القضية يمكن أن تكون لها مضاعفات خطيرة وأبدية، وصفها لنا «توماس جيفرسون» بالكلمات التالية:

«العلاقة بين السيد والعبد، هى ممارسة دائمة لإشباع أقصى الغرائز الحيوانية وحشيّة على الإطلاق، فهى للسيد تمثل أقصى درجات الإستبداد والقسوة، وبالنسبة للعبد تمثل أقصى درجات الخضوع والمذلة، يشاهد أطفالنا ذلك، ويتعلمون كيف يقلدونه من الكبار، فالإنسان ماهو إلا حيوان مقلد، فصفة التقليد هى أصل كل تعليم، فالإنسان يتعلم من المهد إلى اللحد بأن يقلد ما يفعله الآخرون أمامه، فالأب يثور ثورة عارمة وينظر إليه الطفل ويرى تطاير شرارة الغضب فى عينيه ويقلده أيضًا، وهو يعامل العبيد بمعاملة والده لهم بعد أن يطلق العنان لأسوأ غرائزه، وهكذا يترعرع الطفل ويتعلم وينشأ على الممارسة اليومية للطغيان».

هل يمكننا الإعتقاد بأن حريات أمتنا آمنة عندما نهدم أساس الإعتقاد الراسخ الذى بنيت عليه حرياتنا، وهو أن «الحريات هى هبة من عند الله؟» وهل يمكننا انتهاك تلك

الحريات بدون أن يثير ذلك غضب الله؟ إننى أرتعد خوفًا على بلدى عندما أفكر مليًا بأن الله عادل، ولا يمكن لعدالته أن تنام وتغفو للأبد. وعندما أتأمل أعداد الناس الغفيرة، والإمكانيات الطبيعية الهائلة لأمريكا ودورة عجلة الحظ، وأن تغير الحال هو أمر محتمل من قوى خارقة للطبيعة، والله بعظمته ليس من صفاته أن يقف بجانبنا فى ظل مثل هذا النظام للعبودية»[1].

لقد شعر «جيفرسون» بوضوح بعنصرية أمريكا المتعارضة مع مبادىء المسيحية التى تأسست عليها أمتنا، وبأنه يمكن لتلك العنصرية أن تدمر أمتنا، والأسوأ من ذلك دمارها بأيدى الله الخالق العادل. كذلك أدرج «إبراهام لينكولن» أثناء الحرب الأهلية الأمريكية هذا الفكر فى خطاب إفتتاحى لفترة رئاسته الثانية عام ١٨٦٥م قائلًا:

«سنفترض أن نظام العبودية الأمريكية هو أحد المساوىء البغيضة التى كان مقدرًا لها أن تحدث بمشيئة الله وتوفيقه، فإن الله يطالبنا الآن بالتخلص منها، وآية ما ينزله الله على الشمال والجنوب من مصيبة الحرب الأهلية فبسبب خطيئة أولئك الذين اقترفوا جريمة العبودية.

فهل ندرك فى هذه الحرب أننا قد ابتعدنا عن تلك الخصائص الإلهية التى دائمًا ما ينسبها المؤمنون لله الحى العادل؟ ونحن نأمل ـ ونصلى بخشوع ـ بأن تنتهى مصيبة تلك الحرب الأهلية بسرعة، فإن كانت إرادة الله أن تستمر؛ فسوف تقضى على كل الثروات المكدسة من عمل العبيد وكفاحهم على مدار مائتين وخمسين عامًا، وسيكون ثمن كل نقطة دم سكبت بكرباج العبودية هو دماء تهدر بسبب الحرب الأهلية، وكما قيل منذ ثلاثة آلاف عام مضت، وما زال يقال للآن «إن حكم الله حق وعادل» وبلا أى حقد أو ضغينة نحو أى شخص، وبالبر والإحسان نحو الجميع، وبثبات الحق بالصورة التى يجعلنا الله نرى الحق من خلالها. دعونا نجاهد للتخلص من العبودية التى اقترفناها بأيدينا لكى نضمد جراح الأمة، وأن نعتنى بذلك الجندى، الذى عانى ويلات المعركة وبأرملته وبأطفاله اليتامى؛ لكى نفعل كل مافى وسعنا لتحقيق سلام عادل ودائم بيننا، وبين كل الشعوب الأخرى[2].

ولكن العنصرية تركت آثارها عالقة بحركة الحقوق المدنية فيالستينات من القرن العشرين، ولا زالت آثارها عالقة بأمريكا اليوم، وأن كانت قد تراجعت وتوارت بشكل ما فى الظلال.

إنه إذا ما رفع الله درع الحماية عن أمتنا المسيحية فى الستينيات، من القرن التاسع عشر إلى الحد الذى أدى إلى وقوعها فى شراك الحرب الأهلية، فما الذى نتوقع حدوثه لنا إذا ما تسامحنا فى عنصرية «المعاداة للسامية» التى تظهر اليوم فى عالمنا، تمامًا مثلما ظهرت من قبل فى ألمانيا فى العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين؟.

لقد كان التسامح مع الفاشية الأوروبية شائعًا فى الدوائر السياسية فى العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، فاحتفظ أبرز رجال الأعمال الأمريكيين بعلاقات مالية مزدهرة مع الرايخ الثالث لهتلر، ومن بينهم «آلان» و« جون فوستر دالاس» الجمهوريون، وكان الإخوة «دالاس» يمثلون المعسكر الأمريكى المعادى للسامية السائد فى الطبقة العليا للمجتمع الأمريكى فى ذلك الوقت.

وكانت ارتباطات «جون فوستر» و«آلن دالاس» بألمانيا مابين الحربين العالميتين الأولى والثانية، قد ساعدت على تمويل الحزب النازى، وأعطت علاقاتهما بشركات البترول القوة والنفوذ للمملكة العربية السعودية، التى كانت تصارع على انتزاع حقوق بترول الشرق الأوسط من البريطانيين، لكى تعطيها للشركات الأمريكية، وازدهرت أطماعهما وطموحاتهما السياسية فى عهد الرئيس «أيزنهاور» لأن أحد الإخوة أصبح وزيرًا للخارجية، والثانى مديرًا للمخابرات المركزية، وسمى المطار الدولى بمدينة واشنطن باسم دالاس تمجيدًا وتخليدًا لذكرى (جون فوستر دالاس)، الذى أصبح وزيرًا للخارجية، بسبب موقفه القوى والمعارض للشيوعية، وذلك على الرغم من صلاته هو وأخيه، وتدعيمهما للنازية طوال الحرب العالمية الثانية. ووصف لنا هذا الموقف رئيس المحكمة العليا الأمريكية (أرثور جولدبرج) الذى خدم فى المخابرات الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية بقوله: «كان الإخوة «دالاس» خونة لأنهما ساعدا أعداء الولايات المتحدة الأمريكية قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها»[٣].

لقد اعتبر « جون فوستر دالاس» العدوان الهتلرى رد فعل ألمانى مشروع على شروط السلام المجحفة لألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، وكتب المؤرخ «روبرت أ هرز شتاين» بأن «دالاس» اعتقد أن قوى المحور كانت تحاول إقامة توازن حرج فى العلاقات الدولية، ويبدو أن هجمات «هتلر» ضد اليهود ورغبته المتزايدة للتوسع الإقليمى لم يحرك الإخوة «دالاس»(٤).

لقد بنى «الإخوة دالاس» علاقات استثمارية رائعة بين عملائهما الأمريكيين والشركات الألمانية الكبرى مثل (آى جى فاربن)، وهى داعمة رئيسية للرايخ الثالث(٥). وخلال العشرينيات من القرن العشرين. كانت إحدى حيل هتلر، هى مهاجمة المؤسسات الصناعية بألمانيا واعتبارها جزءًا من مؤامرة يهودية دولية لتدمير البلاد، وكانت إحدى عملاء (الإخوة دالاس) هى شركة (آى جى فاربن) التى تعتبر واحدة من أكبر الشركات الكيميائية فى العالم، وهى على رأس قائمة الأهداف التى سيهاجمها هتلر، وهدد «هتلر» فى مرحلة ما بتصفية هذه الشركة، وفى عام ١٩٣٩م عندما احتاج «هتلر» إلى مزيد من الأصوات لاعتلاء سلم السلطة، عقد إجتماعًا مع «جورنج» وعددًا من رجال الصناعة الألمان، وكان الغرض من الاجتماع هو إقناع «هتلر» بأن يوقف هجماته الإعلامية ضد المؤسسات الصناعية الألمانية، وخاصة شركة (آى جى فاربن)، وتم التوصل أخيرًا إلى صفقة، منح بمقتضاها رجال الصناعة ثلاثة ملايين مارك ألمانى للحزب النازى مقابل توقف «هتلر» عن مهاجمة الشركة. وبالطبع تضمنت الصفقة طردًا نهائيًّا لجميع اليهود من ألمانيا.

وفى عام ١٩٣٤م أعد (فوستر دالاس) مسودة إتفاق بين شركة (ستاندرد أويل ـ نيو جيرسى) وشركة (آى جى فاربن) لتزويد آلة الحرب النازية بالبترول المكرر، براءات الإختراع صنعت شركة «فاربن» منتجاتها الصناعية باستخدام عمال من العبيد الذين تم جلبهم من معسكرات الموت المشهورة بـ«أوشفيتز»، وهكذا... أثناء اشتراك (جون فوستر دالاس) فى مجلس إدارة شركة (آى جى فاربن) أسهمت تلك الشركة فى تدعيم سياسات الحكومة الألمانية النازية، فى الإبادة الجماعية عن طريق تسخير العمال العبيد للعمل حتى الموت لزيادة أرباحها.

ونذكر هنا أحد الأحاديث السيئة السمعة لـ«جون فوستر دالاس»: **«أدرك تمامًا أن هناك شبه استحالة فى تنفيذ سياسة خارجية أمريكية فى الشرق الأوسط إذا ما رفض اليهود ذلك، ولقد تعلم وزير الخارجية السابق «چورچ مارشال» ووزير الدفاع السابق «جيمس فورسترال» تلك الحقيقة... يتحكم اليهود فى وسائل الإعلام، واستطاعوا إقامة علاقات قوية مع أعضاء الكونجرس الأمريكى... وإنا منزعج جدًّا من سيطرة النفوذ اليهودى على مسرح الأحداث، واستحالة قيام الكونجرس الأمريكى بأى عمل إلا بموافقة يهودية، وأن السفارة الإسرائيلية بصفة خاصة تملى على الكونجرس أوامرها من خلال أصحاب النفوذ من اليهود فى أمريكا»**(٦).

مات «جون فوستر» عام ١٩٥٩م وأخيرًا أجبر «الرئيس كنيدى» أخيه «آلان» على الاستقالة من منصبه كمدير لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وذلك بسبب أزمة «خليج الخنازير»، ولكن الرئيس «جونسون» عينه لاحقًا كعضو فى اللجنة الرئاسية التى قامت بعمل تحريات حول اغتيال «كينيدى».

لقد انتقلت عدوى كراهية اليهود فى ألمانيا ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية إلى الدول العربية اليوم. وفى الحقيقة وكما شاهدنا من تجربة «هرتزل» فى فرنسا، لم تكن ألمانيا هى الدولة الأوروبية الوحيدة الكارهة لليهود، وبينما دفنت المعاداة للسامية تحت «الشعور بالذنب» تجاه ما حدث من إبادة جماعية على أيدى «هتلر»، إلا أنها لم تمت تمامًا، و بعد سبعين عامًا تقريبًا من الإبادة الجماعية النازية، بدأت هذه المعاداة للسامية فى الظهور من جديد، ولكن اليوم تجمعت الكراهية لليهود لتنصب على دولة إسرائيل حيث يُنظر إليها بوصفها ممثلة لليهود فى جميع أنحاء العالم، وتختبئ كراهية اليهود الآن تحت واجهة السياسات المناهضة والمعادية لإسرائيل.

لقد انتشرت هذه الروح المعادية للصهيونية على أيدى المتطرفين المتعصبين دينيًّا عبر منظور أيدلوجى سياسى، وذلك من أقصى اليسار المتطرف إلى أقصى اليمين المتطرف، وأن التعليقات الحديثة لرئيس الوزراء الماليزى «محاضير محمد» فى قمة مؤتمر منظمة الدول الإسلامية فى أكتوبر عام ٢٠٠٣م عبرت عن هذا التطرف ضد الصهيونية واليهود

حيث يقول فيها: «إننى لن أسرد هنا الأمثلة التى تدل على إذلال وظلم اليهود لنا، ولن أدين مرة أخرى هؤلاء الذين أذلونا وظلمونا، سيكون هنا أمر عقيم، لأنهم لن يغيروا من اتجاهاتهم لمجرد أننا ندينهم بالكلام فقط؛ فإذا ما أردنا إستعادة كرامتنا وكرامة ديننا الإسلامى؛ فعلينا نحن اتخاذ القرار والتنفيذ.

إننا نحن المسلمين بالفعل أقوياء جدًّا، فلا يمكن ببساطة التخلص من ١,٣ مليار مسلم، فالأوروپيون قتلوا ستة ملايين يهودى من إجمالى اثنى عشر مليونًا، لكن اليهود اليوم هم الذين يحكمون العالم بالوكالة، وعوضوا خسارتهم البشرية بآخرين؛ ليقاتلوا وليموتوا من أجل قضيتهم»(٧).

إن رئيس الوزراء الماليزى «محاضير محمد» هو زعيم قومى محترم، حول خلال فترة الاثنين والعشرون عامًا من توليه السلطة فى بلده إلى القوة الاقتصادية والتجارية السابعة عشرة فى الترتيب العالمى، وكان محاضير مضيف المؤتمر، ولكن تعليقاته لم تتوقف عند هذا الحد، فلقد استمر فى تصريحاته القائلة بأن اليهود هم الذين اخترعوا المذاهب الاشتراكية والشيوعية، و«حقوق الإنسان والديموقراطية» وذلك من أجل تجنب الإضطهاد، والسيطرة على أكثر الدول قوة فى العالم.

وبينما قالت مستشارة الأمن القومى «كوندوليزا رايس» معلقة على تصريحات «محاضير محمد» «إننى أعتقد بأنها غير معبرة عن آراء العالم الإسلامى» ومع ذلك لم تتفق وفود أكثر من سبع وخمسين دولة ـ كان «محاضير محمد» يتحدث إليهم ـ مع «كونداليزا رايس» فى الرأى حيث وقفت هذه الوفود بعد إنتهاء «محاضير محمد» من خطبته لتصفق تصفيقًا حارًا، وتطلق صيحات المديح والموافقة.

ذكرت الصحف فى جميع أنحاء العالم ظهور معاداة السامية بصورة علنية وتزايد الشعور بها، هذا يمثله خير تمثيل رجال أمثال رئيس الوزراء الماليزى «محاضير محمد»، و لا تختلف تلك التصريحات التى أطلقها «محاضير محمد» عام ٢٠٠٣ م عن التصريحات التى عبر عنها وزير الإعلام الألمانى فى عهد هتلر عام ١٩٣٧ م حيث يقول الوزير الألمانى:

«من هم هؤلاء المسئولين عن هذه الكارثة؟ إننا نريد بلا خوف أن نشير بأصابع الإتهام إلى اليهود؛ لأنهم هم المثيرون للمشاكل، وهم المؤلفون والمستفيدون من هذه الكارثة، فاليهود هم أعداء العالم ومدمرى الثقافات، وهم المتطفلين على الدول الأخرى، وهم أبناء الفوضى، وهم من يجسدون الشر وهم خميرة فساد، وهم التجسيد المرئى للشيطان لفناء البشرية»[٨].

ولقد عقد «جوبلز» فى أوائل عام ١٩٣٧م إجتماعًا حول شئون الكنيسة، عبر فيه «هتلر» بحرية عن رؤيته التاريخية للعالم. دعنا نرى ماكتبه «جوبلز» فى مذكراته اليومية فلقد كتب ملاحظًا:

«لقد فسر «هتلر» وجهة نظره حول المسيحية والمسيح؛ فالمسيح كان يريد الوقوف ضد الهيمنة اليهودية على العالم، ولذلك صلبه اليهود»[٩].

إن المذهب العام الشائع باتهام اليهود بمسئوليتهم عن كل مساوئ العالم وشروره تقريبًا، إنما هو مذهب يعاود الظهور على السطح من جديد فى عالم اليوم، مستخدمًا نفس اللغة، فى القاعات الحكومية، وفى الأكاديميات العلمية ووسائل الإعلام الأوروبية مع انتشار عالمى واسع عبر الإنترنت، وبالطبع إذا ما كانت كل تلك المساوئ والشرور التى يعانى منها العالم، هى بسبب اليهود فإن الخطوة المنطقية القادمة هى البدء بطردهم من مواقع السلطة، وإنتزاع ما يملكونه ومقاطعتهم اقتصاديًا ـ وتلك هى أول الخطوات التى اتخذها «هتلر» عام ١٩٣٣م. وإلى أى مدى يبتعد عالم اليوم ـ وبصفة خاصة تلك الدول العربية التى لن تسمح لإسرائيل بالعيش فى سلام داخل حدودها الآمنة ـ عن كتاب « هتلر» المقدس والداعى إلى «معاداة السامية المسئولة عن الخطايا البشرية» وكما عبر عن ذلك عام ١٩٢٢م قائلًا:

«إن مهمتى الأولى والأهم ستكون إبادة اليهود... حتى يتم تطهير ألمانيا كلها منهم»[١٠].

وتمامًا مثلما سعت «معاداة السامية» التقليدية القديمة أيام «هتلر» إلى إنكار وحرمان اليهود من حقوقهم كأفراد فى المجتمع، فإن معاداة الصهيونية اليوم تهاجم الشعب اليهودى فى دولة إسرائيل، وتمامًا مثلما تم استغلال اليهود بوصفهم كبش فداء لمشكلات الدول

المضيفة، فإن إسرائيل وحدها تُصنف اليوم بوصفها سبب كل شرور العالم ـ وهذا هو ما حدث بوضوح فى المؤتمر الدولى للأمم المتحدة ضد «العنصرية» «بدوربان» بجنوب إفريقيا فى أغسطس عام ٢٠٠١م، فلقد بدت الوفود مقتنعة إلى أقصى حد بأن «العنصرية» ستكون من مخلفات الماضى، إذا كان فى الإمكان إبادة دولة إسرائيل ـ وأحدث مثال حى على ذلك فى عصرنا الحديث، هو مشروع قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نوفمبر عام ٢٠٠٣م، الذى تقدمت به إسرائيل للمطالبة بحماية الأطفال الإسرائيليين من الهجمات الإرهابية الفلسطينية، وهو أول طلب تقدمه إسرائيل إلى الأمم المتحدة منذ عام ١٩٧٦م، والذى تم رفضه من قبل اللجنة الثقافية والإجتماعية والإنسانية للجمعية العامة حتى على الرغم من تمرير قرار مشابه له ولكن لحماية الأطفال الفلسطينيين قبلها بأسابيع قليلة فقط.

لقد أصبح ـ ببساطة ـ ما يسمى «بالمعارضة السياسية لسياسات إسرائيل والكراهية لليهود»، تسميتان مترادفتان لا يمكننا فصل إحداهما عن الأخرى. ومن يعارضون العولمة ويعارضون التدخل الأمريكى فى العراق، ينتقدون إسرائيل وينسبون سياسات العولمة وغزو العراق إلى سيطرة اليهود على واشنطن كجزء من الإشاعات المغرضة الكاذبة المعادية للسامية التى تقول بأن اليهود على مر العصور يهدفون إلى السيطرة على العالم.

ما هى الجريمة التى يتهم اليهود عادة بها؟ وكيف يسيطر اليهود على العالم بادعائهم المسكنة و الضعف؟ وماهى أكبر خطايا اليهود على الإطلاق؟ فلا تندهش إذا لم تستطع إيجاد إجابات على هذه الأسئلة؟.

من المحتمل أنك تعرضت لحملات المناهضين للسامية دون أن تدرى وأن الثلاثة شعارات التى تسمعها دائمًا فى مثل هذه الحملات هى: (١) أن اليهود يتحكمون فى وسائل الإعلام. (٢) اليهود يسيطرون على المال. (٣) أن اليهود قتلوا المسيح. فهل هذا حقيقى؟. فمن الذى يسيطر على المال؟ إن ٦٪ فقط بين أغنى أغنياء العالم هم من اليهود وفقًا لتقرير لشبكة (بى بى سى) سبعة من بين عشرة رؤساء أغنى دول العالم هم من العرب وليسوا من اليهود، ولا يمتلك اليهود أى من أكبر عشر شركات فى العالم.

هل يسيطر اليهود على وسائل الإعـلام؟ من بين أكبر عشرة شركات إعلام فى العالم توجد شركة واحدة فقط، يديرها اليهود فى السنوات الحديثة ـ وهى شركة (والت ديزنى) ـ وهى ليست وسيلة وأداة دعائية موالية لإسرائيل، ومن بين الجرائد الرئيسية الكبرى فى أمريكا لا يوجد سوى جريدتين اثنتين فقط يسيطر عليها اليهود ـ جريدة «نيويورك تايمز» و«بوسطون جلوب» ويعتبر ملاكها اليهود أنفسهم أمريكيين أكثر منهم يهودًا، وينشر فيها بصورة منتظمة مقالات معادية للسامية، وتدير الحكومات أغلب وسائل الإعلام فى الدول الأوروبية، ولا يوجد من بين المسئولين الحكوميين الذين يديرون تلك الوسائل الإعلامية يهودًا. **هل قتل اليهود المسيح** اقرأوا كتابكم المقدس، لقد اضطر المجلس الأعلى عند اليهود القدماء «السنهدرين» للذهاب إلى الرومان لقتل المسيح، وإن الذى صلب المسيح هم الرومان، وإن الرمح الذى اخترق ضلوعه كان رمحًا رومانيًّا، وماذا عن جماهير الغوغاء التى هتفت ونادت بقتله؟ لقد وقفت فى الفناء الذى قتل فيه المسيح، ويمكننا أن نقدر حسب سعة المكان عدد هذه الجماهير الغوغائية الغاضبة التى لا يمكن أن يزيد عددها عن مائة شخص حينئذ، ولقد حشد المجلس الأعلى لليهود القدماء (السنهدرين) نصف هذا العدد على الأقل فقط، وهذا العدد الضئيل لخمسين يهوديًا هو عينة صغيرة لايمكن أن نلوم جنس بأكمله على أخطائها[١١]. وبالإضافة إلى ذلك فقد مضى زمن سحيق على هذا الحدث، ولا أحد اليوم يحمل شباب الألمان مسئولية الإبادة الجماعية لليهود، ورغم أن هذا حدث منذ أقل من قرن من الزمان. فكيف لنا أن نعتبر يهود اليوم مسئولين عن جريمة تمت منذ ٢٠٠٠ عام مضت؟ وربما يمكننا إعتبار الإيطاليين مسئولين عن هدم وتدمير القدس، وذلك لأن «تيتس» كان رومانيًّا، وبالإضافة إلى ذلك فإن صلب المسيح على الصليب هى خطيئة جنس البشر كله، وليست خطيئة اليهود وحدهم.

وبينما كانت المعاداة للسامية تعود مرة أخرى للظهور فى أوروبا، إلا أنه لا يوجد مكان فى العالم اليوم عبر عن تلك المعاداة بصورة صارخة أكثر من العالم العربى بصفة عامة، ومصر بصفة خاصة[*] التى كانت أول شريك عربى تعقد معه إسرائيل معاهدة

(*) العرب واليهود أولاد إبراهيم ولا محل للزعم بأن العرب معادون للسامية، والتى طبقًا لكتاب المقدس تعنى أولاد سام، وهو أحد جدود ابراهيم، طبقًا للكتاب المقدس ـ المترجم.

سلام، وإن «المسلسل التليفزيونى القصير» الذى عُرض مؤخرًا فى مصر تحت عنوان «بروتوكولات حكماء صهيون»، والذى اعتمد على التزوير المشهور سئ السمعة لما يسمى «بروتوكولات حكماء صهيون» يمثل فقط مثالًا واحدًا على تلك المعاداة للسامية وتملأ الكتب المدرسية ـ أيضًا ـ عقول صغار. النشء بدعايات كراهية اليهود(*)، بينما نشرت الجرائد المصرية الرسمية رسومًا كاريكاتيرية ساخرة من اليهود، وهناك مجموعة واسعة من التراث الأدبى والكتب المملوءة بمعاداة السامية المترجمة والمكتوبة باللغة العربية الأصلية وهى متاحة فى المكتبات. وفى الحقيقة فإن «البروتوكولات المزورة لحكماء صهيون» مثلها مثل كتاب هتلر «كفاحى» هى من أكثر الكتب رواجًا وانتشارًا وبيعًا فى كل الدول العربية الآن، وتلك الكتب مزينة بصور مشابهة للجرائد اليومية وغريبة الشكل عن اليهود والإسرائيليين ذوى الأنف المحدبة واللحية الطويلة، ولا يمكن فصل تلك الكتب عن الذى نشره وزير الإعلام فى عهد هتلر «جوزيف جوبلز»خلال الإبادة الجماعية لليهود.

وقبل زيارة «شيمون بيريز» مباشرة للقاهرة فى ٢٩ أبريل عام ٢٠٠١م، نشرت جريدة «العربى» الناصرية فى صفحتها الأولى الصليب المعقوف وصورة تركيبية لـ«بيريز» وهو يرتدى الزى النازى. وفى ٨ أبريل كتب «أحمد رجب» الصحفى المشهور فى الجريدة المصرية الرسمية «الأخبار» قائـلًا: «إننا نشكر «هتلر» رحمه الله الذى زرع لدى الفلسطينيين روح الإنتقام من كل الأنذال والسفلة على وجه الأرض على الإطلاق، ولكننا نلوم «هتلر» لأن انتقامه لم يكن كاملًا، ولم يبد اليهود جميعًا».

وإتهم وزير الدفاع السورى «مصطفى طلاس» فى كتابه الذى نشر عام ١٩٨٣م بعنوان «فطيرة صهيون» ـ وهى نسخة عربية معدلة حول الإشاعة المغرضة عن سكب وشرب

(*) ليس هناك مشكلة بين العرب والمسلمين واليهود إلا مشكلة فلسطين، وليس لذلك الزعم أساس، والعكس هو الصحيح، فكتب المدارس فى إسرائيل وخاصة المدارس الدينية مليئة بالتشويه والازدراء والعنصرية ضد العرب، ويكن للقارئ مطالعة:

«تربية العنصرية فى المناهج الإسرائيلية»، الدار المصرية اللبنانية.

«الأصولية اليهودية فى إسرائيل» ـ إسرائيل شاحاك نورتون ميزفنيسكى ـ مكتبة الشروق الدولية.

اليهود لدماء المسيحيين، التى كانت سببًا أيضًا فى أحداث دمشق عام ١٨٤٠م، ويحكى الكتاب عن قيام اليهود بخبز فطيرة عيد الفصح بدماء أطفال المسلمين، ولقد أعيد طبع هذا الكتاب بعد نفاد طبعته الأولى فورًا، وتناقلت وسائل الإعلام العربية خرافة «مص دماء العرب» فعلى سبيل المثال... تحدث المقدم بجيش تحرير فلسطين «نادر التميمى» لقناة الجزيرة التليفزيونية فى ٢٤ أكتوبر عام ٢٠٠٠م وتحدث الصحفى «عادل حمودة» فى جريدة الأهرام الرسمية الحكومية عن «الفطيرة اليهودية المخبوزة بالدماء العربية»، وأخبرت الجريدة الأسبوعية المصرية أكتوبر قراءها عن «الصفات البغيضة للجنس اليهودى عبر تاريخه الطويل، كما اتهمت الصحيفة السورية (تيشرين) إسرائيل بتلفيقها قصة الإبادة الجماعية لليهود. ويمكننا أيضًا أن نتذكر «اليوس برنر» الذى وجد ملاذًا آمنًا له فى سوريا.

ويشكل الإنكار والتشكك فى صحة «الإبادة الجماعية النازية لليهود» مادة خصبة، وموضوعًا يوميًا لكثيرٍ من وسائل الإعلام العربية، مثل كتابة مقالات بصحيفة فلسطين تايمز «فى صفحاتها الأولى تتحدث عن شعب الله الكاذب»، الذى يعبد خرافة ووهم الإبادة الجماعية النازية لليهود[١٢](*)، وتحدثت قناة تليفزيون السلطة الوطنية الفلسطينية عن وجود معسكرات تطهير صحى فى شيلمنو وداسو وأوشويتز.. ولا توجد أكذوبة تسمى «الإبـادة الجماعية» على الإطـلاق(**)، وفسر مفتى القدس التابع للسلطة الفلسطينية الشيخ «صبرى عكرمة» الإبادة الجماعية لليهود قائلًا: «إنها ليست غلطتى.. كان «هتلر» يكره اليهود، وكان اليهود مكروهين فى ألمانيا مثلما هم مكروهين فى كل مكان فى العالم»[١٣](***) ودعا رجال الدين المسلمين الآخرين المصلين فى المساجد أن «لا تأخذهم رحمة باليهود بصرف النظر عن الأماكن التى يتواجدون فيها، أو بأى بلد يتواجدون... فأينما تقابلوهم اقتلوهم»[١٤](****).

(*) كثير من الكتاب والمؤرخين الغربيين يشككون فى كثير من روايات الهولوكست، وتلك المأساة ليس للعرب أو المسلمين دخل فيها ـ المترجم.

(**) هناك كتب غربية عديدة قالت ذلك، منها على سبيل المثال تقرير لوشتر ـ المترجم.

(***) ما قاله مفتى فلسطين، قال تيودور هيرتزل فى كتابه الشهير «الدولة اليهودية» ـ المترجم.

(****) الإسلام يمنع قتل الأبرياء، مسلمين أو مسيحيين أو يهود، وقد عاش اليهود فى العالم العربى، ومنه مصر=

ومن ناحيتهم فقط مارس الإرهابيون الفلسطينيون شكلًا فى معاداة السامية، يجمع إذلال النازى ومهادنته لليهود، مع المجد والشرف فى قتلهم ـ فالإرهابيون الفلسطينيون يقتلون اليهود من أجل السلام ولإقامة دولة فلسطينية ـ وبينما قطعت معظم الدول الأوروبية شوطًا كبيرًا نحو مواجهة ماضيها المؤلم، ولضمان عدم تكرارها لجريمة «المعاداة للسامية» وحتى لا تصبح مرة أخرى جزءًا من سياستها الرسمية، فإن العالم العربى على عكسها، لم يفعل أى شىء لإخماد لهيب الحقد وكراهية اليهود داخل بلادهم

عرضت محطة تليفزيون السلطة الوطنية الفلسطينية الرسمية أفلامًا تصور الأطفال الفلسطينيين وهم يقتلون الجنود الإسرائيليين، وتظهر التقارير الصحفية التى تذاع مباشرة من معسكرات الصيف التى تقيمها السلطة الوطنية الفلسطينية لتدريب الأطفال الفلسطينيين على الأسلحة وهم يغنون وينشدون الأغانى المملوءة بكراهية اليهود، وبالمدح والثناء على الشهداء (منفذو العمليات الفدائية الإنتحارية)، وتغطى «خريطة لفلسطين الكبرى» خلفية الأستوديو الموضوعة خلف الإرسال التليفزيونى الفلسطينى لتشمل مساحة دولة إسرائيل كلها ـ ولكن اسم إسرائيل لايذكر أبدًا وتظهر جميع المدن الإسرائيلية فى هذه الخريطة على أنها مدن فلسطينية(*).

وفى إنكار صارخ آخر للإبادة الجماعية لليهود، يصف المتحدثون الرسميون باسم السلطة الوطنية الفلسطينية إسرائيل بأنها «بلد عنصرى تستخدم نفس أساليب التطهير العرقى التى استخدمها من قبل «هتلر» ضد اليهود(**). ويقدم اليهود على أنهم أعداء

=دون أن يتعرضوا للقتل أو حتى للكراهية إلى أن قامت دولة إسرائيل، وكل من يتكلم ضد اليهود يقصد اليهود الإسرائليين المعتدين على الفلسطينيين والبلاد العربية. ويمكن للقارئ مراجعة النصوص العديدة فى التوراة والتى فيها الأوامر الإلهية المتكررة بقتل كل من فيها من نسمة حية.. رجال ونساء وأطفال وشيوخ ـ المترجم.

(*) فى الحقيقة غيرت إسرائيل أسماء كثيرًا من القرى إلى اسماء عبرية، ومحت من الوجود الكثير من المواقع الأثرية الفلسطينية، حى الكثير من الأكلات الشعبية الفلسطينية والعربية، أطلقت عليها أسماء عبرية ليبدو كما لو كانت أصلها يهودى ـ المترجم.

(**) هذا ما يقوله الكثير من اليهود الآن، وعلى رأسهم ناعوم تشومسكى، وقد أصدرت الأمم المتحدة عدة قرارات تدين الممارسات العنصرية لإسرائيل، ومنها قرار يدين الصهيونية بأنها عنصرية، وكذلك فعل مؤتمر رباد فى جنوب أفريقيا ـ المترجم.

للإسـلام و«حيوانـات متوحشـة»، و«جـراد» و«خونـة» و«عدوانييـن» و«دعـاة حـرب» و«لصـوص» و«منافقيـن» و«حاقدين»؛ الذين سـيلاقون نهايتهم المحتومـة بإذن الله[١٥]، ويظهر رسم كاريكاتيرى شائع فى إحدى الجرائد الرسمية للسلطة الفلسطينية قزمًا يرتدى نجمة داود وله وجه يشبه وجه يهودى فى معسكر النازى فى «دير شـتورمر» وتحته عبارة مكتوبـة «مـرض العصر»، ويظهر رسـم كاريكاتيرى آخر لجندى إسـرائيلى يشـوى لحم العـرب، ويأكلهـم بتلـذذ الواحد تلو الآخر[١٦]. وكان «استى فيبهان» ـ الخبير فى دراسـة وتحليل معاداة السامية بمعهد دراسة معاداة السامية والعنصرية «بجامعة تل أبيب» ـ يتابع ويدرس معاداة السامية فى العالم العربى، والسلطة الفلسطينية على مدار السنوات الثمانية الماضية، حيث يقول معلقا: «بالعودة إلى العصور الوسـطى؛ حيث اسـتخدم المسيحيون فكرة «تسميم الآبار» والآن تبنى العرب نفس الاتجاه المسيحى [«المعاداة السامية» الذى سـاد العصور الوسطى][١٧]. ونفس معاداة «هتلر» للسـامية، ولكنهم يضيفوا إليه الدوافع الإسـلامية فيدمجوهم معًا لاسـتخدامهم فى دعاياتهم لمعاداة إسرائيل، يعد هتلر بطلًا فى عقلية الشـباب الفلسـطينى، وذلك وفقا لما توصـل إليه الباحثـون فى جامعة هامبورج فى دراسة عالمية حول الإدراكات الديموقراطية بين الشباب حول العالم.

يخبرنا بائعو الكتب فى المناطق المحتلة بأن الترجمة العربية لكتاب «كفاحى» لـ«هتلر» هو أكثر الكتب المباعة رواجًا فى فلسطين ومصر والدول العربية الأخرى، ولقد دأبت وسائل الإعلام الرسمية الفلسطينية على عادة مقارنة الممارسات الإسرائيلية فى المناطق المحتلة بتلك الأساليب التى كان يستخدمها «هتلر» والنازيون ووصفت وسائل الإعلام الفلسطينية «بنيامين نتنياهو» أثناء شغله لمنصب رئيس الوزراء باعتباره «نازيًّا» و«إرهابيًّا صهيونيًّا أبشع من «هتلر»[١٨].

وكتب الصحفى «سيف على» المحرر بصحيفة «الحياة الجديدة» بأنه كان يوم طيب فى تاريخ اليهود عندما بدأ «هتلر» النازى حملاته لإضطهادهم وإبادتهم حيث يستطرد قائلًا:

«لقد بدأ اليهود فى تلفيق صور عن قتلهم الجماعى بالرصاص بأسلوب مرعب، وبدأوا فى تلفيق قصة مخيفة عن أفران الغاز التى اعتاد «هتلر» أن يحرقهم فيها كما يدعون، وتنشر

الجرائد مكتظة بصور اليهود الذين حصدتهم آلة الحرب النازية، والذين يُقتادون إلى أفران الغاز، وركزوا فى تلك الصور على الأطفال والنساء وكبار السن، واستفادوا من نشر تلك الصور والقصص لاستدرار عطف العالم عليهم كلما أرادوا الحصول على تعويضات مالية وإسهامات وتبرعات ومنح من كل دول العالم، إن الحقيقة هى أن اضطهاد اليهود خرافة وأسطورة ابتكرها اليهود وأطلقوا عليها «مأساة القتل الجماعى النازى لليهود» واستفادوا منها للإتزاز واستدرار عطف العالم عليهم»(١٩).

ومنذ بداية الإنتفاضة الفلسطينية الثانية فى سبتمبر عام ٢٠٠٠م، تعرضت إسرائيل فى وسائل الإعلام والمحافل الدولية لحملة دولية من الزعماء الدوليين والمفكرين المشهورين لتجريمها واتهامها بعدم الشرعية، واتحد المتطرفون من أقصى اليمين وأقصى اليسار معًا فى كراهيتهم للدولة اليهودية، مما أدى إلى زيادة هائلة فى الميول نحو معاداة السامية التى شملت الهجمات على اليهود، وصاحب تلك الهجمات الدعائية على شرعية إسرائيل، هجمات أخرى فعلية على أهداف إسرائيلية فى جميع أنحاء العالم، وبصفة خاصة فى أوروبا، وشملت الميول المعادية للسامية هجمات انتحارية تفجيرية على المعـابد والمدارس اليهودية، وأيضًا نهب وسلب وتدنيس حرمة المقابر اليهودية وتهديدات بالقتل والعنف ضد اليهود، وكل ما شابه ذلك من جرائم اقترفت بسبب الكراهية التى كانت توجه ضد المؤسسات والأفراد اليهود، إنما كانت تختبئ تحت قناع أفعال معادية للصهيونية.

إن إحدى نتائج «المعاداة الفلسطينية للسامية» تتمثل فى زيادة الهجمات على الأهداف الإسرائيلية واليهودية فى العالم العربى مثل الهجوم الإرهابى فى أبريل عام ٢٠٠٢م على المعبد اليهودى فى «جربا» بتونس؛ الذى قتل فيه ١٢ سائحًا أوروبيًا و٤ عرب محليين ويهودى واحد، وفى أسطنبول بتركيا فى نوفمبر ٢٠٠٣م قتل ثلاثة وعشرون شخصًا، منهم ستة من اليهود، وجرح وأصيب المئات فى تفجيرات هجمات انتحارية على اثنين من المعابد اليهودية، ونورد فيما يلى مقتطفات مقتبسة عن تقرير عام ٢٠٠٢م للاتحاد الأوروبى «لمركز المراقبة الأوروبية للعنصرية ولكراهية الأجانب حول المعاداة للسامية فى أوروبا»:

«إن الهجمات الفعلية على اليهود وتدنيس حرمة موتاهم وهدم معابدهم، كانت غالبًا أفعالًا يرتكبها شباب من المسلمين الصغار... وغالبًا ما ترتكب تلك الأفعال والهجمات خلال أو عقب مظاهرات التأييد للفلسطينيين التى يستغلها أيضًا المسلمون المتعصبون لتوجيه الإساءة اللفظية لليهود، وبالإضافة إلى هذا.. فإن الدوائر الإسلامية المتعصبة أو المتطرفة هى المسئولة عن تصميم الدعاية المعادية للسامية على الإنترنت، وفى وسائل الإعلام الناطقة باللغة العربية... ونجد أكثر المشاهد المتطرفة للأحزاب اليسارية والملاحظات المعادية للسامية، وذلك مباشرة عقب الحشود والمظاهرات المؤيدة للفلسطينيين والمناهضة للعولمة. وتنتشر تلك الملاحظات فى مقالات الجرائد التى تستخدم نماذج نمطية موحدة فى نقدها لإسرائيل»، وفى الجدل العام حول سياسات إسرائيل، والحد الفاصل بين نقد إسرائيل، ومعاداة السامية، فإن الأفراد غير النشطين سياسيًا، والذين لا ينتمون إلى أى حزب من الأحزاب الأيدولوجية التى ذكرناها عاليه إنما هم أفراد متحمسين من السهل شحنهم للتعبير عن اتجاهاتهم الكامنة المدفونة لمعاداة السامية، (غالبا من خلال اتصالات تليفونية وخطابات بها إهانة) يرسلونها لليهود، وتثبت نتائج استطلاعات الرأى أن نسبة كبيرة من السكان فى بعض البلاد الأوروبية تعتنق وجهات نظر واتجاهات معادية للسامية، ولكنها عادة ما تظل دفينة داخل صدورهم.

يشير المراقبون إلى زيادة الإتجاه المعادى للسامية فى وسائل الإعلام العربية والإسلامية؛ تلك التى تشتمل على شرائط سمعية، وخطب دينية لا تقتصر فيها الدعوة للانضمام للنضال ضد إسرائيل، بل وضد اليهود فى جميع أنحاء العالم، وعلى الرغم من أن المنظمات الإسلامية الرئيسية الرسمية تعبر عن معارضتها لمثل هذه الدعاية؛ إلا أن المراقبين يفترضون بأن الدعوات والنداءات لإستخدام العنف ربما تؤثر على القراء أو المستمعين، ونحن نوصى بأن يطلب مجلس إعلام الإتحاد الأوروبى من السلطات الحكومية المسئولة الإعتراف على أى مستوى بالأخطار الجسيمة، والتى يفرضها مثل هذا العنف المعادى للسامية[٢٠].

فرنسا التى يقطنها أكثر الجاليات المسلمة فى الدول الأوروبية؛ يقع فيها أكبر وأخطر الحوادث المعادية للسامية على الإطلاق، وذلك بالمقارنة مع باقى دول العالم الأخرى،

وتشمل تلك الحوادث على الاعتداءات الجسمانية، وإزعاج اليهود فى جميع أنحاء فرنسا، وإشعال النار فى المعابد اليهودية وتدنيس حرمة مقابرهم والتهديدات المعادية للسامية والدعايات المناهضة لإسرائيل، ويأتى مرتكبو تلك الأحداث والجرائم من بين المهاجرين الشباب المسلمين من شمال إفريقيا.

يجب علينا ملاحظة أن عددًا من الهجمات وقع بسبب عمل منظم أكثر من كونه نهبًا أو سلبًا عشوائيًّا أو نشاطًا لجماهير غوغائية تلقائية. وتلك الهجمات استهدفت اليهود كرد فعل انتقامى على أحداث وقعت فى إسرائيل، وتمثل محاولات لسحب الشرعية عن إسرائيل والصهيونية، ولا تنصب تلك الهجمات على إسرائيل وحدها، ولكن أيضًا على اليهود فى جميع أنحاء العالم، أينما وجدوا، وتأتى تلك الإثارة فى المساجد وفى التجمعات الأخرى للمسلمين، والتى تدعو جماهير المسلمين إلى مهاجمة اليهود؛ لأنهم المسئولين عن كل شرور العالم.

وفى البلاد الأوروبية الأخرى، وبصفة خاصة تلك التى تستضيف جاليات مسلمة كبيرة، وقعت فيها اعتداءات جسمانية خطيرة ضد اليهود، بالإضافة إلى الإهانات اللفظية وابتزازات وتدنيس حرمة المقابر. ففى بلجيكا اعتدى المتعصبون على اليهود جسمانيًّا بالضرب، بالإضافة إلى الهجمات على المنشآت والتسهيلات اليهودية، وأصبحت الجامعات فى جميع أنحاء أوروبا مراكز نشطة للتهديدات والدعايات المناهضة للسامية والمناهضة لإسرائيل، وفى بريطانيا هوجم اليهود وتم تدنيس حرمة معابدهم، وعُبث بالتسهيلات الاجتماعية المتاحة لهم.

وفى الدول الإسكندنافية وبصفة خاصة فى الدانمرك والسويد، واللتان تنتقد حكومتهما بشدة سياسة إسرائيل، وقع العديد من الحوادث المعادية للسامية، وفى ألمانيا وقع هناك عدد كبير من الحوادث المعادية للسامية فى عام ٢٠٠٢م، منها الاعتداء بالضرب على اليهود، وتدنيس حرمة مقابرهم بوضع رموز وشعارات إسلامية ونازية جديدة على جدرانها.

وفى أوروبا الشرقية وروسيا، أخذت الأنشطة المعادية للسامية شكل الدعاية العدوانية والمظاهرات، جرح عدد من اليهود فى روسيا، وأتلفت بعض المعابد والأماكن اليهودية

الأخرى، وهناك بدعة روسية تتمثل فى وضع لافتات ذات شعارات معادية للسامية على طول الطرق السريعة، وعندما يحاول أحد اليهود التوقف لإزالتها فإنها تنفجر فيه لأنها مفخخة. ولقد أدت تلك اللافتات المفخخة إلى قتل أحد اليهود وجرح وإصابة عدد منهم فى روسيا، وأدى ذلك إلى العديد من الحوادث المشابهة الأخرى فى أوكرانيا، وكما يعترف تحليل ظهر فى جريدة «لندن سبكتياتور» ويتعلق باتجاه رجال الدين البريطانيون «إن العداء نحو إسرائيل له جذوره الدفينة فى الكراهية العميقة لليهود»[٢١]. (ولقد عكست هذا الرأى ـ أيضًا ـ الصحفية الإيطالية المشهورة «أوريانا فلاتشى» التى أدانت بشدة وبقوة المعايير المزدوجة التى تطبق فى أوروبا اليوم، حيث تؤكد «أن هناك معيارًا لليهود، ومعيارًا آخر للمسيحيين والمسلمين حيث يكيل الأوروپيون بمكيال أحدهما لدفع تعويضات عن الدماء اليهودية المسكوبة، والآخر لتعويض الدماء غير اليهودية الأخرى المسكوبة، ويوجد هناك اختلال فى التوازن بين الهجمات ضد إسرائيل التى لا تقتصر على النقد السياسى، وإنما تتشبع بروح معادية للسامية، وبين ما تفعله إسرائيل على أرض الواقع من ممارسة حقها فى الدفاع عن نفسها»[٢٢].

هناك نكتة يهودية ساخرة «تعرف لنا معاداة السامية بوصفها المرض المعدى الذى يعانى الأغيار، وهذا المرض غالبًا ما يكون قاتلًا لليهود»، وإذا كان هذا هو الحال فليس هناك بالجديد حول ما نطلق عليه اليوم [المعاداة الجديدة للسامية التى ظهرت فى بداية القرن الحادى والعشرين، و الإختلاف الوحيد بين القديم والجديد كما لاحظه أحد الإسرائيليين البرلمانيين «ميشيل ولشور» هو التحالفات الغربية الجديدة لمعاداة السامية، فعلى سبيل المثال يوجد فى الولايات المتحدة الأمريكية تعاون مدهش بين النازيين الجدد والأصوليين الإسلاميين، وبصفة خاصة من خلال شبكات الإنترنت المعادية للسامية]، كتب «ميشيل» فى هذا الموضوع مؤكدًا لنا «بعد أحداث ١١ سپتمبر ادعى كل من النازيين الجدد والأصوليين الإسلاميين أن اليهود وراء هذه الهجمات. ولا يمثل هذا الاتجاه ظاهرة جديدة، فمنذ سنوات قليلة مضت، اكتشف أن السفارة العراقية فى السويد كانت تمول الأنشطة النازية الجديدة على الرغم من حقيقة أن النازيين الجدد يكرهون المسلمين.[٢٣]

لاحظ المؤرخ الإسرائيلى «روبرت فيستريش» بأن الذى يقود الموجة الحالية الجديدة لمعاداة السامية «هم المسلمون المتطرفون» وليس بالضرورة الأوروبيون البيض، فلقد استورد العالم الإسلامى معاداة السامية من «أوروبا» وحولها إلى الإسلام المتعصب «بوصفها جزءًا من الصراع العربى الفلسطينى الإسرائيلى، وأعاد العالم الإسلامى تصديرها إلى أوروبا والغرب بصفة عامة عن طريق المتعصبين الإسلاميين والعناصر المعادية للغرب وللعولمة.

وفيما يتعلق بسفك الدماء فى القرن الحادى والعشرين الجديد، كتب المؤرخ الإسرائيلى «فيستريش» قائلًا:

«لا تفعل الحكومات العربية شيئًا لمنع هذه الأكاذيب؛ بل على العكس فهى تشجعها، وتضفى عليها ثوب الشرعية، لكى تحمى نفسها من غضب جماهير مواطنيها المحرومين من الديموقراطية وحرية الكلام والحقوق الإنسانية الأساسية. وبالرجوع إلى تلك الخلفية، يصبح من الواضح معرفة كيف تتم عملية غسل عقول ملايين المسلمين، والسيطرة عليها لتصديق كل هذه الأكاذيب التى من بينها تفجيّر الموساد لمركز التجارة العالمى...

هذه الروح «المعادية للسامية» تهدد البشرية عندما ينظر إليها بوصفها مهمة مقدسة من عند الله، ونموذج الثورة الإيرانية التى قامت فى إيران عام ١٩٧٩م ضد الشيطان الأكبر «أمريكا والغرب الصليبى» وضد «الشيطان الأصغر اليهودى الصهيونى»، إنما هى ثورة تشهد على ذلك، وإن تلك الحرب هى حرب شاملة؛ لأنها بصورة أساسية حربًا دينية، وإن هذا النوع من «معاداة السامية» قد أفرغ الجهاد من هدفه الأصلى وهو العبادة وحوله إلى عبادة وثقافة لنشر الموت»[٢٤].

وبالتدريج أصبح هذا الاتجاه المتزايد نحو «معاداة السامية» ليس فقط ترديدًا لصدى صوت أجوف وضعيف لما كان يحدث فى ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية بل هو ذلك الصوت مكبرًا، بينما تعالت الصيحات ضد اليهود فى ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية، هزت باقى دول العالم ببساطة كتفيها فى لا مبالاة وبتعليقات سخيفة مثل «إننا لا نعتقد بأن هذا العار شعاركل الألمان»، ولكن ليس المهم إن كانت هذه وصمة عار تميز جميع

الألمان أم لا، فالأهم من ذلك ـ هو أن سكوت دول العالم قد جعلها شريكة ومتواطئة مع هؤلاء غير الممثلين للألمان» فى جريمة قتلهم لليهود، فهل سوف نشعر بالذنب أقل إذا انتظرنا بهدوء ولامبالاة اليوم، لنسمع نفس صيحات قتل اليهود تنتشر، وتنمو بين العرب وفى أوروبا اليوم؟ وإلى أى مدى سنظل نتجاهل مثل هذه الكراهية الصارخة الفاضحة، ونسمح بأن يطلق لها العنان قبل أن نفعل شيء لكبح جماحها؟ إن شعورى هو أن الأوان قد فات، وبأننا تجاهلنا ذلك لفترة طويلة.

ربما لا يوجد دليل أفضل يدل على ظهور «الروح المعادية للمسيح» مرة أخرى سوى إعادة ظهور «معاداة السامية» بصورة خبيثة، فالشيطان بالطبع سوف يكره اليهود أولًا ثم المسيحيين وذلك لأنهم هم أوائل الذين نقضوا مواثيقهم مع الله، وأننا ـ الأمريكيين ـ لا يمكننا اليوم أن نكون أقل شعورًا بالذنب لكوننا غير مبالين تجاه «العنصرية ضد اليهود» عما كنا عليه فى الماضى تجاه إذعاننا للعنصرية تجاه الأمريكيين الأفارقة، وأننا ندرك مع «توماس جيفرسون» بأن «عدالة الله لايمكنها أن تنام للأبد» وندرك مع «إسر هارل» بأن «هتلر» قتل اليهود ـ أولًا ـ ثم قتل المسيحيين بعد ذلك، وإن ثقافتنا وديموقراطيتنا هى أصل الحقد علينا، فإذا ما كنا نحن على صواب، فإن المتعصبين هم الذين على خطأ».

فريق صلوات القدس

وهذا هو السبب الذى من أجله بدأت «فريق صلوات القدس». كان يوم ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م، مأساويًا فى التاريخ الأمريكى، وكما قال «ديتريش بونوفر» تعلمت أمريكا أن ترى الأحداث العظيمة لتاريخ العالم من أسفل من منظور المنبوذين والمشوهين، الذين لا حول لهم ولا قوة، والمظلومين والضعفاء المقهورين. وباختصار من منظور هؤلاء الذين يعانون»[٢٥] وكان الهجوم الإرهابى تجسيدًا ماديًا للمعركة التى خسرتها أمريكا منذ أسابيع وشهور وسنوات مضت، وذلك بسبب عزوف الناس عن الصلاة فى الكنائس وهجرهم لها، لقد كان «أسامة بن لادن» يهاجم أمريكا شفويًا لمدة سنوات طويلة قبل ١١ سبتمبر، ولكن الكنيسة كانت نائمة فى سبات عميق وكانت القوى الشيطانية المؤثرة عليه تستلزم محاربتها بقوة ملائكة قديسين، يكلفون بمساعدتنا من خلال قوة إيماننا فى صلواتنا كما هو الحال فى زمان النبى «دانيال».

إن الصلاة من أجل سلام القدس ليست عبثًا، وليس من أجل الصخور والأتربة الموجودة هناك بالقدس، فتلك الصخور والأتربة لا تبكى ولا تدمى، ولكنها صلاة من أجل حماية الله «لأرواح مواطنى القدس» وهى صلاة من أجل إعادة الحياة والنهضة، وإنها لصلاة من أجل أن تنهال بركة ونعمة الله على أرض الكتاب المقدس، وعلى جميع دول الشرق الأوسط، وهى صلاة من أجل هزيمة القوى الشيطانية على أيدى الملائكة القديسين، وذلك فى معركة لا يمكننا رؤيتها بالعين البشرية المجردة، ولقد كانت الأم «تريزا» هى أول إنسان يخبرنى، بأنها «تصلى يوميًا من أجل سلام القدس»، وقالت لى وفقًا لـ (سفر «المزامير»١٢٢: ٦»): «صلوا لأجل سلام أورشليم. ليفلح محبوك ويطمئنوا».

لقد جاء جد «راعى كنيسة كورى تن بوم» وأخبره بأن الكنيسه ستصلى من أجل سلام القدس وألهمت تلك الوصية للجد أعضاء عائلة «بوم» العشرة بأن تبدأ الصلاة أسبوعيًّا، وبوصفه رئيس مجلس إدارة كنيسة «كورى تن بوم» فى هارلم بهولندا، فلقد اتخذ قرارًا بإعادة إحياء هذا التقليد العريق ذى المائة عام للصلاة، وذلك هو السبب فى أننا نطالب من مليون شخص مسيحى بأن ينضموا إلينا فى «فريق صلاة القدس». ونحن نطالب من مائة ألف كنيسة بأن تبدأ الصلاة أسبوعيًا خلال مواعظ يوم الأحد من أجل الدعاء من الله لتحقيق السلام فى القدس، وإن الرؤية الملهمة وراء «فريق صلاة القدس» هى أن نحصل على مليون شفيع مؤمن يصلون يوميًّا من أجل النهضة القومية الشاملة، وللصلاة ـ أيضًا ـ والدعاء للملك داود من أجل تحقيق السلام فى القدس وفقًا لسفر «أخبار الأيام الثانى ٧: ١٤»[٢٦].

إن بيت إسرائيل فى حالة من الرعب تمامًا مثلما يعانى من تلك الحالة جميع أطفال أولاد أرض الكتاب وكلًا منهما يحتاج إلى أن يسمع الله دعواتهم وصلاتهم فى يوم الرعب، فإنهما بحاجة إلى رب «يعقوب» ليدافع عنهم، ويحتاجون إلى المساعدة من قدس الأقداس والقوة من جبل صهيون، وإنكم تعرفون الآن يا أعزائى القراء صلاتى الشخصية وموعد بدايتها، وإننى أعتقد بأن مليون من الشفعاء المؤمنين المصلين يوميًا، ومائة ألف كنيسة، تصلى أسبوعيًا من أجل سلام القدس، سيحركوا جميعًا السماء والأرض وسوف يستجيب الله لتضرعهم.

لقد حان الوقت لكى نستيقظ من سباتنا، ولكن هل ستكون يقظتنا عظيمة أم متأخرة؟ ووفقًا لسفر التكوين ١٢ : ٣، فلقد أخبر الله «إبراهيم» «وأبارك مباركيك وألعن لاعنيـك، وتتبارك فيك جميع أمم الأرض»، فماذا نختار كأمة أمريكية تجاه الإلتزام نحو إسرائيل، هل نختار أن يباركنا الله أم يلعننا؟.

هل كان من الممكن لأمريكا أن تنجو من «الكساد الاقتصادى العظيم» لو أنها لم تتجاهل معاناة اليهود على أيدى «هتلر»؟ هل من الممكن أن لا يموت عشرات الآلاف من الأمريكيين فى الحرب العالمية الثانية إذا لم تكن أمريكا قد أغلقت أبوابها أمام بنى إسرائيل؟ إذا كان ذلك فإنه يجب على الأمريكيين الذين يتقون الله بأن ينهضوا قبل فوات الأوان، كما جاء فى الكتاب المقدس:

«وأبارك مباركيك وألعن لاعنيك، وتتبارك فيك جميع أمم الأرض».

«سفر التكوين١٢ : ٣»

الفصل الخامس عشر

بركات ولعنـــات

«تقــوَّ وتشـــجعْ»

(من كتاب يشوع ١ : ٦)

الرئيس الأمريكى بيل كلينتون

أثناء تشييع جنازة اسحاق رابين

واستطرد يتلو باقى آيات الكتاب التى تقول:

«لأنك أنت الذى ستوزع على هذا الشعب الأرض التى حلفت لآبائهم أن أهبها لهم».

(أعطت اتفاقيات السلام فى «واى ريفر» الأراضى الفلسطينية القديمة فى غزة والضفة الغربية إلى منظمة التحرير الفلسطينية خلال المؤتمر الذى جمع بين بيل كلينتون وإسحاق رابين وياسر عرفات).

«فأجعل منك أمه كبيرة وأباركك وأعظم أسمك، وتكون بركة (لكثيرين). وأبارك مباركيك وألعن لاعنيك وتتبارك فيك جميع أمم الأرض»

«سفر التكوين ١٢: ٢-٣»

هل يمكن أن يبارك الله بعظمته أمريكا إذا ما عصت كلماته؟ لقد باركت أمريكا، ولعنت أهل الكتاب المقدس. فتحالف أمريكا مع إسماعيل هو تحالف مصلحة يحصل منه الأمريكيون على البترول، على أن يحصل بنى إسماعيل على الأسلحة والامتيازات، يبدو هذا منطقيًا للوهلة الأولى، ولكن أمريكا تعرف جيدًا أن إسماعيل هو العدو القاتل لإسحاق، فهل تتأثر أمريكا من حرمان بنى إسحاق من السلام؟ أم لا؟.

عندما يأمل شخص ما بأن يبقى حليفًا لاثنين من الإخوة الأعداء اللذين يكره أحدهما الآخر؛ فيجب عليه استمالتهما إما بالقنابل أو الرشاوى، ومثلما صاح أحد الناس المتواجدين وسط جمهور من الناس قائلًا:

«إنه الاقتصاد يا غبى». تحاول أمريكا موازنة دفاتر حساباتها، بالصفاء الأخلاقى وبنفس المعايير، وفى النهاية يجب أن يدفع شخص ما الثمن. وكما تقول كلمات الكتاب المقدس «فسألت المرأة أحقًا أمركما الله ألا تأكلا من جميع شجر الجنة؟»[1] وهكذا

تجاهلت أمريكا تحذير النبوءة القديمة، ووعدت إسماعيل بشىء لا تملكه، وهو إعطائهم أراضى إسرائيل التى ذكرت فى الكتاب المقدس بما فيها القدس الشرقية.

أول لعنة أنزلها الله القادر بالكتاب المقدس كانت بسبب عصيان الناس لكلمات الله، فهل تغير الله؟ أم لوحت أمريكا بقبضتها فى وجه الله القادر مهددة؟.

فهل اقتنعت أمريكا، وهى عمياء مثل الخفاش، عندما حلت لحظة الصدق، أن كل اللعنات ستحل على إسرائيل وكل البركات ستحل على أمريكا المسيحية؟ فالخيانة هى أقل ما يمكن أن يوصف به إقدام الولايات المتحدة الأمريكية على التضحية بإسرائيل من أجل البترول، وطالبت أمريكا إسرائيل بالخضوع لمطالب الإرهابيين، فى الوقت الذى أعطت لنفسها الحق الإلهى المقدس لمحاربة الإرهابيين الذين يهددونها، فحللت لنفسها ما حرمته على غيرها، فأمريكا بذلك تجازف بمستقبلها. بدأ «كارتر» باستقطاع جزء من الأراضى ومنحه للإرهابيين، وأكمل «كلينتون» المسيرة وساعدهم على بناء سلطتهم فوقها، والصفقة بسيطة للغاية. تحصل أمريكا على السلام وتتخلى إسرائيل عن أراضيها. وكل خبير فى دبلوماسية الشرق الأوسط يعرف تماما خبايا تلك الصفقة، حصل الإرهابيون على نصيبهم من الصفقة بالمساومات الطويلة لعشرات السنوات، ويطالبون بالأكثر والأكثر كلما وعدتهم أمريكا بالمزيد من أراضى إسرائيل بما فيها القدس الشرقية لتكون عاصمة لهم.

لم تكن أمريكا بالوسـيط الامين، ولكنها كانت وسيط غير أمين، فلعبت لعبة الحظ «الروليت الروسية» بأرواح اليهود، وفى نهايـة المطاف بالأرواح الأمريكية (التى راحت ضحية أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١).

هل كان بالإمكان تلافى أحداث ١١ سبتمبر إذا ما حافظت أمريكا على صفائها الأخلاقى؟ لا أعتقد ذلك لأن الرؤساء الأمريكيين كان فى إمكانهم التوقيع على معاهدة مكافحة الإرهاب، ليرسلوا حينئذ إشارة للإرّهابيين المحتملين بأن أفعالهم لن تغتفر، وأن إسرائيل لن تستخدم كذريعة ومخلب قط لمهادنة واستمالة الأنظمة الإرهابية. فإذا كانت أمريكا قد حافظت على نقائها الأخلاقى، لم يكن الرئيس «جيمى كارتر» ليتدخل

فى «إيران» ولما ساندت الولايات المتحدة الأمريكية «صدام حسين» فى حربه ضد إيران، ولما كان السوفييت ليحتلوا أفغانستان كرد فعل على أفعالنا، ولما كانت الولايات المتحدة الأمريكية لتدرب وتسلح الإرهابيين لمحاربة الاتحاد السوفييتى فى أفغانستان.

خان «جيمى كارتر» - الذى ادعى أنه ولد من جديد - إسرائيل وزعزع الاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط كلها، و أكمل «بيل كلينتون» الذى ادعى أيضًا أنه ولد من جديد - مهمته بإقامة مزاد لمهادنة الإرهابيين بإعطائهم أراضى إسرائيل، والسؤال المثار هنا هو:

هل ستكفر أمريكا عن ذنوبها؟ أم هل ستستمر فى السير فى هذا الطريق المظلم ؟

البركات فى ظل الرئيس كارتر

كما قال الرئيس «جيمى كارتر» نفسه:

«إن الولايات المتحدة الأمريكية تربطها علاقة صداقة فريدة وحميمة مع إسرائيل، فهذا التزام أخلاقى لا يتزعزع، ويتفق مع جذور معتقداتنا الدينية، كما أنه التزام من زاوية المصالح الأمريكية الاستراتيجية، ونحن ملتزمون بمستقبل وأمن ورخاء إسرائيل بوصفها الأرض التى لديها الكثير لتقدمه للعالم.

إن المحافظة على بقاء إسرائيل ليس مجرد قضية سياسية، فهو التزام أخلاقى، وهذا ما أؤمن به فى أعماق قلبى، وهو إقتناع تشاركنى فيه الغالبية العظمى من الشعب الأمريكى، فإن ضمان أمن إسرائيل القوية ليس فى صالح إسرائيل فقط، وإنما أيضًا فى صالح الولايات المتحدة الأمريكية، وفى صالح العالم الحر بأكمله[٢].

وهكذا فإننا نرى بأن الرئيس جيمى كارتر قد ساند بالقطع إسرائيل بنواياه الطيبة وكلماته المعسولة، ولكن ماذا عن أفعاله؟

اللعنات فى ظل حكم الرئيس كارتر

فى مارس عام ١٩٧٧م حدث تطور مدهش فى التحالف الأساسى الصهيونى المسيحى،

وذلك عندما أدخل الرئيس كارتر على خطابه السياسى فقرة «**إن الفلسطينيين لهم الحق فى إقامة دولتهم المستقلة**»، وفورًا شن اللوبى المؤيد لإسرائيل واليمين المسيحى حملة دعائية فى كبرى الصحف الأمريكية ردًا على ما جاء بخطاب «كارتر». حيث قرأ الأمريكيون فى الصحف:

«**إن الوقت قد حان ليثبت المسيحيون الإيفانجيليكيون إيمانهم بنبوءة الكتاب المقدس الإنجيلية وحق إسرائيل الإلهى فى أراضيها**»، واختتمت كلمات المقالات بعبارة موجهة مباشرة إلى تصريح كارتر التى تقول «**نحن نؤكد بصفتنا أمريكيون مؤمنين بالكتاب المقدس، اعتقادنا بمنح الشعب اليهودى أرضهم الموعودة... وسوف ننظر باهتمام عميق وبعين القلق، وندين أى محاولة لاستقطاع الأراضى اليهودية وإعطائها إلى أى أمة أخرى أو كيان سياسى آخر**».

كانت تلك الحملة الدعائية إحدى أولى الإشارات الهامة الدالة على تحالف اللوبى الموالى لإسرائيل وحزب الليكود الإسرائيلى مع اليمين الأمريكى المسيحى. حولت تلك الحملة الدعائية اتجاه وتأييد المسيحيين المحافظين من الرئيس الديموقراطى «كارتر» إلى اليمين الجمهورى. وصرح «جيرى ستروبر» الموظف السابق للجنة الأمريكية اليهودية ومنسق الحملة الدعائية لمجلة «النيوزويك» قائلًا:

«**إن المسيحيين الإيفانجليكيين هم ركيزة «كارتر» فى الانتخابات، وكان من الأفضل له الاستماع إليهم. إن المصدر الحقيقى للقوة التى يتمتع بها اليهود فى أمريكا إنما يأتى على قوة المسيحيين الإيفانجيليين**[٣] ولكن «كارتر» استمر فى انحيازه إلى جانب الفلسطينيين، وكان أول رئيس أمريكى يصرح بأن المستوطنات الإسرائيلية فى الضفة الغربية تتساوى تمامًا فى الجريمة الأخلاقية مع العنف الفلسطينى، وأنها تعوق تحقيق السلام فى الشرق الأوسط وعبر عن ذلك قائلًا: «**إن سبب فشل الدبلوماسية الأمريكية وسبب انتشار العنف فى الشرق الأوسط، لسنوات عديدة؛ إنما يكمن فى استمرار القادة الإسرائيليين فى «فرض الأمر الواقع» ببنائهم للمستوطنات فى الأراضى المحتلة**[٤]. هل غيرت السنون ذلك الرأى الذى تبناه «كارتر»؟ و يبدو أن الإجابة لا. و صرح «كارتر» أيضا فى ديسمبر عام ٢٠٠٣م قائلًا:

«ليس المهم أى اختيار قد يقدم عليه القادة الفلسطينيون، وليس المهم إلى أى مدى قد تكون عنده المصالح الأمريكية حيوية، وليس المهم إلى أى مدى تصير عليه الأمور للأسوأ نحو الكراهية وسفك الدماء فى الشرق الأوسط، ولكن هناك أمام الإسرائيليين اختيارًا أساسيًّا، هل يريدون السلام مع جيرانهم العرب؟ أم يريدون الاحتفاظ بالمستوطنات فى كل الاراضى المحتلة؟[٥]».

كان «جيمى كارتر» أول رئيس أمريكى حاول تحويل إرهابي منظمة التحرير الفلسطينية إلى ديبلوماسيين، معترف بهم، ورفض «كارتر» مساعدة إسرائيل لأمريكا فى أزمة الرهائن الأمريكيين المحتجزين بإيران، ولكنه طلب مساعدة مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية قائلًا بأن هذا فى مصلحة إسرائيل - فهو لا يريد توريط إسرائيل فى عملية عسكرية ضد بلد مسلم، لأنه يشعر بأن هذا يمكنه أن يؤدى إلى خلق مزيد من الأعمال العدائية فى المنطقة.

وخلال فترة رئاسة «جيمى كارتر» انفتح الباب على مصراعيه لبيع الأسلحة الأمريكية للعرب. فوافق «كارتر» خلال فترة رئاسته على مبيعات الأسلحة التالية للدول العربية (ما بين عامى ١٩٧٧م و١٩٨٠م):

المملكة العربية السعودية	١٦,٩ مليار دولار
مصـــر	٣,٦ مليار دولار
الأردن	٤٢٧ مليون دولار أمريكى[١٦].

ومع حلول الانتخابات الأمريكية عام ١٩٨٠م تغير الموقف السياسى فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط، وساعدت أزمة الرهائن الأمريكيين فى إيران على تأكيد هزيمة «جيمى كارتر» أمام منافسه الجمهورى «ريجان». **ولم تكن تلك الأزمة هى السبب الرئيسى فى هزيمة كارتر فقد صوت ما يقدر بـ ٢٠ مليون مسيحى إيفانجليكى إنجيلى أصولى لصالح «ريجان» وضد كارتر الذى لم تنجح إيفانجليكيته فى اختبار التأييد غير المشروط لإسرائيل[٧].**

بركات فى ظل حكم الرئيس رونالد ريجان

فى عام ١٩٨٢م صرح رونالد ريجان قائلًا:

«يمكننا إفشال المخططات السوفيتية التى تهدف للسيطرة على مناطق وموارد حيوية لأمتنا ورخائنا، وذلك بتقديرنا وتأييدنا الكامل للدور الذى تلعبه دولة إسرائيل فى حساباتنا الاستراتيجية. فمنذ إعادة ميلاد دولة إسرائيل، كان هناك دائمًا رابطة أبدية بين الديموقراطية ودولة إسرائيل. ففى كل يوم يُظهر الرجال والنساء فى إسرائيل قوة الشجاعة والعقيدة. وبالعودة إلى عام ١٩٤٨م عند إقامة دولة إسرائيل، ادعى النقاد بأن الدولة الجديدة لا يمكنها البقاء لفترة طويلة. واليوم لا يشك أحد بأن إسرائيل هى أرض الاستقرار والديموقراطية فى منطقة يسودها الاضطراب والطغيان، ولن تتراجع أمريكا أبدًا عن التزامها تجاه دولة إسرائيل، فهو التزام سوف يبقى راسخًا ولن يهتز أبدًا»[٨].

وفى أواخر عام (١٩٨٢م) قال «ريجان» مرة أخرى:

«إن لإسرائيل الحق فى العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها، ويمكن الدفاع عنها، ولها الحق فى مطالبة جيرانها بالاعتراف بتلك الحقوق. وأنا شخصيًّا تابعت وأيدت الكفاح البطولى لإسرائيل من أجل البقاء منذ قيامها عام ١٩٤٨. وكان العمق الإستراتيجى لحدود إسرائيل قبل حدود حرب عام ١٩٦٧م لا يزيد عن عشرة أميال فى أضيق مناطقها، حيث تعيش الغالبية العظمى من الشعب الإسرائيلى فى مرمى مدفعية الجيوش العربية المعادية. فلن أطالب إسرائيل بالعيش مرة أخرى فى ظل تلك الظروف»[٩].

وفى عام ١٩٨٣م صرح «ريجان»:

«منذ تأسيس دولة إسرائيل تقف الولايات المتحدة بجانب إسرائيل وتساندها لتحقيق الأمن والسلام والنمو الإقتصادى. فصداقتنا تعتمد على روابط إستراتيجية وأخلاقية وتاريخية، وأيضًا نحن شركاء فى تطبيق الديموقراطية»[١٠].

ومع اقتراب نهاية فترة رئاسته عام ١٩٨٧م فى حفل إستقبال «حاييم هرزوج» صرح «ريجان»:

«لأن الشعب الإسرائيلى والأمريكى شركاء تاريخيون فى السعى العالمى نحو الحرية والكرامة، فسنظل دائمًا نساند بعضنا بعضًا»[١١].

تلك الكلمات التى اختارها بدقة أكثر الرؤساء الجمهوريين الأمريكيين بلاغة فى جيلنا هذا، هل ظلت كما هى كلمات منمقة أم تحولت إلى أفعال؟

لعنات فى ظل حكم الرئيس ريجان

وافق الرئيس «رونالد ريجان» على بيع طائرات «الأواكس» (نظام المراقبة والتحذير المبكر المحمول جوًا) إلى المملكة العربية السعودية بعد الهجوم الإسرائيلى على المفاعل النووى العراقى فى «أوسيراك»، لأن السعوديين اكتشفوا أن طائراتنا الأواكس الأمريكية فى المنطقة رصدت المقاتلات الإسرائيلية وهى تدخل العراق عبر المملكة العربية السعودية وعادت دون أن تبلغ أمريكا السعودية بذلك.

استخدم السعوديون تلك المعلومة لإجبار الولايات المتحدة الأمريكية على بيع تلك الطائرات لهم لحماية أنفسهم من الضربات الإجهاضية الإسرائيلية المحتملة ضدهم فى المستقبل، وفى الحقيقة إن ذلك الحدث استدعى زيارتى للبيت الأبيض (التى أوردتها بالفصل الأول)، وعلى الرغم من حججى الجدلية التى قدمتها سلفًا، باعت أمريكا تلك الطائرات للسعودية. وفيما يلى أعرض حجج «رونالد ريجان» التى برر بها موقفه من تلك الصفقة وذلك فى خطابه للشعب الأمريكى فى أكتوبر عام١٩٨١م:

«إن بيع طائرات الأواكس وغيرها من المغذات الدفاعية الجوية الأخرى إلى المملكة العربية السعودية إنما هو قرار يراعى مصالح الأمن القومى للولايات المتحدة الأمريكية فى منطقة هامة من العالم، وسوف يدمر رفض الكونجرس لهذا القرار قدرة الولايات المتحدة الأمريكية ليس فقط على إدارة سياستها الخارجية بصورة فعالة ومصداقيتها فى منطقة الخليج، وإنما أيضًا سيدمر قدرتها على معالجة كثيرًا من القضايا الأخرى المهمة»[١٢].

ومرة أخرى فى أواخر الشهر ذاته قال الرئيس ريجان:

«نرى أن بيع طائرات الأواكس للسعودية يعتبر جزءًا لا يتجزأ من قدرتنا على المساعدة

فى عملية صنع السلام بمنطقة الشرق الأوسط التى يلعب فيها السعوديون دورًا رئيسيًا. ونحن نحصل الآن على مساعدة السعوديين لإحلال السلام هناك، وسوف نحصل عليها مستقبلًا مما يجعلنا نعتقد بأن الموافقة على هذه الصفقة وإرساء هذا النوع من العلاقات الخاصة مع السعوديين سوف يؤتى ثماره مستقبلًا. وإذا ما سعينا لإتمام صفقة الأواكس، فإننا نكون أكثر مصداقية مع السعوديين وسنكون أقدر على صنع السلام فى الشرق الأوسط، وإذا لم نفعل فأعتقد أننا سوف نخسر مصداقيتنا تمامًا فى تلك المنطقة الحيوية(١٣).

فى عهد الرئيس «ريجان» وأثناء حرب لبنان عام ١٩٨٢م أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية قواتها المسلحة إلى لبنان، إلا أنها اضطرت إلى سحب تلك القوات بعد الهجمات الانتحارية على السفارة الأمريكية وعلى القيادة المركزية الأمريكية فى «بيروت»(*). وبهذه المناسبة أدلى الرئيس «ريجان» بهذا الحديث حول إرسال القوات الأمريكية إلى لبنان:

«أثبتت الحرب فى لبنان أولًا: أن الخسائر العسكرية التى مُنيت بها منظمة التحرير الفلسطينية لم تقلل من تطلع الشعب الفلسطينى لحل عادل لقضيتهم، وثانيًا: أثبتت النجاحات العسكرية التى حققتها القوات العسكرية الإسرائيلية فى هذه الحرب أن إسرائيل لا منازع لها فى المنطقة، إلا أنهم هم وحدهم الإسرائيليون القادرون على تحقيق سلام شامل وعادل ودائم لأنفسهم ولجيرانهم(١٤).

وقال «ريجان» لاحقًا فيما بعد تأييدًا لوجهة نظره السابقة:

«إن كل الشعوب المتحضرة يجب أن تشاركنا غضبنا واشمئزازنا من القتل الذى يُرتكب ضد النساء والأطفال. لقد أكد لنا الإسرائيليون بأن قواتهم المسلحة لن تدخل بيروت الغربية، و فهمنا منهم أيضًا بأنه سوف يُسمح لوحدات الجيش اللبنانى باستعادة السيطرة على بيروت بمجرد إنسحابهم منها، ولكن محاولاتنا لتجنب قتل النساء والأطفال باءت بالفشل باحتلال الإسرائيليين لبيروت الغربية الذى بدأ يوم الأربعاء، وتم

(*) لا يرى المؤلف هنا الحاجة لتبرير سبب ذهاب القوات الأمريكية إلى لبنان، ولكنه يرى الحاجة لتبرير خروج تلك القوات من لبنان ـ المترجم.

إدانة دخول القوات الإسرائيلية بشدة إلى غربّ بيروت خوفًا من أن يؤدى هذا إلى مزيد من القتال[١٥](*).

وفى نفس الوقت يعتقد الكثير من المحللين بأن الرئيس «ريجان» لم يكن ليسمح لمناحم بيجن بأن يقضى تمامًا على منظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان ـ وهى خطوة كانت سوف تبسط بصورة كبيرة الأمور المعقدة فى السنوات القادمة ـ وإنما يتركهم يذهبون إلى تونس، ولكن مع ذلك لم تكن نية إسرائيل أبدًا القضاء التام على منظمة التحرير الفلسطينية. كما أخبر مناحم بيجن الكنيست الإسرائيلى يوم ٢٩ يونيه عام ١٩٨٢م:

«إننا نريد أن يرحل الإرهابيون عن بيروت ولبنان، وأود أن أخبر أعضاء الكنيست أن الارهابيين سيغادرون بيروت ولبنان، فلا مفر أمامهم سوى الرحيل، وأريد أن أشرح لكم الآن ما سوف نفعله وليعلم الجميع بأننا لا نريد إذلالهم وقتلهم».

حقًا الإرهابيون لا يستحقون رحمتنا ولا معاملتنا لهم باحترام. ومما لا شك فيه أنهم قتلة وخاصة ذلك الشخص ذو الوجه الملىء بالشعر قاتل الأطفال، ولكنهم أيضًا بشر، فحتى المجرمين بشر وكل روح بشرية يجب أن تحترم، وبالتالى فإننا لا نريد إذلالهم، ولم نقل بأن عليهم الاستسلام لنا، واقترحنا دخول الجيش اللبنانى إلى بيروت الغربية، فما المانع من ذلك؟

أولًا: وقبل كل شىء نحن أمام جيش لبنانى، فكلنا نرى ضرورة أن يكون لبنان بلدًا مستقلًا، وأن تكون بيروت عاصمة لها. فجزء من بيروت تحتله قوة أجنبية. لذلك يجب على الجيش اللبنانى دخول بيروت الغربية. وأن يسلم الإرهابيون أسلحتهم للجيش اللبنانى، حينئذٍ يسمح لهم بالرحيل من خلال: طريق بيروت / دمشق السريع ـ وعندما يمرون داخل حدود العشرين كيلومترًا التى نسيطر عليها فإننا سوف نسمح لهم بالمرور فى سلام دون أى أذى ـ أو يمكنهم الذهاب شمالًا إلى طرابلس، ومن هناك يتجهون إلى سوريا، أو يمكنهم الرحيل بحرًا. وسوف نسمح لهم باختيار ما يناسبهم[١٦].

(*) هذه هى الصياغة اللطيفة المريحة لمجازر صابرا وشاتيلا، والتى راح ضحيتها نصف آلاف فلسطينى ـ المترجم.

وبالرغم من أن هذا التعاون الأمريكى الإسرائيلى يبدو ظاهريًا نعمة إلا أنه فى الحقيقة نقمة؛ لأن انسحاب القوات الأمريكية من لبنان تجنبًا للهجمات الإرهابية، أوضح للعالم كله بأن «الإرهاب يجدى نفعًا»، وفى نهاية الأمر يجب أن ينظر إلى هذا الانسحاب بوصفه أكثر من مجرد لعنة. وكان ذلك الانسحاب بمثابة الخسارة الأولى لأمريكا فى معركتها ضد الإرهاب، وهى معركة لم نكن نعرف نحن الأمريكيون أنها تنتظرنا مستقبلًا بعد أكثر من عشرين عامًا قادمة، وهذا الانسحاب هو أكثر الصور الساخرة التى شاهدتها طوال حياتى على الإطلاق.

وفى عهد الرئيس «ريجان» أيضًا وبرعايته، أقر الكونجرس فى ٢٢ ديسمبر عام ١٩٨٧م قانون مكافحة الإرهاب، وهو أيضًا قانون بدا كأنه نعمة حيث حدد:

اعتبارا من تاريخ إصدار هذا القانون، تعتبر منظمة التحرير الفلسطينية وفروعها منظمة إرهابية وتهديدًا لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية ولحلفائها وللقانون الدولى، ولن يسمح لها بالعمل فى الولايات المتحدة الأمريكية، وإننا نعتبرها خارجة عن القانون، ونعتبر كل من يدعم مصالح منظمة التحرير الفلسطينية أو أى من جماعاتها وعملائها بأنهم أيضا خارجين عن القانون(١٧).

إلا أن الرئيس «ريجان» كان أول رئيس أمريكى يؤجل تطبيق قانون مكافحة الإرهاب، ليمثل بذلك تنازلًا عن أمننا القومى. وفى أعقاب تمرير القانون والتهاون فى تطبيقه، اعترف «ريجان» ـ فى آخر أيام فترة رئاسته ـ يقول البعض أن هذا الاعتراف جاء بناء على طلب الرئيس القادم للولايات المتحدة الأمريكية چورچ بوش الأب ـ بمنظمة التحرير الفلسطينية، على الرغم من سخط إسرائيل ومخاوفها من تزايد الإرهاب. وذهب المسئولون الأمريكيون إلى أبعد من ذلك عندما فتحوا حوارًا مع منظمة التحرير الفلسطينية فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٨٨م فى تونس. وفى خطاب أرسله «ريجان» يوم ٢٢ ديسمبر عام ١٩٨٨م إلى رئيس الوزراء الإسرائيلى «إسحاق شامير» لإعادة تأكيد الالتزام الأمريكى تجاه أمن إسرائيل كتب قائـلًا:

«لا يجب أن يفسر أى شىء فى هذا القرار بوصفه تخاذلًا فى الالتزام الأمريكى تجاه

أمن إسرائيل، وتهاون فى الحرب ضد الإرهاب بجميع صوره وأشكاله، أو إشارة إلى قبولنا بدولة فلسطينية مستقلة، ولن أخدع نفسى بأى كلمات واهية معسولة أسمعها من المسئولين بمنظمة التحرير الفلسطينية، فيجب عليهم أولًا تدعيم أقوالهم الخاصة بنبذهم الإرهاب فى كل مكان وترجمتها إلى أفعال، وأن يقطعوا كل صلة لهم بمن يقومون بالأعمال الإرهابية، ومع ذلك أعتقد بأن حوارنا مع منظمة التحرير الفلسطينية يمكنه أن يشجع الواقعية والبراجماتية داخل القيادة الفلسطينية، وذلك يساهم بالتالى فى الحل الشامل للصراع العربى الإسرائيلى الذى يكفل تحقيق السلام لإسرائيل فيما بعد(١٨).

واستمرت أمريكا فى مبيعاتها للأسلحة لدول منطقة الشرق الأوسط. ففى عهد الرئيس «ريجان» وخلال الفترة من عام ١٩٨١م و ١٩٨٨م بلغ إجمالى مبيعات الأسلحة الأمريكية للدول العربية ما يلى:

المملكة العربية السعودية	٢٦,٣ مليار دولار
مصـــــر	١,٤ مليار دولار
الأردن	٢,٥ مليار دولار

بركات فى عهد الرئيس چورج إتش دبليو بوش (الأب)

فى خطاب «چورج اتش دبليو بوش (الأب)» فى الأمم المتحدة عام ١٩٩١م أدلى بالآتى للعالم حول علاقة الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل:

إن التحالف القوى بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل مبنى على أساس القيم الديموقراطية والتاريخ والتراث المشترك؛ الذى حافظ وأبقى على شعبينا، فالروابط بين شعبينا تتعدى حدود السياسة، وتعاوننا الاستراتيجى - وإننى أجدد هنا اليوم تصميمنا على ذلك الإلتزام - هو أساس الأمن المشترك بيننا، ويبقى هذا الالتزام على الولايات المتحدة الأمريكية تجاه أمن إسرائيل راسخًا لا يهتز أبدًا، وربما نختلف حول بعض الأمور السياسية من حين لآخر، إختلافًا على الإجراءات فقط وليس على المبادئ.

وعلى مدى أكثر من أربعين عامًا نعمت أمريكا وإسرائيل بصداقة فريدة مبنية على أساس الالتزام والاحترام المتبادل وعلى قيم الديموقراطية. إن سعينا الدائم لتحقيق السلام فى الشرق الأوسط يبدأ من اعترافنا بأن العلاقات التى تربط بلدينا لا يمكن أبدًا أن تنقطع.

إن الصهيونية... هى الفكرة التى أدت إلى خلق وطن قومى لليهود بفلسطين... ومساواة الصهيونية بالفكرة البغيضة للعنصرية، هى تشويه للتاريخ وتناسى للمآسى المرعبة التى عاشها اليهود ليس فقط أثناء الحرب العالمية الثانية بل فى جميع مراحل التاريخ[١٩].

ومرة أخرى نسمع كلمات معسولة من الرؤساء الأمريكيين، ولكن ما هى الأفعال التى أُنجزت أثناء رئاسة چورچ اتش دبليو بوش (الأب) لأمريكا، لترجمة أقواله إلى أفعال؟

لعنات فى عهد الرئيس چـورج إتش دبليو بوش (الأب)

كانت فترة رئاسة الرئيس چورچ اتش دبليو بوش (الأب) شديدة الحساسية فى علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بإسرائيل، إذ طلبت إسرائيل من أمريكا عشرة مليارات دولار كضمانات قروض للمساعدة فى استيعاب الهجرات الجماعية المتدفقة لليهود الروس، ولكن إصرار إسرائيل على بناء المستوطنات فى الضفة الغربية كانت باستمرار نقطة شائكة فى مفاوضات السلام مع العرب. اتخذ الرئيس چورچ اتش دبليو بوش قرارًا قاسيًا بتأخيره ضمانات القروض حتى توافق إسرائيل على وقف بناء المستوطنات فى الأراضى المحتلة؛ لأن أموال القروض المطلوبة سوف تدعم بصورة مباشرة أو غير مباشرة بناء تلك المستوطنات. وتلك هى الكلمات التى وصف بها الرئيس بوش الأب قراراته فى خطابه إلى الناشط الجمهورى فى الجالية اليهودية «چورچ كليم»:

«مهما حدث فمن الضرورى ألا نسمح لتلك القضية بإضعاف أو على الأقل بإلقاء ظلال الشك حول العلاقة الجوهرية بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وأنا مقتنع تمامًا بأن معيار العلاقات الجيدة ليس هو القدرة على الاتفاق بين الأصدقاء، ولكنه القدرة على الاختلاف فى موضوعات محددة بدون تعريض المبادئ الأصلية للخطر. ونحن نفعل ذلك طوال الوقت مع بريطانيا، ويجب أن نفعل ذلك أيضًا مع إسرائيل»[٢٠].

وفى أعقاب مؤتمر مدريد فى أكتوبر عام ١٩٩١م ومع نهاية شهر نوفمبر وجهت الولايات المتحدة الأمريكية لكل من إسرائيل ولبنان والوفد الأردنى الفلسطينى المشترك الدعوة للحضور إلى واشنطون لإستكمال المرحلة التالية من محادثات السلام التى بدأت يوم ٤ ديسمبر. وكان رد فعل إسرائيل حادًّا وعنيفًا، واتهمت إسرائيل الولايات المتحدة الأمريكية بإقدامها على سابقة خطيرة بإرسالها الدعوة إلى الوفد الأردنى الفلسطينى - دون استشارة إسرائيل - وهذا يمكن أن يكون نموذجًا للمحادثات الغير مباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وسوف يشجع العرب للاعتقاد بأن الولايات المتحدة الأمريكية يمكنها أن تلعب دورًا محوريًّا وحاسمًا فى المحادثات(*). فإسرائيل أرادت عقد تلك المحادثات فى المنطقة بدلًا من أمريكا لأسباب سيكولوجية، حتى تعلم الشعوب العربية أن حكوماتهم تتفاوض مع إسرائيل؛ ويرجع ذلك إلى أن سوريا لم تخبر شعبها بأنها تتفاوض مع إسرائيل فى مدريد. ومرة أخرى فإن قضية مكان عقد الاجتماع أصابت العلاقات الإسرائيلية الأمريكية بالتوتر. وأبدى مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلى الرأى فى ذلك، بتلك الكلمات:

إن القرار الأمريكى للتدخل بشأن تجاوز الأزمة المتعلقة بمكان الاجتماع قد وضع سابقة خطيرة، المفاوضون العرب أدركوا الآن أنه يمكنهم استمالة أمريكا - عن طريق اتخاذهم مواقف متصلبة وتهديدهم لها - على أن تلعب دور الحكم وأن تستبدل نفسها بإسرائيل فى المحادثات المباشرة. وثابرت حكومة الولايات المتحدة على تأكيد موقفها الداعى إلى أن الإسرائيليين والعرب يجب عليهم التفاوض مباشرة. وقال چورچ دبليو بوش فى مدريد: إن السلام سوف يتحقق فقط كنتيجة للمفاوضات المباشرة والمصالحة والإتفاقات التى ترضى جميع الأطراف. فالسلام لا يمكن أن يُفرض من الخارج » ولكن فى دعوتها لاجتماع ٤ ديسمبر بواشنطون، قدمت الولايات المتحدة الأمريكية مقترحات مفصلة حول المحادثات لكل طرف من الأطراف الثلاثة، وحتى قبل بدء مناقشة جدول الأعمال بين تلك الأطراف، تجاهلت أمريكا التزاماتها وفرضت وجهة نظرها على

(*) لا تعليق - المترجم.

المحادثات. وهذا من شأنه فقط تقوية المطالب العربية بأن تتم المفاوضات من خلال الولايات المتحدة الأمريكية، على أن تكون مقابلة الإسرائيليين مجرد شكلًا صوريًا. وخير مثال على المخاوف الإسرائيلية يتمثل فى تصريح رئيس الوفد السورى فى محادثات السلام فى مقابلة تليفزيونية له مع التلفزيون السورى فى دمشق. وهو يشير بإستمرار إلى إسرائيل بوصفها «العدو» وقال السفير السورى «أن المفاوضات مع إسرائيل كانت استمرارًا للحرب لكن فى شكل مختلف». وإن الطريقة الوحيدة من وجهة نظر إسرائيل لاختبار النوايا الحقيقية للعرب فى محادثات السلام هى أن تكون مفاوضات إسرائيل مع العرب مباشرة وجهًا لوجه، دون أى تدخل خارجى من أى جانب ومع ذلك فهذا ليس هو الأسلوب الذى تدار به محادثات السلام الآن[٢١].

واستمر تدفق الأسلحة الأمريكية على الشرق الأوسط، وباعت الولايات المتحدة الأمريكية مابين عامى ١٩٩٠م و ١٩٩٢م أسلحة بيانها كالتالى:

المملكة العربية السعودية	٩,٦ مليار دولار
مصـــر	٣,٥ مليار دولار
الأردن	٢,٦٠ مليون دولار

البركات فى عهد الرئيس وليم كلينتون

اعترف الرئيس الأمريكى «وليم جيفرسون كلينتون» بأنه يكن حبًا وإعجابًا حقيقيًا لإسرائيل، وأنه رأى هو وزوجته هيلارى «تقدمًا إجتماعيًا ونماذج متطورة للمجتمعات المحلية فى إسرائيل، وأنهم كانوا يأملون فى تطبيقها فى بعض برامجهم الإجتماعية فى الولايات المتحدة الأمريكية. بادل كثير من الإسرائيليين حب كلينتون بحب أقوى، وكان «كلينتون» يعرف جيدًا كيف يسحر الإسرائيليين، كما سحر الرأى العام الأمريكى وأعطاهم انطباعا بأن لهم صديقًا فى أمريكا يمكنهم الإعتماد عليه. وشعر كثير من الإسرائيليين بأنه إذا ما رشح «كلينتون» نفسه لمنصب رئيس الوزراء الإسرائيلى فإن له فرصة جيدة جدًا للفوز بهذا المنصب.

وكتب «كلينتون» فى خطاب أرسله إلى «بنيامين نتنياهو» بمناسبة إحياء الذكرى السنوية الخمسين لإقامة دولة إسرائيل قال فيه:

«إن علاقتنا لن تحيد أبدًا عن تحالفنا معًا من أجل القيم والتراث الدينى المشترك والسياسات الديموقراطية المشتركة، التى جعلت العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل علاقات خاصة ـ بل وأكثر من رائعة. فالولايات المتحدة الأمريكية منبهرة بإسرائيل من أجل كل الصعوبات التى تغلبت عليها، وكل ما حققته من إنجازات، ونحن نفتخر بالعلاقة القوية التى كونها الأمريكيون مع إسرائيل المرتكزة على أساس القيم والمثل العليا المشتركة بيننا، وسوف تبقى تلك العلاقة الفريدة ابدية»[٢٢].

وفى رد على السفير الإسرائيلى فى نفس العام قال «كلينتون»:

«إن أمريكا وإسرائيل تتشاركان فى علاقة صداقة وطيدة، وعلاقاتنا بين سائر الأمم والشعوب الأخرى علاقة فريدة، فإسرائيل مثلها مثل أمريكا تعيش فى ظل ديموقراطية قوية، فهى رمز وواحة للحرية ومأوى للمضطهدين والمظلومين.

إن العلاقة بين بلدينا مبنية على أساس القيم والمفاهيم المشتركة، وسوف يستمر شعبنا فى جنى ثمار تعاوننا الثقافى والإقتصادى الرائع ونحن على أعتاب القرن الواحد العشرين».

ومرة أخرى جاءت تلك الكلمات الجميلة المنمقة من الرجل الذى ربما كان أكثر الرؤساء الأمريكيين بلاغة وخطابة فى جيلنا على الإطلاق، ولكن لم تترجم كلماته إلى أفعال.

اللعنات فى عهد الرئيس «وليم كلينتون»

على الرغم من أننا ناقشنا بالفعل كثيرًا ممّا قدمه «بيل كلينتون» لإسرائيل وأمريكا خلال فترات رئاسته إلا أننى أريد أن ألخص بإيجاز أهمهم على الإطلاق لضيق المساحة المخصصة لهذا الموضوع على صفحات هذا الفصل. أرسل «كلينتون» إشارة للإرهابيين فى العالم «بأن الجريمة تفيد» وذلك عندما توصل إلى علاقة حب مع «عرفات» وضغط

على إسرائيل للدخول فى محادثات أطلق عليها «مقامرة شجاعة من أجل السلام». وأعاد كلينتون تعريف «الإرهابيين والمتطرفين الإسلاميين» بوصفهم «مقاتلين أحرار»، وأرسل إشارة إلى اتباع «أسامة بن لادن» بأن أمريكا ضعيفة ومستعدة للمهادنة معهم.

إن رفض «كلينتون» مقابلة رئيس الوزراء الإسرائيلى «بنيامين نتنياهو» خلال زيارته لأمريكا فى ٤ نوفمبر١٩٩٧م، وأيضًا خلال الفترة التى سبقت الانتخابات الإسرائيلية مباشرة فى مايو ١٩٩٩م؛ إنما هو رفض يمثل بصورة قاطعة أكثر الخطوات المباشرة التى اتخذت من قبل رئيس أمريكى للتأثير على انتخابات دولة أخرى (وهى إسرائيل). وتسلم عرفات مفاتيح البيت الأبيض بينما تسمرت إسرائيل على الصليب.

وحذت وزيرة الخارجية الأمريكية «مادلين اولبرايت» أيضًا حذو الرئيس «كلينتون» حيث صرحت فى ١٤ نوفمبر عام ١٩٩٧م بأن عجز الولايات المتحدة الأمريكية عن تشكيل تحالف إقليمى ضد العراق من أجل إعادة نشر قواتها لشن الحرب عليه، إنما هو عجز يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالجمود المستمر فى المحادثات الفلسطينية الإسرائيلية، ورفضت «أولبرايت» أيضًا مقابلة وزير الخارجية الإسرائيلى «أريل شارون» فى يناير ١٩٩٩م أثناء زيارته للولايات المتحدة الأمريكية، وهددت أيضًا مرارًا وتكرارًا بإعادة تقييم السياسة الأمريكية برمتها تجاه عملية السلام، وصاحب هذا التهديد تهديدات أخرى مماثلة ـ من كل حدب وصوب ـ من المسئولين الأمريكيين، ووبخت «أولبرايت» أيضًا حكومة «نتنياهو» للجوئها إلى أعمال فردية من جانب واحد تهدد عملية السلام.

وقال «كلينتون»: «من المنطقى أن اتخاذ أى إجراء فردى يخالف ما اتفق عليه الطرفان كجزء من المفاوضات النهائية، إنما هو إجراء فردى لن يخدم عملية السلام». وكان «كلينتون» يشير فى ذلك إلى سياسة الاستيطان لحكومات الليكود حيث رأى أن المستوطنات تشكل عقبة فى طريق السلام.[٢٤]

وفى يوليو ١٩٩٩م صرح «كلينتون» حول استمرار عملية السلام:

«أعتقد أن موقفنا من المستوطنات معروف وواضح، فلا نعتقد بأن الأعمال الفردية من جانب واحد التى يتخذها أى من الأطراف، والتى من بينها أطراف مهتمة بالسلام مثل

الولايات المتحدة الأمريكية ـ التى ساعدت الأطراف المتنازعة فى محادثات أوسلو على المصالحة والتوصل إلى حل وسط حول قضايا الوضع النهائى ـ إنما هى أعمال يجب ألا تتخذ إطلاقًا، وتشمل هذه الأعمال البناء الاستفزازى للمستوطنات، وأوضحنا ذلك دون أى لبس أو غموض... وأتمنى أن يشعر الشعب الفلسطينى بأنهم أحرار فى العيش حيثما يريدون».(٢٥)

وتحقق أثناء فترة رئاسة «كلينتون» انفراج كبير ـ فى سبتمبر عام ١٩٩٣مـ تمثل فى إعلان المبادئ الذى أقرته كل من إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى، ووفقًا لهذا الإعلان حصل الفلسطينيون على الحكم الذاتى فى غزة والضفة الغربية، وتنازلت إسرائيل عن ٤٦٠ قرية ومدينة من بينها بيت لحم والخليل وأريحا وغزة(*). وفى عام ١٩٩٤م تم تشكيل حكومة فلسطينية فى قطاع غزة وأريحا، ومع توقيع اتفاقية مؤقتة عام ١٩٩٥م امتدت سلطة الحكومة الفلسطينية إلى مناطق إضافية فى الضفة الغربية، وتم التوصل إلى كل هذه الإتفاقيات، وتم تنفيذها طواعية من إسرائيل لرغبتها فقط فى تشجيع منظمة التحرير الفلسطينية على نبذ العنف فى المنطقة، ووقف تجدد إنتفاضة عام ٢٠٠٠م.

وخلال فترة رئاسة «كلينتون» مثلما هو الحال مع رئاسة «چورچ دبليو بوش» ظلت «معاهدة مكافحة الإرهاب عام ١٩٨٧م» ـ فى نظر غير المتمسكين بالأمن القومى الأمريكى ـ معاهدة يجب على كلينتون تجديدها مرة كل ستة أشهر طوال فترة رئاسته البالغة ثمانى سنوات.

واستمر تدفق مبيعات الأسلحة الأمريكية على الدول العربية فى الفترة مابين عامى ١٩٩٣ و٢٠٠٠م وبلغ اجمالى قيمتها على النحو التالى:

المملكة العربية السعودية	٢٣,٥ مليار دولار
مصـــر	١٠,٧ مليار دولار

(*) تلك أراض محتلة ـ المترجم.

الأردن	٦٥٠,٧ مليون دولار
لبنـــان	١٥٧,٨ مليون دولار

البركات فى عهد الرئيس چـورج دبليو بوش (الابن)

فى مايو عام ٢٠٠١م فى خطاب لـ «چورج دبليو بوش» أمام اللجنة الأمريكية الإسرائيلية صرح بالكلمات التالية:

«نحن نعبر عن مبادئنا، وسنقف إلى جانب أصدقاءنا فى العالم، ودولة إسرائيل هى أكثر أصدقائنا أهمية على الإطلاق، فإسرائيل دولة صغيرة عاشت تحت التهديد طوال مراحل تكوينها، ولقد أخبرت المسئولين والمستشارين فى أول اجتماع لى مع مجلس الأمن القومى الأمريكى بأن أمن وأمان إسرائيل يأتى على أولوية سياستنا الخارجية، وسوف تدعم حكومتى إسرائيل ضد الإرهاب والعنف خلال سعيها لتحقيق السلام الذى يصلى من أجله كل الإسرائيليين».[٢٦]

وأدلى چورج دبليو بوش أيضًا بالحديث التالى:

«لم يشهد اليهود فى جميع أنحاء العالم خلال عصور وقرون طويلة من الكفاح فقط على جرائم ضد الإنسانية، ولكن أيضًا على إيمانهم بالله، والله وحده. إن قصة حياتهم هى قصة تحدٍ للقهر، والبر على المحنة ـ منذ خروجهم من مصر وتشتتهم بعد ذلك ـ واستمرت قصة الكفاح هذه حتى بعد تأسيس دولة إسرائيل، إنها قصة الاستمرار فى الدفاع عن دولة إسرائيل[٢٧].

وبالنظر إلى تلك العواطف الجياشة، نتساءل كيف تعامل الرئيس «بوش» (الإبن) مع الأمة التى وعد بأن إدارته وحكومته سوف تؤيدها بثبات وحزم؟ رفض الرئيس «بوش» مقابلة «ياسر عرفات» وطالب منظمة التحرير الفلسطينية بالتوقف عن ممارسة الإرهاب.

فى نوفمبر عام ٢٠٠٣م صرح الرئيس چورچ دبليو بوش بتلك الكلمات ليعبر عن تأييده لإسرائيل:

«يجب على إسرائيل تجميد بناء المستوطنات وإزالة النقاط الاستيطانية العشوائية غير المرخص بها وأن تنهى إذلالها اليومى للشعب الفلسطينى، وأن لا تجحف وتتعدى على مفاوضات الحل النهائى بإقامتها للجدران والأسوار»[٢٨].

وتلى ذلك التصريح بالقرار الخاص بتعليق منح إسرائيل ٥ , ٢٨٩ مليون دولار ضمانات قروض، كعقاب لها على الأنشطة الاستيطانية غير القانونية فى الضفة الغربية[٢٩].

وعلى الرغم من أن الرئيس «چورچ دبليو بوش» حاول تجنب التعامل مع «عرفات» بوصفه زعيمًا للسلطة الوطنية الفلسطينية، إلا أنه رفض أيضًا اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية مسئولة عن جرائم الفلسطنيين، وبقيت معاهدة مكافحة الإرهاب لعام ١٩٨٧م، وكذلك مشروع نقل السفارة الأمريكية إلى القدس عام ١٩٩٥م حبيسة الإدراج المغلقة لمسئولى الأمن القومى الامريكى فضلًا عن استمرار تدفق المساعدات الأمريكية على منظمة التحرير الفلسطينية كجزء من صفقة الكونجرس المصدق عليها فى عام ٢٠٠٠م - وهى صفقة مساعدات بأربعمائة مليون دولار.

وفى هذه الأثناء استمرت مبيعات الأسلحة الأمريكية إلى الدول العربية، وبلغ إجمالى قيمة مبيعات عام ٢٠٠١م التالى:

«حصلت مصر على صواريخ «هارپون» المضادة للسفن والموجهة بالأقمار الصناعية، ومنذ ١١ سپتمبر عام ٢٠٠١م حصلت الكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة، وسلطنة عمان، على أنظمة تسليح أمريكية متطورة بإجمالى مبلغ ٥ , ٨ مليار دولار. ومن المتوقع حصول مصر على مدفعية «قذف ذاتى» عيار ١٥٥ مليمترًا وتحديث أسطولها الجوى المكون من خمس وثلاثين طائرة «أپاتشى» المقاتلة فى صفقة بلغت ٣٣٠ مليون دولار تقريبًا. ويتضمن التعاون العسكرى بين الولايات المتحدة الأمريكية وكل من

الأردن ومصر، صفقات لتزويدهم بمنصات إطلاق صواريخ سريعة (امباسادور) رتبة ٣. وفى نفس الوقت تعود السعودية - وهى مشترى قديم للأسلحة الأمريكية - إلى السوق لتحصل على الأقل على نظامين من الأسلحة المتقدمة وذلك وفقًا للتقارير المنشورة، وعلى قائمة متطلبات المملكة العربية السعودية من الأسلحة؛ دبابة حربية جديدة ومائة وعشرون مقاتلة لتحل محل الطائرات الإعتراضية (F 5 أف ٥) قديمة الموديل، أو ربما تلبى الطائرة النفاثة المقاتلة إف ١٨ أو إف ١٦ الاحتياجات السعودية وفقًا لما يحدده مسئولو وزارة التصنيع الحربى الأمريكية. وفى منطقة الشرق الأوسط غير المستقرة، بالفعل حصلت دولة الإمارات العربية المتحدة على ثمانين طائرة إف ١٦ بمبلغ ٧ مليار دولار[٣٠].

ما الذى نفعلـه يا أمريكا؟ ففى نهاية الربع الأخير من القرن الماضى حلت لعنتنا على هؤلاء الذين أراد الله منا أن نباركهم، والذين كنا مستعدين لمباركتهم، وباركنا أمة بابل (العراق) بصفقة إعادة بناء تبلغ سبعة وثمانين مليار دولار، وهى الأمة التى أعلن الله أنها ملعونة على مر العصور، فهل نحن - الأمريكيون - نسعى وراء بركات الله أم لعناته؟ إن الرئيس «بوش» يريد أن تكون القدس الشرقية عاصمة لفلسطين الإسلامية (بوصفها دولة خالية من اليهود) وإذا ما حدث ذلك فإن الصلوات لن تمنع غضب الله من أن تحل على أمريكا؛ لأنها عبثت بالنبوءة وقسمت القدس.

وإن لم نكن واثقين من هذه النبوءة، فلنتوقف ولنتأمل لدقيقة الموعظة التالية التى تقول بأن سفر «التثنية: ٢٨» ربما يكون أكثر أسفار وفصول الكتاب المقدس المتعلقة ببركات ولعنات الله انتشارا على الإطلاق، فإنا لا أتذكر عدد المرات التى سمعت فيها قسيسًا يقرأ الآيات من ١ : ١٤ لهذا الإصحاح و التى تحدد بركات الله المتاحة للمؤمنين، ولكن كم مرة قرأنا فيها لعنات الله التى تحل على الكافرين بنبوءة الله، واسمحوا لى أن أقدم لكم واحدة من آخر اللعنات المذكورة فى هذا الفصل، فاقرءوها بخشوع وتقوى:

«ويجلب الرب عليكم من بعيد، من أقصى الأرض، أمة لا تفهمون لغتها، فتنقض عليكم كالنسر. أمة يثير منظرها الرعب، لا تهاب الشيخ ولا ترأف بالطفل، فتستولى على

نتاج بهائمكم، وتلتهم غلات أرضكم حتى تفنوا، ولا تبقى لكم قمحا و لا خمرًا ولا زيتًا ولا نتاج بقركم ونعاجكم حتى تهلككم. وتحاصركم فى جميع مدنكم حتى تتهدم أسواركم الشامخة الحصينة التى وثقتم بمناعتها فى كل مدنكم. فتحاصركم فى جميع مدنكم فى كل أرضكم التى يهبها الرب إلهكم لكم».

«سفر التثنية ٢٨: ٤٩ -٥٢»

أخواتى وإخوانى فى الديانة المسيحية، حان الوقت الذى تقررون فيه إذا ما كنا سنعيش كأمريكيين فى بركات الله أم سنشقى بلعناته؟.

هل سوف تدرك أمريكا اليقظة العظيمة لإعادة الحياة إليها أم سوف تستيقظ من سباتها لتجد نفسها منبوذة من الله؟ حان وقت الاستجابة لصوت البوق المحذر، وأن نصحح مسارنا نحو الإتجاه الصحيح.

الفصل السادس عشر

مستقبل أمتنا

هل هى يقظة بدائية

أم يقظة عظيمة؟

أثناء حصار قوات الملك محمد الثانى لمدينة القسطنطينية عام ١٤٩٣م عُقد اجتماع للمجلس المحلى للكنيسة، وبدلًا من مناقشة الأعضاء المجتمعين لمشكلة وجود البلقان تحت السيطرة المسيحية أم المحمدية الإسلامية، ناقشوا مشكلات أخرى مثل: ما لون عينى السيدة العذراء مريم؟ هل الملائكة ذكور أم إناث؟ عند سقوط ذبابة فى ماء مقدس، فهل تكون الذبابة مقدسة أم الماء مدنسًا؟

ريتشارد وارمبراند(١)

فإذا لم يحاكم الله أمريكا، فسوف يكون عليه الاعتذار إلى مدينة أهل سدوم وعمورة (قرية أهل لوط).

بيلى جراهام

فتح الرئيس «ريتشارد نيكسون» نسختان من الكتاب المقدس الخاص بعائلته أثناء تأديته لليمين الدستورية لفترتى رئاسته عام ١٩٦٩ و١٩٧٣ على الصفحات التالية:

«فيقضى بين الأمم ويحكم بين الشعوب الكثيرة، فيطبعون سيوفهم محاريث ورماحهم مناجل، ولا ترفع أمة على أمة سيفًا، ولا يتدربون على الحرب فيما بعد».

(إشعياء ٢: ٤)

أحب أمريكا بصفتى محاربًا قديمًا، وأفخر بأننى خدمتها بإخلاص، ودفنت أعز أصدقائى الذى مات مدافعًا عن حريتنا. ولهذا السبب فلا يسعنى إلا أن اقف صامتًا. فلقد شاهدت لأكثر من عشرين عامًا الإرهاب الإسلامى متجهًا نحو شواطئنا مثل الإعصار المدمر.

قال لى بعض الأصدقاء «لا تكن سلبيًا متشائمًا، فالكل يريد أخبارًا سارة، فيجب عليك سرد ما يسعدهم، فهم يمقتون سماع أخبار الغم والكآبة وسوء المصير». فرددت عليهم: «حسنًا يارفاقى، لقد كانوا مخطئين، وربما يكون خطؤهم فادحًا».

إن أمريكا تغوص برأسها فى بحيرة من النار ولا تعرف ذلك، وفات أوان المشى فوق أوراق نبات التوليب. وبعد أحداث ١١ سپتمبر أيقنت أن الوقت قد حان لأصرخ بأعلى صوتى مبلغًا تلك الرسالة، لأدق ناقوس الخطر، فيتردد صداها من فوق التلال والجبال المرتفعة. فإذا ما أرادت أمريكا النجاة فعلى الأمريكيين المتدينين القديسين الذين يخافون الله أن يفيقوا من سباتهم فورًا.

وكما قال النبى أرميا:

«فاقمت عليكم رقباء قائلاً: «اسمعوا دوى البوق». ولكنكم قلتم: «لن نسمع!»».

«إرميا ٦: ١٧»

ولقد تنبأ النبيالقديم حزقيـال قائلًا:

وأوحى إلى الرب قائلًا: «يا ابن آدم، خاطب أبناء إسرائيل وقل لهم: إذا جلبت سيفًا على أرض كان أهلها قد أقاموا لهم رقيبًا من بينهم. فإذا رأى الأعداء مقبلين لمهاجمة الأرض، فنفخ بالبوق تحذيرا للشعب، فمن يسمع دوى البوق ولا يحترس، ثم أتى السيف و قتله، فدمه يقع على رأسه. لأنه سمع دوى البوق و لم يحترس. لهذا يكون دمه على نفسه؛ إذ لو احترس لأنقذ نفسه. و لكن إن رأى الرقيب العدو مقبلا و لم ينفخ بالبوق، فلم يحترس الشعب، فأقدم العدو و قتل نفسًا منهم، فالقتيل قد لاقى حتفه جزاء ذنبه، أما دمه فمن يد الرقيب أطلبه).

«حزقيال ٣٣: ١ - ٦»

وإننى أحد الحراس الذين عينهم الله، ولا أستطيع الشعور بالطمأنينة على سلامة أمريكا. وأثناء كتابة سطور هذا الكتاب، ألقى القبض على «صدام حسين»، وتحلق البورصة فى آفاق عالية جديدة لتحقق أرباحًا لم نرها قبل أحداث ١١ سپتمبر. ولكن الأخبار السيئة هى أن آلاف الدعاة الوعاظ فى أمريكا لا يصيحون محذرين أمتهم، وما أستمع إلا أحاديث لمعلقين علمانيين قساة القلوب ورجال سياسة غير متدينين، ومضيفين برامج تليفزيونية يصيحون، ولكن المسيحيين راضون عن أنفسهم مكتفين بالصمت. وتصف لنا إحدى العبارات التى وردت فى التقرير السنوى لرئيس المخابرات الألمانية (الجستابو) الذى

صدر فى صيف عام ١٩٣٨م حيث يقول «حال الكنيسة اليوم يتميز بفتور إرادة الكفاح وعدم التيقن من الهدف والافتقار إلى الشجاعة»[٢].

لا يساورنى أى شك بأن أمريكا تتلقى وتسمع ندائها الأخير المنذر من الله لتتوب وتكفر عن ذنوبها، وإن الله سوف يحكم على أمتنا الأمريكية بنفس الطريقة التى حكم بها من قبل على كل أمة عصت أوامره ورفضت خطته للعمل وتحدت رؤيته النبوءية.

وتنبأ «المسيح» قائلًا:

«وكما حدث فى زمان نُوحٍ، وهكذا أيضًا سوف يحدث فى زمان ابن الإنسان: كان الناس يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون، إلى اليوم الذى فيه دخل نوح السفينة وجاء الطوفان فأهلك الجميع. وكذلك كما حدث فى زمن لوط: كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون».

«إنجيل لوقا ١٧ : ٢٦ - ٢٨»

وتمتع قوم سدوم وعمورة (قوم لوط) بنفس الرخاء الذى حظى به قوم **«نوح»، ويقول فى ذلك «النبى حزقيال»:**

«أما إثم أختك سدوم، فإنها مع بناتها طغت عليها الغطرسة و التخمة وسلام الاطمئنان، ولم تغث الفقير والمسكين».

«حزقيال ١٦ : ٤٩»

ولم يكن لـ (أهل لوط) أدنى فكرة بأن أيام الرخاء التى شاهدوها «مثل أيام الرخاء فى عشرينيات القرن العشرين التى سبقت فترة «الكساد العظيم»، كانت نداء الرحمة الأخير من عند الله قبل تدميره لها. وحكم الله على «أهل لوط» ببئس المصير، ولكن لم يكن لـ«أهل لوط» كتاب مقدس. **أمريكا هى عاصمة الكتاب المقدس فى العالم وعدد الكنائس فيها لا يحصى،** ونقول يا ليتنا كنا نعرف البلاء قبل وقوعه، كان علينا التنبيه إلى نداء الله المحذر، إنى لست نبيًا، ولكنى أقول مع «عاموس»:

«فأجاب عاموس: «أنا لم أكن نبيًّا ولا ابن نبى، إنما أنا راعى غنم وجانى جميز، فاصطفانى الرب من وراء الغنم وأمرنى قائلًا: اذهب تنبأ لشعبى إسرائيل».

«عاموس ٧: ١٤-١٥»

إنى أطالبكم بالبحث فى مخطوطات الكتاب المقدس عن معانى كلمات «القضاء» و«الأمم» و«اللعنات»، فستجدون بالتأكيد أن الله لا يحترم الأمم التى لا تحترم نبوءته. وأن أمريكا القوية فى مأزق كبير اليوم.

لم يتجاوز الملك يوشع الثامنة عشر من عمره عندما حرك الله قلبه نحو شىء ما قرأه فى الكتاب المقدس، وفجأة رأى ذلك الملك الشاب أن أمته قد أساءت إلى الله بعظمته وأغضبته، وبأنها تتجه نحو الهلاك والدمار، فصرخ محذرًا: «إن غضب الله متجه نحوكم»[٣]، وتاب إلى ربه توبة نصوحًا فأعاد أمته إلى هداية الله».

وأرد على القائلين بإن أمريكا محصنة منيعة من غضب الله ولن يحدث لها ما حدث لقوم لوط لوجود الكثير من المؤمنين بالله فيها، فأقول لهم: تذكروا إسرائيل، فلقد دمر الله القدس والهيكل مرة تلو الأخرى، فهناك خط فاصل فى النبوءة لايمكن لأمة أن تتجاوزه، وهناك نقطة يقول لنا الله عندها: «هذا يكفى ولا تتجاوزوا حدودكم».

يعتقد الكثير من الناس أن ما حدث فى ١١ سبتمبر لم يكن بلعنة، أؤكد لهم أن كل عائلة مرت بتجربة الألم والمعاناة من أحداث ١١ سبتمبر شعرت بأنها ملعونة بفقدها أحد المحببين إليها. وهذا اليوم الشائن لم يكن مباركًا أبدًا لأمريكا، لأن المتعصبين الذين نفذوا تلك الهجمات الانتحارية متدينون جدًّا، وأؤكد لكم بأنه لا توجد هناك «تعاليم مسالمة» فى ديانتهم المتطرفة.

وأتساءل: أين هؤلاء الباكون على أمريكا والذين يحزنون على خطايا غطرستها، أغمض ملايين من المسيحيين عيونهم على ما يحدث فى أرض الكتاب المقدس؛ بل حتى الوعاظ يلقون النكات من على منابر الكنائس، ويسخرون من هؤلاء الذين يبكون من محاولات أمريكا لتحدى الرؤية الإلهية النبوءية.

ولنقرأ كلمات «زكريا» المتعلقة بالأمم التى مست «القدس» حيث يقول:

«فى ذلك اليوم أجعل أورشليم كصخرة ثقيلة تعجز عن حملها جميع الشعوب. وكل من يحاول حملها ينشق شقًا، ويتألب عليها جميع شعوب الأرض... فيقول آنئذ رؤساء يهوذا فى قلوبهم: إن سكان أورشليم أعزاء بفضل قوة الرب القدير إلههم. فى ذلك اليوم أجعل عشائر يهوذا كمستوقد نارٍ بين الحطب، أو كمشعل ملتهب بين أكداس الحنطة، فيلتهمون الشعوب من حولهم ممن عن يمينهم وعن يسارهم، بينما تظل أورشليم مستقرة آمنة آهلة فى موضعها... فى ذلك اليوم أعمل على إهلاك جميع الشعوب الزاحفين على أورشليم. وأفيض على ذرية داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والابتهال، حتى إذا نظروا إلىّ أنا الذى طعنوه ينوحون عليه كما ينوح والد على ولده الوحيد، متفجعين عليه كتفجعهم على موت بكرهم».

«زكريا ١٢: ٣ و٥-٦ و ٩-١٠»

«وتقف قدماه فى ذلك اليوم على جبل الزيتون الممتد أمام أورشليم باتجاه الشرق، فينشق جبل الزيتون إلى شطرين من الشرق إلى الغرب عن وادٍ عظيم جدًّا، فيتراجع نصف الجبل إلى الشمال، والنصف الآخر نحو الجنوب ... وهذا هو البلاء الذى يعاقب به الرب جميع الشعوب الذين اجتمعوا على أورشليم: تتهرأ لحومهم وهم واقفون على أرجلهم، وتتآكل عيونهم فى أوقابها، وتتلف ألسنتهم فى أفواههم».

«زكريا ١٤: ٤ و١٢»

وأتساءل ما الذى يحدث عندما يلعن الله أمة من الأمم ؟

إن يد الله الحامية ترفع الحماية عن أمريكا وسوف تكون قوى جهنم حرة لتفعل بها ما تشاء، وهذا ما حدث يوم ١١ سبتمبر، فليسامح الله أى إنسان لم ير تلك الإشارات التحذيرية.

وهذا هو السبب الذى من أجله ذكرت «سفر أخبار الأيام الثانى ٧: ١٤» فى الفصل الأول من هذا الكتاب. فهو نص للكتاب المقدّس مفعم بالأمل، ولكن مناسبته التى قيل فيها كانت وسط تحذير للملك سليمان لنتأمل النص الكامل الذى يقول:

« ثم أتضع شعبى الذى دُعى اسمى عليهم، وتضرعوا طالبين وجهى، وتابوا عن غيهم، فإننى أستجيب من السماء وأصفح عن خطيئتهم و أخصب أرضهم».

وحينئذٍ ظهر الله للملك «سليمان» ليلًا وقال له: «لقد سمعت صلواتك واخترت هذا المكان لنفسى بوصفه دار للقربان، وعندما أقفل سماواتى فلا ينزل منها المطر أو آمر الجراد بالتهام كل مافى الأرض من محاصيل أو أنشر الطاعون بين الناس، فإذا ما تواضع الناس الذين يذكرون اسمى ويصلون ويبتغون وجهى، ويرجعون تائبين عن طرقهم الشريرة، فإننى سوف أسمعهم من السماء وسأسامحهم وأغفر لهم خطيئتهم، وأطهر أرضهم من اللعنة.

«وهكذا أكمل سليمان إقامة الهيكل وقصر الملك، وحالفه النجاح فى كل ما خطط أن يبنيه فيهما... ثم أتضع شعبى الذى دعى اسمى عليهم، وتضرعوا طالبين وجهى، وتابوا عن غيهم، فإننى أستجيب من السماء وأصفح عن خطيئتهم وأخصب أرضهم ... ولكن إن انحرفتم ونبذتم فرائضى التى شرعتها لكم، وضللتم وراء آلهة أخرى وعبدتموها وسجدتم لها، فأننى أستأصلكم من أرضى التى وهبتها لكم، وأنبذ هذا الهيكل الذى قدسته لاسمى، واجعله مثلا ومثار هزء لجميع الأمم. ويغدو هذا الهيكل الذى كان شامخًا عبرة يثير عجب كل من يمر به، فيتساءل: لماذا صنع الرب هكذا بهذه الأرض بهذا الهيكل؟ فيأتيهم الجواب: لأنهم تركوا الرب إله آبائهم الذى أخرجهم من ديار مصر، وتشبثوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها، لذلك جلب عليهم كل هذا البلاء».

«سفر أخبار الأيام الثانى ٧: ١١ - ١٤ و١٩ - ٢٢»

حذر الله «سليمان» قائلًا: «الآن لقد بنيت منزلك وهيكلك فلا يأخذك الغرور والكبرياء، وتعتقد بأنك لم تعد فى حاجة إلىّ بعد الآن، وإذا ما بدأت تشعر بهذا الغرور والكبرياء فالعلاج بسيط فتواضع وكفر عن ذنوبك، واسع لوجهى، وتراجع عن الشر الذى ترتكبه، وسأسمع صلواتك وسأستجيب لك، وأغفر لك خطاياك وأرفع لعنتى عن أرضك، ولكنك إذا ما تماديت واستمريت فى تحديك لى، فسأتخلى عنك كما تخليت عنى، وذلك بصرف النظر عن تشييدى لعرشك بالحكمة التى أعطيتك إياها باسمى،

وبدلًا من أن تكون رمزًا لخيرى فإنك ستصبح عبرة لما سوف يحدث لهؤلاء الناس الذين يتخلون عنى».

وفى خلال بيئتنا المعاصرة، أقدم لأمريكا هنا نصيحة ذات قيمة: «إن أمريكا لديها من أصنام الوثنية ما هو أبشع مما شيده قوم لوط، تتمثل فى أصنام الجشع والنسبية الأخلاقية. وبتلك الأصنام جعلنا قوانين الله ورحمته جوفاء ومفرغة وبلا أى معنى. لقد أدرنا ظهورنا لله بتبنينا سياسات مثل الإجهاض والجنسية المثلية بوصفها معايير عادية للسلوك. ويقول لنا الله إذا فعلنا ذلك سنكون قد استسلمنا للعقول الشريرة التى ترتكب مثل هذه الأفعال(٤)؛ فإذا ما كان هذا حالنا فاين نحن من النظام العالمى الجديد؟.

كانت أحداث ١١ سپتمبر طلقة تحذيرية تنبىء بما هو آتٍ من أخطار فى المستقبل، أراد الله لأمريكا المسيحية بأن تستيقظ من سباتها وغفوتها بإرساله الأخ الشرير الذى تركناه لعدالة الله يكيل لنا الضرب بكل ما أوتى من حقد وكراهية، فمن المؤكد بأن أحداث ١١ سپتمبر لم تحدث فقط بسبب علاقاتنا مع إسحاق؛ ولكنها حدثت أيضًا بسبب علاقاتنا مع إسماعيل، لقد ربينا إسماعيل على الجشع ولم نقدم إليه أى شىء من الحب والصدق الذى عرفناه عن المسيح، اظهرنا أمامه البركات التى خصنا الله بها، فحقد علينا.

أرسل الله إلينا رجالًا أمثال «وليم بلاكستون» لمساعدتنا على إنقاذ «إسحاق» من روح الكراهية المعادية للمسيح. ولكن رؤساء أمريكا الواحد تلو الآخر تجاهل «وليم بلاكستون». وأرسل الله لنا رخاء العشرينات فى القرن العشرين ليظهر حبه لنا، ولكننا لازلنا لا نستمع إلى نبوءاته. ولذلك أرسل الله إلينا فترة الكساد بوصفها التحذير النهائى ليحثنا على أن نذكر اسمه ونعبده ونتواضع بأنفسنا ونسعى إليه، ونرجع عن طرقنا الشريرة. ولكننا لم نستجب لنداء الله، وبالتالى أدار العالم الذى تقوده أمريكا ظهره لليهود لتحصد مذابح الإبادة الجماعية على يد «هتلر» أرواحهم، ولم يتحرك أى أحد فى العالم لإنقاذهم إلا بعد فوات الأوان. وهكذا فقد اليهود ثلث عددهم فى العالم بلا أى أمل للنجاة، وتحمل «هتلر» كامل المسئولية عن هذا القتل الجماعى فى خطابه المفتوح للقيادة العليا العسكرية الألمانية عندما قال: «لو لامنى أى إنسان وسألنى لماذا أبيد اليهود؟ ولماذا لا

ألتجىء إلى محاكم العدل؟ ما أستطيع قوله بأننى فى هذه الساعة أصبحت المسئول عن مصير الشعب الألمانى[٥]، والقاضى الأعلى للشعب الألمانى».

و«هتلر» مثله مثل كثيرٍ من الديماجوجين الذين سبقوه، بدأ ينسب إلى نفسه بعض صفات الله. وفى إحدى المناسبات لاح بكرباجه الذى يضعه بيده دائمًا قائلًا:

«فى طردى لليهود أشبه نفسى بيسوع فى الهيكل، فتمامًا مثل المسيح فإن لدىّ واجب تجاه شعبى»، والأدهى من ذلك تباهى «هتلر» بأنه مثلما غير ميلاد المسيح التقويم الميلادى؛ فإن إنتصاره على اليهود سيكون بداية لعصر جديد. وقال فى خطابه بعد أيام من توليه منصب المستشار الألمانى **«سأكمل ما بدأه المسيح»** فأقام شعائر الصلاة واعدًا بأن مملكة جديدة ستنشأ على الأرض فى عهده، وسيكون هو القوة والمجد «آمين»، وأضاف أنه إذا مالم ينجز مهمته فيحق لكم صلبى»[٦].

وزاد من غرور «هتلر» تقمصه المستمر لشخصية المسيح. ومنذ أوائل عام ١٩٣٣م عُلق صليب «هتلر» المعقوف على محراب كاتدرائية «مجدبرج». وتعهد عميد أساقفة الكاتدرائية قائلًا: «إن كل من يلعن هذا الرمز لبلادنا إنما يلعن ألمانيا... إن أعلام الصليب المعقوف تشع بالأمل...»[٧]. ودفعت الأنانية والغرور «هتلر» لاستخدام مثل هذه التعبيرات فى تصريحاته: «أنا مؤسس نظامًا ـ الإنسان ـ الإله ذلك المخلوق الرائع الذى سيكون موضوعًا للعبادة»[٨] و«لم ينته الخلق بعد؛ فالإنسان هو إله فى طور التكوين»[٩] ولسوء الحظ ساندت منابر الكنائس الألمانية أيديولوچية «هتلر» المتطرفة.

ففى الثلاثين من أغسطس عام ١٩٣٣ أعلن الأسقف الألمانى «يوليوس لوثرسر»: «جاء المسيح إلينا فى صورة «هتلر» من خلال أمانته وإيمانه ومثاليته... إننا ندرك الآن أن المسيح المنقذ قد جاء إلينا...وأمامنا مهمة واحدة فقط بأن نكون ألمان وليس مسيحيين»[١٠] وأعلن الأسقف «سيجفريد لفلر» قائلًا: «فى الليلة السوداء الحالكة الظلمة من تاريخ الكنيسة، أصبح «هتلر» هو الشفافية الرائعة المستنيرة لعصرنا، والنافذة المضيئة التى من خلالها يدخل الضوء ليسقط على تاريخ المسيحية، فمن خلال «هتلر» استطعنا أن نرى فى تاريخ الألمان المسيح المنقذ[١١] «ويبدو أن الجماهير وافقت على تصريح

«الفرد روزنبرج» الذى قال فيه لنسمح للأحداث المصيرية بأن تمر كما هو مقدر لها، ولكنى أؤمن بأن هناك فوق « هتلر» نجمة حامية ترعاه وتحميه.

وبعد أن أصبح اضطهاد اليهود فى ألمانيا سائدًا، كتب «أوزولد جى سميث» عام ١٩٣٦م بأن ألمانيا إستيقظت من سباتها، وخلص إلى هذه النتيجة قائلًا: إذا سألوننى عن الشعور الحقيقى للشعب الألمانى تجاه «هتلر»؟ فإنه لايوجد لدى سوى إجابة واحدة وهى أن الشعب الألمانى من أرقى طبقاته إلى أدناها، ومن الأطفـال والآباء وكبار السن والشباب على السواء؛ يحبون قائدهم الجديد هتلر، وإن ثقتهم فيه بلا حدود ولايمكن أن تهتز، فهم يثقون به كإنسان. وسألت «ماذا عن انتخاباتكم؟ ليس لديكم إختيار، فأما «هتلر» أو لا أحد غيره، فليس هناك خصم له، فأجاب الشعب الألمانى بسخط نحن لا نريد حزبًا آخرًا فلدينا ما يكفينا من الأحزاب، ونحن نريد زعيمًا بمعنى الكلمة، إنسانًا يحبنا ويعمل من أجل مصلحتنا وخيرنا، ونحن مقتنعين بـ«هتلر»، وهذا الشعور يسرى فى كل مكان فى ألمانيا، وإن كل مسيحى حقيقى يؤيد «هتلر»، وأدركت شعور الشعب الألمانى المؤيد لهتلر بنفسى من كل المسيحيين، وحصلت على معظم معلوماتى منهم وسواء كانوا على حق أم على باطل فهم جميعًا يؤيدون «أدولف هتلر»(١٣).

إن احتقار «هتلر» لنفس الكنائس التى أيدته ودعمته هو احتقار بلا حدود، وأفضى «هتلر» إلى «هرمان راوشنينج» برأيه بأنه ليس للطائفة الكاثوليكية ولاللطائفة البروتستانتية مستقبل فى ألمانيا، وتوعد «هتلر» وأقسم بأن يمحو المسيحية من ألمانيا من جذورها وفروعها. ويقول «هتلر» فى هذا الصدد «إن الإنسان إما أن يكون مسيحيًّا أو ألمانيًّا فلا يمكنه أن يكون كلًا منهما فى آن واحد»(١٤) ولقد عقد «هتلر» العزم على أن يفعل بالبروتستانت كل ما يحلو له، وإنهم سوف يخضعون لسيطرته. فإنهم أناس تافهون عديمو الجدوى ومطيعون خانعون مثل الكلاب(١٥)، وكان «هتلر» مثله مثل من سبقوه ومن سيأتون من بعده، فكان يكن إعجابًا لهؤلاء الذين يسعون إلى التحايل على تاريخ الكتاب المقدس لكى يتماشى مع وجهات نظرهم المشوهة. أعجب «هتلر» بشدة بـ«بريتشارد ڤاجنر» المعادى المتطرف للسامية. أدعى «ڤاجنر» بأن لديه رؤيا غيبية بأن يسوع قد ولد من سلالة آرية ألمانية، ووفقًا لـ«هتلر» فإن هذا ليس هو المسيح اليهودى

للكتاب المقدس ولكنه المسيح الذى سكب الدماء الألمانية من أجل إعادة العظمة التى تستحقها ألمانيا[١٦].

كيف يتبع «هتلر» كثير من الذين مجدوا اسم المسيح؟ وكتب «جيرالد سوستر» مفسرًا لذلك قائلًا: «رحب كثير من الناس بإلغاء المسئولية الفردية للإنسان عن أعماله، فمن الأسهل على كثير من الناس أن يطيعوا غيرهم أفضل من قبولهم لمخاطر الحرية. إن العمال لديهم الآن أمان وظيفى وخدمة صحية... فإذا كان معنى الحرية الموت جوعًا فالعبودية أفضل منها[١٧]. واقتنع «هتلر» بأنه إذا ما اضطروا الى الاختيار بين صليبه المعقوف وصليب المسيح، فإن كلًا من البروتستانت والكاثوليك سوف يخونوا المسيح منقذهم ويختاروا صليبه المعقوف. وهل تعتقدون أن الجماهير سوف تكون مسيحية مرة أخرى؟ هذا كلام فارغ. لقد انتهى هذا الإحتمال فلن يُسمع عنه مرة أخرى، ولكن يمكننا أن نسرع الأمور. فسوف يحفر كبار الأساقفة قبورهم بأيديهم وسوف يخونون إلههم ويؤمنون بنا نحن، سوف يخونون أى شىء من أجل وظائفهم البائسة ومرتباتهم المتواضعة[١٨]. وربما أوضح لنا «روساس راشدونى» ذلك عندما كتب قائلًا: «إنكم عندما تختارون سلطتكم فإنكم تختاروا إلهكم وربكم، وأينما تنظرو ن إلى قانونكم فإنكم تنظرون إلى إلهكم وربكم»[١٩].

وانظروا حولكم أيها الأمريكيين فتكتشفون أننا ندخل الآن فى نفس الحلقة المفرغة، فرخاء التسعينيات من القرن الـ ٢٠ لم يحقق لنا شيئًا يذكر سوى أنه جعلنا أكثر أنانية عما كنا عليه منذ عشرات السنوات الماضية. وأضابنا ١١ سبتمبر بشىء ما أسوأ من انهيار البورصة فى يوم الثلاثاء الأسود عام ١٩٢٩م. فما هو أحد الأسباب الرئيسية التى أدت إلى الكساد العظيم؟ إنها إحدى الأنظمة الجديدة التى أدخلت فى ذلك الوقت والتى أطلق عليها اسم «الشراء بالإئتمان» فلقد اقترضت الأمة الأمريكية كلها لشراء الأشياء، وازدهر الإقتصاد بسبب الإنفاق الاستهلاكى المتزايد، وعندما حان وقت سداد الديون، كان قلة من المستهلكين لديهم سيولة مالية للدفع. وانزلقت أمريكا نحو الكساد، ثم نحو حرب عالمية ثانية.

كانت أمريكا مستمتعة برخاء التسعينات من القرن العشرين وضربها الإرهابيون يوم ١١ سبتمبر، ثم تبع ذلك فترة كساد وانحسار ونواجه الآن فترة حرب ليس لها نهاية منطقية، ومرة أخرى يقترض الأمريكيون أموالًا بصورة لا مثيل لها من قبل. ومرة أخرى يقف اليهود على شفا الهاوية مع اكتساح ظاهرة معاداة الصهيونية للعالم كله، ولأننا وبريطانيا العظمى الأمتان اللتان لهما قوة أخلاقية كافية للصمود أمام الإرهاب، فإننا أيضًا فقط الأمتان القادرتان على الصمود والدفاع عن إسرائيل، ولكن هل سنفعل كأمريكيين ذلك الواجب الإلهى المقدر علينا؟ الذى لم نفعله فى العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين فما الذى يحتم علينا فعل ذلك الواجب اليوم؟.

كما ورد فى الكتاب المقدس:

لذلك التهمت اللعنة الأرض، وعوقب أهلها بإثمهم، فاحترق سكان الأرض ولم يبق منهم سوى قلة»

«أشعياء ٢٤: ٦»

فهل يحارب الله الأمم؟ نعم حيث يقرر لنا الكتاب المقدس أنه سيحارب جميع الأمم التى تقف ضد القدس:

«لأنى أجمع جميع الأمم على أورشليم لتحاربها، فتؤخذ المدينة وتنهب البيوت وتغتصب النساء ويسبى نصف أهلها إلى المنفى، إنما لا ينقرض بقية الشعب من المدينة. ولا يلبث أن يهب الرب ليحارب تلك الأمم، كما كان يحارب فى يوم القتال».

«زكريا ١٤: ٢ - ٣»

نعم إن أمريكا تلعن إسرائيل وإلا فلماذا لا تسمح أمريكا لإسرائيل الدولة الديموقراطية الوحيدة فى الشرق الأوسط بأن تنضم إلينا فى حرب العراق؟ لأننا نخاف من الدول المعادية للسامية فى المنطقة، هؤلاء الذين يكرهون إسرائيل ونحن نخشى أن يقطعوا إمدادات البترول التى تدير اقتصادنا.

رأى الرئيس الأمريكى «إبراهام لينكولن» الحرب الأهلية بوصفها حكم الله على أمة

متحيزة متعصبة، وفى نفس السياق عندما أعلن «بلفور» وعده عام ١٩١٧م عن إعادة ميلاد دولة يهودية فى فلسطين وهو الحدث النبؤى الأشبه بالمعجزة، فلم ترفضه فقط وزارة الخارجية الأمريكية، بل والحكومة الأمريكية أيضًا، التى أذعنت وخضعت للضغوط المعادية للسامية وأصدرت تشريعًا رئيسيًّا يحصر ويقيد أعداد المهاجرين اليهود إلى أمريكا فى العشرينات من القرن التاسع عشر، ويا لسخرية القدر. كان «هتلر» لم يصل إلى السلطة إلا فى عام ١٩٣٣م ولكن قبلها طبقت أمريكا سياسة هجرة هدفها الإبقاء على يهود روسيا بعيدًا عن أمريكا تمامًا، مثلما تهدف إلى الإبقاء أيضًا على يهود ألمانيا وپولندا وغيرهم من اليهود الآخرين ـ فى بلاد العالم الأخرى الذين يحاولون الهروب من «الحل النهائى» لـ«هتلر» ـ خارج حدود أمريكا، وهكذا فقد أُغلقت الأبواب أمام اليهود الذين حالفهم الحظ فى الهروب والوصول إلى أمريكا ودق أبوابها.

ووصلت منظمة «كو كلوكس كلان» المعادية للسامية والتى تأسست عام ١٩١٥م إلى قمة ازدهارهاعام ١٩٢٠م، وشهدت عشرينيات القرن العشرين اجتياح «كوكلوكس كلان» لأمريكا مثل الطاعون، وبفضل مساندة وتدعيم شخصيات معادية للسامية مثل «هنرى فورد» الذى مول إعادة طبع كتاب «پروتوكولات حكماء صهيون»، وفى خطاب له بعنوان «اقفلوا باب الهجرة أمام اليهود». كتب السيناتور «اليسون سميث» من جنوب كاليفورنيا قائلًا: **«أعتقد بأن لدينا الآن أعداد كافية من السكان فى أمريكا تفرض علينا غلق الأبواب أمام المهاجرين اليهود، وأن نربى مواطنين أمريكيين الجنسية فقط، وإننى أعترف بوجود تميز خطير بين أناس من سلالة معينة وسلالة من الكلاب... وبدون إساءة إلى أحد، وإنما بالنظر فقط إلى مصالحنا الأمريكية الخاصة، فاسمحوا لنا بقفل باب الهجرة واستيعاب ما لدينا بالفعل، وتربية مواطنين أمريكيين خالصين وتطوير إمكانياتنا ومواردنا الأمريكية»**[٢٠].

إننى مقتنع بشدة بأن حكم الله قد حل بأمريكا المصابة بطاعون معاداة السامية الذى دفع مثل هذه الأمة المسيحية إلى غلق أبوابها وقلبها وآذانها، بلامبالاه أمام صرخات ستة ملايين يهودى ـ كان أكثر من مليون منهم أطفالًا صغارًا.

انهارت البورصة الأمريكية فى يوم الجمعة الأسود ٢٩ أكتوبر عام ١٩٢٩م، وتراجعت أمريكا وتبدل حالها من كونها أكثر اقتصاديات العالم رخاء فى التاريخ - خلال العشرينيات المزدهرة من القرن العشرين - لتصبح حاوية إقتصادية فارغة يملؤها التراب والغبار مع اجتياح حمى «الكساد العظيم» للبلاد، وتحولت أغانى البلاد الشعبية التى تقول «نحن نعوم على بحر من النقود» إلى تلك التى تقول «يا أخى هل يمكنك توفير دولارًا».

ولكن الله كان يحاول تنبيه أمريكا لأكثر من قرن مضى لمأساة اليهود، وذلك من خلال «الصحوة العظمى» التى قادها المسيحيون الإنجليكيون من أمثال «جوناثان ادوردز» و«چورچ وايتفيلد» و«جلبرت تننت» إلا أن قلب أمريكا ظل متحجرًا.

إن كلمات الله تعلن لنا: «إننى سوف أبارك الأمم التى تبارككم وسوف ألعن الأمم التى تلعنكم»(٢١) وتمامًا مثلما أعلن الرئيس الأمريكى «إبراهام لينكولن» بأن الحرب الأهلية هى حكم الله الذى نزل على أمريكا لمعاقبتها على التعصب المختفى وراء الرق والعبودية للزنوج «والكساد العظيم» كان هو حكم الله الذى نزل على أمريكا بسبب تعصبها ومعاداتها للسامية - سوف ألعن الأمم التى تلعنكم - **وكانت المعاداة للسامية مدفونة فى أعماق روح أمريكا، ولعن الله أمريكا على ذلك - وإن هؤلاء الذين يصيبوكم بسوء إنما يصيبون قرة عينى(٢٢) ونفس بذور معاداة السامية التى غذت وأشعلت نيران « محرقة «هتلر» وقتله الجماعى لليهود «مازالت حية وتعيش بيننا فى القرن الحادى والعشرين فى أمريكا اليوم، ولكنها نيران خاملة».**

هناك معركة دائرة حاليًا بين النور والظلام، القدس وبابل، وتلك هى إشارة أكيدة على أن يسوع قادم قريبا، حيث يقول الكتاب المقدس «يا أبناء إسحاق الرجال الذين يفهمون العصور»(٢٣). والله يدعو نبوءيًا البقية من أبناء إسحاق الذين يفهمون العصور. لقد شاهدت لأكثر من عشرين عامًا تلك المعركة وهى تقترب وصرخت محذرًا. و كان ذلك فى جنيف عام ١٩٨٨م، وفى مدريد ١٩٩١م وفى البيت الأبيض عام ١٩٩٣م وفى بعض كتبى مثل «وثيقة القدس» عام ١٩٩٩م ولكن الغالبية العظمى من المسيحيين فى أمريكا سخروا مما قلت لهم (تمامًا مثلما حدث فى أيام «نوح» ولكن ضحكاتهم الساخرة توقفت يوم ١١ سبتمبر).

إن المعركة لم تحسم بعد، فحكم الله سيحل بأمريكا مثل موجة المد والجذر العاتية، ويمكن فقط للبقية المتبقية التى تنصت إلى ما تقوله لنا «الروح المقدسة» بإن توقف تلك الكارثة القادمة، فأمريكا تلعن إسرائيل الأمة التى باركها الله وتبارك العراق الأمة التى لعنها الله «بإعادة بنائها لبابل ـ أى العراق» ألم يكشف لنا الكتاب المقدس ما الذى سيحدث لأمة تفعل مثل هذا؟ الإجابة نعم مائة بالمائة. هل مستقبل أمريكا مكشوف بالوحى والنبوءة؟ نعم ألف فى المائة.

إن الشيطان يكره اليهود ويجب على الشيطان أن يدمر إسرائيل قبل ظهور المسيح الذى سينهى حكم الشيطان. وتعلن النبوءة بأن القدس سوف يتم توحيدها على أيدى اليهود عند قدوم المسيح. هدف الشيطان هو تقسيم القدس وإيقاف الساعة النبوءية التى سوف تدق لتعلن مصير الشيطان المحتوم.

إننا نعيش اليوم فى أيام خطيرة عندما تخذل قلوب الناس المليئة بالخوف آمالهم! إن الكتاب المقدس يخبرنا بأن نكون مثل العذارى الحكيمات وبألا نكون حمقى، وبأنه يجب علينا الإعداد لظهور المسيح، ويقول لنا الكتاب المقدس بأنه يمكننا معرفة المواسم والعصور، حتى وإن لم نكن نستطيع معرفة يوم وساعة ظهور المسيح.

فانظروا، فإننا فى آخر الزمان، وفدائنا وخلاصنا قريب، ولا يمكننى التزام الصمت، وأنتم أيضًا مثلى يطالبنا الكتاب المقدس بالكلام[٢٤](*) فالمعركة التى تشن حاليًا على القدس ليست صراعًا سياسيًا، وإنما هى نبوءة وليست هى معركة للسياسية الخارجية ولكنها معركة سماوية مقدسة. وعندما يعلن الرئيس الأمريكى بأن القدس الشرقية والضفة الغربية هى أراضى محتلة بصورة غير قانونية، فإنه بذلك يلوح بقبضته فى وجه الله مثله مثل «نبوخذ ناصر» الملك القديم الذى تحدى إرادة الله. إن إعادة إحياء دولة إسرائيل ليس هو منحة من أمريكا إلى الله، ولكن هذا الحدث تنبأ الكتاب المقدس بحدوثه، ولكن وجود أمريكا نفسه هو هبة من عند الله ومرهون بتحقيق تلك النبوءة.

إن أمريكا لايمكنها كسب معركة التحدى مع الله ـ ولا أحد يستطيع فعل ذلك ـ

(*) إكرامًا لصهيون لا أصمت، ومن أجل أورشليم لا أستكين «سفر إشعيا ٦٢ : ١».

وذات يوم سوف تصحو أكبر قوة عظمى فى تاريخ العالم وهى مصدومة بسبب غطرستها وكبريائها. كما حدث من قبل لجيل كامل يوم الثلاثاء الأسود، عندما أصابنا «الكساد العظيم» والأسوأ من ذلك بآلاف المرات يوم الهجمات الإنتحارية فى ١١ سبتمبر. وأننا نحتاج إلى أن نوقظ أنفسنا وننهض من سباتنا لنستعد لذلك اليوم، وإلا فسوف نسمح للصاعقة بالقضاء علينا ونحن فى غفوة.

وبصفة عامة فإن الكنيسة تهوى، فهى كنيسة بلا صلوات وبلا كلمة لا تخاف الله، وأصبحت مثل أول كنيسة أبان قوم لوط. فلم تعد الكنيسة مستعدة لدفع تكاليف المنح الدراسية للحواريين المتتلمذين على تعاليم الكتاب المقدس. إن الوسائل التى قدم الله عن طريقها بركته ونعمته الى الكنيسة ـ صلب المسيح منقذنا ـ هى وسائل قد تخلينا عنها. وقال «ديتريش بونهوفر» معلقًا على ذلك: «إن والنعمة الرخيصة هى عدو الكنيسة المميت، ونحن نقاتل اليوم من أجل نعمة مكلفة، والنعمة الرخيصة تعنى البركة، والنعمة المعروضة حاليًّا مثل السلع الرخيصة. لقد إلقينا بعيدًا ومزقنا القربان المقدس وغفران الخطيئة وعزاء الدين بوصفها أسعارًا رخيصة. وفى مثل هذه الكنيسة وجد العالم غطاءًا رخيصًا ليخفى به خطاياه. وإن الندم غير مطلوب وليس لدينا أدنى رغبة حقيقية للتطهر من الخطيئة. النعمة الرخيصة تعنى تبرير الخطيئة دون تهذيب مرتكبها فإنها نعمة بدون صليب وبدون المسيح مثل حياته وتجسده[٢٥].

ويحذرنا الكتاب المقدس فى «سفر الرؤيا: ٢٢» مرارًا وتكرارًا قائلًا «تماسكوا فإننى قادم بسرعة لإنقاذكم» لكن الكنيسة فى أمريكا تسخر من رسالة ظهور المسيح، ولا تعظ أو تبشر بذلك من على منابرها، وترفض الكلمات النبوءية المذكورة فى «سفر الرؤيا ٢٢: ١٦» أنا يسوع أرسلت ملاكى لأشهد لكم بهذه الامور فى الكنائس .أنا اصل داود ونسله. أنا كوكب الصبح المنير»، وإن الأنبياء الزائفين المدنسين يضللون من على منابر الكنائس الأمريكية، ويخدعون المسيحيين المتدينين ويقودونهم كقطيع من الخراف نحو المذبح ليذبحونهم وذلك عن طريق ديانتهم الملهمة من الشيطان، وهى نفس المذاهب اللاهوتية التى اعتنقتها الكنيسة البروتستانتية فى ألمانيا. وعرف الدكتور «كارل» أحد أصدقاء «هتلر» نوعية الديانة المسيحية التى يراها «هتلر» قائلًا: «المسيحية الحقيقية ممثله لكم

فى الحزب، و إنكم أيها الشعب الألمانى مدعون من قبل هذا الحزب وخاصة «الفوهرر هتلر» إلى اعتناق المسيحية الحقيقية... فالفوهرر هو المبشر بالوحى الجديد»[٢٦].

سخر الناس فى أمريكا بوعد الله الأبدى مع إسرائيل، ونجد هؤلاء الوعاظ الحمقى فاقدى البصيرة يملئون مواعظ يوم الأحد بمذاهب إنسانية غير موجودة فى الكتاب المقدس وينبذون ويرفضون إسرائيل، مع أنهم يمسكون الكتاب المقدس الذى كتبه اليهود الذين عرفوا كل حقائق النبوءات المتعلقة بإسرائيل. لاحظوا، وتذكروا رعب أحداث ١١ سبتمبر، ثم بعد ذلك بأسابيع لاحقة عادوا إلى سباتهم العميق ويلقون على الجماهير مواعظ مملة كالوجبات الفاسدة لا يأكلها سوى الجياع. والرسائل التى يروجون لها إنما هى مقتبسة عن أبطالهم العميان وليس عن الكلمة المقدسة لرب مقدس.

إن عقيدة العصر الجديد(*) المستمد من جهنم، والقائل بأن الكنيسة هى إسرائيل الروحانية؛ إنما هو مذهبًا ليس فقط مبتعدًا عن كلمة الله، وإنما أيضًا يغذى روح الكراهية لليهود، ويسلب من الكنيسة هدفها الخالد، وهو مهمتها العظيمة كشاهدة فى القدس والضفة الغربية على سماع الله ـ بدلًا من تعاونها الأعمى مع قوى الشر والظلام التى تنوى تدمير أمريكا وإسرائيل.

لقد سخروا من النبوءة وأغمضوا أعينهم كالعمى حتى لا يشاهدوا الإشارات النبوءية، مثل عودة اليهود من أقصى الأرض إلى أرض الميعاد والميلاد الجديد لإسرائيل فى مايو ١٩٤٨م، وإعادة توحيد القدس فى ٦ يونيه ١٩٦٧م، والبقاء الأشبه بالمعجزة لإسرائيل بعد خمسة حروب خلال فترة قصيرة من التاريخ الحديث. مجد الأمريكيون «أسامة بن لادن» و«عرفات» بينما لم يفعلوا شيئًا لمساعدة اليهود، وأغمضوا أعينهم عن اليهود المدنيين الأبرياء الذين يُقتلون كل أسبوع فى العمليات الإرهابية التفجيرية فى إسرائيل، معتقدين أنه ليس من واجبهم التدخل، بل الجلوس فى صمت والتفرج على هؤلاء القتلة وهم يرتقون للمناصب الدبلوماسية العليا ويشجعون، بهذا على ظهور شياطين آخرين أكثر عنفًا وتدميرًا من خلال سياستهم المتخاذلة للتهدئة والمهادنة مع الإرهاب.

(*) العصر الجديد: أفكار ومعتقدات ريفية غير تقليدية، ظهرت فى الولايات المتحدة فى العقدين الأخيرين من القرن الماضى ـ المترجم.

وهؤلاء الذين ينشرون تلك الأكاذيب، إنما يكتبون بتخاذلهم مع الإرهاب كتابهم المقدس الخاص بهم، وهو كتاب تنبذ أفعاله كلمات الله العادل المقدس، فهذا الكتاب ينبذ وعود الله الخالدة لإسرائيل، ويقول بغطرسة إن شعب الله المختار هو الكنيسة، والكنيسة غارقة فى الرذيلة؛ فالكنيسة تكتظ بالشواذ جنسيًا وأساقفة «العصر الجديد» هم مدمنو الإباحية والزنا، وهم الذين يديروا دفة مجالس إدارة تلك الكنائس. فأين هو موقف الكنيسة تجاه كل هذا؟ لقد كتبت «مارى بوزانكيا» فى كتابها «حياة وموت ديترش بونوفر» قائلة: «هناك أمل واحد فى عصرنا، وهو أمل ضعيف وضئيل وبائس، الرجوع إلى الكنيسة إلى المكان الذى يتحمل فيه الإنسان آلام أخيه الإنسان، حيث يشارك الإنسان أخيه الإنسان فى تبعية الله هناك حيث يوجد هناك مأوى و يوجد هناك حب»[٢٨].

كان مصدر أمل «بونهوفر» نابعًا من كلمة الله «إننى أؤمن بأن الكتاب المقدس وحده هو الإجابة الشافية على كل الأسئلة، وإننا نحتاج فقط إلى أن نسأل مرارًا وتكرارًا وبقليل من التواضع لنتلقى الإجابة... فإذا توقعنا الإجابة النهائية لكل أسئلتنا من الكتاب المقدس، فسنحصل عليها بالفعل؛ لأن الكتاب المقدس يتحدث إلينا بإشاراته النبوءية[٢٩].

إن اللعنات المذكورة فى «سفر التثنية ٢٨» تتجه بسرعة البرق نحو أمريكا، وانتزاع الله الغاضب بركاته من أرضنا، وذلك عندما سمع صرخات أربعين مليون طفل لم يولدوا بعد الذين قتلتهم أمريكا جميعًا باسم الحرية(*) الأطفال الرضع الذين قدر لهم بأن يكونوا صوت النبوءة على أرضنا، ولكن رسائلهم للعالم كله لم يسمعها أحد بسبب قوى جهنم.

«ولهذا السبب يرسل الله إليهم طاقة الضلال حى يصدقوا ما هو دجل، فتقع الدينونة على جميع على الذين لم يؤمنوا بالحق جميعًا بل سرهم الإثم».

«الرسالة الثانية إلى مؤمنى تسالونيكى ٢: ١١ - ١٢»

ووفقًا لآراء «جاك إلدل» فإن كل جيل يعتقد أنه اكتشف الحقيقة أخيرًا... وتصبح الديانة المسيحية «زجاجة فارغة تملؤها ثقافات متعاقبة بشتى أنواع التفاهات»، وفى هذا

(*) يقصد المؤلف الإجهاض، ويسميه مؤيدوه «حرية الاختيار» ـ المترجم.

الفراغ نفقد رؤية الأشياء المهمة، وهى ألوهية المسيح وكفاية دم المسيح لإنقاذ البشرية والخطورة القاتلة للخطيئة ونفاذ كلمة المسيح وضرورة التوبة.

لماذا لايلتزم الرئيس «بوش» ـ الذى ولد من جديد ـ بكلمة الله فيما يتعلق بوعوده لليهود؟ ذلك الأن كبار الأساقفة الذين لايؤمنون بكلمة الله ـ وهم رجال ونساء يقضون فى ملاعب الجولف ونوادى الرعاية الصحية وقتًا أكثر مما يقضونه راكعين فى صلواتهم لله ـ يمسكون بألسنة الرؤساء الأمريكيين ومستشاريهم؟ لقد وصف المسيح مظاهر الخداع بأنها آخر الإشارات أو العلامات المنتشرة قبل عودته، ويصف لنا سفر الرؤيا يومًا عندما سوف تخدع أرواح الشياطين[٣٠] العالم كله، بل وبلايين من الذين سوف يختارون الرضا والحظوة الإنسانية عن رضًا وحظوة الله، ويتطلعون بلهفة إلى الجلوس بجانب «الرجال العظماء» فى البيت الأبيض أفضل من جلوسهم جنبًا إلى جنب مع المسيح فى القدس الجديدة، ويخافون بأنهم إذا ما قالوا الصدق فإن أسماءهم سوف تشطب من قائمة المرشحين لمناصب عليا التى يقرها الرئيس الأمريكى، أكثر من حذف أسماءهم من «كتاب الحياة» للمسيح.

نعم فنحن نعيش فى نهاية الزمان ـ وإسرائيل هى ساعة الله المنبهة المنذرة! غضبت كل الأمم من إسرائيل[٣١] تلك الشوكة التى تقف فى حلقهم. إن إسرائيل الصغيرة هى شرك الله لاصطياد عالمًا متغطرسًا محتقرًا لله، ويلوح بقبضته فى وجهه الكريم، حيث يتباهى هذا العالم بإعادة إعمار أبراج بابل المحكوم عليها ببئس المصير؛ التى لعنها الله منذ الأزل أكثر، من تباهيهم بإعادة بناء هيكل «الملك داود» على يد إسرائيل المباركة.

«لأنى أجمع جميع الأمم على أورشليم لتحاربها، فتؤخذ المدينة وتنهب البيوت وتغتصب النساء ويسبى نصف أهلها إلى المنفى. إنما لا ينقرض بقية الشعب من المدينة.. وتقف قدماه فى ذلك اليوم على جبل الزيتون الممتد أمام أورشليم باتجاه الشرق إلى الغرب عن وادٍ عظيمٍ جدًا، فيتراجع نصف الجبل إلى الشمال، والنصف الآخر نحو الجنوب».

«زكريا ١٤ : ٢ – ٤»

«ها أنا آتٍ كما يأتى اللص، طوبى لمن يكون بانتظارى، ساهرًا وحارسًا لثيابه، لئلا

يمشى عريانًا فيرى الناس عورته!.. وجمعت الأرواح الشيطانية جيوش العالم كلها فى مكان يسمى بالعبرية «هرمجدون»».

« سفر الرؤيا ١٦ : ١٥ – ١٦»

لماذا يجب على الكنيسة مساندة إسرائيل؟ لأن الله يقف إلى جانب إسرائيل، وإن هذا يمثل جزءًا من هدف الكنيسة الأبدى الخالد ـ وهو وعد من الله العظيم بالقوة الجبارة للكنيسة إذا ما أنجزت مهمتها العظيمة فيما يتعلق بالقدس والضفة الغربية.

وتعلم «ألبرت أينشتاين» ـ المنفى من ألمانيا لكونه يهوديًا ـ تلك الحقيقة حيث كتب معلقًا:

«أنا محب للحرية، عندما قامت ثورة النازى، نظرت إلى الجامعات وأردت الدفاع عنها؛ وذلك لعلمى بأن الجامعات تتباهى دائمًا بإخلاصها لقضية الحقيقة، ولكن تم إسكات وإخراس الجامعات، فنظرت بعد ذلك متطلعًا إلى رؤساء تحرير الصحف الكبرى التى ادعت مقالاتها البلاغية المتحمسة فى الأيام الخوالى الماضية حبها للحرية، ولكن مثلهم مثل الجامعات تم إخراسها فى أسابيع قليلة، ولكن الكنيسة وحدها هى التى وقفت فى طريق حملة « هتلر « الرامية إلى إخفاء الحقيقة وقمعها. ولم يكن لدىّ من قبل أى اهتمام بالكنيسة، ولكننى الآن أشعر بالإعجاب والمودة العظيمة للكنيسة لأنها هى وحدها التيكانت لديها الشجاعة والمثابرة لتقف مدافعة عن الحرية الفكرية والأخلاقية، وأنا مضطر إلى الإعتراف بأننى أمدح بلا تحفظ ما كنت أحتقره فيما مضى[٣٢].

لماذا يخاف الشيطان كثيرًا من إسرائيل؟ لأن إسرائيل أعادت إحياء دولة إسرائيل التى سوف تؤذن بظهور المسيح المنقذ للبشرية، وعندما يعود يكون مصير الشيطان المحتوم قد حسم.

إن المصائب تتجه نحو أمريكا، فقبل بداية الحرب ضد الإرهاب نقل «صدام حسين» أسلحته للدمار الشامل ومليارات الدولارات إلى سوريا، ونحن نحتاج إلى معرفة من الذى يمتلك كل هذا الآن ولنجرده من تلك الأسلحة مثلما فعلنا ذلك مع العراق، ولا يمكننا تجاهل هذا الأمر المرعب، ولكن يبدو أن كل فرد قد صدق الأكاذيب بأن تلك الأسلحة

المدمرة لم تكن موجودة أصلًا، وانظروا إلى الدليل وضعوا النقط على الحروف، فإن تلك الأسلحة لازالت موجودة، وإلا لم يكن « صدام حسين » أبدًا ليتخلى عن كل شيء من أجل حماية تلك الأسلحة.

إن هذه هى ساعة منتصف الليل، وإذا نامت البقية الباقية من المؤمنين بالله فسوف تهلك أمريكا. ولكننا إذا ما اخترنا بدلًا من ذلك الاستيقاظ، وأن نكون مرة أخرى محبى الكنيسة بالصورة التى أمرنا وناشدنا الله بها؛ فإن الأمل الذى نضعه نصب أعيننا الآن يكون قد إقترب، وإننى أقول لكم الصدق وأخبركم بالحقيقة، فإن يسوع قادم وسوف يعود سريعًا. وإن مدى استعدادنا لمثل هذا اليوم سوف يغير مستقبلنا الأزلى.

الفصل السابع عشر

الأمل الوحيد المتبقى فى عالم مضطرب

«لم أفهم سر عبقرية وقوة أمريكا حتى ذهبت إلى كنائسها وسمعت منابرها مشتعلة بلهيب الحق».

«ألكس دى توكوفيل»
مؤلف كتاب «الديموقراطية فى
أمريكا» عام ١٨٣٥م

«فجثوت عند قدميه لأسجد له، فقال لى: لا تفعل! إنى عبد لله، مثلك ومثل أخوتك المؤمنين الذين لديهم الشهادة المختصة بيسوع: لله أسجد! فإن الشهادة المختصة بيسوع هى روح النبوءة».

«سفر الرؤيا ١٩: ١٠»

كما سبق لنا ورأينا فى الرواية الرمزية لشجرة التين التى ذكرناها فى الفصل الثانى، فتمامًا مثلما يوضح ويبشر تفتح براعم أوراق شجرة التين بأن موسم الصيف قد إقترب، توضح إشارات نهاية الزمان الذى نعيشه الآن بأن المسيح يستعد للعودة، وعودته قريبة جِدًّا، وكما قال المسيح إلى حواريه قبل وبعد هذه الرواية الرمزية فى إنجيل «لوقا»:

«ولكن عندما تبدأ هذه الأمور تحدث، فانتصبوا وارفعوا رءوسكم لأن فداءكم يقترب. ولكن احذروا أنفسكم لئلا تتثقل قلوبكم بالانغماس فى اللذات وبالسكر وهموم الحياة، فيدهمكم ذلك اليوم فجأة. فاسهروا إذن وتضرعوا فى كل حين، لكى تتمكنوا من أن تنجو من جميع هذه الأمور التى هى على وشك أن تحدث، وتقفوا أمام ابن الإنسان».

«إنجيل لوقا ٢١: ٢٨، ٣٤ - ٣٦»

لا تسمحوا لأحد بأن يغرر بكم فيما يخص حقيقة نهاية الأزمنة التى نعيشها الآن، فإن لم تكن الرواية الرمزية لشجرة التين وإشارات «إنجيل متى ٢٤» كافية لإقناعكم، فانظروا إلى آخر علامة إرشادية لأخر ميل على طريق يوم القيامة، أعطاها لنا النبى دانيال وهى «ازدياد السفر والمعرفة».

بصورة دقيقة تنبأ النبى «دانيال» بالممالك والحكومات التى تعاقبت على المسرح العالمى عقب اختفاء بابل القديمة وذلك فى «إنجيل دانيال ٢: ٣١ - ٤٥» وقد تحققت بالفعل كثيرًا من نبوءاته حيث تشكل كتاباته حجر الزاوية الأساسى لنبوءة الكتاب المقدس.

وصف لنا النبى «دانيال» سعى الإنسان نحو المعرفة بأنها سمة مميزة ورئيسية «العصور النهاية» وهى الفترة التى سوف تقود إلى عودة المسيح «يسوع» إلى الأرض.

«أما أنت يادانيال فأكتم الكلام، وأختم على الكتاب إلى ميعاد النهاية. وكثيرون يطوفون فى الأرض وتزداد المعرفة».

«كتاب دانيال ١٢: ٤»

يمكننا بسهولة تفسير تنبوء «دانيال» فى عبارة «وكثيرون من الناس يطوفون فى الأرض» بوصفها كلمات تشير إلى «سباق الفئران» فى المجتمع الحديث، وفسر «معظم الباحثين أن المقصود بذلك هو زيادة فى السفر وسرعة المواصلات. ولنقارن عالمنا اليوم بالعالم منذ مائة سنة مضت عندما كان السفر بقطار بسرعة ستون ميلًا فى الساعة يُعد عملًا مدهشًا من صنع الإنسان لا يمكن تصديقه، أما اليوم فنحن نسافر بطائرات بوينج ٧٤٧ التى يمكنها الطيران أكثر من ٦٠٠ ميلًا فى الساعة - أو حتى طائرات الكونكورد التى تصل سرعتها إلى ١٣٥٠ ميلًا فى الساعة - وهذا ليس إلا تجسيدًا لبراعة العقل البشرى. ما الذى كان سيفكر فيه «دانيال» فى مثل هذا اليوم، إذا ما أمكننا نقل دانيال «بآلة الزمن» ليعيش معنا عصرنا هذا؟ أعتقد أنه كان حتمًا سينظر إلى السماء كل عدة دقائق انتظارًا لعودة المسيح.

إن معدل «تطور معرفة الإنسان» يزداد تدريجيًا بسرعة تفوق الخيال. قديمًا بدأ العلماء قياس معدل توسع آفاق قاعدة «المعرفة الأساسية للإنسان» لصياغة ذلك فى صورة تعبيرات تكنولوچية حديثة، وافترض هؤلاء العلماء أن إجمالى المعرفة التكنولوچية المتراكمة بحلول العام الأول ميلاديًا كان يساوى وحدة واحدة من المعرفة، وأن مقدار المعرفة التى اكتسبها الإنسان خلال الـ ١٥٠٠ عام التالية (أى عام ١٥٠٠م) قد تضاعف مرتين ليصل إلى وحدتين للمعرفة، وخلال ٢٥٠ عام فقط ضاعف الإنسان معرفته أربعة وحدات. ومن عام ١٧٥٠م وحتى عام ١٩٠٠م، وهى فترة تقدر بمائة وخمسين عامًا تضاعفت وحدات معرفة الإنسان مرة أخرى لتصبح ثمانى وحدات. وخلال القرن العشرين ازدادت سرعة معدل تطور المعرفة بصورة مدهشة لدرجة أن الأمر لم يأخذ من الإنسان سوى عام أو اثنين فقط لكى يضاعف قاعدته الأساسية للمعرفة.

ولنفكر الآن للحظة حيث كل شيء نعرفه عن «أحدث التطورات العلمية» سوف يتضاعف فى أقل من سنتين، وسوف تصبح الموسوعات العلمية والكتب المدرسية المقررة الآن كتبًا قديمة وبسرعة مذهلة، وسوف يضطر الأطباء والمهندسين وعلماء الطبيعة والباحثين إلى التخصص لينحصر تركيزهم فى مجال ضيق من المعرفة، وحتى فى حياتنا اليومية، فمن المستحيل لنا تقريبًا مجاراة تدفق المعلومات فلا عجب أننا بحاجة إلى درجة متقدمة من المعرفة المتخصصة لمجرد إدارة جزء صغير من أحدث الآلات.

هذه الثورة فى عالم المعلومات لا توضح فقط أننا نعيش فى آخر الزمان، بل أن نوع المعرفة التى اكتسبها الإنسان هى حتمًا دليل على عبقرية العقل البشرى، فالأشياء التى كانت تنتمى منذ سنوات قليلة مضت إلى عالم الخيال العلمى، أصبحت الآن واقع حى. وحكومتنا ناهيك عن المواطن العادى غير مهيأة تمامًا للتعامل مع التأثيرات الأخلاقية لتلك التطورات العلمية السريعة المتلاحقة. ولنضرب مثلًا على ذلك وهو الاستنساخ، حيث صدم المواطن الأمريكى العادى من الأخبار التى نشرت فى يناير عام ١٩٩٧م عن ميلاد النعجة «دوللى» التى استنسخت من الخلايا المجمدة لنعجة بالغة. وفى نشوة الفرحة بهذه التكنولوچيا الجديدة المتقدمة المدهشة، شد انتباه الناس حقيقة أن «دوللى» هى النعجة الناجية الوحيدة من بين ٢٧٧ جنين لأغنام مستنسخة. وفى الحقيقة إن العلماء الذين استنسخوا النعجة «دوللى» انتظروا سبعة أشهر قبل نشرهم لخبر هذا النجاح؛ وذلك لأن كل المحاولات الأخرى انتهت بإنتاج مواليد أغنام غير طبيعية ذات تشوهات وعيوب خلقية مميتة، ومع غياب أى تشريعات فيدرالية أو دولية تنظم الاستنساخ البشرى، يتسابق العلماء مع الزمن لتطوير أبحاث سوف تكون لها نتائج ملموسة على الجنس البشرى.

هناك سؤال خاص يحير معظم المسيحيين الذين يعتبرون الاستنساخ «ورطة أخلاقية». قضيت ليال طويلة ساهرًا أحاول إيجاد إجابة على هذا السؤال، وصليت وابتهلت إلى الله متضرعًا بأن يسمح لنا الله بالوصول الى إجابة على هذا السؤال وهو: هل سوف يكون للإنسان المستنسخ روحًا؟ أجاب الڤاتيكان على هذا السؤال بـ «لا» بالقطع، وخلصت الأكاديمية البابوية للحياة ـ وهى لجنة أسسها البابا «يول الثانى» ـ إلى نتيجة مفادها «أن الروح هى النواة التى يتشكل منها كل إنسان يخلقه الله، ولا يمكن إنتاجها من خلال الاستنساخ»[1].

إنه «العالم الجديد الشجاع» الذى تخيله كتاب قصص الخيال العلمى منذ عشرات السنوات الماضية، فهو موجود هنا الآن وهو العالم الذى قرر فيه الإنسان بأن يكون هو خالق نفسه، ويالها من سخرية القدر! أليست الحقيقة هى: أننا نجهض ملايين الأطفال من أحشاء أمهاتهم، وفى نفس الوقت نقوم بتخليق أجنة بشرية فى المعامل ؟

لا يسعنى سوى التفكير بأنه عند نقطة ما من الاستنساخ ـ ربما فى القريب العاجل ـ سوف يتدخل الله ليوقف الجنس البشرى فى سعيه المجنون؛ الذى جعله يتدخل فى قدرة الخالق ويخلق الحياة بطريقته وبمواصفاته الخاصة. ونحن فى أمريكا لا نبنى شيئًا سوى صنم تكنولوچى لبابل القديمة. فالاختلاف ليس كبيرًا، فبدلًا من عبادة بابل القديمة لعلم الفلك والسماوات، فالإنسان الحديث يعبد العلم والتكنولوچيا؛ فالعبادتان مختلفتان ولكن المحصلة النهائية واحدة؛ فالجنس البشرى يتحايل لانتهاك دور الله خالق الكون. وعند نقطة ما من سعى الإنسان سوف يقول الله «توقف أيها الإنسان» ليضع الله حدًا لحماقة الإنسان.

إن موعد عودة المسيح قد اقترب بالتأكيد. فكيف نستعد ونجهز أنفسنا لاستقباله؟ فلننظر إلى هذه النصيحة المقتبسة من الكتاب المقدس:

«فإن نعمة الله التى تحمل معها الخلاص لجميع الناس، قد ظهرت. وهى تعلمنا أن نقطع علاقتنا بالإباحية والشهوات العالمية، وأن نحيا فى العصر الحاضر حياة التعقل والبر والتقوى، فيما ننتظر تحقيق رجائنا السعيد، ثم الظهور العالمى لمجد إلهنا ومخلصنا العظيم يسوع المسيح، الذى بذل نفسه لأجلنا لكى يفتدينا من كل أثم ويطهرنا لنفسه شعباً خاصًا يجتهد بحماسه فى الأعمال الصالحة. بهذه الأمور تكلم، وعظ، ووبخ بكل سلطان ولا تدع أحد يستخف بك»!

«الرسالة إلى تيتوس ٢: ١١ – ١٥»

إذا ما وقفت كنيسة الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها النور الذى أرادنا يسوع أن نكون عليه، فإن سياسة أمتنا سوف تصلح وتعالج نفسها، فالتشريعات لا يمكنها أن تغير قلوب الناس، ولكن «كنيسة الله» يمكنها ذلك. ومن الأمور ذات الأهمية القصوى أن

يكون لدينا أمة تصلى أكثر من رئيسها نفسه، وذلك على الرغم من أن المعادلة الأفضل هى أن يصلى كلًا من الاثنين معًا بتقوى.

وليس هناك أدنى شك بأنه يجب علينا السمو والارتقاء وفعل الصواب، وأن نحث حكومتنا على فعل نفس الشيء ولكن علينا أن نكون متيقظين، لأن أمريكا مقبلة على يوم مصيرى محتوم - يوم سوف يكون تأثيره على الولايات المتحدة الأمريكية أكثر رعبًا بآلاف المرات من ١١ سبتمبر - ولكن هل سيكون هذا اليوم هو يوم هلاكنا أم فدائنا؟ وما هو هذا الحدث الذى سيكون تأثيره أكثر سوءًا بآلاف المرات من ١١ سبتمبر؟ هل هو هجوم إرهابى متعدد الجهات مستخدمًا قنابل نووية حرارية؟ أم هو كارثة طبيعية لم نشاهدها بهذا الحجم أبدًا من قبل؟ أم هو كوكب صغير يدور حول الشمس ويصطدم بالأرض؟ أم ماذا يكون هذا الحدث يا ترى؟

أعتقد بأن هذا اليوم سوف يكون ذلك اليوم الذى ينادى المسيح فيه على الشعب المسيحى، واليوم الذى تعيش فيه الأرض سعادتها الكبرى، ولننظر كيف وصفت لنا كلمات الكتاب المقدس هذا اليوم:

«لماذا تقف ناظرًا مندهشًا محملقًا فى السماء؟ إنه نفس المسيح الذى صعد من بينكم إلى السماء فهو سوف يأتى إليكم عائدًا بنفس الأخلاق الحسنة التى سبق ورأيتموه بها».

«أعمال الرسل ١: ١١»

«وها أنا أكشف لكم سرًا: إننا لن نرقد جميعًا، ولكننا سنتغير جميعًا، فى لحظةٍ، بل فى طرفة عين عندما ينفخ فى البوق الأخير. فإنه سوف ينفخ فى البوق، فيقوم الأموات بلا انحلال. وأما نحن، فستتغير. فلا بد لهذا الجسم القابل للانحلال أن يلبس عدم انحلالٍ، ولهذا الفانى أن يلبس خلودًا».

«الرسالة الأولى إلى مؤمنى كور نثوس ١٥: ٥١ -٥٣»

«لأن الرب نفسه سينزل من السماء حالمًا يدوى أمر بالتجمع، وينادى رئيس ملائكه، ويبوق فى بوق إلهى، عندئذٍ يقوم الأموات فى المسيح أولًا. ثم أننا، نحن الباقين أحياء،

نختطف جميعًا فى السحب للإجتماع بالرب فى الهواء. وهكذا نبقى مع الرب على الدوام. لذلك عزوا بعضكم بعضًا بهذا الكلام!».

«الرسالة الأولى إلى مؤمنى تسالونيكى ٤: ١٦: ١٨»

«إنما ينتظرنى الآن إكليل البر المحفوظ لى، والذى سيهبه لى الرب الديان العادل فى ذلك اليوم؛ ولن يوهب لى وحدى، بل أيضًا لجميع الذين يحبون ظهوره».

«الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ٤: ٨»

إن «يوم عودة المسيح» هو يوم الأمـل الأعظم للكنيسة، ونحن بحاجة لرؤية ذلك اليوم وعلينا ان نستعد له، ولكننا نحتاج أيضًا إلى معرفة أن مثل هذا اليوم لن يكون كسائر الأيام الأخرى بالنسبة لهؤلاء الذين لن تشملهم نشوة الفرحة بعودة المسيح، ولا أشك بأنكم إذا ما كنتم تقرءون هذا الكتـاب فربما تكونوا قد قرأتم كتـاب «متخلفون» (Left Behind) أو حتى شاهدتم القصة معروضة كفيلم على الشاشة، ولكنى لا أعتقد ان هؤلاء المخرجين الذين صوروا تلك المشاهد للدمار قد اقتربوا من حقيقة أن أمريكا اليوم **لديها مواطنون يتطهرون من ذنوبهم ويولدون مسيحيين من جديد وذلك أكثر من أى أمة أخرى فى العالم؛ فإن نسبة ٢٣٪ من الأمريكيين يعترفون بأنهم تطهروا من ذنوبهم وولدوا من جديد ـ من بينهم الرئيس الأمريكى نفسه ـ وهم يشكلون خمسة وستين مليون نسمة تقريبًا**، ولنفكر للحظة كم عدد الذين قتلوا يوم ١١ سبتمبر؟ تقريبًا ثلاثة آلاف شخص، ولنفكر ونتذكر فوضى ودمار ذلك اليوم. ولنتذكر الانتكاسة التى أصابت اقتصادنا القومى واهتزاز ثقتنا فى استخدام الطائرات وثقتنا فى أن نمشى بأمان فى الشوارع وفى آلاف الطرق التى أثرت فيها أحداث ١١ سبتمبر على حياتنا. والآن لنتخيل للحظة تلاشى خمسة وستين مليون أمريكى فى غمضة عين ـ اختفاء ملايين ممن يقودون طائرات وقطارات وسيارات ويبحرون بالسفن، والذين يديرون محطات توليد الطاقة النووية والصوامع النووية، ويبحرون بالغواصات المجهزة بالصواريخ النووية... إلخ ـ وكم عدد المرات التى يمثلها فَقْدُ ٦٥ مليون بالمقارنة إلى الثلاثة آلاف الذين قتلوا فى أحداث ١١ سبتمبر؟ إن القوة التدميرية لهذا الحدث سوف تكون أكبر عشرين ألف مرة من ١١ سبتمبر، ولنتخيل للحظة إنه إذا ما وقعت هذه الكارثة على أمتنا اليوم فإنها سوف تدمر وتقضى على رئيسنا،

ومن ياترى سوف تقضى عليه أيضًا؟ كم عدد أعضاء مجلس الشيوخ والبرلمان والقضاة وحكام الولايات وعمداء المدن وأعضاء مجالس المدن ورجال الشرطة وإطفاء الحرائق سوف يفقدون حياتهم؟ وكم عدد الأساتذة والمعلمين فى المدارس والجامعات؟ وكم عدد رؤساء ومديرو الشركات الذين سوف يفقدون حياتهم؟ وكم عدد زعماء أمتنا الذين سوف يختفون للأبد فى مثل هذا اليوم؟.

ما الذى سوف يحدث لاقتصادنا فى مثل هذا اليوم؟ إن انهيار سوق البورصة فى هذا اليوم سوف يجعل انهيارات البورصة السابقة عامى ١٩٢٩م و ١٩٨٧م بمثابة هزات طفيفة! كم عدد الموظفين الكادحين الذين سوف يختفون من الحياة فى مثل هذا اليوم؟ سوف ينخفض فجأة أكبر سوق على الإطلاق للخدمات والبضائع فى العالم بنسبة ٢٣٪. وسوف يكون هناك نقص وندرة فى البضائع الاستهلاكية، وسوف يتوقف التصنيع تمامًا، وسوف ترتفع الأسعار بصورة فلكية. وكم عدد الشركات التى سوف تفلس فى ذلك اليوم؟ أو تختفى تمامًا؟

لنفكر فى هذا اليوم: ما الذى يحدث إذا ما اختفى فجأة فى غمضة عين كل إنسان محترم ذو شخصية أخلاقية مثالية؟ من الذى يترك حيًّا ليقود أمريكا؟ ما الذى سوف تفعله حكومتنا؟ أو الأفضل، أن نقول إنه سوف لن يكون هناك ما يكفى لأمريكا من موارد لتدبير شؤونها، وماذا سيكون الحال لو حصد هذا اليوم أكثر من خمسة وستين مليون نسمة؟ ماذا لو حدث إبادة وتطهير هائل على أراضينا، وحصر حياة مائة مليون أو مائة وخمسين مليون إنسان أو أكثر؟ ماذا لو اندمجنا فى قوة الله مثلما فعل القديس «بولس» والحواريين القديسين الأوائل الذين حولوا العالم بقوة حب وحقيقة الله؟ ماذا يحدث لو أننا اقتلعنا بصدق الكتاب المقدس أكاذيب «المذهب الوهابى الإسلامى المتعصب»؟ ما الذى يخبئه المستقبل من أجل هذا اليوم إذا ما ولدت أمتنا فى هذا اليوم مسيحية من جديد؟ البعض قد يعتقد بأن هذا مستحيل ولكن بإرادة الله كل شىء ممكن.

وبالتأكيد فى ذلك اليوم أيضًا سوف تتأثر بصورة هائلة أمم أخرى غير أمريكا تعيش على كوكبنا. ويقدر عدد جميع هؤلاء الذين يدعون أنهم مسيحيون فى ذلك اليوم حوالى

مليارين نسمة تقريبًا، وعلى الرغم من أن من يراهم الله فى ذلك اليوم مؤمنين حقيقيين، سيترك ملايين المصدومين، ولكن لأن أمريكا لديها أكبر نسبة من السكان المسيحيين على وجه الأرض، فمن السهل علينا حينئذ رؤية لماذا سوف تؤثر هذه السعادة والنشوة بهذا اليوم على أمريكا أكثر من أية أمة أخرى.

نعم إن أملى الحقيقى ليس هو أن يهاجمنا الإرهابيون، وليس هو حتى الوقوف إلى جانب إسرائيل فى معركتها النهائية (وذلك على الرغم من أننى افضل ذلك بصورة كبيرة عن البديل الأول!)، ولكن أملى الحقيقى هو أن يرحمنا الله جميعا فى ذلك اليوم. إن إعادة التطهير والإحياء بعد الطوفان سوف تجتاح أمريكا، وفى ذلك اليوم النهائى سوف يكتشف الكثير منا بأنه لم يتبق لأمريكا ما يكفى للقتال والصراع من أجله.

هناك مقولة يتم تداولها فى الجيش وزاد من شهرتها كتاب وفيلم «سقوط الصقر الأسود» والعنوان الفرعى للكتاب «لن يتخلف إنسان» يجب أن يكون ذلك شعارنًا عند مواجهتنا للأيام الأخيرة.

إن السلام فى عصرنا مرهون بهؤلاء المنتمين إلى جيل اليوم الذين لديهم الرغبة للصلاة من أجل السلام، ويكون سلوكهم وفقًا لما تقوله السماء لإقرار السلام. فلن يكون هناك سلام فى المستقبل بدونهم. وما نحتاجه اليوم ليس إلا الكنيسة التى تضع الخلود والأبدية نصب أعينها، وليس أداء البورصة اليوم .نحن بحاجة إلى النهوض والارتقاء لتصبح أمريكا الكنيسة المتجهة نحو الخلود والأبدية وليس الكنيسة المشوشة بأفكار الماضى السحيق.

إن الله ينادينا. بماذا سنجيب؟ انظروا إلى شجرة التين، فالصيف على الأبواب، وانظروا إلى الإشارات المبشرة بآخر الزمان التى وردت بإنجيل متى «الإصحاح: ٢٤». وسبق لى أن تحدثت عن تلك الإشارات والحدث النبوئى الرئيسى الذى سوف يؤثر على مصير أمريكا والعالم أجمع وهو: عودة المسيح يسوع. أوصيكم بقراءة «إنجيل متى الإصحاح ٢٤» مرة أخرى.

إن تلك الإشارات مثلها مثل الأحداث الجارية اليوم، وأعتقد حقًا أن يسوع قادم فى القريب العاجل ومعه كل السعادة والنشوى.

ماذا سيحدث مع هذه النشوى والسعادة؟ التى وصفها يسوع المسيح قائلًا: «سوف يكون هناك رجلان حينئذٍ فى الحقل: أحدهما سيموت، أما الآخر سيبقى. وكذلك سيكون هناك فى الطاحونة امرأتان تطحنان الدقيق: إحداهن سوف تنتزع وتموت والأخرى سوف تبقى وتعيش. لذا احترسوا لأنكم لا تعرفون أى ساعة سوف يأتيكم فيها حساب ربكم ويعود فيها المسيح منقذكم[٢].

وعندما نفسر كلمات يسوع المذكورة بأعلاه من خلال مصطلحات اللغة الحديثة؛ ربما نقول: «سوف يكون هناك اثنان من ضباط الشرطة فى دورية: سيموت أحدهما أما الآخر سيبقى ويعيش. وسوف يكون هناك عاملان يعملان فى المكتب: أحدهما سوف ينتزع ويموت أما الآخر سوف يبقى ويعيش. وهناك اثنان من المقاتلين يخوضون معركة شرسة: أحدهما سوف ينتزع ويموت أما الآخر سوف يبقى ويعيش، وهناك اثنان من الطلاب فى أحد الصفوف بالكلية: سوف ينتزع ويموت أحدهما أما الآخر سوف يبقى ويعيش. وسوف تكون هناك امرأتان تتسوقان: إحداهن سوف تنتزع وتموت أما الأخرى سوف تبقى وتعيش».

فى ذات يوم سوف تنظرون إلى سماء الشرق وتشاهدون الحدث الوحيد الأعظم على الإطلاق فى تاريخ الجنس البشرى، وسوف تعمى أبصاركم بضوء ساطع أكثر من الضوء الذى ضرب حوارى القديس «بولس» على الطريق إلى دمشق، وسوف تشاهدون الوميض يسطع كالبرق، وسوف تسمعون كبير الملائكة والجوقة الغنائية السماوية تنشد سيولًا رعدية من المديح بقدوم المسيح الملك العائد.

سوف يعلن صوت البوق إن ملك الملوك وسيد السادة والأمير الخالد الأبدى للسلام سيظهر فجأة ستنشق وتتناثر القبور والأضرحة الرخامية مثل ورق السلوفان وسوف يلفظ كل قبر بقايا الموتى المؤمنين، وسوف تدب الحياة من جديد فى الأجساد المتحللة فى «طرفة عين» وسوف تفقد الجاذبية الأرضية تأثيرها مع طيران وصعود القديسين إلى السماوات لمقابلة منقذهم المسيح فى الهواء.

وستجدون فى أجسادكم الروحانية الجديدة بأنكم سوف تدخلون الأبواب الماسية

للسماء لترحب بكم هتافات «إبراهيم» و«إسحاق» و«يعقوب»، وهناك من أعالى السماء سترون «موسى» الذى يفرد يديه ليشق مياه البحر الأحمر، وهناك سوف يقف «يوحنا» الموحى الكاشف عن الرؤية التى رآها أثناء نفيه على «جزيرة بطموس»، حيث يرى المسيح يتوسط الشمعات الذهبية السبع، وسوف يكون كُلاً من بطرس الصياد العظيم والحوارى «بولس» اللذين قلبا العالم رأسا على عقب من أجل المسيح، كلاهما جزء من الحشد الذى سيرحب بكم فى السماء، وسوف يكون هناك أيضا أحبائكم الذين ماتوا وسبقوكم: مثل الأم الورعة المصلية... الأب الروحى الراعى... الطفل الذى فارقكم بموته فى سن مبكرة... الزوج... الزوجة... الأخ... الأخت... الذين فارقوكم.

وفجأة تنزل السكينة والصمت على الحشد المجتمع. وتتحول السماء كلها فى انسجام ناظرة إلى المسيح الذى طهرنا من خطايانا... وسوف نظل دوما مدنيين بالفضل له.

صُلب المسيح على تل يسمى «جبل الجمجمة» بمدينة القدس، على صليب من صنع الإنسان فوق أرضية خشنة، معلقا بين السماء والأرض، وليصبح بذلك كبش فدائنا الذى ضحى طواعية بدمه من أجلنا، وبدمه الأحمر القرمزى النفيس اشترى فداء الإنسانية وبالتالى يمكن أن يُطلق علينا «أبناء الله».

وفى نفس هذه المدينة التى قهر فيها المسيح الموت وجهنم والقبر. ومن هنا أيضا نهض المسيح من قبره ليعود فى انتصار مجيد، ومجد جسده مدينة القدس، وتبارك اتباعه المخلصين بوجوده. ووعد المسيح بالعودة لمقابلة قديسيه خارج مدينة القدس.

سيكون البعض مستعدًا لعودة المسيح، وسوف يفاجئ البعض الآخر. فمن استعد لعودته سيعيش النشوة والسعادة الكبرى إلى جانب المسيح، أما الآخرين فسيتركون هنا ليواجهوا حكم الله عليهم بسوء المصير.

ولكن هذا يثير التساؤل: هل تعرفون أين سوف تكونون فى هذا اليوم؟ فهل سوف تكونون بين هؤلاء الذين سيصعدون مع المسيح إلى السماء؟ أو بين هؤلاء الذين سيتركون ليواجهوا حكم الله عليهم؟ فهل انتم متأكدون من مصيركم؟

فإن لم تكونوا متأكدين فعليكم بالصلاة التالية لتتأكدوا من أنكم سوف تصعدون مع هؤلاء الذين سيصعدون مع المسيح إلى السماء:

الرب يسوع:

أدعوك لتدخل حياتى بوصفك سيدى ومنقذى. وأتوب عن ذنوبى السابقة .واطلب عفوك. أشكرك سيدى على إهدار دمك على الصليب لتطهرنى من خطيئتى ولتشفينى من مرضى، لقد تلقيت هديتك بالحياة الأبدية وأسلم لك نفسى كلها. فشكرا سيدى على إنقاذى وسوف اتبعك طوال حياتى.. آمين.

فنحن الآن بحاجة لمعرفة عدد الذين يمكننا أن نشجعهم على أداء صلاة مشابهة، ولنبدأ بإيقاظ الروح الدينية المسيحية على وجه الأرض من جديد قبل عودة المسيح. فالخلود فى متناول أيدينا. وستكون عودة المسيح هى أعظم حدث نبؤى على الإطلاق فى تاريخ أمريكا، وبالطبع فى تاريخ العالم كله، وفرصتك سانحة لكى تحصل على مقعد ذهبى مع المسيح. ونحن بحاجة إلى أن نكون مستعدين لسماع صوت البوق النهائى لنداء الله:

«وهو قائم على اثنتى عشر دعامة مرصعة بالأحجار الكريمة: كانت الدعامة الأولى من اليشب؛ والثانية من الياقوت الأزرق، والثالثة من العقيق الأبيض؛ والرابعة من الزمرد الذبابى؛ والخامسة من الجزع العقيقى؛ والسادسة من العقيق الأحمر؛ والسابعة من الزبرجد؛ والثامنة من الزمرد السلقى؛ والتاسعة من الياقوت الأصفر؛ والعاشرة من العقيق الأخضر؛ والحادية عشر من الأسمانجونى؛ والثانية عشر من الجمشت».

«سفر الرؤيا ٢١: ١٩ - ٢٠»

«ولم تكن المدينة فى حاجة إلى نور الشمس أو القمر لأن مجد الله ينيرها والحمل مصباحها ستسير بنورها الأمم، ويأتيها ملوك الأرض بكنوزهم ولا تقفل أبوابها أبدًا طول النهار لأن الليل لا يأتى عليها».

«سفر الرؤيا ٢١: ٢٣ - ٢٥»

مصادر الهوامش الواردة فى الكتاب

هوامش الفصل الأول: إعصار النبوة

١- خطاب وجهه الرئيس الأمريكى بيل كلينتون إلى الكنيست الإسرائيلى يوم ٢٧أكتوبر عام ١٩٩٤و نشر على الإنترنت موقع:

http: //www.mfa.gov.il/mfa//go.asp? MFAH 0bz20

وصار متاحًا لمستخدمى الإنترنت الوصول إليه فى ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٣. وملاحظات للرئيس « كلينتون» ورئيس الوزراء» نتنياهو» فى تبادلهما لنخب الصداقة فى ١٣ ديسمبر عام ١٩٩٨م ونشرت على الإنترنت:

http: //clinton3.nara.gov/WH/New/mideast/19981214-14375.html.

وصار ميسورًا أمام لمستخدمى الإنترنت الوصول إليها فى ٢٨ نوفمبر عام٢٠٠٣. ومن المعروف أن الرئيس كلينتون أورد تلك العبارة فى مناسبات كثيرة مختلفة ألقاها أمام جمهور المستمعين فيها يتعلق بمستقبل إسرائيل، ولكنه أحيانًا كان يبدل كلمة بكلمة «يتخلى عن» واستخدمت الكلمة الأخيرة «يتخلى عن»هنا لأنها تبدو أكثر استخدامًا و شيوعًا فى الاقتباس من كلمة «ينسى».

٢- من الجدير بالملاحظة أن اثنين من الرؤساء الأمريكيين فى التاريخ الحديث اختارا استخدام إنجيلًا «ماسونيًا أثناء تأديتهما لليمين الدستورية، وهما چورچ اتش دبليو بوش الأب وچورچ دبليو بوش الابن حيث أدى چورچ هربرت وواكر بوش الأب اليمين الدستورى فاتحًا لإنجيل العائلة على إنجيل «متى» السفر الخامس و هو نفس الإنجيل

الماسونى الذى وضع چورج اتش دبليو بوش يده عليه فى عام ١٧٨٩ و لقد أراد ابنه چورج وواكر بوش استخدام نفس الإنجيل الماسونى ولكن بسبب الطقس العاصف حل الإنجيل العائلى محل الإنجيل الماسونى.

٣- كتاب «مارك جافتى» ديمونه ـ «المعبد أو الهيكل الثالث» ويتضمن قصة كشف «فانونو» ١٩٨٩).

٤- كتب «وبستر جى تاربلى» و«انطون تشيركن» مؤلفات للسيرة الذاتية عن چورج بوش ـ الفصل السابع («الجمجمة والعظام» الكابوس العنصرى عند «يأل») على خط الإنترنت ويمكن لمستخدمى الإنترنت الوصول إليه فى ٢ فبراير ٢٠٠٤.

www.tarpley.net/bush7.html

٥- مقالة «توم روبنسون «بعنوان: الدروس المستفادة من محاولة تدمير مركز التجارة العالمى عام ١٩٩٣» بجريدة نيويورك ديلى نيوز بتاريخ ٩ ديسمبر ١٩٩٨، وفى كتاب ريتشارد مينتر «خسارة بن لادن»: كيف أطلق عجز بيل كلينتون العنان للإرهاب الدولى (واشنطون دى سى: رجنرى-. ٢٠٠٣): ١٩.

٦- «مينتر» ـ الفصول ١٦ و١٩ «خسارة بن لادن».

٧- تقرير البيت الأبيض «عن حياة والحياة المهنية وقرارات بيل كلينتون» (يوم الجمعة ١١ أغسطس عام ٢٠٠٠) على موقع الإنترنت:

http: //usembassy-australia.state.gov/hyper/2000/0811/epf501.html.

وصار متاحًا لمستخدمى الإنترنت بتاريخ ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٣.

٨ - باتريك جى بوشنان «موت الغرب: كيف يعرض السكان المحتضرين وغزوات المهاجرين أمتنا وحضارتنا للخطر (نيويورك: صحافة سانت مارتن) ٥٥.

٩- مارتن لوثر كينج جت (ولد عام ١٩٢٩ ومات عام ١٩٦٨) وهو رجل دينى أمريكى وزعيم للحقوق المدنية. «القوة للحب» (قلعة فيلاديلفيا ١٩٦٣) صفحة ٤ الفصل ٣.

١٠- «يوسف بودانسكى»: الثمن الباهظ للسلام: كيف تركت سياسة واشنطون فى الشرق الأوسط أمريكا ضعيفة أمام الإرهاب (روزفيل سى أيه: المحفل ٢٠٠٢) ٩-١٠.

١١- سفر أخبار الأيام الثانى ٦: ٦.

١٢- كتاب ديفيد بى بارت وتود أم جونسون بعنوان «الاتجاهات المسيحية العالمية من عام ٣٠م إلى عام ٢٢٠٠م: تفسير (ميجا سانس سى أيه: مكتبة وليم كيرى ٢٠٠١) ٢٤٣ إلى ٢٤٤ وفقًا لإجمالى إحصائيات الرسم التوضيحى على تلك الصفحتان فإن حوالى ٦ مليون مسيحى ماتوا كشهداء دفاعًا عن عقيدتهم وذلك من إجمالى من ٤٠ إلى ٥٥ مليون مسيحى ماتوا خلال الحرب العالمية الثانية.

١٣- ٨ أكتوبر ٢٠٠١.

١٤- على خط الإنترنت بموقع: http: //www.neranyahu.org/statofforisp.html.

وصار ميسورًا أمام مستخدمى الإنترنت الوصول إليها اعتبارًا من ٢١ يناير ٢٠٠٤م[1].

هوامش الفصل الثانى: أمريكا وشجرة التين

١- سفر التكوين ١٨: ١٧.

٢- سفر النبى إرمياء ٢٩: ١٠.

٣- ريك روس: «عبارات الإدراكات الحسية العامة فى مقابل البحث» يوليو ١٩٩٨

بموقع: http: //www.rickross.com /reference/general/general431.html

٤-مسح لجيولوجية الولايات المتحدة الأمريكية: «الزلازل ذو عدد وفيات ١٠٠٠ قتيل أو أكثر ابتداء من عام ١٩٠٠» على موقع:

http: /neic.usgs.gov/neis/eqlists/eqsmajr.html

---

(١) الكتاب كتب قبل هذا التاريخ (المترجم).

آخر تحديث بتاريخ ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٣ ممكن لمستخدمى الإنترنت الوصول إليه اعتبارا من ٣ يناير ٢٠٠٤ - الدراسة المسيحية الجيولوجية للولايات المتحدة الأمريكية «معظم الزلازل المدمرة المعروفة وفقًا لسجل الزلازل العالمية ذو عدد وفيات ٥٠٠٠٠ قتيل أو أكثر» على موقع: http: //neic.usgs.gov/neis/eqlists/eqsmode.html

آخر تحديث فى ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٣ ويمكن لمستخدمى الإنترنت الوصول إلنيه اعتبارا من ٣ يناير عام ٢٠٠٤.

٥- ديفيد بى بارت وتود أم جونسون: الإتجاهات العالمية المسيحية من عام ٣٠ م إلى عام ٢٢٠٠ ميلاديا: تفسير المسيحية السنوية (باسادنا سى - ايه - مكتبة وليم كيرى ٢٠٠١) ٢٢٩.

٦- على خط الإنترنت بموقع: www.pollingreport.com/religion.html.

ويمكن لمستخدمى الإنترنت الوصول إليه اعتبارا من ١٠ نوفمبر ٢٠٠٣.

٧- إنجيل متى ٢٨: ١٩ - ٢٠.

٨- سفر متى ٢٤: ٣٣ - ٣٤.

٩- إنجيل إشعياء ١٨: ٢.

١٠- برجاء الإطلاع على إنجيل حزقيال ٣٨: ١٣.

١١- برجاء الإطلاع على سفر الرؤيا ١٢: ١٣ - ١٧.

١٢- هذه القائمة من كتاب مارك هتشكوك: «هل أمريكا فى نبوءة الإنجيل؟» (دار نشر الأخوات أو مالتنوما ٢٠٠٢) ٢٧ - ٢٨ وذلك على الرغم من تغير مؤلف الكتاب لبعض إشارات الكتاب المقدس وتحويلها إلى نثر لتمثل وجهات نظر مارك هتشكوك بصورة أكثر وضوحًا).

١٣- سفر المزامير ٣٣: ١٢.

١٤- سفر الأمثال ١٤: ٣٤.

هوامش الفصل الثالث: أمة مسيحية

١-الرئيس جون أدمز (فى خطابه إلى الجيش) يوم ١١ أكتوبر عام ١٧٩٨ وموجود على موقع: http: //www.hartungpress.com/fyi/Quotes.htm.

وصار الوصول إليه متاحًا اعتبارا من ٢١ يناير ٢٠٠٤.

٢- كتاب توماس جيفرسون: التجارة بين السيد والعبد عام ١٧٨٢ وموجود على موقع: http: //douglassarchives.org/ieff_a51.htm.

٣- «كنيسة المذهب الثالوث المقدسة فى مقابل الولايات المتحدة الأمريكية» ١٤٣ الولايات المتحدة الأمريكية ٤٥٧ و ٤٦٥ (٢٩ فبراير ١٨٩٢).

٤- نفس المرجع السابق صفحة ٤٧١.

٥- برجاء الإطلاع على كتاب ميخائيل دى ايفانز: «لماذا يجب على المسيحيين تأييد إسرائيل» (Euless,TX: Bedford, 2003)، ٤٣.

٦- كتاب ديفيد بارتون «چورج واشنطون المحمى من طلقات الرصاص» (Aledo ,TX: Wall-builders,1990)، الصفحات ٣٥، ٤٤، ٥٠، ٥٧»

٧- كتاب بيتر جروس «إسرائيل فى عيون أمريكا» (نيويورك - كنوبف ١٩٨٤) صفحة ٥.

٨- چورج واشنطون «خطاب إلى يهود نيويورك -جزيرة رودس» ١٧٩٠ من كتاب كينث اد يتمرمان بعنوان «واعظو الكراهية: الإسلام والحرب على أمريكا» (نيويورك- كرون فورم ٢٠٠٣) الفصل ١١.

٩- سفر الكورانثيين الثانى ٥: ١٧.

١٠- كتاب وليم اف سيرن «ظهور وسقوط الرايخ الثالث» (نيويورك سيمون وشوستر ١٩٦٠) صفحة ٩٨.

١١- كتاب جروس: «إسرائيل فى عقل أمريكا» الفصل الخامس.

١٢- نفس المرجع السابق.

١٣- إنجيل إشعياء ١٨ : ١ – ٢.

١٤- إنجيل إشعياء ١٨ : ٢ – ٧.

١٥- يعتقد الباحثون اليوم بأن إنجيل إشعياء رقم ١٨ يشير إلى «جوش».(وهى مصر كما نعرفها اليوم) وعلى الرغم من أنه ربما أساء باستور ماكدونالد تفسير هذا النص من الكتاب المقدس إلا أن نداءه للعمل لازال نداءًا إلهيًا. وكان هذا النداء هو أول خطوة فى الضمير الأمريكى نحو مساندة إعادة ميلاد دولة إسرائيل.

١٦- كتاب جروس «إسرائيل فى عقل أمريكا» الفصل الخامس.

١٧-نفس المرجع السابق.

١٨- نفس المرجع السابق – الفصل ١٥.

١٩- نفس المرجع السـابق.

٢٠- نفس المرجع السابق – الفصل ٢٠.

٢١- نفس المرجع السابق فصول ٢٣ و٢٤.

٢٢- كتاب «أدولف هتلر» «كفاحى» المترجم من «رالف مانهيم» (بوستون هوجتون مفين ١٩٤٣) صفحة ١٦١.

٢٣- كتاب شيدر «ظهور وسقوط الرايخ الثالث» صفحة ٣٤٩.

٢٤- نفس المرجع السابق – صفحة ٧٧.

٢٥- نفس المرجع السابق- صفحة ١٠٥٦.

٢٦- نفس المرجع السابق – صفحة ١٠٦٩.

٢٧- كتاب «رونالد لوين» «أخطاء هتلر» (نيويورك-كويل- وليم مارو١٩٤٨) فصول ١٥ و ١٦.

هوامش الفصل الرابع: رؤساء أمريكيون فى النبوءة

١-وليم أيوجين بلاكستون - وثيقة بلاكستون عام ١٨٩١ - موجودة على الإنترنت بموقع: http: //www.amfi.org/blackmem.html.

وصار ميسورًا أمام مستخدمى الإنترنت الوصول إليها إعتبارا من ٢١ أكتوبر ٢٠٠٣.

٢- كتاب «توماس جيفرسون» «التجارة بين السيد والعبد» ١٧٨٢ وهو موجود على موقع: http: //douglassarchives.org/jeff-a51.htm.

٣-كتاب بيتر جروس «إسرائيل فيعقل أمريكا» (نيويورك-كنوفب ١٩٨٤) فصول ٢٥ و ٢٦.

٤- كتاب «جون أف والوفورد» «مقدمة عن كتاب وليم بلاكستون» «المسيح قادم كأمل الله لعالمًا مضطربًا» الطبعة الثالثة المعدلة التيارات السريعة، إم أى كرجل ١٩٨٩) صفحة ٨.

٥- كتاب بلاكستون «المسيح قادم» صفحة ١٦١.

٦- نفس المرجع صفحات ١٧١ و ١٧٥.

٧- كتاب جروس «إسرائيل فى عقل أمريكا» - صفحة ٤٥.

٨- كتاب وليم إ كيرى «ابن الله الصغير اراند».

٩- كتاب فيكتور فرنكل «الدكتور والروح: العلاج النفسانى» (نيويورك - كنوبف) الفصل ٢١ المقتبس من كتاب رافى زكريا «هل يمكن للإنسان أن يعيش بدون الله؟» (دالاس ورد ١٩٩٤) صفحة ٢٥.

١٠- بلاكستون «وثيقة بلاكستون» عام ١٨٩١.

١١- نفس المرجع السابق.

١٢- كتاب هيلتون او بنزنجر «فى ظل شمس الله»: بناء المذهب الصهيونى المسيحى الأمريكى ووثيقة بلاكستون - موجودة على خط الإنترنت بالموقع:

http: //www.stanford.edu/ group/SHR/5-1/text/obenzinger. Html.

وآخر تحديث تم فى ٢٧ فبراير عام ١٩٩٦ - يمكن لمستخدمى الإنترنت الوصول إليه اعتبارًا من ٢١ أكتوبر عام ٢٠٠٣.

١٣-كتاب موشى ديفيز «تأملات حول الرئيس الأمريكى «هارى اس ترومان ودولة إسرائيل» وفى كتاب آلن واينستين وموشى ماأوز «الرئيس ترومان والإلتزام الأمريكى تجاه إسرائيل» (القدس ماجنز عام ١٩٨١) صفحة ٨٣.

١٤- كتاب جروس «إسرائيل فى عقل أمريكا» صفحة ٤١١.

هوامش الفصل الخامس: كفاح تنبؤى

١ - ادوارد اد ليمان موجود على خط الإنترنت بالموقع:
http: //www.quotesland.com/view.php?do=view&full- quotes=yes&author_id=3176

وصار ميسورا أمام مستخدمى الإنترنت الوصول إليه اعتبارا من ٢٤ يناير عام ٢٠٠٤.

٢- الكس بيين «السيرة الذاتية لـ«تيودور هرتزل والدولة اليهودية».تم ترجمته بواسطة «سيلفى أفى جى دور» ونشره دار النشر «نوت - لندن عام ١٨٩٦- طبعة جاكوب ام الكو (Mineola, NY: Dover 1998)، ٣٤.

٣- كتاب هرتزل «الدولة اليهودية» صفحة ١٥٧.

٤- كتاب رونالد ساندرز «الأسوار العالية لمدينة القدس. تاريخ إعلان وعد بلفور ومولد الإنتداب البريطانى على فلسطين» (نيويورك - هولت اينهارت ووينستون ١٩٨٣) صفحات ٢٧ و ٢٨.

٥- كتاب جروس «إسرائيل فى عقل أمريكا» صفحات ٢٤ و ٢٥.

٦- نفس المرجع السابق صفحات ٤٨ و ٤٩.

٧- نفس المرجع السابق صفحة ٦٧.

٨- وعد بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ - موجود على موقع:

http: /mfa.gov.il/mfa/go.asp?asp?MFAH00PPR0

٩-كتاب ميخائيل دى ايفانز «مفتاح أمريكا للنجاة والبقاء» (بلاينفيلد ان جى دار نشر لايوس الدولية ١٩٨١) صفحات ١٢٥ و ١٢٦.

١٠- نفس المرجع السابق صفحات ٦٩ و٧٠.

١١- نفس المرجع السـابق.

١٢- كتاب جروس «إسرائيل فى عقل أمريكا» صفحة ٨١.

١٣- نفس المرجع السابق صفحة ١٨٢.

١٤- كتاب ساندرز «الأسوار العالية لمدينة القدس» صفحة ٦٣٧.

١٥- كتاب ميشيل بيشلوس «الغزاة الفاتحين روزفلت وترومان وتدمير ألمانيا النازية فى عهد هتلر-عامى ١٩٤١ و ١٩٤٥ (نيويورك سيمون وشوستر ٢٠٠٢) صفحة ٤٤.

هوامش الفصل السادس: الإفتقار المميت للاقتناع

١- مارتن نيمولر على موقع:

http: /internet.ggu.edu/university_library/if/Niemoller.html

٢-الفصل السابع لكتاب «السيرة الذاتية الغير مرخص بها لجورج بوش» (الجمجمة والعظام: الكابوس العنصرى فى «يال») الموجود على موقع: www.tarpley.net/bush7.html

٣-كتاب فرو فروستر نيتشه «حياة نيتشه» (نيويورك ستروجس وولدون عام ١٩٢١) صفحة ٢: ٦٥٦.

٤- كتاب كلوس شولدر المجلد الأول «الكنسية والرايخ الثالث ـ الدولة والاوهام» ١٩١٨-١٩٣٤ (فرنكفورت ام ماين ١٩٧٧) صفحة ٣٣٨ أف أف -فى كتاب سول فريد لاندر «ألمانيا واليهود» المجلد الأول: سنوات الاضطهاد فى عام ١٩٣٣ الى عام ١٩٣٩ (نيويورك -هربرت هولينز ١٩٩٧) صفحة ٤٢.

٥- كتاب وليم أف شيرر «ظهور وسقوط الرايخ الثالث» (نيويورك سميون وشوستر ١٩٦٠) صفحة ١١١.

٦-كتاب مارتن لوثن «عن اليهود وأكاذيبهم» صفحة ١٥٤٣ وفتح على موقع:

http: //www.flholocauseum.org/history-ing/antisemitism/reformation.cfm.

وصار ميسورا أمام مستخدمى الإنترنت الوصول إليه اعتبارًا فى ١٨ ديسمبر عام ٢٠٠٣.

٧- صفحة ١١٣ فى فصل «الأسطورة الدينية اللاهوتية فى كتاب فريد لاندر «ألمانيا النازية واليهود» ٤٥.

٨-موقع الانترنت ميكروسوفت @ لدائرة المعارف ٢٠٠٠ (ردموند دبليو ايه مؤسسة ميكروسوفت)١٩٩٣-١٩٩٩ اس فى «ادولف هتلر».

٩-صفحات ٦٢و٦٣ من كتاب «ألمانيا النازية واليهود» لفريد لاندر.

١٠- صفحة ٦٤ من نفس المرجع السابق.

١١- كتاب ديفيد سكانزلر «مجتمع اللاجئين اليهود فى شنغهاى من عام ١٩٣٨ إلى عام ١٩٤٥ - مكتبة وينر النشرة ٢٦ (١٩٧٢-١٩٧٣) ٢٨أف أف-صفحة ٣٠٣ فى كتاب فريد لاندر «ألمانيا النازية واليهود».

١٢- «المحرقة» موقع الانترنت: Microsoft ® Encarta ® Encyclopedia 2000,s.v.

١٣- كتاب العلاقات الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٨ المجلد ١ (واشنطون دى سى ١٩٥٠) صفحات ٧٤٠ و٧٤١، وكتاب فريد لاندر «ألمانيا النازية واليهود» صفحة ٢٤٨.

١٤- أرسل الرئيس الأمريكى «روزفلت» إلى «مايرون تايلور» وثائق عن العلاقات الخارجية الأمريكية عام ١٩٣٩ المجلد ١ (بوسطون مؤسسة السلام العالمى) صفحة ٦٦ فى كتاب جيديون هوسنر العدالة فى القدس (نيويورك - هرتزل١٩٦٦) صفحات ٢٢٩و٢٨٤.

١٥- صفحة ٢٩ من كتاب «ويت» «أدولف هتلر».

١٦- الفصل الاول من كتاب «ديليا أوفر» بعنوان «الهروب من المحرقة والهجرة الغير شرعية إلى إسرائيل» من عام ١٩٣٩-١٩٤٤ (نيويورك ١٩٩٠)، الفصل الأول من كتاب ياهوذا بوور بعنوان «اليهود للبيع!» المفاوضات النازية اليهودية من عام ١٩٣٣-١٩٤٥ (نيو هفن سى إن عام ١٩٩٤) وفى كتاب فريد لاندر «ألمانيا النازية واليهود» صفحة ٣٠٤.

١٧- كتاب برنارد واسرشتاين «بريطانيا ويهود أوروپا» من عام ١٩٣٩-١٩٤٥ (اكسفورد ١٩٨٨) وفى صفحة ٣٠٤ من كتاب فريد لاندر «ألمانيا النازية واليهود».

١٨- البريد الإلكترونى المرسل من «مايكل باراك» إلى «رينتا فلر» فى ٢٢ فبراير ٢٠٠٢.

١٩- مجلة العرض صفحة ٦ (يوم ٧ديسمبر٢٠٠٣).

٢٠- فى كتاب سيمون هرش «اختيار شمشون: الترسانة النووية الإسرائيلية والسياسة الخارجية الأمريكية» (فينتاج - نيويورك-كننوبف ١٩٨٤) صفحات ١٢٠ و ١٢١.

٢١- كتاب «إسرائيل فى العقل الأمريكى» «بيتر جورروس» (نيويورك - كننوبف ١٩٨٤) صفحات ١٢٠-١٢١.

٢٢- كتاب «مايكل بشلوس» «الغزاة الفاتحين روزفلت وترمان ودمار ألمانيا فى عهد هتلر من عام ١٩٤١-١٩٤٥» (نيويورك: سيمون وشوستر عام ٢٠٠٢) صفحة ٥٤.

٢٣- «هنرى مورجينثو» (ولد عام ١٨٩١ وتوفى عام ١٩٦٧) متاح على خط الانترنت: .http: //www.pds.org/wgbh/amex/holocaust/peopleevents AMX97.html

وصار ميسورا أمام مستخدمى الانترنت الوصول إليه اعتبارًا من ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٣.

٢٤- كتاب بشلوس «الغزاة الفاتحين روزفلت وترمان ودمار ألمانيا فى عهد هتلر فى عام ١٩٤١-١٩٤٥» صفحة ٣٨.

٢٥- صفحة ٤٣ فى نفس المرجع.

٢٦- صفحة ٥٣ فى نفس المرجع.

٢٧- صفحة ٥٤ فى نفس المرجع.

٢٨- صفحة ١٢٨ من كتاب «جروس» (إسرائيل فى عقل أمريكا).

٢٩- فى تقرير «راندولف بول» و«جون بهل» (تقرير وزير الخارجية عن علم و تواطؤ الحكومة بقتل اليهود) متاح على موقع:

http://www.pbs.org/wgbh/amex/holocaust/filmmore/reference/primary/somereport.html.

وصار ميسورا أمام مستخدمى الانترنت الوصول إليه اعتبارًا من ٢٦ أكتوبر عام ٢٠٠٣.

٣٠- نفس المرجع السابق.

٣١- صفحة ٥٧ من كتاب «بشلوس» «الغزاة الفاتحين روزفلت ترومان ودمار ألمانيا فى عهد هتلر من عام ١٩٤١-١٩٤٥».

٣٢- صفحة ٥٨ فى نفس المرجع.

٣٣-صفحة ٢٤٠ من كتاب «جيديون هوسنر» « العدالة فى القدس» (نيويورك-هرتزل عام ١٩٦٦).

٣٤- صفحة ١٥٤ من كتاب «جروس» «إسرائيل فى العقل الامريكى».

هوامش الفصل السابع: «إعادة زرع شجرة الزيتون»

١-صفحة ٥ من كتاب «آلن وينشتاين» و«هوشى ما اووز» بعنوان: ترومان والالتزام الأمريكى تجاه إسرائيل (لقدس ما جنس عام١٩٨١).

٢-صفحة ١٥٩من كتاب «بيتر جروس» «إسرائيل فى العقل الأمريكى» (نيويورك كنوبف ١٩٨٤).

٣- صفحة ١٩٠ من نفس المرجع (انظر إلى صفحة ٣٣٧).

٤- صفحة ٤٥٢ من كتاب «والتر اسحاقسون» و«ايفان توماس» بعنوان «الرجال الحكماء» (نيويورك سيمون وشوستر ١٩٨٦) .فى صفحة ٢٦ من كتاب «إك اورجانيزك» صفقة الـ ٣٦ بليار دولار أمريكى، استراتيجية وسياسية فى مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل (نيويورك-صحافة جامعة كولومبيا عام ١٩٩٠).

٥- فى صفحة ٢٢٤ من كتاب ميخائيل بشلوس «الغزاة الفاتحين، روزفلت وترومان ودمار ألمانيا فى عهد هتلر من عام ١٩٤١وعام ١٩٤٥(نيويورك سيمون وشوستر عام ٢٠٠٢) (انظر أيضا إلى صفحة ٣٥١).

٦-تتكون منظمة اليونسكو UNSCOP من إحدى عشرة دولة هى استراليا وكندا وتشيسلوفاكيا وجوانتيمالا وهولندا والهند وإيران وبيرو والسويد والأورجواى ويوغوسلافيا.

٧- صفحة ١٩ من كتاب كلا من «أندرو» و«يلسن كوكبرن» الاتصال الخطير: القصة الداخلية للعلاقة الخفية الإسرائيلية الأمريكية (نيويورك هوبر كويلنز عام ١٩٩١).

٨- أبا إيبان «شاهد عيان»: «إسرائيل فى عينى» (نيويورك: بوتمان ١٩٩٢) صفحات من ١٥١ إلى ١٥٢.

٩- صفحة ٢٩٣ من كتاب جروس «إسرائيل فى العقل الأمريكى».

١٠-كانت مرتفعات الجولان هى جزء من سوريا فى ذلك الوقت.

١١- صفحة ٢٢ من كتاب كوكبرن «الاتصال الخطير».

١٢- فى الخطاب الإفتتاحى لجون فيتزجيرالد كيندى يوم ٢٠ يناير ١٩٦١ وموجود على موقع: http: //www.yale.edu/lawweb/avalon/persiden/inaug/kennedy. Html.

١٣-صفحة ٢٥٩ اف اف من كتاب والتر اتيان التاريخ الدبلوماسى لإسرائيل: السنوات العشر الأولى (نيويورك - سيمون و شستر ١٩٥٨).

وفى صفحة ٧٩ من كتاب شونبوم: «الولايات المتحدة الأمريكية ودولة إسرائيل».

١٤- صفحة ١٤٤ من كتاب «وارن باس» مساندة أى صديق. والشرق الأوسط عند كيندى وإقامة تحالف أمريكى إسرائيلى (نيويورك: صحافة جامعة اكسفورد عام ٢٠٠٣).

١٥-صفحة ٩٦ من كتاب سيمور هرش «اختيار شمشون: الترسانة النووية الإسرائيلية والسياسة الخارجية الأمريكية» نيويورك فيتج عام ١٩٩١).

١٦- صفحة ١٤٦ من نفس المرجع السابق.

١٧- صفحة ١٥٨ من نفس المرجع السابق.

١٨- صفحة ١٠٠ من كتاب اسحاق رابين «ذكريات رابين» (بوسطون عام ١٩٧٩) وفى صفحة ١٦٧ من كتاب شونبوم «الولايات المتحدة الأمريكية ودولة إسرائيل».

١٩-صفحة ١٧ من كتاب توماس اف كرانز بعنوان «اغتيال روبرت اف كيندى» (ملخص) لمكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكية واتيح للجمهور بمقتضى قانون حرية المعلومات (مارس عام ١٩٧٧).

٢٠- صفحة ١٠ من نفس المرجع السـابق.

٢١- صفحة ١٥ من نفس المرجع السابق.

٢٢- صفحة ٦ من نفس المرجع السابق.

٢٣-صفحة ١٧٧ من كتاب هرش «اختيار شمشون»

٢٤-صفحة ١٢٧ من نفس المرجع السابق.

٢٥-صفحات ١٤٣ و ١٤٤ من نفس المرجع السابق.

٢٦- صفحة ٢٢٣ من نفس المرجع السابق.

٢٧- صفحة ٢٣٤ من كتاب سيمور هرش «ثمن القوة»: كيسنجر فى البيت الأبيض مع نيكسون (مؤتمر قمة نيويورك عام ١٩٨٣).

٢٨- صفحة ٩٤٨ من كتاب هنرى كيسنجر «سنوات الاضطراب» (بوسطون لتل برون ١٩٨٢) وفى صفحة ٢٩ من كتاب أورجانيزكى «صفقة الـ ٣٦ مليار دولار».

٢٩- صفحة ٣١ من كتاب «أورجانيزكى «صفقة الـ ٣٦ مليار دولار».

٣٠- صفحة ٢٤٦ من كتاب باس «مساندة أى صديق»

هوامش الفصل الثامن: اعادة إحياء إسماعيل

١-النقش الأساسى على مسجد قبة الصخرة بالقدس-موجود على موقع:

http: //www.bibleplaces.com/domeofrock. html

وصار ميسورًا أمام مستخدمى الإنترنت الوصول إليه اعتبارا من ٢٢ يناير عام ٢٠٠٤.

٢- صفحة ٧٦ من خطاب الموقر مارتن لوثر كينج «خطاب إلى صديق معادى للصهيونية» - مراجعة يوم الأحد رقم ١٨ (أغسطس ١٩٦٧).

٣- صفحات ٨٧ و٩٨و٩٩ من كتاب عبد الحق آدم «العلم عند الأتراك العثمانيون» (باريس عام ١٩٣٩) وفى صفحة ٧ من كتاب برناردلويس «ما الخطأ؟ التصادم بين الإسلام والحداثة فى الشرق الأوسط» (نيويورك - برينال ٢٠٠٢).

٤- صفحة ٩ من كتاب برنارد لويس «ما الخطأ».

٥- صفحة ٣٧ من كتاب البرت هورانى «الفكر العربى فى العصر الليبرالى» من عام ١٧٩٨ إلى عام ١٩٣٩ (مطبعة جامعة أوكسفورد - أوكسفورد عام ١٩٧٠) وفى صفحة ١٩

من كتاب دور جولد «مملكة الكراهية: كيف تدعم المملكة العربية السعودية الإرهاب العالمى الجديد» (واشنطون دى سى ريجزى عام ٢٠٠٣).

٦- صفحات ٢٦ و٢٧ من كتاب جولد «مملكة الكراهية».

٧- صفحة ١٣ من نفس المرجع السابق.

٨- سفر مارك ١٢: ١٧.

٩- صفحة ٥٨من كتاب نادان سافران «المملكة العربية السعودية وسعيها الذى لا يتوقف نحو الأمن» (مطبعة جامعة هاورد - كمبريدج عام١٩٨٥) وفى صفحة ٦٠من كتاب جولد «مملكة الكراهية».

١٠- صفحة ١٣من كتاب نواف إى عبيد «تحسين تحليل المخابرات الأمريكية لعملية اتخاذ القرار السعودى» (جامعة هارفارد-مدرسة حكومية جون اف كيندى- رسالة جستير عام ١٩٩٨) وصفحة ٦٠ من كتاب جولد «مملكة الكراهية».

هوامش الفصل التاسع: تصدير الكراهية

١- عقد زعماء العالم مؤتمر قمة فى القدس بدأ يوم ١١ أكتوبر عام ٢٠٠٣ وكان الهدف من هذا الإجتماع هو مناقشة كيفية كسب الحرب على الإرهاب من خلال إعتماد الوضوح الأخلاقى، وتم إعداد نسخ مكتوبة لخطابات زعماء العالم، واحتفظ بها دميترى رامنشوفسكى المدير التنفيذى لرابطة ميخائيل تشونى وأخذنا الكثير من الإشارات المرجعية للملاحظات المقدمة خلال مؤتمر القمة من تلك النصوص المكتوبة لخطب زعماء العالم.

٢-صفحة ٥٨ من كتاب ساداف نادان « المملكة العربية السعودية وسعيها الذى لا يتوقف نحو الأمن (مطبعة جامعة هارفارد-كمبردج عام ١٩٨٥) وفى صفحة ٨٧ من كتاب « دور جولد» مملكة الكراهية وكيف تدعم المملكة العربية السعودية الإرهاب العالمى الجديد « (واشنطون دى سى رجنرى عام ٢٠٠٣) وكان مصدر معلومات «سافران» هو وزير البترول السعودى والمصادر الطبيعية.

٣- كانت لجنة وزارة الخارجية الأمريكية حول الحرية الدينية الدولية هى أول هيئة حكومية تتقدم للأمام علانية وتعلن المذهب الوهابى السعودى بوصفه «تهديدًا استراتيجيا» للولايات المتحدة الأمريكية، إنظر مقالة توم كارتر بجريدة (واشنطون بوست) بعنوان «الإسلام الصارم للسعوديين يسمى تهديدا» (١٩ نوفمبر عام ٢٠٠٣) هذه المقالة موجودة على موقع:

http: //www.washtimes.com/world/20031118425 9-113127-r. htm

وصار ميسورًا أمام مستخدمى الإنترنت الوصول إليه اعتبارا من ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٣.

٤- صفحة ٦٦ من كتاب تيمومان «وعاظ الكراهية».

٥- صفحة ٢٢١ من كتاب سافران المملكة العربية السعودية وصفحة ١١٩ من كتاب جولد «مملكة الكراهية» وكان مصدر معلومات «سافران» هو وزير البترول والمصادر الطبيعية السعودى.

٦- صفحة ١٢٦ من كتاب جولد «مملكة الكراهية».

٧- كتاب بلاين هارين «السعوديون يبحثون عن مسلمى أمريكا لضمهم إلى طائفتهم الدينية» نيويورك تايمز ٢٠ أكتوبر ٢٠٠١ وفى صفحة ١٢٦ من كتاب جولد «مملكة الكراهية».

٨- كتاب ديزا اف سافا «داخل الإسلام» (أورلاندو اف ال دار نشر كريشن عام ١٩٩٧).

٩- صفحة ١٩٤ من كتاب اندرو وليسلى كوكبرن «الاتصال الخطير: القصة الداخلية للعلاقة الأمريكية الإسرائيلية الخفية» (هاربر كويلنز - نيويورك عام ١٩٩١).

١٠- صفحة ١٢٧ من كتاب جولد «مملكة الكراهية».

١١- مقالة توم كارتر بجريدة واشنطون بوست «الإسلام الصارم للسعوديين يسمى تهديدا».

(١٩ نوفمبر ٢٠٠٣) وموجود على الإنترنت بالموقع:

http: //www.washtimes.com/world/20031118-113127-4259r. htm

وصار ميسورًا أمام مستخدمى الإنترنت الوصول إليه اعتبارا من ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٣.

١٢- الإسلام على الإنترنت «الجماعة الإسلامية السودانية تبحث عن مكتب لها بالخارج» موجود على موقع:

http: //www.islam-online.net/iol-english/dowaiia/news142000-2-/ topnews5.asp

فى ١٤ فبراير عام ٢٠٠٠ وصار ميسورًا أمام مستخدمى الإنترنت الوصول إليه إعتبارا من ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٣.

١٣- كتاب دانيال بيبسى «الخطر داخل الإسلام المناضل فى أمريكا» (مجلة كومنترى - نوفمبر ٢٠٠١).

١٤- تقرير البيت الأبيض «حياة ومهنة وقرارات كلينتون» (يوم الجمعة ١١ أغسطس عام ٢٠٠٠) متاح على موقع:

http: //usembassy-australia.state.gov/hyper/2000/0811/epf501. html

وصار ميسورًا أمام مستخدمى الإنترنت الوصول إليه اعتبارا من ٢٦ نوفمبر عام ٢٠٠٣.

هوامش الفصل العاشر: الخيانة

١- ابراهام لينكولن -موجود على موقع http: //lincoln.thefreelibrary.com/

وصار ميسورًا أمام مستخدمى الإنترنت الوصول إليه اعتبارا من ٢٢ يناير عام ٢٠٠٤.

٢- انظر إلى صفحة ٢ من إنجيل لوقا.

٣-كتاب سيمون تيسدال «لمحة رمزية لإعطاء الأمل لإنهاء الدموع وسفك الدماء» (Guardian Unlimited) (عدد ١٤ سبتمبر ١٩٩٣) - موجود على موقع:

http: //www.guardian-century.co.ok/1990/Story/0,6051,112648,00. html

وصار من الميسورعلى مستخدمى الإنترنت الوصول إليه اعتبارا من ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٣.

٤- مقابلة السفير دور جولد مع اللورد امنون فى اكتوبر ٢٠٠٣.

٥- خطاب اليوت اينجل خلال مؤتمر قمة القدس: بناء السلام على الصدق والحقيقة - من ١٢ إلى ١٤ أكتوبر ٢٠٠٤.

٦- صفحة ٢ من كتاب آلن ام ديرشويتز «لماذا ينجح الإرهـاب: فهم التهديد ومواجهـة التحدى» (بنو هيفى ولندن - مطبعة جامعة «بل» عام ٢٠٠٢).

٧- يورام ارينجر ومقابلة مع اللورد آمنون فى ٢٥ أكتوبر عام ٢٠٠٣.

٨- تال سيلبرشتاين ومقابلة مع اللورد آمنون فى ٢ نوفمبر عام ٢٠٠٣.

٩- صفحة ٢٢٣من كتاب يوسف بودانسكى: الثمن الباهظ للسلام: كيف تركت سياسة واشنطون فى الشرق الأوسط أمريكا ضعيفة أمام الإرهاب (روزفيل محفل سى ايه عام ٢٠٠٢).

١٠- تال سايبرشتاين ومقابلة مع اللورد امنون فى ٢ نوفمبر عام ٢٠٠٣.

١١- احدى سكان نيويورك (٢٤ مارس عام ٢٠٠٣).

١٢- نفس المرجع السابق.

هوامش الفصل الحادى عشر: مجانين وليبراليون وكذابون

١- إبراهام لينكولن ـ موجود على الإنترنت بموقع http://lincoln.thefreelibrary.com/ وصار ميسورًا أمام مستخدمى الإنترنت الوصول إليه اعتبارًا من ٢٢ يناير عام ٢٠٠٤.

٢- تقرير لجنة الولايات المتحدة الأمريكية حول الأمن القومى (تقرير هارترودمان) بتاريخ ٣١ يناير عام ٢٠٠١ موجود على الإنترنت بموقع:
http://www.nssg.gov/Reports/reports.htm

٣- صفحات ٩ و١٠ من كتاب جول نوبراى «الدبلوماسية الخطيرة: كيف تهدد وزارة الخارجية الأمن الأمريكى» (واشنطون دى سى رجنوى عام ٢٠٠٣).

٤- السفير السعودى يتهم معارضى الحرب على العراق بالمجانين (وكالة أنباء الأشرسيتر برس) فى ١٣ نوفمبر عام ٢٠٠٣ ـ موجود بموقع:

http://www.nysun.com/sunarticle.asp?artID=362

http://www.nwsmax.com/archives/articles/2002170251/7/12/.shtml

٥- نيويورك تايمز فى عددها الصادر فى ٢٨ أغسطس عام ٢٠٠٢ تقول بأن «المملكة العربية السعودية تحاول تحسين صورتها بين الأمريكيين».

٦- فى عدد «نيوز ماكس توم» الصادر فى ٢٨ أكتوبر عام ٢٠٠٣ «السعوديون ينفقون المليارات ليجعلوا الأمريكيين مثلهم».

٧- يستشهد بذلك دانيال بيبسى فى «ما الذى تشتريه الرياض (فى واشنطون)» جريدة نيويورك تايمز بتاريخ ١١ ديسمبر عام ٢٠٠٢.

٨- نشرن منظمة العفو الدولية فى دليلها الموجود على الإنترنت بموقع:

http://web.amnesty.org/library/Index/ENGMDE230052003?open&of=ENGSAU.

إن المملكة العربية السعودية فى حاجة إلى إصلاح عاجل لنظامها القضائى الجنائى.

٩- صفحات ٤٧ و٤٨ من كتاب موتيمر بى روشرمان «نقوش على جدران التاريخ» - تقرير عالمى عن أخبار الولايات المتحدة ـ المجلد ١٣٥ رقم ١٥ (٣ نوفمبر عام ٢٠٠٣).

هوامش الفصل الثانى عشر: خطوط المعركة مرسومة فى قلب القدس

١- مارك جافنى «الهيكل الثالث: القصة الكامنة وراء كشف فانونو» (بيلتفيل إم إيه أمان عام ١٩٨٩).

٢- سام أوربووم «الكتاب الضيف على القدس» جريدة أورشاليم بوست فى عددها ٢٤ مارس عام ٢٠٠٠.

٣- سفر أخبار الأيام الثانى ٣٣ : ٧.

٤- سفر أخبار الأيام الثانى ٧ : ١٤.

٥- انظر إلى الفصل الخامس عشر من أجل مزيد من المعلومات حول المبيعات لتلك الدول.

٦- صفحة ٢٠ من كتاب صور هرش «اختيار شمشون: الترسانة النووية الإسرائيلية والسياسة الخارجية الأمريكية» (فينتج - نيويوك عام ١٩٩١).

٧- صفحة ١١٩ من نفس المرجع السابق.

٨- صفحة ١٢١ من نفس المرجع السابق.

٩- نفس المرجع السابق.

١٠- سفر القضاة ١٦ : ٢٨.

١١- سفر القضاة ١٦ : ٣٠.

١٢- كتاب خرمش «اختيار شمشون» صفحة ٩.

١٣- صفحة ٥٦٨ من كتاب يوسف بودانسكى «الثمن الباهظ للسلام: كيف تركت سياسة واشنطون فى الشرق الأوسط أمريكا ضعيفة أمام الإرهاب» روزفيل - محفل سى إيه عام ٢٠٠٢.

١٤- مقالة جوبى ووريك بجريدة واشنطون بوست فى ٧ ديسمبر عام ٢٠٠٣ بعنوان: «رؤوس حربية لقنابل نووية قذرة تختفى».

١٥- المجلد الأول من كتاب جورج سانتيانا «حياة العقل» لعام ١٩٠٥.

هوامش الفصل الثالث عشر: قضية أمتنا فى القرن الحادى والعشرين: الانتصار فى الحرب على الإرهاب

١- المصطلحات الفنية التى غالبًا ما تستخدم لوصف اليهود وحلفائهم فى الوثائق والمستندات الإسلامية، فعلى سبيل المثال انظر إلى صفحة ٢٣١ من كتاب دور جولد

«مملكة الكراهية: كيف تساند المملكة العربية السعودية الإرهاب العالمى الجديد» (واشنطون دى سى رجنرى عام ٢٠٠٣).

٢- انظر إلى الملاحظة ٥ فى الفصل الثامن من أجل مزيد من المعلومات حول النصوص المكتوبة لخطب زعماء العالم فى مؤتمر قمة القدس.

٣- مقالة جلن كسلر «الولايات المتحدة الأمريكية تعاقب إسرائيل على بناء المستوطنات فى الضفة الغربية» التى نشرت فى جريدة الواشنطون بوست يوم ٢٦ نوفمبر عام ٢٠٠٣، ومقالة كونى بروك التى نشرت فى جريدة نيويوركر يوم ١٥ ديسمبر عام ٢٠٠٣ تحت عنوان «إلى أى مدى تكون إدارة بوش جادة حول إنشاء دولة فلسطينية».

٤- قانون نقل السفارة إلى القدس «المكتبة اليهودية» متاحة على الإنترنت بموقع:
http:/www.us-israel.org/jsource/peace/Jerusalem_Relocation_Act.html

وصار ميسورًا أما مستخدمى الإنترنت الوصول إليها اعتبارًا من ١٣ ديسمبر ٢٠٠٣.

٥- فى كتاب مورتيمر بى ذوكرمان «نقوش على حوائط التاريخ» تقرير الأخبار العالمية ـ المجلد ١٣٥ رقم ١٥ و٥٠.

٦- صفحة ٤٨ من نفس المرجع السابق.

٧- صفحة ٥٠ من نفس المرجع السابق.

٨- صفحة ٢٤٦ من كتاب جولد «مملكة الكراهية».

٩- سفر الأعمال ١ : ٨ NKJN.

هوامش الفصل الرابع عشر: المعاداة الجديدة للسامية

١- كتاب توماس جيفرسون «التجارة بين السيد والعبد» عام ١٧٨٢ متاح على الإنترنت بالموقع: http://douglassarchives.org/jeff_a5.html.

٢- ثانى خطاب افتتاحى للرئيس الأمريكى توماس جيفرسون ـ متاح على الإنترنت بالموقع: http://www.law.ou.edu/hist/lincoln2.html.

٣- صفحة ٧١ من كتاب كلًا من جون لفيتوس ومارك ارونز بعنوان: «الحرب السرية ضد اليهود: كيف خانت الجاسوسية الغربية الشعب اليهودى» (نيويوك ـ سانت مارتينى جريفينى ١٩٩٤).

٤- كتاب روبرت فارى «موسم الربيع للمهادنين» متاح على موقع الإنترنت:
http://consortiumnews.com/1999/120299a.html

وصار من السهل على مستخدمى الإنترنت الوصول إليه اعتبارًا من ١١ مارس عام ٢٠٠٤.

٥- كتاب لوفوس وأرونز «الحرب السرية ضد اليهود» صفحة ٥٨.

٦- اقتبس وزير الخارجية جون فوستر ديلس فى فبراير ١٩٥٧ عن صفحة ٩٩ من كتاب دونالد نف «الأعمدة المتساقطة» (معهد واشنطون للدراسات الفلسطينية) جرى تحديث الإقتباس عام ٢٠٠٢.

٧- خطاب محاضير محمد رئيس وزراء ماليزيا لمؤتمر القمة الإسلامية العاشرة ـ ماليزيا يوم ١٦ أكتوبر عام ٢٠٠٣، والنص الكامل للحديث موجود على الإنترنت بموقع: http://www.Adl.org/Antisemitism/malaysian.asp.

وصار من السهل على مستخدمى الإنترنت الوصول إليه اعتبارًا من ٢٢ ديسمبر عام ٢٠٠٣.

٨- Parteitag der Arbeit von 6 bis 13 september 1937: Offizieller Bericht uber den Verlauf des Reichsparteitages mit amtlicben Kongressreden

(ميونخ ١٩٣٨) فى صفحات ١٨٤ و١٨٥ من كتاب سول فويدلاندر «ألمانيا النازية واليهود» المجلد ١: سنوات الإضطهاد من عام ١٩٣٣ إلى عام ١٩٣٩ (نيويورك: هاربر كويلنز عام ١٩٩٧).

٩- نفس المرجع السابق صفحة ١٧٧.

١٠- صفحة ١٧ من كتاب جرالد فليمنج «اليهود والحل النهائى» (بركلى ـ مطبعة

جامعة كاليفرونيا عام ١٩٨٤) وصفحة ١٢٣ من كتاب جورج فيكتور «مرض الشر» دلس ف إيه براسى عام ١٩٩٨.

١١- صفحات ٢١٨ إلى ٢٢٣ من كتاب فيلس تسلر «مذهب معاداة السامية الجديدة: الأزمة الحالية وما يجب علينا فعله تجاهها» (سان فرانسسكو سى إيه جوسى باس عام ٢٠٠٣).

١٢- صفحة ١١٤ من «عصور فلسطين» (ديسمبر عام ٢٠٠٠).

١٣- وكالة أنباء الاسوشيتر برس (٢٥ مارس عام ٢٠٠٠).

١٤- خطبة جمعة ألقاها الشيخ أحمد أبو حلابيا فى مسجد غزة يوم ١٣ أكتوبر عام ٢٠٠٠ وتمت إذاعتها على الهواء مباشرة عبر تليفزيون السلطة الوطنية الفلسطينية. كتاب «نقوش على جدران التاريخ» لـ«ذكر مان» تقرير الأخبار العالمية الأمريكية ٤٣.

١٥- «هدد الاتحاد الأوروبى بخفض المساعدة للسلطة الفلسطينية نتيجة للنصوص المعادية للسامية مثل توزيع كتاب هتلر «كفاحى» فى القدس الشرقية وعبر السلطة الفلسطينية». ومنذ توقيع اتفاق الخليل استمرت الصحافة الفلسطينية فى انتهاك خارطة الطريق هذه، وفى الكتب الفلسطينية استخدام الفلسطينيون ألغاز الكلمات المتقاطعة لتحقير وإنكار إسرائيل. وجميع ما ذكر عالية محفوظ فى المكتبة اليهودية عام ٢٠٠٤، ويمكنك الحصول عليه من مدير مكتب الدكتور ميشيل جى بارد على موقع:

http://www.us-israel.org/jsource/antisemitism/palantoc.html

١٦- «مرض العصر» وهى مقالة بالجريدة اليومية الرسمية للسلطة الفلسطينية «الحياة الجديدة» بعددها الصادر بتاريخ ٢٨ ديسمبر عام ١٩٩٩، وهى خلاصة موجزة لكراهية ومعاداة السلطة الفلسطينية للسامية منذ توقيع اتفاق الخليل، وتقرير خاص لمكتب الإعلام الصحفى للحكومة الإسرائيلية يوم ١٦ ديسمبر عام ١٩٩٧.

١٧- نشر اموس نفو فى جريدة «يدعونوت احرنوت» اليومية يوم ٣٠ أبريل عام ٢٠٠٣ مقالة بعنوان: «هتلر الشاب» المعبود وكتابه كفاحى أكثر الكتب المباعة انتشارًا.

١٨- لاحظ رقيب الإعلام الإسرائيلي لوسائل الإعلام الفلسطينية «ايتمار ماركوس» يوم ٣٠ أبريل عام ٢٠٠٣ برنامجًا للتليفزيون الرسمى الفلسطينى يذاع باسم «اقتلوا اليهود».

١٩- وهذه العبارة المقتبسة «سيف على العجرون» فى الجريدة اليومية «الحياة الجديدة» وهى الجريدة الرسمية للسلطة الفلسطينية، وهى عبارة مقتبسة من مقالة اموس نفو بجريدة يدعونوت احرنوت اليومية نشرت بتاريخ ١٠ مارس ٢٠٠٠ تحت عنوان: هتلر الشاب المعبود وكتابه كفاحى أكثر الكتب المباعة انتشارًا.

٢٠- التقارير متاحة على موقع الإنترنت: http://eumc.eu.int.

٢١- مانلى فيليب يوم ٢٠ فبراير عام ٢٠٠٢.

٢٢- «الكوريرا دى لاسيرا» الإسبانية (١٢ أبريل عام ٢٠٠٢).

٢٣- مقالة ليائير شبح بعنوان: «حملة الكراهية» نشرت فى جريدة «انديميديا» بالولايات المتحدة الأمريكية يوم ٢٣ يوليو عام ٢٠٠٣ ومتاحة على موقع:
http://www.indymedia.org.uk/en/2003/07/274659.html

٢٤- مقالة روبرت إس أوسترتش بعنوان: «الخوف المرضى الإسلامى: تهديد قائم» أعيد نشرها فى موقع الإنترنت:
http://www.therightroadtopeace.com/infocenter/doc/Roberts/Wistrich-Judeophobia.doc,2003

٢٥- كتاب جفرى بى كلى «حياة وموت شهيد حديث» تاريخ مسيحى (عام ١٩٩١) -٨.

٢٦- انظر إلى سفر المزامير ١٢٢ : ٦.

هوامش الفصل الخامس عشر: بركات ولعنات

١-سفر التكوين ٣ : ١.

٢- وردت فى «موسوعة السلام للمذهب الصهيونى» بموقع الإنترنت:
http://yahoodi.com/peace/zionism.htm

٣- موجودة على الإنترنت بموقع:

http://www.informationclearinghousr.info/article4950.html

٤- جيمى كارتر «بالنسبة لإسرائيل الاختيار إما الأرض أو السلام» الواشنطون بوست (٢٦ نوفمبر عام ٢٠٠٠).

٥- الـ«نيويورك تايمز» (١ ديسمبر ٢٠٠٣).

٦- سجل مجلس الشيوخ الأمريكى من عام ١٩٧٧ إلى ١٩٨٨.

٧- دونالد واجنر «المذهب الصهيونى المسيحى» مسلسل من خمسة أجزاء من الديلى ستار (لبنان) - ٧ أكتوبر ٢٠٠٣ ومتاح على موقع الإنترنت:

http://198.133.233.21/stopthekilling/christian_zionism_donald_wagner.html

٨- ملاحظات فى «نيويورك سيتى» حول استلام تشالز إيفانز هوجز للميدالية الذهبية للمؤتمر القومى للمسيحيين واليهود فى ٢٣ مارس ١٩٨٢، موجود على موقع الإنترنت:

online at: http://www.us-israel.org/jsource/US-Israel/presquote.html

٩- خطاب للأمة حول سياسة الولايات المتحدة الأمريكية للسلام فى الشرق الأوسط (١ سبتمبر ١٩٨٢) ـ متاح على موقع الإنترنت:

http://www.us-israel.org/jsource/US-Israel/presquote.html

١٠- ملاحظات فى اجتماع مع الزعماء اليهود بالبيت الأبيض (٢ فبراير عام ١٩٨٣) موجود على موقع: http://www.us-israel.org/jsource/US-Israel/presquote.html.

١١- ملاحظات فى مراسم استقبال الرئيس الإسرائيلي «حاييم هرتزوج» (١٠ نوفمبر ١٩٨٧) متاح على موقع: http://www.us-israel.org/jsource/US-Israel/presquote.html.

١٢-ملاحظات فى أعقاب اجتماع مع موظفى ومسئولى الأمن القومى السابقين (٥ أكتوبر عام ١٩٨١) متاح على موقع:

http://www.reagan.utexas.edu/resource/speeches/1981/8oct.html

١٣- جلسة أسئلة وإجاباتعلى غذاء عمل مع مديرى دور النشر خارج المدن (١٦ أكتوبر عام ١٩٨١) متاح على موقع:

http://www.reagan.utexas.edu/resource/speeches/1981/101681b.html

١٤- (١ سبتمبر عام ١٩٨٢) متاح على موقع:

http://www.reagan.utexas.edu/resource/speeches/1982/82sep.html

١٥- صباح ثانى يوم بعد مذابح صابرا وشاتيلا للفلسطينيين على أيدى الميلشيات المسيحية، ولقد لام ريجان إسرائيل على تلك المذابح (١٨ سبتمبر عام ١٩٨٢) متاح على الإنترنت بموقع:

http://www.reagan.utexas.edu/resource/speeches/1982/91882a.html

١٦- خطاب مناحم بيجن أما الكنيست الإسرائيلي يوم ٢٩ يونيه عام ١٩٨٢ ـ وزارة الشؤون الخارجية والعلاقات الخارجية الإسرئيلية ـ وثائق تاريخية ـ المجلد ٨ من عام ١٩٨٢ إلى ١٩٨٤ ـ متاح على موقع:

http://www.mfa.gov.il/maf/go.asp?AH0ibx0

١٧- القانون الأمريكى تى أى تى ال إف ٢٢ ـ «البند ٦١ من مكافحة الإرهاب» ـ الجزء ٥٢٠١ (قانون مكافحة الإرهاب لعام ١٩٨٧).

١٨- المجلدات ١١ و١٢ من الوثائق المختارة "للعلاقات الخارجية الإسرائيلية" من عام ١٩٨٨ إلى ١٩٩٢ ـ رسالة من الرئيس ريجان إلى رئيس الوزراء الإسرائيلى شامير فى ٢٢ ديسمبر عام ١٩٨٨ بموقع:

http://www.mfa.gov.il/maf/go.asp?AH0jb330

١٩- خطاب جورج إتش دبليو بوش أمام الأمم المتحدة يوم ٢٣ سبتمبر عام ١٩٩١ ـ متاح على موقع: http://www.freelists.org/archives/news/09-2002/msg00021.html.

٢٠- خطاب إلى جورج كلين من ان واى سى NYC يوم ١٩ مارس عام ١٩٩٢ فى «الأفضل للجميع» ٢٥٥-٢٥٤.

٢١- تصريح مكتب رئيس الوزراء حل موقف إسرائيل من محادثات السلام (١ ديسمبر عام ١٩٩١).

٢٢- كتاب ميتشل جى بارد «العلاقات الأمريكية الإسرائيلية بالنظر إلى عام ٢٠٠٠» دى سى ايباك AICPAC عام ١٩٩١ ـ اللجنة الأمريكية اليهودية وتقرير الشرق الأدنى ـ متاح على موقع: http://www.us-israel.org/jsource/US-Israel/bpaygreet.html.

٢٣- رد كلينتون بعد تقديم السفير الإسرائيلى شوفال لأوراق اعتماده (١٠ سبتمبر عام ١٩٩٨) متاح على موقع:

http://www.us-israel.org/jsource/US-Israel/presquote.html

٢٤- مؤتمر صحفى بواشنطون (٢٣ ديسمبر عام ١٩٩٦) وكالة أنباء الأشوسيتر برس.

٢٥- مؤتمر صحفى بواشنطون (١ يوليو عام ١٩٩٩) وكالة أنباء الأشوسيتر برس.

٢٦- ملاحظات الرئيس الأمريكى للجنة اليهودية الأمريكية (٣ مايو عام ٢٠٠١) مبنى المتحف القومى ـ واشنطون دى سى ـ متاح على موقع:

http://www.whitehouse.gov/news/releases/2001/02/200154.html

٢٧- خطاب إلى الاحتفال القومى بمناسبة أيام التذكر (١٩ أبريل عام ٢٠٠١) متاح على موقع:

http://www.whitehouse.gov/news/releases/2001/04/20010424-3.html

٢٨- الرئيس بوش يناقش السياسة الأمريكية تجاه العراق فى قصر الويت هول بلندن ـ إنجلترا ـ البيت الأبيض ـ مكتب وز ير الإعلام ١٩ نوفمبر عام ٢٠٠٣ ـ متاح على موقع:
http://www.whitehouse.gov/news/releases/2003/11/20031119-1.html

٢٩- نيويورك تايمز (٢٧ نوفمبر عام ٢٠٠٣).

٣٠- الاتحاد الفيدرالى للعلماء الأمريكيين ـ مشروع مراقبة مبيعات الأسلحة ـ متاح على موقع: http://www.fas.org/asmp/library/armsmonitor.html.

هوامش الفصل السادس عشر: هل هى يقظة بدائية أم يقظة عظيمة؟

١- ريتشارد وربراند «المعذب من أجل المسيح» (بارت لسفيل ـ نعم التضحية بالحياة ١٩٧٦، ١٩٩٨)، ٧٨.

٢- كتاب كوواى «الاضطهاد النازى للكنائس» ٢٢٠.

٣- السفر الثانى للملوك ٢٢ : ١١-١٣.

٤- انظر سفر الرومان ١ : ٢١-٣٢.

٥- صفحة ٢٢٦ من كتاب شيدر «ظهور وسقوط الرايخ الثالث».

٦- صفحة ١٧ فى كتاب روبرت جى وايت: «أدولف هتلر الإله الزائف» ـ نيويورك ـ بيزك عام ١٩٧٧).

٧- كتاب إبراهام بهرج «ديترش بونيوفر» (نيويورك ـ هاربر و روو ١٩٧٠) صفحة ١٩١.

٨- كتاب سوستر «هتلر المسيح والدجال» صفحة ٧٧.

٩- مقتبسة من كتاب ديفيد هانت «السلام والرخاء والمحرقة القادمة» (ايوجين أور دار نشر هارفست عام ١٩٨٣) صفحة ١٤١.

١٠- صفحة ٤٨ من كتاب جى أس كونواى «الاضطهاد النازى للكنائس من عام ١٩٣٣ إل عام ١٩٤٥» ـ (نيويورك ـ بايزك عام ١٩٦٨).

١١- صفحة ٣٠ من كتاب ريتشارد بيراد «المقاومة الراديكالية» التاريخ المسيحى ١٠ رقم ٤ (عام ١٩٩١).

١٢- صفحة ٥٣ من كتاب دونالد سكلار «الله والوحش ـ النازى» (نيويوك ـ دروزر عام ١٩٧٧.

١٣- كتاب أزولد جى سميث «زيارتى لألمانيا» المدافع ١١ (سبتمبر ١٩٣٦) صفحة ١٥ ـ مقتبسة من ديفيد أيه روش «تراث الكراهية» (شيكاغو ـ موودى عام ١٩٨٤) صفحة ١٠١.

١٤- صفحة ١٥ من كتاب كونواى «الاضطهاد النازى للكنائس».

١٥- صفحة ٢٣٨ من كتاب «صعود وسقوط الرايخ الثالث».

١٦- نفس المرجع السابق ـ ص ٢٣٩.

١٧- صفحة ١٣٥ من كتاب جرالد سوستر «هتلر» المسيح الدجال (نيويورك سانت مارتن عام ١٩٨١).

١٨- صفحة ١٦ من كتاب «ويت» «أدولف هتلر».

١٩- صفحة ٧٣ من كتاب روساس جى روشدوونى «القانون والحرية» (فيرفاكس فى أية توهبورن عام ١٩٧١).

٢٠- خطاب لاليسون دورانت سميث يوم ٩ أبريل عام ١٩٢٤ سجل الكونجرس المؤتمر الـ٦٨ ـ الجلسة الأولى (واشنطون دى سى مكتب طبع الحكومة عام ١٩٢٤) المجلد ٦٥ ـ صفحات ٥٩٦١-٥٩٦٢.

٢١- انظر إلى سفر التكوين ١٢ : ٣.

٢٢- انظر إلى سفر إشعياء ٢ : ٨.

٢٣- انظر إلى سفر الكورانثيون ١٢ : ٣٢.

٢٤- انظر إلى سفر إشعياء ٦٢ : ١.

٢٥- صفحات ٤٥ و٣٦ من كتاب ديترش بونهوفر «ثمن الديكتاتورية» ترجمة سى كيسر (نيويورك ـ ماكميلان عام ١٩٤٩).

٢٦- صفحة ٢٣٩ من كتاب شيدر «صعود وسقوط الرايخ الثالث».

٢٧- صفحة ٦٥ من كتاب مارى بوزانكور «حياة وموت ديترش بونهوفر» (لندن ـ هولدر وستوجتون عام ١٩٦٨).

٢٨- صفحة ١٠٩ من نفس المرجع السابق.

٢٩- صفحة ١٨ من كتاب جاكس ايلل «دمار المسيحية» (التيارات السريعة العظيمة ـ اردمانز عام ١٩٨٦).

٣٠- انظر إلى سفر الرؤيا ١٦ : ١٢-١٦.

٣١- انظر إلى سفر الرؤيا ١١ : ١٦-١٨.

٣٢- صفحة ٤٠ مستشهد بها ومذكورة فى كتاب أرثور سى كوكبرين «اعتراف الكنيسة فى ظل حكم هتلر» (فيلاديلفيا ـ وستمنستر عام ١٩٦٢).

هوامش الفصل السابع عشر: الأمل الوحيد المتبقى فى عالم مضطرب

١- وكالة أنباء الأشوستر برس ـ مدينة الفاتيكان ـ تاريخ ٢٤ يونيه عام ١٩٩٧.

٢- إنجيل متى ٢٤ : ٤٠-٤٢.

٣- موقع الإنترنت لمكتبة الكونجرس «نصوص الإنجيل والكتب المقدسة التى استخدمها الرؤساء الأمريكان فى تأديتهم ليمين الولاء الدستورى، متاح بموقع:

http://memory.loc.gov/ammem/pihtml/pibible.html

وصار ميسورًا أمام مستخدمى الإنترنت الوصول إليه اعبارًا من ٥ يناير عام ٢٠٠٣.

٤- صفحة ٧٢ من كتاب كلارنسى دبليو بون «تاريخ الاحتفال العالمى بافتتاح فترة رئاسة جورج واشنطون» (ان واى، عام ١٨٩٢).

٥- مدرجة فى ملفات خدمة المرجع التشريعى ـ مكتبة الكونجرس.

٦- صفحة ٤٦ من كتاب جون وينجل «الكتب المقدسة التاريخية فى أمريكا» (ان واى، ١٩٠٥).

٧- قائمة صنفتها المحكمة العليا عام ١٩٣٩.

٨- تقوم إحدى المصادر (جريدة شيكاغو ديلى تريبون فى ٢٣ سبتمبر عام ١٨٨٣ ـ صفحة ٥) بأن جارفيلد وارثور استخدما نفس النص ولكنه لم يوضح أى منهما.

٩- صفحة ٢٧٦ من بتلسون هارشن «العاصمة القومية» (واشنطون عام ١٨٨٥).

١٠- مجلة هربر ـ أغسطس عام ١٨٩٧.

١١- الوثيقة ١٦ لمجلس الشيوخ ـ المؤتمر الـ ٦٥ ـ الجلسة الأولى، عام ١٩١٧.

١٢- نيويورك تايمز فى ١٣ أبريل عام ١٩٤٥ ـ صفحات ١ و٧.

١٣- «حقائق عن الملف» ١٦ إلى ٢٢ يناير عام ١٩٤٩ ـ صفحة ٢١.

١٤- نيويورك تايمز فى ٢١ يناير عام ١٩٥٣ ـ صفحة ١٩.

١٥- نيويورك تايمز فى ٢٢ يناير عام ١٩٥٧ ـ صفحة ١٦.

١٦- نيويورك تايمز فى ٢١ يناير عام ١٩٦١ ـ صفحة ٨ ـ المجموعة ٣.

١٧- كتاب بوث موونى ـ قصة لندون جنسون.

١٨- مكتب راعى المكتبة العليا من خلال التليفون ـ يوليو ١٩٦٨.

١٩- الواشنطون بوست فى ٢٠ يناير عام ١٩٦٩ ـ A1.

٢٠- نيويورك تايمز فى ١٠ أغسطس ١٩٧٤ ـ صفحة A1.

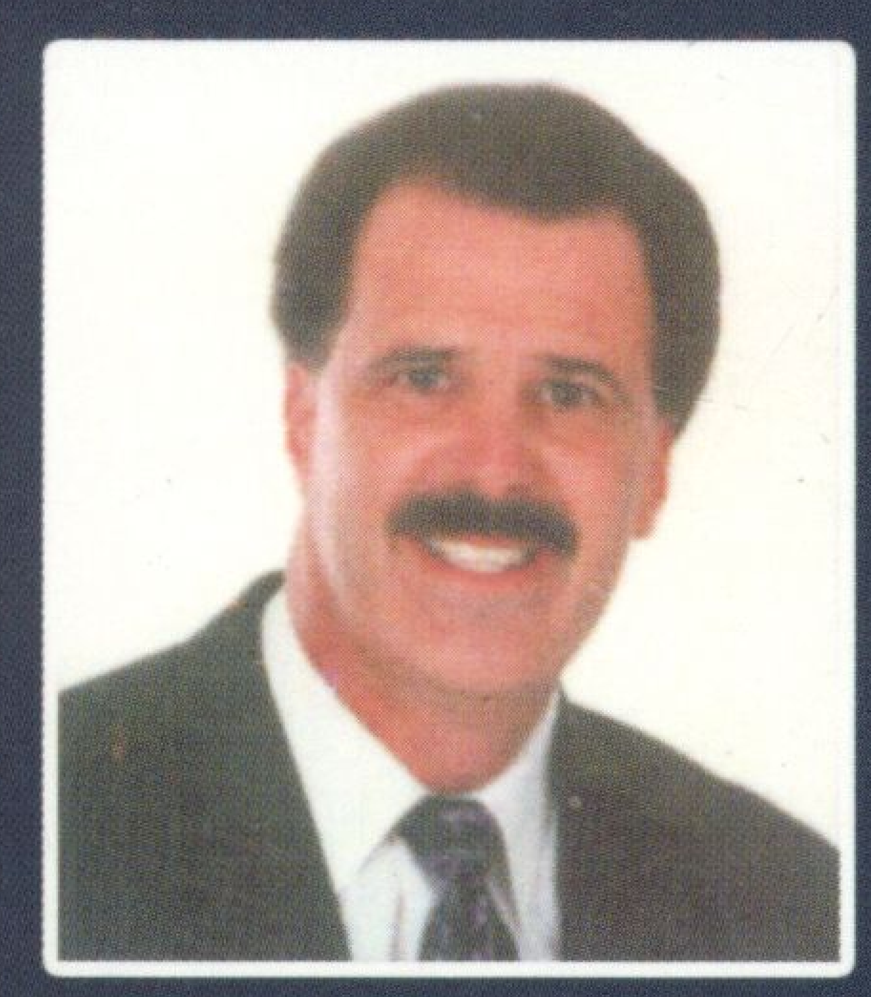
٢١- الواشنطون بوست فى ٢١ يناير عام ١٩٧٧ ـ ١٧ A1.

٢٢- أمين مكتب البيت الأبيض.

٢٣- الواشنطون بوست فى ٢١ يناير عام ١٩٩٧ ـ ١٤ ايه.

٢٤- هيئة افتتاح فترة الرئاسة: لقد تمنى الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش استخدام إنجيل ماسونى كان قد استخدمه من قبل ملًا من الرئيس جورج واشنطون فى عام ١٧٨٩، ووالده الرئيس جورج اتش دبليو بوش فى عام ١٩٨٩، وتم نقل هذا الإنجيل التاريخى تحت الحراسة المشددة من نيويورك إلى واشنطون لمراسم الافتتاح، وبسبب الطقس العاصف استخدم الرئيس جورج دبليو بوش الابن الإنجيل العائلى بدلًا من الإنجيل الماسونى.

هذا الكتاب



مايكل إيفانز

عندما نقدم للقارئ العربي كتاب مايكل إيفانز: «النبوءات الأمريكية»، فإننا نسعى إلى توضيح دور الدين في المجتمع الأمريكي أولًا ومدى تأثيره على القرار السياسي في قضايا لا تتعلق فقط بالشأن الداخلي في أمريكا، وإنما أيضًا في قرارات تتعلق بشن حروب على دول وشعوب أخرى، وهو ما لم يدركه من دخلوا المغارة الأمريكية من أبنائنا ولم يخرجوا منها بعد. كما نريد، ثانيًا، من نقل هذا الكتاب إلى العربية الدخول في «حالة اشتباك» مع هذه الثقافة السياسية الدينية المهيمنة في أمريكا، وأن نساعد بدورنا في اكتشاف حل لـ«المسألة الأمريكية» التي تشكل خطرًا محققًا على أمن وسلامة العالم، ونموذج الحرب الأمريكية على العراق، والأسباب المعلنة وغير المعلنة لهذه الحرب، وإدراك العالم بأسره لعدم مشروعية هذه الحرب الظالمة، ما يقدم الدليل الأوضح على خطورة «المسألة الأمريكية»، ولا سيما عندما يدخل الرئيس الأمريكي الحرب وهو على قناعة بأنه ذاهب ليحارب يأجوج ومأجوج في بابل (العراق)، ويحث الرئيس الفرنسي جاك شيراك للمشاركة معه في هذه الحرب لتدمير بابل وإنقاذ أورشليم!!

نريد، من نقل هذا الكتاب إلى العربية، أن يتوقف البعض عن الترويج لصورة أمريكا المبهرة أو «الحلم الأمريكي» ليشاهدوا أيضًا «الكابوس الأمريكي»، وليبحثوا عما يجمع بين الحلم والكابوس أو التقدم والتخلف أو المصالح والمبادئ في أمريكا وكأن الجمع بين النقيضين، دون حرج، أمر عادي. ولو كان من حقي تغيير عنوان الكتاب لما أسميته "نبوءات أمريكية" بل "كوابيس أمريكية" لكننا نؤمن أن الترجمة عمل حضاري وقيمة أخلاقية كبرى، لذلك حرصنا على تقديم الكتاب كما هو وبلغة صاحبه قدر الإمكان، وحاولنا تصحيح بعض الآراء في بعض المواقف بإضافة هوامش لكننا اكتشفنا بعد فترة قصيرة أننا في حاجة إلى عمل كتاب آخر للرد على ما طرحه المؤلف من آراء غريبة على الساحة العربية لكنها، مع الأسف، تحظى بأكبر اهتمام في أمريكا. ويكفي أن هذا الكتاب كان في قائمة أفضل المبيعات في أمريكا، وكذلك كتب المؤلف الأخرى تختلف كثيرًا في مضمونها وفي منهجها في توظيف آيات الكتاب المقدس لتخدم الأ التي يدافع عنها المؤلف وهي مصالح إسرائيلية وأمريكية في المقام الأول والأخير. كتابه «مواجهة حاسمة مع إيران نووية» وكتابه «ما بعد العراق - الخطوة الأخيرة» وهي كلها كتب كانت في أعلى قائمة مبيعات الكتب في أمريكا...



الناشر: المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية
E-mail-elsheikhahmed 11@hotmail.com
تليفون وفاكس: 22416769 (+00202)
0033623627668-0033149862293